

الإبداع الفكري

الأنكلس التاريخ المصور

د. طارق السويدان

تأليف : د. طارق محمد السويidan
مدير المشروع : أحمد علي شرجي

إعداد وتنفيذ : أ. محمد حسين
شارك في الإعداد : أنس عبدالله سالم
مراجعة وتدقيق لغوي : راتب المصــــــــــــــــري

تصميم وإخراج : أسامة أسعد الفارس
طباعة : مطابع المجموعة الدولية - الكويت

الرقم المعياري الدولي (ردمك) : 9960-9584-2-6
رقم الإيداع : 1425 / 7361

متوفر لدينا بأشرطة صوتية

فرصة للإنتاج الفكري

هاتف: ٤٧٩١٣٢٣ - فاكس: ٤٧٣٠٠٥٥ - الرياض

جميع الحقوق محفوظة للناسر (شركة الإبداع الفكري)

(يمنع النسخ أو التصوير أو النقل أو الاقتباس من هذا الكتاب إلا بإذن خطي من الناسر تحت طائلة الملاحقة القانونية)

الطبعة الأولى

ربيع أول ١٤٢٦ هـ - أبريل (تيسان) ٢٠٠٥ م



هاتف: ٢٤٠٤٨٥٤ - ٢٤٠٤٨٨٣ - فاكس: ٢٤٠٤٨٥٢ - ص ب ٢٨٥٨٩ الصفاة 13146 الكويت

e-mail: info@ebdaa.ws - www.suwaidan.com

هذا الكتاب إهداء إلى...

إهداء

لكل قطرة دمغ ذرفت حزناً على الأندلس الضائعة..
لكل جرح أصاب المسلمين على تراب الأندلس الحزينة..
لكل ذكرياتنا وتاريخنا المشرق في الأندلس المجيدة..
لكل بارقة أمل تشرق في قلوب المشتاقين لأندلسنا الحبيبة..
ولكل المتلهفين لإعادة أمجادنا والعاملين على نهضة أمتنا..
والى الأندلس الرائعة حقاً.. ولكم جميعاً أهدي هذا الكتاب..

د. طارق محمد السويدان

شكر خاص

إلى وجيه مكة المكرمة، المحسن
الكبير..

الشيخ عبدالرحمن بن فقيه
وعائلته الكريمة، لمساهمتهم
الطيبة في دعم طباعة هذا
الكتاب، حباً منهم في تخليد تاريخ
المسلمين العظم في الأندلس حياً
في القلوب، وليبقى شاهداً دائماً
على الأمجاد الرائعة، ونسأله تعالى
التوفيق والقبول لهم في الدنيا
والآخرة، وبارك لهم في أهلهم
وأولادهم.

د. طارق محمد السويدان



٣
٤
٥
٦
١٢
١٣



إهداء
شكر خاص
الفهرس العام
الفهرس التفصيلي
مدخل وتقدير
التاريخ دورس وعسير



١٧

الباب الأول: الفتح الإسلامي

١٩

الفصل الأول: مقدمات الفتح

٣٣

الفصل الثاني: موسى وطارق يفتحان الأندلس

٥٧

الفصل الثالث: عهد الولاة

٨٣

الباب الثاني: الدولة الأموية في الأندلس

٨٥

الفصل الأول: عبد الرحمن الداخل (صقر قریش)

١٢١

الفصل الثاني: عهد الأمراء الأمويين

١٥٥

الفصل الثالث: عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر

٢١٥

الفصل الرابع: عهد الحاجب المنصور



٢٤٥

الباب الثالث: دويلات الطوائف وملوك المغرب

٢٤٧

الفصل الأول: دويلات الطوائف

٢٨١

الفصل الثاني: عهد المرابطيين

٣٣٧

الفصل الثالث: عهد الموحدين

٣٨٥

الباب الرابع: نهاية الأندلس

٣٨٧

الفصل الأول: تفكك الأندلس

٤٠٧

الفصل الثاني: بنو مرين

٤٣١

الفصل الثالث: مملكة غرناطة

٤٧١

الفصل الرابع: سقوط غرناطة ونهاية الأندلس



الفهرس التفصيلي

الموضوع	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	رقم الصفحة
مدخل وتقديم			١٢
التاريخ دروس وعبر			١٣

الباب الأول: الفتح الإسلامي

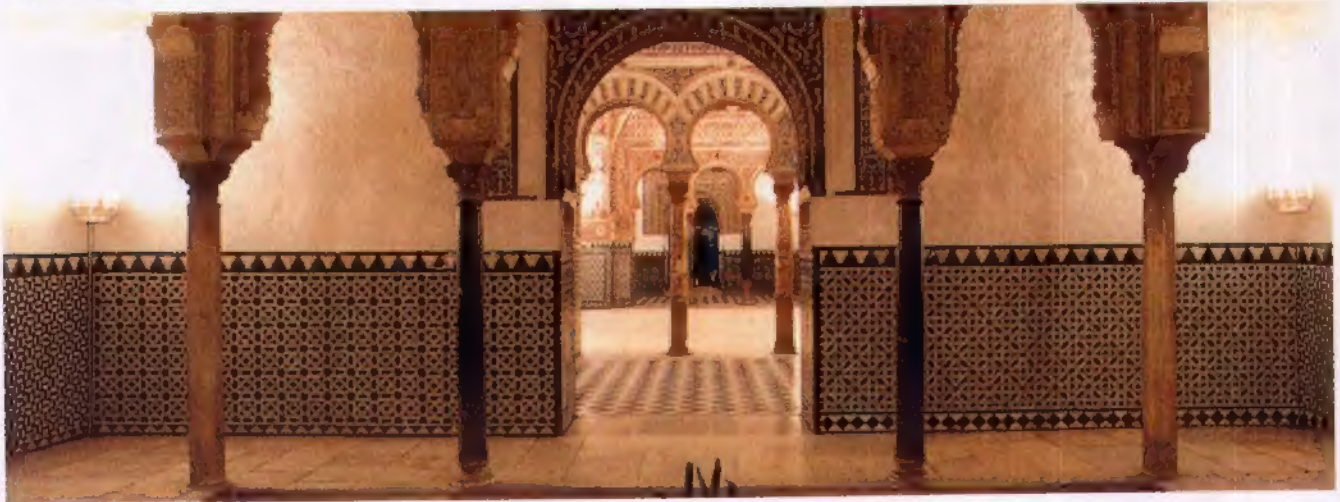
الفصل الأول: مقدمات الفتح			١٩
أولاً - مدخل إلى الفتوحات الإسلامية			٢٠
ثانياً - فتح المغرب العربي	٢٣	٦٤٣	٢٢
ثالثاً - مقدمات فتح الأندلس	٨٥	٧٠٤	٢٧
الفصل الثاني: موسى وطارق يفتحان الأندلس			٣٣
أولاً - مراسلات موسى بن نصير	٩١	٧١٠	٣٤
ثانياً - بدء الفتح وأعمال طارق بن زياد	٩٢	٧١١	٣٦
ثالثاً - توجه موسى بن نصير للأندلس	٩٢	٧١١	٤١
رابعاً - التحرك نحو فتح الشمال	٩٥	٧١٤	٤٨
خامساً - عودة موسى وطارق إلى دمشق	٩٥	٧١٤	٥٢
الفصل الثالث: عهد الولاة			٥٧
أولاً - عبد العزيز بن موسى بن نصير	٩٥	٧١٤	٥٨
ثانياً - السمع بن مالك الخولاني	١٠٠	٧١٩	٦١
ثالثاً - عبد الرحمن الغافقي، وبلاط الشهداء	١١٢	٧٣١	٦٥
رابعاً - ثورة الخوارج في الشمال الإفريقي	١٢٤	٧٤٢	٧١
خامساً - الفتن تعصف بالأندلس	١٢٤	٧٤٢	٧٣
سادساً - الوالي الأخير يوسف الفهري	١٢٩	٧٤٧	٧٧

الفهرس التفصيلي

الموضوع	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	رقم الصفحة
---------	----------------	------------------	------------

الباب الثاني: الدولة الأموية في الأندلس

الفصل الأول: عبد الرحمن الداخل (صقر قريش)				٨٥
أولاً - تزعم الدولة الأموية في الشام		١٢٦	٧٤٤	٨٨
ثانياً - قصة الفرار العجيب		١٣٢	٧٥٠	٩٢
ثالثاً - دخول عبد الرحمن الأندلس		١٣٦	٧٥٣	٩٥
رابعاً - خمس وعشرون ثورة ضده		١٤١	٧٥٨	٩٩



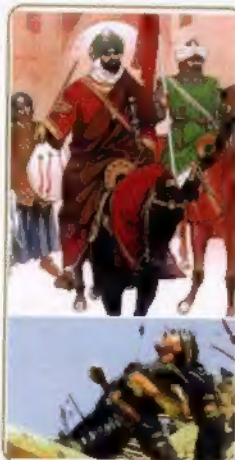
الفصل الثاني: عهد الأمراء الأمويين				١٢١
أولاً - هشام بن عبد الرحمن (الرضا)		١٧٢	٧٨٨	١٢٢
ثانياً - الحكم بن هشام (الريضي)		١٨٠	٧٩٦	١٢٧
ثالثاً - عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط)		٢٠٦	٨٢١	١٣٣
رابعاً - محمد (الأول) بن عبد الرحمن		٢٣٨	٨٥٣	١٤١
خامساً - المنذر بن محمد بن عبد الرحمن		٢٧٣	٨٨٦	١٤٥
سادساً - عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن		٢٧٥	٨٨٨	١٤٧



الموضوع	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	رقم الصفحة
<u>الفصل الثالث: عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر</u>			١٥٥
<u>أولاً - عبد الرحمن بن محمد (الناصر)</u>	٣٠٠	٩١٣	١٥٦
<u>ثانياً - القتال والجهاد</u>	٣٠٠	٩١٣	١٦٨
<u>ثالثاً - إعلان الخلافة</u>	٣١٤	٩٢٦	١٨٦
<u>رابعاً - غزوة الخندق</u>	٣٢٣	٩٣٥	١٨٨
<u>خامساً - حضارة الأندلس تبرز في عهد الناصر</u>	٣٣٦	٩٤٨	١٩٦
<u>سادساً - الحكم بن عبد الرحمن (المستنصر)</u>	٣٥٠	٩٦١	٢٠٦



<u>الفصل الرابع: عهد الحاجب المنصور</u>			٢١٥
<u>أولاً - هشام بن الحكم (المؤيد بالله)</u>	٣٦٦	٩٧٧	٢١٦
<u>ثانياً - الحاجب المنصور</u>	٣٦٦	٩٧٧	٢١٧
<u>ثالثاً - الأحداث في عهد الحاجب</u>	٣٦٩	٩٨٠	٢٢٤
<u>رابعاً - غزوة شنت ياقب (سانت يعقوب)</u>	٣٨٧	٩٩٧	٢٣٠
<u>خامساً - عبد الملك بن الحاجب المنصور</u>	٣٩٢	١٠٠٢	٢٤١
<u>(الحاجب المظفر)</u>			
<u>سادساً - عبد الرحمن بن الحاجب المنصور</u>	٣٩٩	١٠٠٩	٢٤٢
<u>(شنجول)</u>			



الموضوع	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	رقم الصفحة
---------	----------------	------------------	------------

الباب الثالث: دويلات الطوائف وملوك المغرب

الفصل الأول: دويلات الطوائف			٢٤٧
أولاً - عهد الطوائف	٤٠٠	١٠١٠	٢٤٨
ثانياً - مأساة مدينة بريشتر	٤٥٦	١٠٦٤	٢٦٢
ثالثاً - الصراع الإسلامي النصراني في الأندلس	٤٥٨	١٠٦٦	٢٦٦
رابعاً - سقوط طليطلة وبعض دويلات الطوائف	٤٧٨	١٠٨٥	٢٧٦



الفصل الثاني: عهد المرابطين			٢٨١
أولاً - يوسف بن تاشفين يعبر إلى الأندلس	٤٦٥	١٠٧٣	٢٨٢
ثانياً - معركة الزلاقة وحصار حسن لبيط	٤٧٩	١٠٨٦	٢٨٨
ثالثاً - إنهاء دويلات الطوائف	٤٨٣	١٠٩٠	٢٩٤
رابعاً - علي بن يوسف بن تاشفين	٥٠٠	١١٠٧	٣١٠
خامساً - نهاية عهد المرابطين	٥٣٧	١١٤٣	٣٢٤



الفصل الثالث: عهد الموحدين			٣٣٧
أولاً - ابن تومرت ودعوة الموحدين	٥٢٠	١١٢٦	٣٣٨
ثانياً - عبد المؤمن بن علي	٥٤١	١١٤٦	٣٤١
ثالثاً - يوسف بن عبد المؤمن ومعركة فحص الجلاب	٥٦٠	١١٦٥	٣٤٨
رابعاً - يعقوب المنصور بن يوسف ومعركة الأرك	٥٨٣	١١٨٧	٣٥٦
خامساً - محمد الناصر بن يعقوب ومعركة العقاب	٦٠٦	١٢١٠	٣٦٥
سادساً - نهاية الموحدين	٦١٠	١٢١٤	٣٧٢



الموضوع	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	رقم الصفحة
---------	----------------	------------------	------------

الباب الرابع: نهاية الأندلس

الفصل الأول: تفكك الأندلس				٣٨٧
أولاً - تساقط المدن				٣٨٨
ثانياً - مملكة غرناطة والمندجنون				٣٩٥
ثالثاً - نهاية الموحدين				٤٠٠



الفصل الثاني: بنو مرين				٤٠٧
أولاً - بنو مرين في الأندلس				٤٠٨
ثانياً - الخيانات تعصف بالأندلس				٤١٦
ثالثاً - أبو يعقوب يوسف المريني في الأندلس				٤٢٠
رابعاً - تقلص الأندلس الإسلامية				٤٢٤



الموضوع	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	رقم الصفحة
<u>الفصل الثالث: مملكة غرناطة</u>			٤٣١
<u>أولاً - الصراعات الداخلية في الأندلس</u>		٧٥٥	٤٣٢
<u>ثانياً - أحوال المسلمين في الدولة النصرانية</u>		٨٥٠	٤٤٤
<u>ثالثاً - انقسام غرناطة وتمزقها</u>		٨٦٣	٤٤٨
<u>رابعاً - ضياع نصف غرناطة</u>		٨٩٢	٤٥٥
<u>الفصل الرابع: سقوط غرناطة ونهاية الأندلس</u>			٤٧١
<u>أولاً - الأمير موسى بن غسان والثبات</u>		٨٩٥	٤٧٢
<u>ثانياً - حصار غرناطة</u>		٨٩٦	٤٧٨
<u>ثالثاً - الصلح المشؤوم</u>		٨٩٧	٤٨٦
<u>رابعاً - نقض الميثاق</u>		٩٠٥	٤٩٦
<u>خامساً - نهاية المسلمين في الأندلس</u>		٩٧٥	٥٠٢
<u>المراجع</u>			٥١٦
<u>الخاتمة</u>			٥١٩



مدخل وتقدير

إن المتأمل في حاضر المسلمين اليوم، وما جعلهم يصلون إلى ما هم عليه من ضعف وفرقة يجده مشابهاً ومقارباً لحالهم يوم أن كانوا يتربعون على عرش الأندلس، فيرى نفس أسباب الهزيمة ونقاط الضعف وإهمال فرص الريادة والقوة والوحدة، مع اختلاف الجغرافيا والمسميات. لهذا نضع هذه الدراسة الشاملة لتاريخ الأندلس بين يدي القراء علها تنبه الغافل وتذكر العاقل وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت.

عملنا في الكتاب

تسهيلاً على القارئ الكريم وحتى يستوعب الحقب والتطورات التي مرت بها الأندلس فقد قسمنا الكتاب إلى أربعة أبواب،

الباب الأول (الفتح الإسلامي): تكلمنا فيه عن أهداف وأسباب الفتوحات الإسلامية ثم بداية فتح بلاد المغرب بشكل عام والأندلس بشكل خاص ومن تولى إمارة الأندلس من قبل حكام دولة بني أمية.

الباب الثاني (الدولة الأموية في الأندلس): وسردنا فيه القصة العجيبة لعبد الرحمن الداخل كيف هزم من ملاحقة العباسيين ثم دخل الأندلس وتولى إمارتها ثم من تولى بعده من سلالة الأموية، ثم ختمنا الباب بالحديث عن عهد الحajib المنصور.

الباب الثالث (دويلات الطوائف وملوك المغرب): تحدثنا فيه عن تشتت الأندلس إلى دويلات وطوائف وتكلمنا عن أحداث ذلك العهد وملوكه، ثم انتقلنا إلى الحديث عن عهد المرابطين الذي وحد الأندلس بعد فرقتها، ثم ختمنا الباب بالحديث عن عهد الموحيدين وأمرانهم وتداخله مع تاريخ الأندلس حيث كان أمراء المغرب هم من يحكم الأندلس بعد عهد الطوائف.

الباب الرابع (نهاية الأندلس): أوردنا فيه النهاية المؤلمة لتلك الدولة التي جعل منها المسلمون حاضرة العالم ولؤلؤة المغرب، وتحدثنا عن الخيانات التي أدت إلى هذه النتيجة مع نهاية المسلمين فيها وما لحقهم من العار والمهانة والظلم بعد تغلب أعدائهم عليهم.

وقد وضعنا في نهاية كل فصل بعض الحقائق والعبر لأخذ الموعظة من مجريات الأحداث وكذلك وضعنا في نهاية كل باب تسليلاً تاريخياً للأحداث تسهيلاً على القارئ، مع وضع خارطة مبين عليها أهم المعارك والأحداث. كل هذا ضمن تسلسل تاريخي كامل وشامل وقراءة واعية للأحداث، وأظنه أول كتاب يتحدث عن تاريخ الأندلس بهذا الشمول وهذا الترتيب، لعل الله يجعل فيه النفع والخير وما توفيقني إلا بالله، والحمد لله أولاً وآخراً.

التاريخ دروس وعبر

تعيش الأندلس ومثلها كل أرض المسلمين في شعور كل مسلم حقاً، يتحرق شوقاً إليها، وينتظر يوماً يأتي ليجمع شمل المسلمين، ويوحد أراضهم، ويحرر ديارهم التي ما زال بعضها تناديهـم: أين المسلمون؟

مرأحدهم بالأندلس، وسماها الفردوس المفقود فقال متحرقاً مشتاقاً:

نزلت شطك بعد البين ولها أنا	فذقت فيك من التـبـريح الوانا
وسرت فيك غريباً ضل سامره	داراً وشوقاً واحبباً وإخوانا
فلا اللسان لسان العرب نعرهه	ولا الزمان كما كنا وما كانا
ولا الخمانل تشجينا بلابلها	ولا النخيل سقاء الطل يلقانا
ولا المساجد يسعى في مآذنها	مع العشيات صوت الله ريانا

وقال أحد العلماء المسلمين في العصر الحديث: سل التاريخ: هل أفل نجم حضارتنا إلا يوم بزغت نجوم المغنّين والمغنّيات.

أظنه قال هذه الحكمة حين رأى تاريخ الأندلس شريطاً من الذكريات مصوراً أيام عز وسؤدد وحضارة، ومن ثم أيام سكون وارتكاس إلى زينة الحياة الدنيا وانغماس أمراء الأندلس في الألقاب والترتب. يعتبرونها مغنماً تشاركهم العصبية العمياء، قال ابن خضاجة الأندلسي يصف هذا الوضع:

مما يزهـدني في حب أندلس	القاب معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها	كالهريحي انتفاخا صولة الأسد

ثم جاءت الخلاقات بينهم فأوصلت إلى الحضيض، ثم إلى التردّي في مكان سحيق، كما صور شاعر الأندلس:

لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان

والتاريخ تاريخ أي أمة - سجل أحداث، منه تتبين الأمة عوامل النجاح، وفيه تلمس أسباب الهزائم. وأمة بلا تاريخ أمة بلا مستقبل. ومن ثم يتعطّل بالتاريخ صفعه التاريخ. ولئن كان الوضع الحالي للمسلمين لا يسر فقد ضاع ملكهم. ونهبت مقدساتهم، وذلوا لأعدائهم. ولا يزالون يذوقون الويل منهم، ففي تاريخ كل أمة هنات وهزائم، ولكن توجد هناك حركات أصيلة أيضاً، حفنة قليلة من المؤمنين قد تحقّق نتائج ضخمة، فتعيد الأمة إلى سابق عهدها إلى العز والأمجاد.



لا تقل إني وحيد مفرّد ربّ فرد عزّ قوماً أو أدلّ

وهي التاريخ شواهد كثيرة جداً. يقول تعالى: «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون» (الأنبياء ١٠٥).

والنية الكامنة لا تكفي، بل لا بد من التجربة العملية والاستعداد الدائم، وإن في الحياة لسنناً وأسباباً، على الفرد والأمة أن تأخذ بها وتستعد استعداداً صادقاً لبلوغ الغايات والأهداف، «ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله» (هود ١٢٣).



حديث القرآن الكريم عن التاريخ

ولا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم إلا وتعرض قصة تاريخية: تتصارع فيها القوى، وتتنافس الطاقات في تيار الحياة، وتموج بالناس، ثم تركز فيها على الاعتبار منها، وهل يعتبر منها إلا أولو الأبصار؟

هم الذين يتزودون بتجارب البشرية، يأخذون من التجارب العالية، ويتركون الدافئة، «وانتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» (آل عمران ١٣٩).

وهذا مثل واحد من كتابه العزيز: يقول تعالى: «آلم. غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلبون في بضع سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم» (الروم ١-٥).

وتاريخ الحروب فرع من فروع علم التاريخ، وكل مؤرخ أو كاتب يفسره من وجهة نظره، فرب قوم هيؤوا من سبل الحياة أكملها، وبنوا الترسانات الضخمة من الأعتدة والعتاد، «وقالوا من أشد منا قوة» (فصلت ١٥).

ورب قوم قال حاكمهم لهم: «ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد» (غافر ٢٩)

ورب قوم عتوا: «وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله» (الحشر ٢)، تلك أمم نسيت قدرة الله تعالى.

الامة المسلمة تتعلم من التاريخ

ولكن الأمة المسلمة - وهي في مجرى التاريخ - لا تنسى قط:

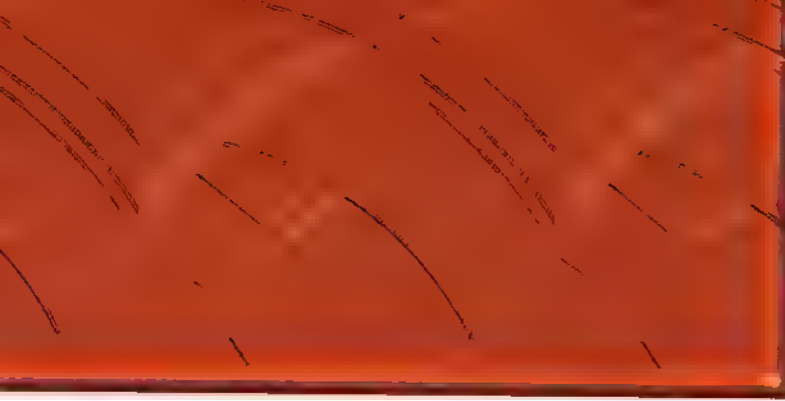
- ١- استعداداتها عملاً بقوله سبحانه وتعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» (الأنفال ٦٠).
- ٢- قوة الله التي تتجلى بمظاهر طبيعية أو كونية من سيول وأعاصير وأوبئة وقحط، «إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر» (القمر ١٩) - «فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات» (الأعراف ١٣٣).
- ٣- قوة الله الغيبية بإلقاء الرعب والوهن في القلوب بحب الدنيا وكراهية الموت. «سنلقي في قلوب الدين كمروراً الرعب بما أشركوا بالله» (آل عمران ١٥١).
- ٤- إرادة الله المطلقة بقوله سبحانه: كن، «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» (الأنبياء ٢٣)، وعند ذلك لا تربط النتائج بالأسباب، فتعمل متكلة على الله حق التوكل.

الحديث عن الأندلس

وعلى هذه الصفحات القادمة سنكتب شيئاً عن الأندلس، وصفها بعضهم بالمفقود، ونعتها آخرون بالسقوط، وآخرون بغروب الأندلس. صفحات من التاريخ الأندلسي بما فيه من عزة وأمجاد، وبما يتضمن من مراثي وضياع، نلنا أن نعيد الذكرى. ونعرف ماضيها فننتعظ، فنحن أولى الناس بالأندلس.

ويكاد في عصرنا معظم الناس وبخاصة المثقفون منهم يجهلون تاريخ الإسلام والمسلمين، فيجهلون سيرة المصطفى ﷺ، ويجهلون سيرة الأفاضل من مشاهير المسلمين، ولا يكادون يسمعون عنهم إلا أسماء، فلو سألت أكثرهم عن النعمان بن مقرن المزني لجهلوه، ولو سألتهم عن معركة نهاوند التي تضاهي القادسية لوّاً رؤوسهم عجباً! أو سألت عن عقبة بن نافع الفهري، أو الحاجب المنصور لعجبت من الجهل والصمت وقلة المعرفة أيضاً.

وبالعكس يكاد يحفظ عن ظهر قلب عن نابليون وحروب، وكازانوف ومغامراته، وعن الأميرال نلسن وأساطيله... بل يحفظ نجوم كرة القدم، ونجوم الرقص والغناء.



فقدنا عزنا لما رأينا يسود بلادنا الرقص الغناء

ولعل كلمة خيانة المثقفين أن تكون أبلغ تعبير عن حالتنا التي تهب عليها رياح العوالة العاتية التي تريد أن تدمر كل شيء يخص امتنا، كما قال الشاعر:

أنا من أمة أفاقت على العزْ وأغفت مغموسة بالهوان

و وبإعادة هذه الذكرى فإننا نرجو أن توقظ الهمم، وتثير المواطف، عل أن تدب في النفوس شعور الأباء والأجداد، وليعود للأمة مثل ماضيها المجيد، وعسى أن يظهر جيل مؤسس على ما أسس الأباء، كما قال الشاعر:

فمنا الوليد ومنا الرشيد فلم لا نسود ولم لا نشيد

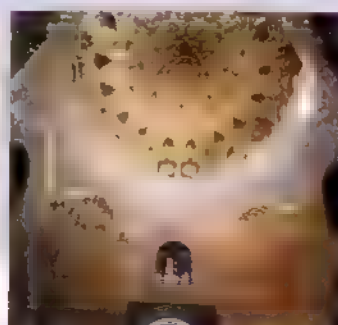
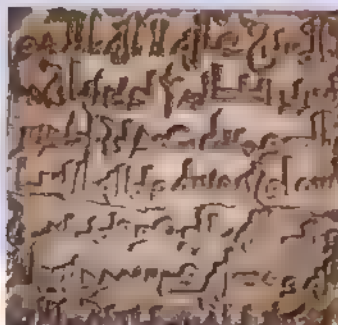
وليست دراسة التاريخ للهو والتخدير، وإنما تؤخذ الدنيا غلابا، ونأخذ نحن منها العبر والأحكام.

هذي الحياة وفي التاريخ موعظة أن بنسها غافل يوجعه بالضرب

وإن هذه تذكرة «فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا» (الدهر ٢٩)، والعاقبة دائماً للشعور المستكن في قلب المسلم «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» (المنافقون ٨).

نعم، تتعاطم الحاجة للتعليم من صمحات التاريخ، وفي كل مرة تتعاطم الأخطار المحيطة بالأمة، حيث تجد في تشابه الظروف ما يعينها على الخروج من المأزق التي تجابهها، والانتصار على ذاتها وعلى غيرها، وقد أحيط بنا.

ماذا أعدد والأقوام لوأمّ شتى غوت فعلينا الكل في حزب



النبأ الأول

الفتح الاسلامي



الفتح الاسلامي

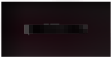
الفتح الاسلامي

الفتح الاسلامي

موسى وطارق يفتحان الاندلس

الفتح الاسلامي

الفتح الاسلامي



الباب الأول

الفتح الإسلامي



الفصل الأول

أولاً - مدخل إلى الفتوحات الإسلامية

ثانياً - فتح المغرب العربي

ثالثاً - مقدمات فتح الأندلس

مقدمات الفتح

دراسة التاريخ العسكري والحروب بشكل خاص ضرورة لكل قائد سياسي أو عسكري فلا بد أن يعرفها واعياً مستفيداً فالتاريخ يعيد نفسه وإنما تختلف الألوان والمظاهر، فالأرض هي الأرض، والإنسان هو الإنسان، وحقيقة مجريات الحوادث في كل زمان واحدة، «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض» (البقرة ٢٥١).

لقد كادت الحياة كلها تأسن وتتعفن لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، ولولا أن في طبيعة الناس التي فطرهم الله عليها أن تتعارض مصالحهم واتجاهاتهم الظاهرية القريبة لتنتقل الطاقات كلها، فتنفذ عنها الكسل والخمول، وتستجيش ما فيها من مكنونات مذكورة، وتطل أبدأ بيقظة عاملة مستنبطة لذخائر الأرض مستخدمة قواها، وفي النهاية يكون الصلاح والخير والنماء بقيام الجماعة الخيرة المهتدية المتجردة، تعرف الحق الذي بينه الله لها.

خصمان في ربهم شأن الصراع هنا تلك الحقيقة ليس الماء والخبز
منذ الخليفة قاده الناس دينهم وخاب من ربه الطاغوت والكنز

وكم في التاريخ موجات من الحروب لم تكن تحمل الحق، وإنما أشعلتها الفتن والأهواء، حملت الخراب إلى العالم، وما الحريان العالميتان ببعيدتين عن ذاكرة الناس، وكذلك الرومان قد حملوا الفساد إلى الأراضي التي دخلوها، ولا تخفى حملات الصليبيين والمغول وآثارها على العالم الإسلامي، وما الاستعمار الحديث ثم العولمة إلا امتداد للفساد والاستكبار في الأرض بغير الحق.



نشر النور

وما كان المسلمون في جميع الجبهات متفوقين على الأعداء بالعتاد والرجال. ولا كانوا ذوي حروب ضخمة متوارثة، إنما كانوا أصحاب عقيدة، ورجال مبادئ وعقيدة، ثم ما كانت مقومات الانتصار هي المعتمد ولا كان الانتصار هو الغاية، بل كانت غايتهم فتح القلوب وإزالة الحجب الكثيفة عنها ليصل إلى شفافها هدى الله سبحانه. وأن لا يقفوا بفتحهم إلا حيث تعرفهم صحراء أو يحرأوا مانع طبيعي لفترة من الزمن.

أما الفتوحات الإسلامية فتختصر بجملة واحدة: هي إزالة الحواجز التي تحول دون وصول النور الرباني إلى عامة الناس، ولتكون كلمة الله هي العليا، ولتكون العبودية لله خالق الناس، وتخرج الناس من عبودية البشر للبشر، ولعمارة الأرض بعد الخضوع لله الذي استخلف الناس عليها. «هو الذي أنشأكم من

الأرض واستعمركم فيها» (هود ٦١) من أجل استخدام القوانين والنواميس الأرضية لتطوير الحياة على الأرض، ومواصلة العمران وتحقيق الرفاهية والتعدل دون النظر إلى لون أو عرق أو نسب. لذلك نشر المفتح الإسلامي النور للعالمين، وبين لهم الغاية الأساسية لوجودهم ومهمتهم في الكون، فكانت الفتوحات التي فتحت الحدود أمام نور الله ليأخذ طريقه إلى القلوب فكانت في حقيقتها فتحاً للنفوس والقلوب قبل فتح البلدان.

هذا رسول الله ﷺ يفرح قلبه الكبير بسورة المفتح، بالفتح المبين، وبالمعصرة الشاملة، وبالنعمة التامة، وبالإلهادية إلى صراط الله المستقيم، وبالنصر العزيز الكريم، وفرح برضى الله عن المؤمنين، فقال عليه الصلاة والسلام: «أنزلت علي الليلة سورة لمي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس» (أخرجه البخاري ومسلم والترمذي).

وكان هذا المفتح فتحاً في الدعوة، فأمن الناس بعضهم بعضاً، وسمع من لم يسمع بالإسلام من قبل، وكان فتحاً في الأرض بعد ذلك إذ فتحت حصون خيبر، وكان فتحاً بين المسلمين والمشركون في قريش وسائر المشركين من حولها، وعم الإسلام الجزيرة بعده.

وتوفي رسول الله ﷺ في الثاني عشر من شهر ربيع الأول ١١ للهجرة، وولي أبو بكر الخلافة ﷺ، فارتدت معظم القبائل في شبه الجزيرة العربية، وكانت حروب الردة التي عمت الجزيرة العربية التي انتهت في كل الجبهات بترسيخ الإسلام، وأظهرت قيادات جديدة، ودلت على طاقات كامنة، ولعلها كانت تمهيداً للفتوحات. واستمر الفتح على جبهتي فارس والروم، وانتهت دولة فارس، ومزق الله ملك ال ساسان، وفتحت أجزاء كبيرة من الإمبراطورية الرومانية، وعم الفتح حتى وصل الصين وعبر حدود ما وراء النهر، واجتاز جبال طوروس برجال يحبون الموت كما يحب أعداؤهم الحياة في كل الجبهات. في الشرق والشمال. وفتحت مصر زمن عمر بن الخطاب ﷺ، ثم استمرت الفتوحات زمن عثمان بن عفان ﷺ ومن بعده. ومن ثم زمن التابعين الذين هم خير القرون بعد قرن الصحابة.



عقبة بن نافع الفهري

استغرق فتح
جميع بلاد
المغرب ما يقارب
٧٠ عاماً من
٢٣هـ إلى ٨٩هـ

خضع المغرب العربي للإسلام لكنه لم يستقر فيه، وظل أهله ينتفضون عليه مرات ثم يعودون إذا جاءتهم الجنود الإسلامية. ومن أشهر القواد الذين كان لهم دور كبير في فتحه: عقبة بن نافع الفهري، وهو تابعي جليل يروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ويحتل موقعاً أثيراً في قلوب المسلمين، فهو المؤمن المجاهد في سبيل الله ونشر رسالته، ما وهن ولا ضعف في مواجهة الشدائد والصعاب، نذر حياته وباع نفسه في سبيل الله. وقد توغل توغلاً شديداً في المغرب حتى وصل شاطئ المحيط الأطلسي الذي كان يسمى بحر الظلمات، وخاضه بفرسه حتى بلغ نحره فقال: اللهم اشهد... أنني قد بلغت المجهود، ولولا هذا البحر لمضيت أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد من دونك.

ولما أراد العودة إلى عاصمة إفريقية "القيروان" اختار طريق الأطلس الصحراوي، وقسم جنوده حين وصل إلى "طبنة"، ولم يكن قد بقي بينه وبين القيروان أكثر من ثمانية أيام وأمرهم أن يسيروا فوجاً فوجاً، فانتفض عليه البربر والرومان فكمنوا له في منطقة "تهودة" وهي مدينة في جنوب جبال الأوراس، إذ كان في ثلاثمائة فارس فقط، فقتلوا جميعاً بعد قتالهم قتال الأبطال، وظل البربر بعد ذلك بين الخضوع للإسلام والثورة عليه كلما سنحت لهم بادرة، إلى أن ولي عليها رجل عظيم وقائد محنك هو:



موسى بن
نصير

أسرته

كان والده نصير من بين أربعين غلاماً سباهم خالد بن الوليد رضي الله عنه في كنيسة عين التمر على شاطئ
الضرات عام ١٢ للهجرة بعد أن ضرب أعناق أهل الحصن أجمعين. وكان على هؤلاء الغلمان باب مغلق
فكسره عنهم، وأجابوه بأنهم رهائن لدى أهل عين التمر، فاعتبرهم خالد رضي الله عنه من السبي وقسمهم على
أهل البلاء من جنده. وكان منهم أيضاً سيرين والد محمد بن سيرين، ويسار جد محمد بن إسحاق كاتب
السيرة (المغازي).

أعتق بنو أمية نصيراً، فعمل في شرطة معاوية رضي الله عنه، وكان صاحب همة وعطاء حتى صار من قواد جيش
معاوية رضي الله عنه وحرسه.

ولما حصلت الصلّة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما رفض أن يقاتل علياً ابن عم النبي صلى الله عليه وآله. ولما استتب
الأمر لمعاوية رضي الله عنه عام الجماعة قال له يعاتبه لعدم مشاركته في قتال علي رضي الله عنه: ما منعك من الخروج معي
ولي عندك يد لم تكافئني عليها؟ فقال كلمة عظيمة معبرة تدل على وعيه ورسوخ الإيمان في قلبه: لم
يمكن أن أشرك بكفري من هو أولى بشكري منك. فقال له معاوية رضي الله عنه: من هذا الذي هو أولى بالشكر
مني؟ وهو يرى أنه صاحب الفضل عليه، فأجابه نصير: الله سبحانه وتعالى. فاطرق معاوية رضي الله عنه رأسه،
وقال: استغفر الله، وعفا عنه وسامحه ورضي عنه.



نشأة موسى بن نصير

ولد موسى بن نصير في الشام عام ١٩ للهجرة في خلافة عمر رضي الله عنه، وعاش مع أولاد الخلفاء، شارك بعد أن تعلم فنون القتال واستخدام السلاح في فتح "قبرص"، وكان أحد قواد الأسطول الإسلامي. وعندما حصل الصراع بين الأمويين أنفسهم، وبينهم وبين ابن الزبير بعد موت معاوية رضي الله عنه، بايع الناس في أقطار الإسلام ابن الزبير. وكذلك الشام، فلم ير أي حرج في مبايعة ابن الزبير مع الضحاك بن قيس المهري. وزهر بن الحارث القيسي. وكذلك النعمان بن بشير الأنصاري، وكلهم كانوا من أمراء الأمويين سابقاً، واستطاع الأمويون ومن ساندتهم من القبائل وبخاصة قبيلة كلب اليمانية أن يجمعوا أمرهم على مروان بن الحكم، وأن يسيروا إلى الحجابة ثم إلى مرج راهط لكي يقتنعوا الضحاك وجماعته على مبايعة الأمويين إلا أنه أبى ذلك، فوقع القتال بين الطرفين. ودارت الدائرة على أنصار ابن الزبير وفر موسى كما فر الضحاك وغيره، ولجأ إلى عبد العزيز بن مروان والي مصر الذي عفا عنه إذ اعتبره مجتهداً في أمره وفي هذه المسألة لمبايعة ابن الزبير، وقرّبه منه، فشكر له موسى هذا الأمر وكان عاملاً كريماً شجاعاً ورعاً تقياً لله تعالى. وكان من رجال العلم حزمياً ورأياً وهمة ونبلاً وشجاعة وإقداماً كما ذكر عنه من ترجم له.



موسى بن نصير والي أفريقية

ولاه عبد العزيز بن مروان (والي مصر) إفريقية - وينطلق هذا الاسم على الشمال الإفريقي لبيبة وتونس والجزائر والمغرب - عدا مصر، وكانت منطقة تغلي بالقلق، وتثور الاضطرابات فيها من فترة لأخرى. فوجد أن ذلك يعود لسببين رئيسيين:

١- كانت الفتوحات في هذه المنطقة تمتد بسرعة ولا يكفي عدد المسلمين لصبط المناطق المفتوحة لقلة عددهم، فقال موسى كلمة معبرة عن سابقه عقبة بن نافع: رحمه الله، كيف ينطلق ولم يحم ظهره؟ أما كان معه رجل بصير؟

٢ أما السبب الثاني: رأى أن الإسلام لم يكن قد تمكن في قلوب الناس هناك، وما زال البربر يستقضون عليه كلما سنحت لهم فرصة. فاتبع سياسة جديدة: ذلك أنه لا يتابع الصّح من منطقة إلى أخرى قبل أن تستقر النفوس للخضوع لهذا الدين الجديد، وعمل على أن يمتلك الإسلام قلوب "البربر"، فبث بينهم العلماء والدعاة بدءاً من سنة ٨٦ للهجرة. وهنا ملاحظة جديرة بالاهتمام لدى الدارسين وهي أن الانتشار الواسع للإسلام في العالم على هذه الرقعة الكبيرة منه لم يكن إلا في فترة وجيزة جداً بعد موت الرسول ﷺ بستة وسبعين عاماً فقط.

ولما دخلوا في دين الله أفواجاً، وصارت غالبيتهم جنداً للإسلام حقاً، قاتل بهم وبغيرهم الفئة التي لا تريد أن تخضع وتطغى على الناس، فلاحقهم موسى في الجبال وكاد أن يفتنهم. كما قيل: ولما وصل بخيوله إلى منطقة القبائل التي غارت بعقبة بن نافع، قاتلهم قتالاً شديداً وانهزم البربر من أهل "سجومة"، ففتح موسى المدينة وقتل ملوكها، وأمر أولاد عقبة الثلاثة "عياضاً وعثمان وأبا عبيدة" أن يأخذوا حقهم ممن قتلوا آباهم، فقتلوا من أهل "سجومة" من البربر ستمائة رجل من كبارهم، ثم قال لهم موسى كفوا، وقال عياض بن عقبة: أما والله لو تركني ما أسكت عنهم وفيهم عين تطرف، وبزوالها سقط الحاجز المعنوي والمادي الذي يصد الناس عن دين الله، ودخلت الآلاف إلى الإسلام وكان من بين الذين اعتنقوه قائد عظيم - سيكون له شأن في المستقبل القريب - من قادة البربر هو طارق بن زياد رحمه الله.

الزبير بن عبيد

ولد في الشام وهو من التابعين.

ولاه معاوية البحر.

بايع ابن الزبير بعد موت معاوية لكن ما لبث أن هرق الأمويين جمعهم فالتجأ إلى عبد العزيز بن مروان.

صار وزيراً لعبد العزيز بن مروان والي مصر.

تولى شمال غرب إفريقيا.

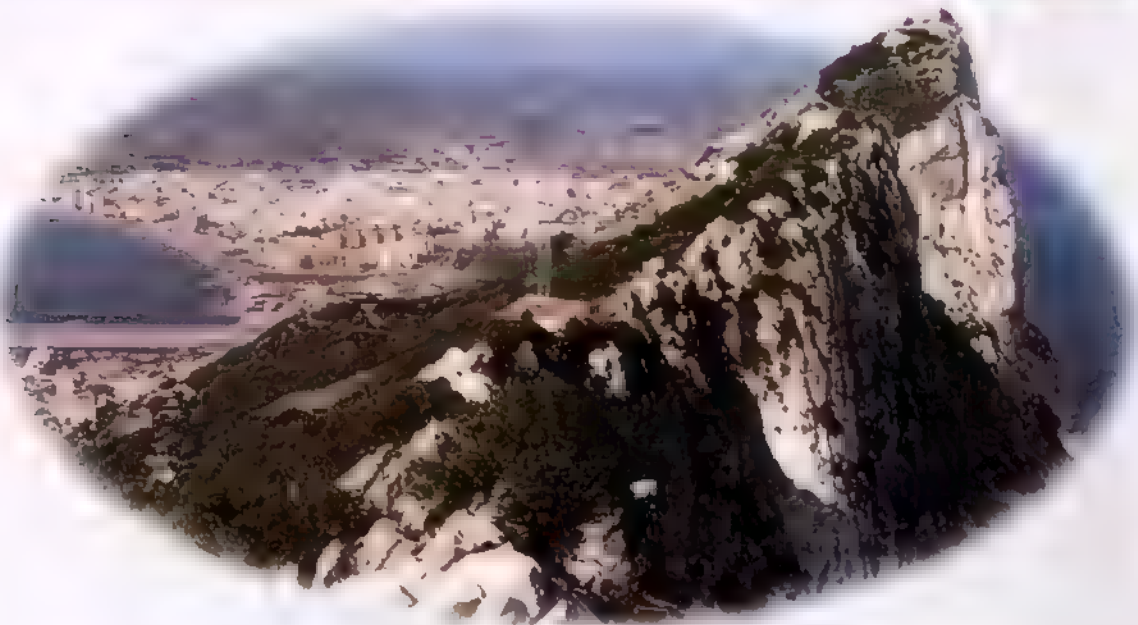
بعد المخطط الأول لفتح الأندلس.

أرسل أول سرية إلى الأندلس بقيادة طارق بن زياد ففتح جنوبها.

أعاد إخضاع جنوب الأندلس بعد تمرد لها وفتح عدة مدن أخرى.

اشتهر بصلاحه وحبه للجهاد.

توفي بالمدينة المنورة.



جبل طارق، نقطة استراتيجية وأساسية بالنسبة للساحل الإسباني الذي يراقب العبور من البحر الأبيض المتوسط إلى المحيط الأطلسي.



إخضاع شمال أفريقيا

وأخضع موسى الشمال الإفريقي كله وخضعت له بذلك قبائل البربر. تلك التي أعلنت تمرداً بعد أن عاهدت المسلمين. ولم تبق إلا مدينتان هما طنجة وسبتة في القسم الشمالي الغربي من المغرب، تقابلان إسبانية، ويفصل بينهما وبينها المضيق فقط.

أرسل موسى قوة ذاتية أصيلة من الفئة المؤمنة الجديدة "البربر" عددها ٩ آلاف بقيادة طارق بن زياد لفتح طنجة، وتم فتحها في مدة وجيزة.

وقاد هو بنفسه جنداً لفتح سبتة التي كان يحكمها حاكم من قبل "غيطةشة" ملك إسبانية يدعى "يوليان" أو "جوليان"، وكانت مدينة محصنة بأسوارها الضخمة، واستمات أهلها في الدفاع عنها، لذلك امتنعت من الفتح، ففك موسى الحصار عنها وولى طارق بن زياد أميراً على تلك المنطقة "طنجة" ومسا حولها، وعاد إلى عاصمة إفريقية "القيروان".

موسى بن نصير
على مشارف
الاندلس

أخذ موسى بن نصير - رحمه الله - يفكر في فتح الأندلس، فرأى أنه يمكن للرومان والأسبان "أهل الأندلس حينذاك القوط وغيرهم" أن يهاجموا الشمال الإفريقي في كل وقت يريدون، لأنهم يملكون الأساطيل البحرية، وإن لهم قوى بحرية كبيرة ليس للمسلمين ما يدفعها أو يواجهها. ففكر بتخطيط "استراتيجي" بعيد النظر فلم يستعجل، وقرر إنشاء قوة بحرية للمسلمين لتستطيع صد غارات الروم والأندلسيين، فأسس قاعدة بحرية في تونس، وجعلها في مدة قليلة ما يقارب المائة سفينة حربية.



وأراد بعد ذلك أن يكون هو سيد البحر بلا منازع في منطقة الشمال الإفريقي، فأعلن أنه يريد غزو البحر، وتجمع حوله الناس من كل صوب وعلى رأسهم الأشراف الذين وفدوا إليه في هذا النوع الجديد من جند المسلمين الذين يحملون العلم والمعرفة الإسلامية إلى العالمين، وكثرة عدد الأشراف سميت الغزوة باسمهم: "غزوة الأشراف"، لكنه رأى أن لا يخرج بنفسه فأرسل ابنه "عبد الله". واستطاعت هذه الحملة إخضاع "صقلية" لحكم الإسلام.



غزوة الأشراف



المسلمين يبرلون من البحر لفتح سردينية

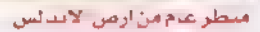
جزر البليار



وأرسل بعد فترة ابنه عبد الله لفتح سردينية مرة ثانية،
وتليست سيطرة المسلمين على جزر البليار في شربها،
وهي ثلاث جزر كبيرة تقع شرق الاندلس وتدعى جزر
البليار الشرقية، وتم بهذا الفتح استقرار المنطقة،
وخضع البحر بجزره وشواطئه لسلطان المسلمين.

فتح سردينية

وأرسل حملة أخرى بعد ذلك بقيادة "عطاء
بن أبي نافع الهذلي" لفتح "سردينية" وهي
جزيرة كبيرة في البحر المتوسط، تقع
شمال "صقلية" فافتتحها، ولما أراد العودة
إلى الشمال الإفريقي نصحه موسى الأ
يرجع في ذلك الوقت إذ كان موسم هبوب
الرياح العاتية، ونشوء العواصف، لكنه لم
يتبع النصيحة - وهذه من بعض الأخطاء
التي يقع فيها القواد والناس - ففرق في
البحر وصحبه رجمهم الله.

[illegible]



سكنها الروم منذ عام ٢٠١ ق.م، وكان لقب الروم يطلقه العرب على كل الأجناس التي كانت تسكن أوربة. وقد هاجمت أوربة بدءاً من القرن الخامس الميلادي قبائل من الشمال تعرف باسم قبائل الفاندال، فاشاعت الذعر والرعب في أوربة كلها، وكانت همجية دمّرت كل ما كان من حضارة الروم، فاطبق على أوربة ليل حالكة من القرن الخامس إلى القرن العاشر، وكان هذا الليل يزداد ظلاماً وسواداً، يظلم الكبير فيه الصغير، ويأكل القوي فيه الضعيف، ويتسابق الناس في اللهو والفجور، ويتنافسون في الجاه والأموال وأسباب الترف والنعيم، حتى وصلت هذه القبائل إلى الأندلس واستقرت فيها.

أطلق عليها اسم "فاندلوسيا" لأن قبائل الفاندال قد بلغت، ومن هذا الاسم اختصر العرب كلمة "الأندلس".

بعض الآثار الرومانية الباقية في مالقة وخلفها قلعة مالقة التي بناها المسلمون



القوط

ثم استطاعت قبيلة أخرى تدعى "القوط" وهي قبيلة همجية كسابقتها جاءت من المانية، وسيطرت على الأندلس. وأقامت حضارة استمدت من حضارة الرومان، وحكمت الأندلس ثلاثة قرون حتى أوائل القرن السادس الميلادي، وبقيت تتمتع بقوة عسكرية مدرية وقوية، تقارع الأحداث، وتقف للمواجهات، وتوالي على الحكم ست وثلاثون ملكاً منهم.



أحد المدرجات الرومانية القديمة في أشبيلية

حياة بائسة

وكانت حالة الأندلس وهي تعيش حياة بائسة، زيادة على تسلط الكنيسة و سطوتها، كما كانت حالة الشعوب الأوربية، تستخدم النعرات بين الناس وإثارة الفتن بين مختلف فرق النصارى مصداق قوله تعالى: ﴿فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ (المائدة ١٤)، وتؤجج الشعور الديني الكامن في فطرة الإنسان للقيام بالحروب كالصليبية مثلاً.

كانت الأندلس تشكو الفساد الاجتماعي وعدم الاستقرار، وقد قسم الشعب إلى طبقات عديدة، كطبقة الحكام المترفين والأسرة المالكة، تملك كل شيء، ولها كل شيء، بينما على طبقة سواد الشعب كل الواجبات، ويطلب منها تنفيذ كل أهواء أهل القوة والبطش الذين يستغلون الشعب الذي هو في انشقاء أصلاً لسوء الأحوال المعيشية، فيثيرون الصراع المستمر بين الطبقات ذاتها، وهي حال أوربية بشكل عام.



أحدى القناطر الرومانية على أحد الأنهار الأندلسية



قنطرة رومانية مرممة في عهد هيليب الخامس



في منطقة الجزيرة الخضراء وهي منطقة الجنوب التي تقع شمال جبل طارق مدينة "إشبيلية"، وإلى الشمال الشرقي منها تقع مدينة "قرطبة"، وإلى الشرق منها تقع "غرناطة". أما العاصمة "طليطلة" فتقع في وسط الأندلس، وهناك مدن كثيرة أيضاً منها "سرقسطة" في شمال شرق الأندلس قريبة من حدود فرنسا، وتقع "ليون" عاصمة منطقة الشمال الغربي، أما "جليقية" فتقع في أقصى شمال الأندلس.

الفصل الثاني - الفتح الاسلامي



الفصل الثاني

اولا - مراسلات موسى بن نصير

ثانيا - بدء الفتح واعمال طارق بن زياد

ثالثا - توجه موسى بن نصير للاندلس

رابعا - التحرك نحو فتح الشمال

خامسا - عودة موسى وطارق الى دمشق

موسى وطارق يفتحان الأندلس



طريف بن مالك أول من يطأ الأندلس

وبعد اطمئنان الخليفة
وموسى بن نصير بنتيجة
المراسلات التي تمت
بينهما، أرسل سرية
استطلاعية بقيادة طريف
بن مالك رحمه الله
بأربعمئة مجاهد تقلهم
أربعة مراكب فقط، في
رمضان عام ٩١ للهجرة،
والتف حول الجبال ونزل
بجزيرة - قرب الجزيرة
الخضراء - تحمل اسمه،
فهو أول مسلم من
الشمال الإفريقي طأ
قدماء أرض الأندلس.

مراسلات الوالي موسى بن نصير مع الخليفة الوليد

بعد أن أرسى موسى بن نصير ومن معه الإسلام في شمال إفريقيا،
تطلع إلى ما وراء المضيق "بحر الزقاق"، فأرسل إلى الخليفة الوليد
بن عبد الملك في دمشق يستأذنه في اقتحام الأندلس، فكتب إليه
الوليد رحمه الله أن خصها بالسرايا حتى ترى وتختبر شأنها،
ولا تفرر بالمسلمين في بحر شديد الأحوال، ثم يكن المسلمون قد
أصبحوا أمة بحرية بعد، ولم يكونوا قد مارسوا عملياً غزو البحار
إلى أمد طويل، لأنهم أبطال البر والصحارى، لذلك لم يأذن
الخليفة له خوفاً عليهم.

لكن موسى بن نصير أقنع الخليفة بأنه ليس ببحر زخار، فأرسل
إليه قائلاً: وإن كان كذلك فلا بد من تجربته بالسرايا.



مراسلات المسلمين

أدى طريف مهمته بنجاح، وجمع المعلومات عن أوضاع الأندلس. وقدم تقريراً عملياً بأن الأوان قد
حان للفتح الكبير.

الاتصال

بموسى بن نصير

كان "يولييان" هو البادئ إذ عرض على موسى بن نصير أن يسلمه مدينة سببة ويترك له أن يفتح من الأندلس ما يشاء، ولما استفتحهم موسى منه ماذا يريد مقابل ذلك منه؟ أجابه ابن "غيطشة": نحن لا نطمع في ملك، وإنما نطمع إن تم لك الأمر أن تعيد لنا مزارع والدنا الملك فقد كانت له ألف مزرعة ضخمة موزعة على أنحاء الأندلس. فهذه هي نفوسهم، همهم المال وهم أحرص الناس على حياة وإن كانت ذليلة.

وكما قال الشاعر:

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح يميت إيلام

ماذا كان في الأندلس؟

مات "أخيكا" ملك إسبانية حوالي ٧٠٠م، ونولى الملك بعده ابنه "غيطشة"، وقبل الفتح بسنة تقريباً قام أحد قواد الجيش ويدعى لذريق واسمه في لغتهم "رودريكو" بالاستيلاء على السلطة، وقتل غيطشة في الصراع لاستعادة الحكم، وفر أبناؤه ليجتمعوا أنصارهم إلى شمال الأندلس وبدؤوا يثورون ضد الحكم المستبد الجديد، ولكن أحد أبناء الملك السابق التجأ إلى "يولييان" حاكم سببة في الشمال الإفريقي الذي كان من أنصار والده. ولما تحرك "لذريق" نحو الشمال للقضاء على أعوان الملك وأبنائه، وجد الابن الذي في سببة مع حاكمها "يولييان" الفرصة المواتية للانتقام من المفتصب إذ رأيا أنهما لا يستطيعان عمل أي شيء بمفردهما فلا بد من دعم جيش قوي لهما.



يولييان يعرض على موسى بن نصير أن يسلمه مدينة سببة...

رأى موسى بن نصير هذا العرض بخساً فليدفع المزارع لهم، لينال هو شرف الفتح - فتح الأندلس - بالإضافة إلى تسليم مدينة "سببة" التي لم يستطع فتحها من قبل، أليس هذا عرضاً مغرباً؟



هيا موسى بن نصير جيشاً قوامه سبعة آلاف مجاهد جلهم من البربر المسلمين وأمر عليهم طارق بن زياد سنة ٩٢ للهجرة.

وطلع موكب النور. ولا يحتاج النور إلى قوة القاهرة. ولا إلى جيوش جراحة. ولا أعتدة مدمرة. ولا إلى ذهب يلمع. وإنما يحتاج - إن صح التعبير - إلى نوعية فرد يجب الموت لإعلاء كلمة الله. بل يرى أن الحياة تبدأ عندما يسقط أحدهم شهيداً فيقول: فزت ورب الكعبة.

وفرد إلى فرد إلى فرد يؤسسون جنداً يمثلون قدر الله في الأرض. ومن يقف أمام قدر الله؟ ومن يصده؟



وهكذا كان المسلمون في فتوحاتهم على جميع الجبهات في مواجهة مختلف الأمم والنحل، فامتازوا بالعقيدة التي تفتدى بالنفس، وبالقيم الإنسانية التي يحملها الفاتحون إلى البلاد، ويعبرون عنها بسلوكتهم على مختلف المسؤوليات والأوصاف.

و«كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله» (البقرة ٢٤٩).

الجيش الأول بقيادة طارق بن زياد

جيش المسلمين يستعد للفتح



عبر طارق بن زياد وجيشه المضيق منطلقاً من "سبتة" تحملهم السفن، وتجمعوا على جبل صخري عرف فيما بعد باسم "جبل طارق". وكما عرف المضيق باسمه أيضاً، وهذه مكافأة دنيوية له بكل اللغات. «من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة» (النساء ١٣٤).

ولما علم أن القوط قد تجمعوا قريباً منه لصدّه بقيادة "تدمير"، التفّ حول الجبل المسمى باسمه، ونزل السهل الذي خلفه المسمى بسهول الجزيرة الخضراء.

وحين علم "تدمير" بنزول طارق هناك أرسل رسالة مستعجلة إلى "لذريق" الذي كان في عمليات بالشمال لجمع ثورة أبناء الملك السابق. يقول هيها: أدركننا فإن قوماً نزلوا هنا لا يدرى أمن أهل الأرض أم من أهل السماء قد وطئوا بلادنا؟ وقد لقيتهم هلتهض إلى بنفسك.

جاءه هذا الخبر فجمع جيشاً كثير العدد بلغ في بعض الروايات مائة ألف، وترك حامية هناك لدافعة الثوار، وتوجه لدحر جيش طارق نحو الجنوب.

لكن طارقاً أنشب القتال مباشرة والذي دام ثلاثة أيام انتصر بعده على "تدمير" في أول لقاء مع القوط على الجزيرة الخضراء. وسيطر على جنوب الأندلس، ولما علم بتقدم "لذريق" بجيشه الكثيف أرسل خبراً عبر المضيق إلى موسى بن نصير يطلب المدد، فأمدّه بخمسة آلاف مجاهد، ولبيلغ عدد جنده اثني عشر ألفاً.

العبور إلى الأندلس

معركة برباط الحاسمة

استكشف طارق المنطقة ليختار مكاناً يحده هو للقاء العدو الزاحف ملائماً لقلّة عدد جنده وكثرة الأعداء، فاختار قرب الوادي "برباط"، ونهره، فخيم على ضفافه وانتظر حتى أتى القوط. وحدثت المعركة الفاصلة التي تعد من أهم معارك الأندلس.

جيش الإسلام اثنا عشر ألفاً، وقليل منهم خيالة، وقائدهم طارق بن زياد، وجيش القوط مائة ألف أكثرهم خيالة، يقودهم حاكم الأندلس نفسه "لذريق". إذ كان على سرير تحمله ثلاث بعلات مقرونات، ولباسه الملكي محلى بالذهب.

فخطب طارق جنده يحمسهم ويعددهم إما الشهادة أو النصر، ويرغبهم في إعلاء كلمة الله، والتعالي على زخارف الدنيا ومشتهياتها، ويذكرهم بالآية الكريمة: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً هي التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم» (التوبة ١١١).

وعماً يذكر له من خطبة مطوّلة في بعض الكتب فإن حولها مقالا، أضيف إلى ذلك أنه من البربر والخطبة من بلاغتها تكاد تكون لقس بن ساعدة أو امرئ القيس وكذلك ما يذكر من إحراق السفن، فكلا الأمرين خير ثابت تاريخياً.

ويظهر أن الجيش القوطي كان مغتراً جداً بقوته، ومتاكداً إلى درجة حتمية النصر عنده، حتى أنهم أعدوا ما يحملون عليه أسرى المسلمين، فقد جاء مع الجيش دواب لا تحمل غير الحبال لربط الأسرى، وكان نهاية المعركة ستكون لصالحهم، وكانوا يضوقون المسلمين في العدد والعدد، ويحاربون في بلد يعرفونه، وأرض يعرفون جغرافيتها ومداخلها ودروبها، إلا أن المسلمين كانوا متفوقين بالروح المعنوية، متعاليين على منافع الحياة الزائلة ورغبات الدنيا، وما يقال: إن طارقاً وعد الجنود بالنساء والأموال والذهب يكذبه التاريخ، وواقع المسلمين.



معركة طارق بن زياد مع جيش القوط



فرنسا

أردونة

قرقشونة

جبال البرانس

نابساخال

نافار

ارغون

قطانوية

جبرونة

سرقسطة

سرقسطة

برقلونة

طركونة

بلسية

قطولونة

بلنسية

دانية

شاطبة

دانية

مرسية

مرسية

قرطجنة

المريجة

غراتا

غراتا

مالقة

استجة

شذونة

شذونة

اشبيلية

اشبيلية

قادس

موقعة وادي برياط
(أو وادي لكه)

موقعة وادي برياط
(أو وادي لكه)

بدأت المعركة يوم الأحد الثامن والعشرين من شهر رمضان المبارك، ودارت واتصلت ثمانية أيام، ومرّ عيد الفطر والمسلمون في قتال إلى يوم الأحد الخامس من شوال، وكانت تزداد عنماً، وصبر الصريقان صبراً عظيماً، وسقط القتلى من الطرفين، إذ استشهد من المسلمين ربع الجيش أي ثلاثة آلاف شهيد كما ذكر الرواة.

ولولا العقيدة وسمو الهدف في هذه المعركة لكانت الغلبة للقوط الذين قاتلوا قتالاً شديداً في مكان يعرفون أدق تفاصيله.

لكن تفوق المسلمين بالعقيدة اكتسح مصاعب المعركة، وكان اللقاء حاسماً، ونصر الله المسلمين نصراً مؤزراً وشتوا الجيش القوطي الذي ولى الأدبار، ونثروه على أطراف وادي "برباط" وتبعهم المسلمون وأوقعوا فيهم القتل والأسر، ومنهم من ألقى نفسه في النهر وفيهم قائدهم "الذريق" الذي مات غرقاً.

وغنم المسلمون غنائم كثيرة، وأعظمها كانت الخيول الكثيرة، فلم يبق راجل في الجيش بعد هذه المعركة.



قضت هذه المعركة الفاصلة "برباط" على معظم القوى العسكرية للقوط، ولم يلتق المسلمون بعدها بتجمع كبير لهم، وانتشر المسلمون انتشاراً واسعاً، فما أراد طارق بن زياد أن يضيع الوقت بل تقدم بسرعة، وسار يفتح البلدان بلدة فبلدة، وقد أصيب القوط بهلع وخوف شديدين.

فتح طارق "شدونة" ثم مرّ بمدينة "موروز" وهي قريبة من قرطبة عاصمة الأندلس وبعد ذلك بمدينة "قرمونة" واستولى على "لقة" و"البيرة" بعد حصار طويل، وأخضع "أريولة"، كل هذا النصر تم في شوال ٩٢ للهجرة وذلك لسرعة الجيش المسلم الذي تحرك على الخيول وعدم استطاعة العدو أن يجمع الجموع.

وصل إلى "إشبيلية" عاصمة الجنوب، ورأى أهلها أنهم لا يستطيعون صد المسلمين أو قتالهم فطلبوا من طارق الصلح فصالحهم على دفع الجزية.



اكتساح جنوب
الأندلس

أن المنطقة أو المدينة التي تفتح تصبح الأموال المنقولة وغير المنقولة غنيمة والناس سبياً بعد الفتح. أما الصلح فيكون حسب اتساق الطرفين على بنوده، وأهم بند في الصلح أن يقر العدو بدفع الجزية، وهي مقدار دينار من الذهب على كل فرد في العام مرة. والتفصيل في كتب الفقه.

الفرق بين
الفتح والصلح



العدل الاسلامي هي الاندلس

فتح أستجة

تجمع القوط في منطقة حصينة جداً تدعى "أستجة". واستطاع طارق أن يباغت قائدها خارج الحصن وأن يأسره وهو لا يعلمه، فقرر أن يصالحه فاطلق سراحه ووفى له هذا، ويفتح أستجة خضع الجنوب كله للفتح الإسلامي.

اتجه طارق بن زياد بعد صلح مدينة "أستجة" نحو الشمال ففتح "جيان" على الطريق الرئيسي نحو العاصمة "طليطلة" التي فتحها طارق دون مقاومة تذكر.

تسعة آلاف من المسلمين يفتحون الأندلس (إسبانية والبرتغال) في أشهر قليلة عام ٩٢ للهجرة...

المعاملة العادلة

عامل المسلمون أهل الأندلس كما عاملوا كل البلاد المفتوحة بما تتطلبه الحقوق الإنسانية (حق الحياة، حق العبادة، حرية المال والنفس والعرض) لأنهم لا تشغلهم الكنوز، ولا يتوجهون للعدوان على الأطفال والنساء والشيوخ، فهذه طبيعة القوات الإسلامية في كل عصر وكل زمان، مما يجعل الناس في البلاد المفتوحة يندهشون بما يرون، فيدخلون الدين بإيمان صادق ويقين تام، إذ «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي» (البقرة ٢٥٦).

استقر طارق في طليطلة بعد أن تحرك شيئاً في شمالها بأمر من موسى بن نصير، و لينظم جيشه، ويستقر الوضع العام قيل أن يدخل المناطق الإسبانية الأخرى.

لما وصلت أنباء هذا الفتح المبارك موسى بن نصير الذي كان يراقب أحداثه، ويهيئ متطلباته، فقالوا عنه: إنه كان ينكب على الدعاء والتضرع لله سبحانه، والابتهاال إليه في أن ينصر جيش المسلمين، قرر أن يدخل الأندلس على رأس جيش قوامه (١٨) ألفاً يقوده بنفسه في رمضان عام ٩٣ للهجرة.



المسلمون
يقومون
بالدعاء
والابتهاال
لتنصر جيش
المسلمين في
الأندلس

لم يكن موسى بن نصير مجرد قائد عسكري يفود الجيش بحنكته ، بل كان دوعا فريدا من القادة يعمل لحساب أمته ودينه لا لحساب جيبه ومصالحه. ولذلك كثرت في زمنه الفتوحات وانتشر الإسلام. كان تقياً دائماً التضرع إلى الله، اتصل رجاؤه بقوة خالق السماء والأرض. وكان يخرج أهله معه في كل معركة ويرى أن ذلك أقرب للنصر. ومما يذكر عنه في إحدى غزواته أنه صلى بهم صلاة الاستسقاء واشتد تضرعه لله فقال له أحد قواده: ألا تدعو لأمير المؤمنين ؟ فأجابه موسى إجابة المؤمن الموحد لا القائد المتزلف المداهن : هذا موقف ما ينبغي أن يذكر فيه إلا الله عزوجل.

وكان يكثر التضرع إلى الله قبل كل غزوة وقد ذكر له الرواة بعض الكرامات لا نستغربها على تابعي تقي مثله.

موسى بن

نصير ...

الاجاهد العايد

جاء موسى من "سبته" المضيق، ومعه جمع كبير من التابعين، وصحابي واحد هو المنذر الإفريقي رضي الله عنه، وولى ابنه عبد الله على "القيروان" عاصمة الشمال الإفريقي آنذاك، واجتمع إليه المسلمون والقادة في الجيوب الأندلسي حيث نزل في جبل يدعى جبل موسى أيضاً، وحينما استكمل ترتيباته بنى مسجداً في المكان نفسه، ضبط قبلته تابعي يدعى "حنش بن عبد الله الصنعاني" رضي الله عنه.

وقد سمي هذا المسجد "مسجد الرايات"، وقد دمره القوط فيما بعد فيما يسمى بحرب الاسترداد، ولا تزال آثاره موجودة شاهدة على عظمة من أنشأه.

فهو قائد يعرف هدفه وغايته كما يقول أحد الشعراء في وصف قادة المسلمين:

أينما حل فالماذن ترجيع أذان المهيمن الديان



فرنسا

أردنية

قرقشونة

جبال البرانس

أرعون

قطالونية

جبرونة

سرقسطة

سرقسطة

برشلونة

طركرنة

لنسية

قطالونية

بلنسية

دانية

شامبنة

دانية

مرسية

مرسية

قرطاجنة

الصريجة

ملاقة

جبل طارق

شذونة

قادر

قادر

قادر

قادر

البحر الأبيض المتوسط

خط سير
طارق بن زياد

المغرب

سير طارق
سرايا طارق
نهر
مدينة
جبال



فتح ماردة

وانتقضت "شبيلية" فحاصرها موسى شهراً ثم أخضعها، وأخضع "باجة" وهي بلدة قريبة منها، هرب إليها حامية "إشبيلية" وجنودها، وقصد بعد ذلك مدينة "ماردة"، وقد كانت حصينة لها سور لم يبن الناس مثله كما وصفها الرواة. حاصر موسى المدينة، وما استطاع المسلمون أن يمتلوا الأسوار أو يخرقوها، فأمر بصنع دبابة، وكانت آلة مصنوعة من الخشب مغطاة بالجلود، وبالأقمشة المبللة، لا تخترقها النبال، وتطفأ النيران إن صبت عليها. هاجم جماعة من المسلمين بالدبابة يحتمون بها، فعملوا لإيجاد ثغرة في السور حتى اعترضتهم صخرة صماء اتعبتهم، وامتنعت عن التفتيت أو الخرق، فاغتاظ القوط منها وصبوا عليها النيران وأرسلوا الأحجار فوقها وهاجموها من كل جهة حتى استشهدت تلك الجماعة المسلمة تحت برج لا يزال يدعى برج "الشهداء" إلى اليوم.

وكان طارق بن زياد يفتح المدن في وسط الأندلس، وكانت المدن التي افتتحها في الجنوب تنقض على المسلمين واحدة تلو أخرى، إذ ما كان باستطاعته - رحمه الله - أن يترك حامية كبيرة، فتحرك موسى ابن نصير ليعيد إخضاع الجنوب بعده، فأخضع "شدونة" ثم قصد "هرمونة" وكانت مدينة صعبة ليس في الأندلس أحصن منها، فحاصرها ثم عمل حيلة لاقتحامها حين اتفق مع جماعة من أصحاب "يوليان" على أن يفروا من أمامهم، ويتوجهوا للاحتماء بالحصن، فدخلهم أهل المدينة ولما جاء موسى بخيله ففتح هؤلاء لهم الأبواب.

هؤلاء في العرف العام "الطابور الخامس"، هم هذا الطابور أن يلبوا كيف كانت الأحوال وغايتهم أن يحفظوا مصالحهم.



ومن هذه التجربة علينا أن نربي أجيالنا على الولاء المطلق الصادق لله ولرسوله وللمؤمنين حتى لا يستغلوا من قبل الأعداء الذين يشترون الذمم بالمال والجاه والنساء، ولا يقبل ذلك إلا ضعاف النفوس ومن يقاتل من غير هدف ولا مبدأ.



رأى أهل "ماردة" إصرار موسى على الفتح. فأرسلوا يطلبون إليه الصلح، فأجابهم وصادف ذلك عيد الفطر: اشوال عام ٩٤ للهجرة. فصار للمسلمين عيدان: عيد الفطر ويوم الفتح. وثارت "إشبيلية" للمرة الثالثة. فأرسل موسى بن نصير جيشاً صغيراً (سرية) بقيادة ابنه عبد العزيز. وسيكون له شأن في الأندلس. فدخلها وحطم قوتها، وكسر قوة أخرى تجمعت قريبا في مدينة تدعى "لبلة"، وأرسل إلى طارق بن زياد حين تحرك تحاه "طلبيرة" وهي منطقة غرب "طليطلة" يدعوهُ إلى لقائه، فالتقى القائدان الجليلان في "طلبيرة" هي ذي القعدة عام ٩٤ للهجرة.



إبلاغ الخليفة في دمشق

كتب موسى بن نصير إلى الخليفة في دمشق يخبره بأخبار الفتح وتفصيلاته ومعلوماته، واختار التابعي علي بن رياح رسولا إلى الوليد. فلما دخل عليه قال: تركت موسى بن نصير بالأندلس وقد أظهره الله ونصره، وفتح على يديه ما لم يفتح على يد أحد، وقد أوفدني إلى أمير المؤمنين في نصر من وجوه من معه بفتح من فتوحه. ثم رفع إليه الكتاب من عند موسى، فقرأه الوليد فلما أتى على آخره خر ساجداً لله سبحانه.

رسول موسى بن نصير يصل إلى الخليفة في دمشق



استقرار الفتح

ولما حل فصل الشتاء والقتال في الشتاء صعب - مكث في طليطلة للراحة وللإستعداد لما بعد الشتاء، ولتنظيم قوته، وللعمل على استقرار المنطقة، ونشر العقيدة الجديدة فيها، فقام بصك العملة (الدرهم والدنانير الإسلامية) وذلك في عام ٩٥ للهجرة بعد ثلاث سنوات من ابتداء الفتح. أيقن القوط أن هؤلاء الفاتحين ليسوا كغيرهم من الغزاة، إذ ما جاؤوا لمغنم أو سلب، وما قدموا للعلو في الأرض ولا استكبارا، إنما حلوا للتمكن والاستقرار والاستحلاف في الأرض على منهج النور، كما قال تعالى: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ (الحج ٤١)، وجاء أبناء الملك السابق "غبطشة" يطلبون المزارع وفاء بالعهد الذي قطعه على نفسه موسى بن نصير، فكان خير وفي رحمه الله، وكذلك يكون كل مسلم حقا! فأزال مجتمع الطبقات في الأندلس. وألغى عبودية البشر للبشر واستقر عمليا قول الرسول ﷺ: «كلكم لأدم وأدم من تراب».

وما حدث في اللقاء بين القائد العظيم موسى بن نصير وطارق بن زياد لم يعد مناقشة أو استفهاما، إذ قال له موسى: ما دعاك إلى الإيغال والتفحم في البلاد بغير أمري؟، فاعتذر طارق إليه بخطة العسكرية تجاه الظروف المستجدة، فقبل موسى عنده وسارا من بعد سوية إخوة مجاهدين.

(وكل ما قيل غير ذلك عن هذين المجاهدين هي أوهام يتقولها بعض الدارسين، أو أقوال ضعيفة وأهية على لقاء هذين القائدين، لا تستحق المناقشة والرد عليها).





فرنسا

أريونة

قرقشونة

جبال النابلس

أرغون

قملالوبية

جبرونة

برشالونة

طركرك

سرقسطة

سرقسطة

قشالة

بلاد الوليد

ليون

أشترقة

ليهن

سفرة بلاي

خيخون

قنتياجو

طريق جليلية

حليقية

كوره

وادي زاهه

جبال ثشارت

وادي الحجاره

ملرهد

مطليظة

مطليظة

مطليظة

نهر ب

بظليوس

لشيلنة

باجة

مكودة

لغات

لينة

لينة

أشيلبية

وليه

قادس

طريف

سبنة

جبل طافق

مالقة

شلمونه

استجه

قرطنة

جبال قرطنة

عراطة

خرناطة

جبال النج

دائمة

شامبية

بنسية

قطونة

بلمسية

جزر الفيليبين

مورقة

دانية

شامبية

أريونة

مرسية

المريّة

قرطنة

البحر الأبيض المتوسط

سرية عبد العزيز
بن موسى

المغرب

سرية عبد العزيز
بن موسى

نهر

مدينة

جبال

اتجه جيش المسلمين بعد انتهاء الشتاء وحلول الربيع نحو "سرقسطة" عاصمة الشمال، وجعل موسى طارفاً في مقدمة الجيش الذي اتجه نحو الشمال الشرقي وافتتح مدينة "سرقسطة" بسهولة ويسر ودون مقاومة تذكر.



بناء مسجد سرقسطة

وبعد وصول الجيش كاملاً أسس حنشل بن عبد الله الصنعاني بأمر من موسى بن نصير "مسجد سرقسطة"، وهو إن صح التعبير مهندس المساجد في الأندلس. (أحب البلاد إلى الله أسواقها)، هو بيت الأتقياء ومكان اجتماع المسلمين يومياً، ومركز مؤتمراتهم، ومحل تشاورهم وتناصحهم، منه خرجت جيوشهم ففتحت مشارق الأرض ومغاريها.

يعزي المسلم أخاه إن أصابته مصيبة في المسجد، ويهنئه إن ناله فرح أو سرور، مدرسة يتخرج منها العلماء والفقهاء، فكما قال أحد العلماء:

المسجد هو المعبد في الإسلام، وهو البرلمان، وهو المدرسة، وهو النادي، وهو المحكمة، وهو ملتقى الأمة في أحوالها كلها، لذلك ما كان المسلمون يطأون أرضاً جديدة، إلا ويؤسسون المساجد أسوة بالرسول الكريم ﷺ الذي اهتم بإنشاء مسجده حين قدم المدينة المنورة، فشان المسجد شأن الإسلام نفسه متكاملًا في مختلف جوانب الدين والسياسة والاجتماع.

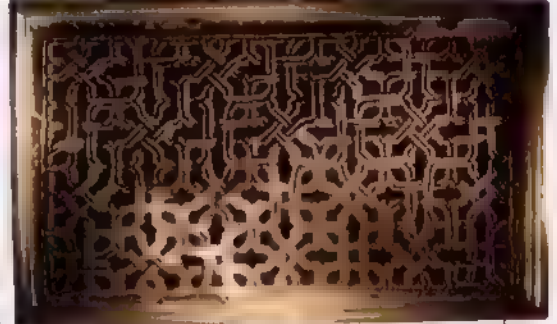


ساراقوس الجعفرية، الجانب الشرقي للقصر معبر إلى داخل مسجد سرقسطة.

اتساع الفتح ومهاجمة فرنسا

ثم فتحت المناطق التابعة لسرقسطة وما حولها من المدن النائية: "وشقة"، "لاردة"، "طركونة" و"برشلونة" دون جهد أو قتال يذكر. وبعد إقامته مدة في "سرقسطة" غزا كما في بعض المصادر التاريخية جنوب فرنسا حين أرسل طارحاً نحو الغرب. وأرسل غيره إلى بعض الأطراف والحصون. فتحرك هو متجهاً نحو جنوب فرنسا ينوي فتح القسطنطينية والوصول إلى دمشق، أي أنه كان ينوي فتح فرنسا، وشمال إيطاليا، ثم يوغوسلافيا وبلغاريا، فيصل إلى الدولة البيزنطية، فتركية إلى دمشق، كان صاحب طموح عالٍ، عمره أربع وسبعون سنة وليس معه من الجند إلا ثلاثون ألفاً يقول في نفسه: إذا استعصت القسطنطينية على الفتح من جهة الشرق؛ فليأتها هو من الغرب لعله يمتحها. عبر جبال البيرينييه وفتح مدينة "قرقشونة"، وحصن "لوزون"، وصخرة "أبتيون" ومدينة "أرغون" وكاد أن يسيطر على جنوب فرنسا، إلا أن تابعياً جليلاً أوقفه ناصحاً، فتقدم أمامه وأمسك بزمام فرسه وقال له: أتذكر ما قلت أنت عن عقبة بن نافع؟ قلت: لقد تقدم رحمه الله ولم يحم ظهره، أما كان معه رجل بصير؟ أنا بصيرك اليوم! تتقدم ولم تحم ظهره؟ فقال له مبتسماً: أرشدك الله، وعاد بجيشه إلى الأندلس. ومات حبان بن أبي جبلة ذلك التابعي الجليل الناصح في "قرقشونة" ودفن هناك.

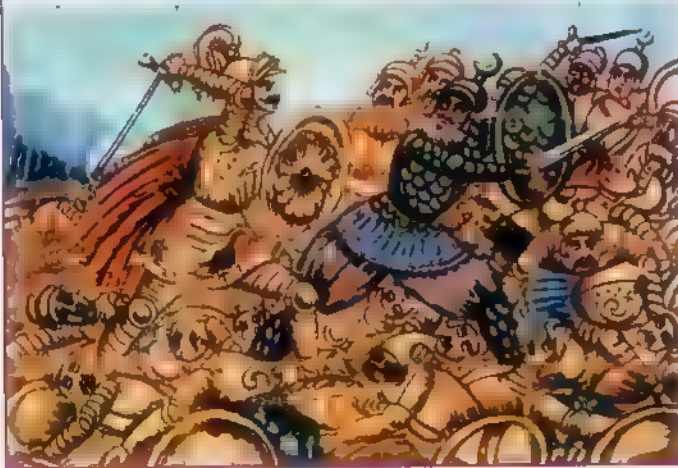
هذه الآثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار



لوحة من الضفاف في
سرقسطة، رحرفة
ونقش على الجص

رجع موسى بن نصير إلى الأندلس واتجه لفتح شمال غرب الأندلس، واقترب من "خيخون" عاصمة منطقة "ليون"، ولما كان في "أشترفة" أدركه "مغيث الرومي" رسول الخليفة الوليد بن عبد الملك، فأوقفه قائلاً: إن أمير المؤمنين يأمرك بالخروج عن الأندلس، والإضراب عن التوغل فيها، والعودة إليه في دمشق. ساء موسى هذا الأمر ولاطف رسول الخليفة، وسأله أن يتابع معه لفتح عاصمة المنطقة، فاستجاب له رسول الخليفة.

وفتحا معاً "خيخون" ومناطق أخرى إلا منطقة الصخرة، ومن ثم توجه إلى "جيليكية" حيث افتتح فيها أماكن أخرى منها: حصن "لوك"، وبيت السرايا حتى بلغوا صخرة "بلای" في أقصى الشمال. فجاءه رسول آخر هو "أبو نصر" من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك، فقبض على عنان فرسه وأرجعه معه.



قتال المسلمين لفتح الأندلس



فتح غرب الأندلس

سقطت الأندلس كلها سوى صخرة بلاي والتي سميت باسم القائد النصراني الذي التجأ مع ثلاثين مقاتلاً من القوط إلى مغارة حصينة في تلك المنطقة المسماة "كوفادونجا" والتي استعصت على السرايا الإسلامية لأنها سلسلة من الجبال الوعرة والجافة، مع أن باقي التجمعات الأخرى أو الجيوب المبعثرة هنا وهناك في تلك المنطقة قد قضي عليها.

صخرة بلاي

تركت منطقة الصخرة
والثلاثون مقاتلاً فهل
كان هذا تهانواً من
موسى وطارق رحمهما
الله أم أنهما أجبرا على
العودة إلى دمشق؟
أم كان هذا تهانواً من
المسلمين الذين جاؤوا
من بعدهما؟ ويقوا
هناك دون أن يتقدموا
لإنهاء هذا الجيب الذي
كان (القشة التي قصمت
ظهر البعير) كما يقال.
وما يظن أن القائدين
العظيمين كانا سيتركان
ذاك الجيب دون فتح أو
بقيا هناك، وصارت
صخرة بلاي هذه مصدر
إزعاج للمسلمين ومركز
تحرك للنصارى في
تاريخ الأندلس قال
تعالى: «وتلك الأيام
نداولها بين الناس» (آل
عمران ١٤٠)، وهذا من
قدر الله سبحانه.



ظلت صخرة بلاي شوكة في حاصرة نفوذ المسلمين في الأندلس



تم فتح الأندلس (ما عدا الصخرة) في ثلاث سنوات. بالإيمان والعزيمة، وأخضع شبه الجزيرة الإيبيرية في هذه المدة السيرة، وكان مما أخبر موسى بن نصير الخليفة: إنها ليست الفتوح، ولكنها الحشر. فأوقف الخليفة الفتح خوفاً على المسلمين من الإيغال السريع في تلك المناطق النائية، ومع هذا فقد دخل أهل الأندلس أفواجا في دين الله، بدأ الفتح سنة ٩٢ للهجرة واستمر إلى أواخر ٩٥ للهجرة.

دينار اموي (٧١٥-٧١٧ ٩٦-٩٩ هـ).

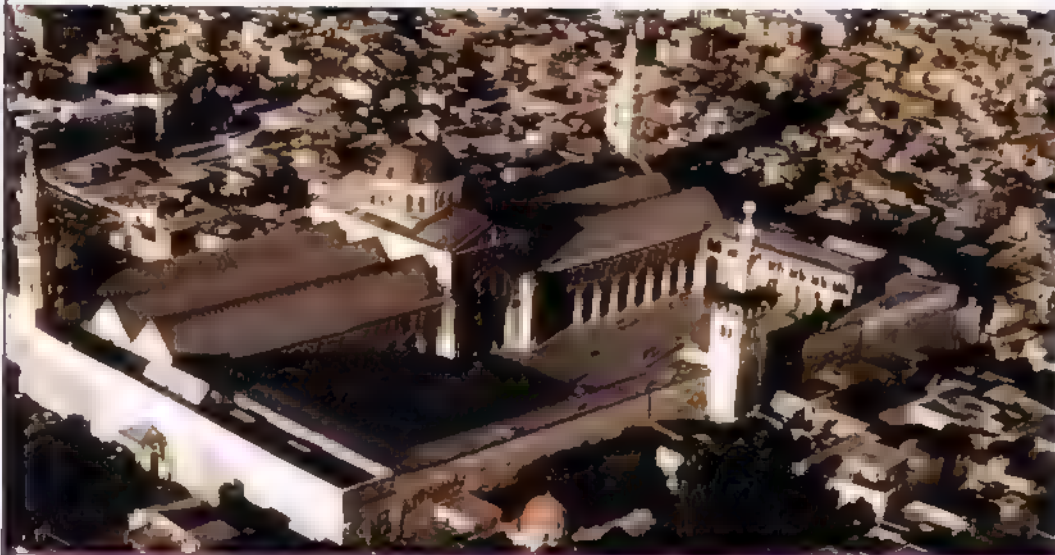


الحشر وليس
الفتح

وترك موسى عمليات الفتح في الشمال وعاد معه طارق بن زياد إلى إشبيلية، فأقام بها مدة يرتب أمور الأندلس، وعين ابنه عبد العزيز واليا عليها، وجعل العاصمة هناك لموقعها في وسط الأندلس، وعبر هو ومن معه المضيق في نهاية ذي الحجة عام ٩٥ للهجرة، قاصداً دمشق. فدخل طنجة وولى ابنه الثاني عبد الملك عليها والمناطق التابعة لها، ثم وصل إلى القيروان "عاصمة إفريقية" فولى أكبر أبنائه عبد الله على إفريقية، ثم دخل مصر وعاصمتها "الفسطاط" (في ربيع الأول عام ٩٦ هـ) فأكرم هناك أبناء عبد العزيز بن مروان إكراما يليق بأفصال أسبهم عليه سابقاً. ودخل بلاد الشام مجدداً حتى وصل إلى دمشق في أوائل جمادى الأولى سنة ٩٦ للهجرة، والخليفة الوليد بن عبد الملك مريض. وتوفي الخليفة رحمه الله بعد وصول موسى بأربعين يوماً.



ترتيب أمور
الأندلس
وعودة موسى



دمشق والمسجد الأموي الشهير فيها والذي بآداء الخليفة الوليد بن عبد الملك الأموي.



وفاة القائد العظيم

وبويع بالخلافة سليمان بن عبد الملك، ولما أراد هذا أن يحج أكرم موسى ودعاه للحج معه، وكان موسى بن نصير رحمه الله يدعو خلال سنى الجهاد ٤٠ عاماً: اللهم إني أسألك الشهادة في سبيلك أو الموت في مدينة نبيلك. وهو كما قال عن نفسه: ما هزمت لى راية قط، ولا فض لي جمع، ولا نكب المسلمون معي نكبة منذ اقتحمت الأربعين إلى أن شارفت الثمانين، فاستجاب الله له، وتوفي بالمدينة المنورة وعمره ثمان وسبعون سنة في عام ٩٧ للهجرة ودفن في المدينة المنورة.

مات القائد المسلم موسى بن نصير بعد أن نشر الإسلام على أودية المغرب العربي، والأندلس، وأسمع الناس هناك نداء العقيدة الصافية أن اخرجوا من الظلمات إلى النور. ولم يكن طامعاً في مقنم أو جاه أو أي شيء آخر من متاع الحياة الدنيا «وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» (آل عمران ١٨٥). أما عن القائد طارق بن زياد فليس بين أيدينا ما يسعنا لمعرفة أخباره بعد وصوله إلى دمشق. وكيف كانت نهايته، والله لا يضع أجر من أحسن عملاً، وما عند الله خير وأبقى.

ملخص أحداث بداية فتح الإسلامي في الأندلس

عقبة بن نافع يفتح المغرب .

إخضاع صقلية (غزوة الأشراف) .

فتح سردينية وجزر البليار .

فتح الأندلس على يد طارق بن زياد إلى دمشق .

عبور موسى للأندلس .

فتح ماردة .

عودة موسى بطارق بن زياد إلى دمشق

خلافة سليمان بن عبد الملك .

وفاة القائد العظيم موسى بن نصير .

فتح الأندلس - قتال رجب

ما بين فتح الأندلس وحتى سقوطها تاريخ طويل، فيه البطولات وفيه الأمجاد وفيه أيضاً بعض الخيانات، تاريخ تحكيه الفرحة والبسمة وترويه الحسرة والدمعة، لكن يكفي أن المسلمين ما دخلوها إلا للهداية والنور، والتاريخ شاهد على ذلك، إن قوماً حولوا الأرض الجذباء إلى جنة نضرة، وبدلوا الجهل بحضارة، ورفعوا الظلم ونشروا العدل لا يمكن أبداً أن يكونوا غزاة أو مستعمرين

وفي البرتغال وإسبانية ازدهرت اثارنا وسمت دهرنا مبانينا
كم من قصور وجنات مزخرفة فيها الفنون جمعناها اهانينا
وكم مساجد اعلىنا مادننا فاطلعت انجما منها معالينا

ولن نستبق الأحداث فتاريخ الأندلس كله بين يديك ايها الأخ القارئ - إنما نتوقف مع نقاط نراها مهمة فيما مر:

• المراسلات التي تمت بين موسى بن نصير والخليفة الوليد بن عبد الملك رحمهما الله تعالى قبل خوض البحر لفتح الأندلس يظهر منها جلياً خوف الخليفة على جند الإسلام حيث قال الوليد لموسى (خصها حتى ترى وتختبر شأنها ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال) .

فهو لا يريد أن يزج بهم في مغامرة أو مخاطرة ولو كان من ورائها فتح أو غنيمة، وهذا حدث يحسب للوليد بن عبد الملك حيث وقف من المسلمين موقف الأب العطوف الذي يخشى على أولاده الضياع والأذية متحققاً بوصية النبي صلى الله عليه وسلم ، اللهم من ولي من أمر امتي شينا فرفق بهم فارفق به، ومن شق عليهم فاشقق عليه، رواه مسلم .

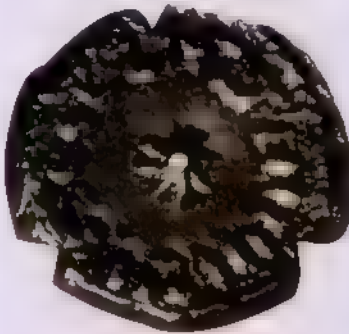
مستذكراً مسؤوليته أمام الله عن شعبه ، وله في عمر بن الخطاب أسوة حسنة حين قال: (لو أن شاة في العراق عثرت لرأيتني مسؤولاً عنها أمام الله ، لم لم تمهد لها الطريق يا عمر؟) .

ولو أن حكامنا اليوم تحققوا بهذه الرحمة وتحملوا المسؤولية على أنها أمانة يحاسبون عليها أمام الله تعالى تصلحت أمور كثيرة، ولما قدموا مصالحهم الضيقة على مصلحة الأمة، ولما قادوا امتهم وشعوبهم إلى الدمار والذل والهوان ليحافظوا على كرسي أو منصب، ولما قدموا الخيانة تلو الأخرى ليرضوا أعداء الله ، حتى هانت عليهم شعوبهم

- مع أنهم أبناء جلدتهم وعقيدتهم - فيرون المسلمين يذبحون ويلاحقون وتنتهك حرمااتهم وحقوقهم ويؤخذون أسرى إلى بلاد المشركين يتهم كثيرة وهم ينظرون لا يحركون ساكناً ولا يهتز لهم طرف، بل ربما سلموا مواطنيهم إلى أعدائهم ليرضوا عنهم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين

هانت شعوبهم عليهم ففقدت مذلولة في أسر من لا يرحم
أوهكذا امروا؟ فكيف بمسلم يرميه للأعداء الامير المسلم

• قصة حصار (قرمونة) حينما امتنعت على المسلمين فاتفق موسى بن نصير مع بعض أصحاب يوليان على حيلة ذكية وهي أن يفرّوا من أمام جيش المسلمين ويتوجهوا للاحتماء بالحصن فأدخلهم أهل الحصن ولما جاء موسى بخيله فتح هؤلاء لهم الأبواب .



عملة الفاتح الأموي - الأندلس .

١٧١٤ (٩٥١ هـ) .



بدأ انتشار العلوم الدينية والعلمية

وليس في ذلك ما يضير المسلمين
فالحرب خدعة وتخطيط ودهاء ولكن
ما يستوقفنا هو رضا أولئك التضر أن
يكونوا عملاء ضد قومهم وثغرات
يؤتى أهلهم من قبلها، وهذا لا
نستغريه على مشرك لا يدين دين
الحق ولا أدبته تعاليم الإسلام .

إنما الغريب المؤلم أن تنتقل هذه
الصورة إلينا - نحن أهل الإسلام -
فيكون منا عملاء ومخبرون على
جميع المستويات حتى من أهل الفكر
ومدعي الإصلاح يعملون جاهدين
على إيجاد ثغرات بيننا وتسهيل مهمة
أعدائنا .

وما كانت إسرائيل - أخزاه الله -
لتنتمكن من اغتيال العديد من قادة
المقاومة إلا بمساعدة عملاء الداخل
الذين تبرأت منهم ضمائرهم وخانوا
دينهم وقضيتهم.

وما كان الغرب ليستطيع نشر ثقافة الاستسلام والانحلال والرديلة ويميت عزيمة الأمة في الجهاد والدعوة لولا أن قام معه
رجال من بني جلدتنا باعوه ضمائرهم بثمن بخس، فأخذوا دور الأعداء في نشر الفساد لكن بصورة المفكرين والمجددين
والمستنيرين.

إن التحقق بمبدأ الولاء لله والمؤمنين والبراءة ممن يجاهرهم العداء مبدأ سام ومرتبة عظيمة لا تتحقق من غير إعداد وتأهيل
بدءاً بترقية الأبناء وامتداداً إلى علاقة المسلمين ببعضهم وعلاقة الحاكم بشعبه.

• ما يذكره بعض الرواة من نهاية مؤلة لموسى بن نصير وأن الخليفة سليمان بن عبد الملك سجنه وصادر جميع أمواله ثم روي
يتسول آخر حياته ما هذا إلا تشويه لتاريخ مجيد وسرد لا صحة له ولا سند خصوصاً أن تاريخ الأندلس دخله تحريف كبير
من بعض كتاب الغرب الذين لم يلتزموا الأمانة العلمية، ورواية جرجي زيدان عن الأندلس مليئة بتلك الأغاليط، ولعل
حرص الخليفة سليمان أن يكون موسى بن نصير مرافقاً له في حجه يفند كل تلك المزاعم، لكن العجب من بعض الكتاب
العرب الذين يروجون للأوهام والأكاذيب المغرضة.

ان يسمعوا ريبة طاروا لها فرحاً عنه. وما سمعوا من صالح دفنوا !!!



أولاً - عبد العزيز بن موسى بن نصير

ثانياً - السمع بن مالك الخولاني

ثالثاً - عبد الرحمن الغافقي، وبلاد الشهداء

رابعاً - ثورة الخوارج في الشمال الأفريقي

خامساً - الفتن تعصف بالأندلس

سادساً - الوالي الأخير يوسف الفهري

الفصل الثالث

عبد الولاة

قاد الأندلس بعد الفتح عبد العزيز بن موسى، إذ بدأ يصتح من نوع جديد هو الأصل في الفتوحات الإسلامية كما سبق، ألا وهو فتح النصوص. إذ رأى الناس هنا حياة المسلمين في جميع احوالهم، ضحكهم وحزنهم، أفراحهم وأتراحهم، جدهم وهزلهم، ومعاملاتهم وعباداتهم.

رأوا نمطا من البشر ما سمعوا عنه، فدخلوا في دين الله أفواجا ببركة إحلاص هؤلاء الماتحين، وهم خير القرون بعد قرن الصحابة رضي الله عنهم. وفي مقدمتهم

موسى بن نصير إذ ذكرت الروايات: أنه حين كان يأتي نبا فتح أو نصر من طارق كان يقال عنه للرسول القادم إنه يصلي ويدعو لـ.

هؤلاء جند العقيدة، وهم الجنود الحقيقيون لحمل الإسلام إلى الآخرين، يصفهم أحد مؤرخي الإسبان في هذا الفتح: كأنهم كانوا في نزهة.

كان الفتح معجزة، ثلاثون ألفا فقط في ثلاث سنوات يفتحون إسبانية والبرتغال وجنوب فرنسا، ذلت الصعاب لهم وهانت الأهوال في نفوسهم لأنهم كانوا لا يرجون إلا إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة.

عبد العزيز بن
موسى بن نصير
يقود الفتح في
الأندلس



عدل الإسلام وأثره في الأندلس

وكان أعظم ما رآه القوط منهم: إزالة الفوارق الطبقيّة في الأندلس إذ كانوا يقسمون إلى طبقات: طبقة النبلاء والملوك، طبقة رجال الدين والجيش، طبقة كبار المزارعين، فصحارهم، وتأتي طبقة المزارعين في أسفل الدرجات. أصبح ذلك المزارع خلال ثلاث سنوات وقد أزيل عنه ذلك النظام الجائر الذي قهر الناس من قرون يمتلك الحق في أن يملك أرضاً أو أي شيء آخر، وله أن يقاضي حاكم البلد إن شعر بظلم أو حيف، ومن حقه أن يتاجر فبييع ويشترى ما يحب ويشاء.

وبدا الناس معظمهم يتعلمون اللغة العربية، ويقلدون المسلمين في الملابس والتحيات والعادات، وهذا من شأن الأمم المغلوبة بتقليد الغالبين، أما نلاحظ هذا لدى الأمم المسلمة بتقليد الأعداء من قوى الغرب الطاغية؟ وما أخذ المسلمون كنيسة من كنائس النصارى هناك إلا شراء أو كانت مهجورة، قارن هذا العدل بما فعله النصارى من الإسبان بعد ثمانية قرون لما أخرجوا المسلمين من الأندلس؟ فما أبقوا مسجداً ولا مسلماً ولا أي رمز من شعائر الإسلام، «قل كل يعمل على شاكلته» (الإسراء: ٨٤).



بدا هذا العهد بالوالي عبد العزيز بن موسى الذي عينه أبوه قبل أن يعود إلى دمشق وكان رجلاً تقياً قوياً كما كان إدارياً وعسكرياً، نظم أحوال الأندلس، وأتم فتح ما بقي من الجيوب في الشمال الغربي وأخضع كثيراً منها.

وتزوج أرملة (لدريق) التي أسلمت وتكنت "بأم عاصم"، ومات مقتولاً وهو يصلي في مسجد بإشبيلية في رجب سنة ٩٧ هـ بعد أن دامت ولايته سنة وسبعة أشهر.

ومن العجيب في كتابة التاريخ وجود من يشوه تاريخ المسلمين قصداً كجرجي ريدان وغيره، إذ يتصيدون الحوادث ويفسرونها على أهوائهم وأحلامهم، وفي هذا الصدد قالوا: إن أرملة لدريق لم تدخل الإسلام، بل إنها أثرت على زوجها عبد العزيز فتنصر من أجلها! وما زالت به حتى ألبسته تاجاً كتاج النصارى، فراه أحد المسلمين فقتله! وجعلته يسكن في كنيسة وما إلى ذلك من الترهات والأحلام.

الوالي الأول

عبد العزيز بن
موسى بن نصير

ما أحوجنا إلى التوثيق والتدقيق من نقول المستشرقين وتلامذتهم الذين لا يدعون فرصة تفوتهم في تشويه التاريخ الإسلامي وقادته غير أبهين بالأمانة العلمية والتاريخية.

عهد الولاية، ٢٢ والياً

استمر عصر الولاية حوالي اثنتين وأربعين سنة، وكان تنمة لعصر الفتوحات من عام ٩٥-١٢٨ للهجرة، وتوالى على الولاية اثنا عشر والياً، ويتسم هذا العصر بعدم الاستقرار إلى حد ما، إلا أنه اتسم بانتشار الإسلام، وتحسين الحالة الاجتماعية والاقتصادية، وقد سكن الأندلس من أحب من العرب والبربر حسب اختيارهم، وكان معظم الذين بقوا من الجيش الإسلامي في الأندلس غير متزوجين، فتزوج العديد منهم بنساء القوط، فنشأ جيل من هذا الزواج يسميه بعض المؤرخين بالمولدين، أو المستعربين، ومن هؤلاء كان بعض العلماء المشهورين في تاريخ الأندلس.

الوالي المسلم الحر
الثقفي مثل
يُحتذى، لا يجعل
للإس على العزيمة
سبيلاً، فرد كعدد
أمة في عمل، بنى
مجداً، وأسس إمارة،
بهمته التي تخاطب
كل شاب.

تولى بعده أيوب بن حبيب اللخمي وكان رجلاً
صالحاً يؤم الناس لصلاتهم، في رجب
٩٧ للهجرة، ودامت ولايته ستة أشهر ومن أهم
أعماله نقل العاصمة من إشبيلية إلى قرطبة.

الوالي الثاني أيوب اللخمي



وأرسل والي إفريقية وكانت الأندلس زمن الولاية تابعة لولاية
إفريقية يعين الحر بن عبد الرحمن الثقفي فدامت ولايته سنتين
وثمانية أشهر لم يكن فيها سوى إجراءات تقليدية لإدارة الولاية
واستتباب الأمن.

حكم بلاد المسلمين في هذه الفترة رجل قل أمثاله، أعاد الصورة
المشرقة للمنهج الإسلامي: هو الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز،
فقد عمل خلال خلافته التي دامت سنتين فقط من الأعمال ما لا
يستطيع غيره في سنين طويلة لصدقه وإخلاصه، متميزاً بالتقوى
وطاعة الله.



الوالي الثالث الحر الثقفي



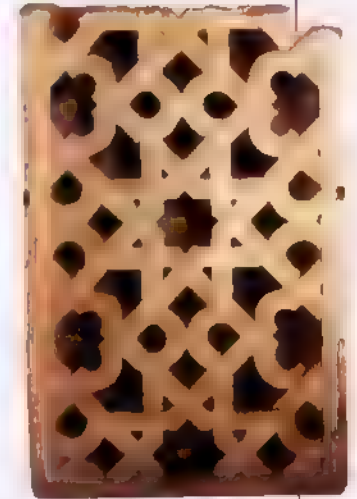


باب أحد المساجد في أشبيلية

فاشرف عمر بن عبد العزيز على رعاية الأندلس واختار السمع بن مالك الخولاني، فأرسله من الشام واليا في عام ١٠٠ للهجرة، وهو نوع فريد من الرجال يكفي أنه من اصطفاه عمر بن عبد العزيز، وأنه أقام ما أمره الخليفة به من القيام بالحق واتباع العدل والصدق، وأعاد تنظيم البلاد مستقلة عن الشمال الإفريقي خاضعة للخلافة مباشرة، فنشر الأمن وقسم الأندلس إلى ثَمُور (مفردها كورة) والكورة قرية كبيرة تتبعها عدد من المدن والأقاليم، ويتبع المدينة عدد منها، ويتبع القرية عدد من المزارع والأرياف.



الوالي الرابع
السمع الخولاني



تخرية على الرعام في قرطبة

وأنشأ المدارس والمساجد والموانئ ليصل الناس ببلاد إفريقية، وأنشأ قنطرة قرطبة العظيمة التي لا تزال آثارها باقية إلى اليوم. وجاء من خبر بنائها أن كتب السمع إلى عمر بن عبد العزيز: يستشير ويعلمه أن مدينة قرطبة تهدمت من ناحية غربها، وكان لها جسر يعبر على نهرها ووصمه بحمله وامتناعه من الخوض في الشتاء عامة، فإن أمرني أمير المؤمنين ببنيان سور المدينة فعلت، فإن قبلي قوة على ذلك من خراجها بعد عطايا الجند ونفقات الجهاد، وإن أحب من صخر ذلك السور بنيت جسرهم، فيقال إن عمر رحمه الله أمره ببنيان القنطرة بصخر السور، وأن يبني السور باللبن إذ لا يجد له صخرا، فبنى القنطرة في سنة ١٠١ للهجرة، ويضم من هذا أن الخليفة قدم الناحية الاقتصادية ببناء القنطرة بالصخر على الناحية العسكرية، إذ بنى السور باللبن.

النهضة
الحضارية

توحيد أوروبا

وفي هذه الفترة استطاع ملك فرنسا أن يوحد أوربة، وقد أطلق البابا عليه لقب "مارتل" أي: المطرقة، وهو الملك المسمى شارل مارتل، وكان لابد أن يقع الصدام بينه وبين المسلمين.



شارل مارتل ملك فرنسا

القنطرة



ويكفينا الإدريسي وصفاً حين يصف القنطرة التي بناها السمع بن مالك الخولاني بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز: لقنطرة القنطرة التي علت القناطر فخراً في بنائها وإتقانها، وعدد أقواسها سبع عشرة قوساً بين القوس والقوس خمسون شبراً، وسعة القوس مثل ذلك خمسون شبراً، وسعة ظهرها المعبور عليه ثلاثون شبراً، ولها ستائر من كل جهة تستر العامة، وارتفاع القنطرة من موضع المشي إلى وجه الماء في أيام جفاف الماء ثلاثون ذراعاً، وإذا كان السيل يصل الماء منها إلى حلقوها، وتحت القنطرة يعترض الوادي رصيف سد مصنوع من الأحجار القبطية والعمد الجافية من الرخام. وعلى هذا السد ثلاثة بيوت أرحاء، في كل بيت منها أربع مطاحن، ولها أهمية حيث تصل جنوب الأندلس بقرطبة والشمال الإفريقي.

هذه القنطرة بحد ذاتها نهضة وعمران. سد وطواحين وجسور. هذا ما كان المسلمون يعملون في البلاد التي يدخلونها فتحتا تحت الحكم الإسلامي. قارن إن شئت بما يفعله غيرهم في البلاد التي يستعمرونها.

الإسلام في جنوب فرنسا



تحرك السمع وهو صاحب همة عالية في أواخر ذي القعدة عام ١٠٢ نحو جنوب فرنسا ليضع حداً للاضطرابات هناك" وأنشأ حكومة إسلامية سميت باسم: حكومة "سبتمانية الإسلامية" وفتح مدينة "طولوشة"، وجرت معارك عديدة بينه وبين دوق "أقيطانية" يسمى "أوديس" الذي فر وطلب المدد من شارل مارتل في مدينة "طرسكونة"، فأمده الأخير بالعتاد الوفير والرجال الكثر الذين حاصروا المسلمين عند "طولوشة" حيث قتل السمع ورجاله الأقل في يوم التروية سنة ١٠٢ للهجرة، ولذلك مدلوله العظيم، «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر» (الأحزاب ٢٣١)، وكانت مدة إمارته سنتين وشهرين.

حتى قدم الأندلس عنبسة بن سحيم الكلبي في صفر ١٠٣ للهجرة، أرسله والياً إليها والي إفريقية في تلك الفترة بشر بن صفوان الكلبي.

فاستمرت ولايته أربع سنوات ونصف وهي فترة طويلة إن قورنت بحكم الولاة في تلك الفترة، فأكمل خطة السمع بالاستقرار في بلاد الأندلس، والهجوم على الروم وجهادهم، وكان تقياً ورعاً وإدارياً ومجاهداً أميناً.

الوالي السادس عنبسة الكلبي

فاجتمع أمر المسلمين على رجل من الجيش مباشرة على تعيينه والياً هو عبد الرحمن بن علي الغافقي في شهر ذي الحجة عام ١٠٢ للهجرة، وهو تابعي جليل يروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم، لكنه لم يبق في الولاية إلا شهرين (وهذه ولايته الأولى)

الوالي الخامس عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي

فسار من الأندلس حتى وصل إلى "سبتمانية" متجهاً إلى شرقي فرنسا ثم شمالها وقضى على قوة أوديس "دوق اقيطانية"، ثم مال غرباً حتى وصل مدينة "سانس" التي تبعد عن باريس ٣٠ كم فسقط، ولم يصل من المسلمين أحد حتى هذا التاريخ في غزوة إلى مكان قريب مثله من باريس، فطار صواب "شارل مارتل" وكاد يفقد رشده، فجمع حوالي أربعمئة ألف مقاتل، هاجموا جيش عنبسة وحاصروه وهدوه بالمطارق فمات شهيداً هو وبعض أصحابه رحمهم الله تعالى أجمعين، وذلك في شعبان ١٠٧ هـ.

٣٠ كم عن باريس



حركة التجارة والعمارة الإسلامية الكبيرة

الوالي الثامن يحيى الكلبي



حتى جاء الوالي الجديد المعين يحيى بن سلمة الكلبي في شوال ١٠٧ للهجرة والذي دام حكمه سنتين ونصف.

الوالي السابع عذرة الفهري



وتولى من بعده عذرة بن عبد الله الفهري في شعبان ١٠٧ للهجرة، ولم يبق إلا شهرين فقط في ولايته، وكان من الصلحاء الفرسان الذين رافقوا عنبسة.

الوالي العاشر عثمان الخثعمي



وولي من بعده عثمان بن أبي نسعة الخثعمي في شعبان ١١٠ للهجرة وولايته خمسة أشهر.

الوالي التاسع حذيفة القيسي



ثم أرسل حذيفة القيسي في ربيع الأول عام ١١٠ للهجرة وكانت ولايته ستة أشهر.

الوالي الثاني عشر محمد الأشجعي



وجاء من بعده محمد بن عبد الله الأشجعي سنة ١١١ للهجرة، وكان ضعيفاً ما استطاع أن يفعل شيئاً ولم تدم ولايته إلا شهرين.

الوالي الحادي عشر عشر الهيثم الكلابي



ثم جاء الهيثم بن عدي الكلابي من قبل والي إفريقية، والذي استمرت ولايته عشرة أشهر، فقد كان متعصباً للقيسية، يريد لها قبليّة لزعماء عروق جاهلية، جعل الحجاج رالده في معاملة الناس، فكان يأخذهم بالقوة، ويرد بالقمع على الحوار، فسأت سياسته في القيروان وفي الشمال الإفريقي مما أدى إلى ثورة البربر في المغرب، وكان واليه على الأندلس الهيثم مثله يتبع السياسة السيئة نفسها، إلا أنه كان صاحب جهاد أيضاً، فبدأ باستئناف الفتوحات حتى وصل إلى بلدة "مقوشة" ففتحها، وقد تكون هذه مدينة ماسون الفرنسية. وثار الناس يطلبون عزله نتيجة القسوة والأخذ بالشدّة، فعزل.

ويلاحظ هنا التغيير السريع للولاة، وهذا يعني أن الحضارة تتوقف، ويلف الناس الركون والدعة. كذلك تتوقف الفتوحات لهذه التحولات السريعة، وتضطرب الأمور والأحوال، فالاستقرار السياسي مهم لأي نهضة حضارية.



الوالي الثالث

عشر عبد

الرحمن بن

عبد الله العافقي

وبقي الأمر كذلك إلى أن تم اتمام أهل الاندلس وفرض الجيش رأيه، وأقر والي إهرقية على تعيين عبد الرحمن بن عبد الله العافقي (الولاية الثانية) في شهر صفر سنة ١١٢ للهجرة. واستمرت ولايته سنتين وثمانية أشهر، هو اسم خلفه عمله وجهاده، قائد عسكري من أشهر من عرفهم التاريخ، شجاع وهو الذي أنقذ بقية المسلمين عندما استشهد السمع بن مالك الخولاني في يوم التروية عام ١٠٢ للهجرة، وكان أول عمل عظيم له حين تولى الولاية الثانية أن جمد تلك الصراعات القبلية التي كانت تتأجج في بعض الصدور فتشعلها فتناً، وألف بين القلوب المتنافرة في تلك الحقبة إذ ذكرهم بالإسلام، وبالله الذي ألف بين قلوبهم، وأطفا نار الصراعات القبلية، والإقليميات التي تسبب الانحطاط والتقهقر، وتدمر الحضارة، وما زالت في عصرنا هذا تفعل فعلها! فضبط الأمور وأعاد الناس إلى وشيجة الإيمان لا إلى وشائج أخرى، فجنسية المسلم عقيدته، ولسان حاله ينبغي أن يقول:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا انتسبوا لقيس أو تميم

أحدى مدن الأندلس الزاهرة وأثار المسلمين باقية فيها



مهاجمة فرنسا

استطاع عبد الرحمن العافقي أن يؤلف بين المسلمين هناك وحشدتهم في خمسين ألفاً ثم يتحجم للمسلمين مثله من قبل، وتوجه غازياً إلى بلاد الفرنج فرنسا أولاً. فهاجم إقليم أقيطانية (إقطنانية)، وفر حاكمها "أوديس"، ثم فتح "أبل"، ثم دخل "نودو" ثم استطاع أن يمتح "طولوشة" عاصمة الإقليم، وفر "أوديس" من "سان مارتن" إلى "شارل مارتل" يحتمي به ويستجده، حيث توجه عبد الرحمن نحو باريس بعد أن فتح مدينة "تور". فأخضع بذلك جنوب فرنسا ووسطها، ولم يبق أمامه إلا مدينة "بواتيه" فاصلة على طريق "باريس".

حرب صليبية

استنجد "شارل مارتل" بالبابا يستغيث به، فأعلنها حرباً صليبية وهم صليبيون إلى الأبد فأرسل إلى ملوك أوربة وأمراتها قاطبة أن يرسلوا ما يمكن من الجنود والاعتدة إلى "شارل مارتل" ليحمي "باريس" من السقوط، فاحتشد خلق كثير، واجتمع مئات الألوف.

تنويع الامبراطور من قبل البابا



معركة بواتيه

توجه "شارل مارتل" بجيش كثير العدد بلغ قوامه "٤٠٠" ألف لصد زحف المسلمين، وبلغ ذلك عبد الرحمن الفافقي، فقرر أن يختار هو مكان المعركة، فترجع عن "بواتيه" إلى سهل يدعى "شاتلرو" شمال شرق "بواتيه" بـ "٢٠" كيلو متراً؛ وخيم على أطلال بلاط قصر مهجور قديم هناك، ينتظر قدوم القوات الأوربية، فأصبح الوضع هناك: يفصل "١٠٠٠" كيلو متر قوات المسلمين عن عاصمتهم "قرطبة"، وما من مدد يمكن أن يأتيها، وقيل إن بعض الجيش طلب الانسحاب لضعف في نفوسهم وميل إلى بعض الغنائم التي كانت معهم، إلا أن عبد الرحمن ذكرهم بأن مهمة المسلمين ليست إلا في إخراج الناس من العبودية إلى الحرية، ومن عبودية البشر إلى عبودية رب العالمين، وإنقاذ العباد من ظلمات الكفر والطغيان إلى النور والأمان، فطابت نفوسهم لذلك، وقرروا البقاء والانتظار لملاقاة الأعداء، أما القوات الأوربية فإن البابا كان يمدها تباطاً، وهي قريبة من عاصمة فرنسا، ويقودها رجل عرف بالدهاء والبطش ويلقب بالطرقة: "شارل مارتل".

حدثت المعركة في أواخر شعبان عام ١١٤ للهجرة، يسميها المسلمون "بلاط الشهداء"، وتسمى لدى أهل الغرب معركة "بواتيه".

استمرت هذه المعركة عشرة أيام. ودخل شهر رمضان والقتال على أشده، وكانت الأيام الأولى لصالح المسلمين. وكان الغافقي يهاجم في الصفوف المتقدمة. ويقتحم جيش العدو ويمزقه. ويعمله هذا يقدم نمودجا للقادة العظام، لا الذين يقودون من وراء المكاتب أو يختبئون في الملاجئ وخلف الأسوار. واشتد القتال وبلغ ذروة الهجوم حول النقطة والموضع الذي كان فيه عبد الرحمن حيث أمر "شارل مارتل" بالتركيز لقتل الغافقي. وكان يعتبره أنه هو مفتاح الجيش وثباته وقوته.



بلاط الشهداء

عبد الرحمن الشهيد

وسقط عبد الرحمن رحمه الله - شهيداً، فضعفت النفوس، وبدأت الهزيمة تدب فيها لتعلق بعضها بالدينيا، وكثر القتل والشهداء في صفوف المسلمين، فانهزموا، وقد زاد استشهاد الغافقي صعوبة في الموقف ففضلوا الانسحاب. فما رأى الفرنج في صباح اليوم التالي من المعركة التي قتل فيها أمير الجيش إلا أرضاً بلقعا، فالمسلمون قد غادروا المكان دون أن يشعر بهم إنسان، وكانوا قد تركوا الخيام وبعض أمتعتهم ليوهموا الفرنجة باستمرارهم.



شارل مارتل يقود معركة بلاط الشهداء بنفسه

بلاط الشهداء أنقذت أوروبا

وقد عد المؤرخون "بواتيه" نصراً مؤزراً للفرنجة، واعتبروها معركة حاسمة، وهي بالواقع معركة هامة فاصلة إلا أن المسلمين لم يهزموا فيها، بل تأكدوا أنهم يجب ألا يغامروا بجيوشهم القليلة العدد في بلاد واسعة وأمم عديدة تجمعت للقضاء على المسلمين.

وتحتاج هذه المعركة في دراستها وأسبابها إلى بحث علمي نزيه، لعلنا نصل إلى حقائق غير التي يعتمد عليها بعض الباحثين على أسس غير سليمة أو على أسس مفسرة بحسب المواقف والأهواء، يقول "جيبون" أحد المؤرخين الإنكليز مثلاً:

إن "بواتيه" أنقذت اسمنا الإنكليز وجيراننا الفرنسيين من نير القرن المدني والديني، وحفظت جلال رومة، وأخرت استعباد القسطنطينية، وفترت بين المسلمين، ولو انتصر المسلمون في "بواتيه" ما كان شيء يقف أمامهم بعد ذلك.

وذكرى "بواتيه" مؤلمة للنفس، لتعلق بعض النفوس بالدنيا كما كان مثلاً في "أحد" حيث نزل قوله تعالى: ﴿منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة﴾ (آل عمران ١٥٢)، فاصيبوا هناك كما أصيبوا هنا.

ولكنها ذكرى عزيزة على النفس المسلمة، تدغدغ الآمال وتوقظ الهمم، فقد استطاع الغافقي رحمه الله أن يوحد المسلمين ويوجههم في الأندلس ويهاجم بهم أوروبا لأداء دورهم وتبليغ رسالة العالمين إليهم، ولو انتصروا هناك لتغير وجه التاريخ، ولكنه قدر الله سبحانه وتعالى.

وقد عرف عديد من الكتاب الغربيين شيئاً من حضارة الإسلام ورقبه في كل أرض وطنها المسلمون ثم استقروا عليها، فقالوا عن "بواتيه" إنها نكبة كبيرة أصابت أوربة بحرمانها من الحضارة قروناً، يقول أحدهم: ذلك ما أصابها (أوربة) على يد جند الفرنجة بقيادة "شارل مارتل"، الذي حشد جيشاً ضخماً من الفرنج ومختلف العشائر الجرمانية المتوحشة، والعصابات المرتزقة فيما وراء "الراين"، يمتزج فيه المقاتلة من أطمع الشمال كلها، وجلب جنداً غير نظاميين، نصف عراة يتشحون بجلود الذئاب وتنسدل شعورهم الجعدة فوق اكتافهم العارية.

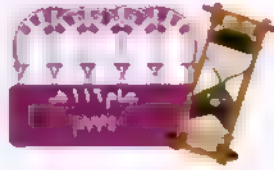
ولا تزال هذه المعركة تحتاج إلى دراسة منهجية لمعرفة

الأسباب لانتهزام المسلمين، وذكر الغنائم والفرقة في صفوف المسلمين يحتاج إلى نظر وفيه مقال. تراجع المسلمون عن فرنسه، إلا أنه بضيف لهم مناطق هيها، وتبع شارل مارتل المسلمين ثلاث سنوات، وما بقي لهم إلا منطقة صغيرة فيها "أربونة" عاصمة في جنوب فرنسة.



مظلتصويري
لمعركة بلاط
الشهداء هي
الرسوم الغربية

الوالي الخامس عشر عقبة السلولي



وأرسل والي مصر وشمال إفريقية عقبة بن الحجاج السلولي والياً إلى الأندلس في شوال عام ١١٦ للهجرة، وكانت ولايته خمس سنوات، ويذكر أنه لما خيره والي مصر وإفريقية بين ولاية إفريقية وبين الأندلس، اختار عقبة الأندلس وقال: إني أحب الجهاد وهي موضع جهاد، فولاه، فدخل الأندلس وافتتح حتى بلغ "أريونة"، ودخل "جيليقيّة" و"بنبلونة". وكان محمود السيرة مثابراً على الجهاد وما ترك جيباً إلا فتحه ما عدا "الصخرة"، وذكر عن درجة حبه للدعوة الإسلامية أنه كان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام، فأسلم على يده ألفا رجل، وفي الحديث: «لأن يهدي بك الله رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم» (رواه البخاري) فكيف بثواب الألفين عند الله سبحانه وتعالى!

الوالي الرابع عشر عبد الملك الفهري



ربما كان الذي انسحب بالمسلمين بعد استشهاد الغافقي هو عبد الملك بن قطن الفهري في شوال عام ١١٤ للهجرة، وكان متقدماً في السن شيخاً كبيراً، ولم تكن له مؤهلات للقيادة ولا للسياسة، وربما فرضته قبيلته إلى سدة الولاية، فأذعن الناس للأمر الواقع، فملا الأندلس بالظلم والجور، فضج الناس منه. وراسل أهل الأندلس عبيد الله بن الحبحاب والي مصر وشمال إفريقية، وكان ممن يعتمد عليه، إذ ولاه الخليفة في دمشق ولايتي مصر والشمال الإفريقي، فعزله لطلب الناس، وكانت مدة ولايته سنتان.

مهاجمة فرنسا ثانية

وجال عقبة رحمه الله في المناطق التي سلكها عنبرة وفي الوجهة ذاتها، في جنوب فرنسا وشمالها الشرقي، أشهرها مقاطعة "سبتمانية" وعاصمتها "أريونة" ومن مدنها "قرقشونة"، ومقاطعة "البروفانس" شمال "سبتمانية" إلى الشرق وعاصمتها "أبنيون"، وكذلك منطقة شمال "البروفانس". ولعله كان ينوي التوجه إلى الشمال ليجتاز "أقيطانية"، ويصل إلى المكان الذي جرت فيه معركة "بلاط الشهداء"، ولم يكن هذا الجهاد سهلاً ولا قليلاً إلا أنه يدل على قوة الإيمان والهمة العالية. ولما حاصر "شارل مارتل" "قرقشونة" بجيش كبير العدد، أرسل عقبة القوات لفك الحصار، ومن ثم جاء هو بنفسه لكنه سقط شهيداً عند "قرقشونة" رحمه الله.



غرناطة الحمراء، "غرفة الاحتين المعروفة قديماً بـ"بيت عائشة"

وفي هذه الفترة جرى في منطقة "ليون" أن توفي "بلاي" سنة ١١٩ للهجرة فورثه ابنه "فرويلة" الذي استمر سنتين، وتوفي هذا من غير أن يترك عقباً، فخلفه رجل يدعى "أدفنش" ويسميه المسلمون "المونسو الأول" الذي تزوج من ابنة بلاي "المسماة" إرمسندا".
تمكن "الفونسو" من أن يوحد "منطقة الصخرة" وأن يجمع الشتات الذي كان عقبة قد فرقهم، فهو يعتبر لهذا مؤسس المملكة النصرانية في الشمال، والتي سيكون لها دور كبير في تاريخ الأندلس بعد ذلك.



وفاة بلاي



مدينة الزهراء، القاعة الفسحة كان عرش الخليفة منصوباً قرب الجدار الداخلي

عبد الملك بن قطن الفهري (الولاية الثانية)، رفعته قبيلته وفرضته والياً على الأندلس لما اختلقت المعايير في ذلك الزمن ودامت ولايته سنة وشهراً، كان والياً سابقاً يعين لحسن سياسته ونظام إدارته، فأصبح الآن يعين لعصبيته ولقبيلته القوية.
وخلال هذه الفترة من توالي الولاة في الأندلس كانت أحداث خطيرة تجتاح العالم الإسلامي وشمال أفريقيا أدت إلى أحداث هامة في تاريخ الأندلس، ومن هذه الأحداث:

الوالي السادس
عشر عبد الملك
الفهري (ثانية)



بدأت تظهر في هذه الفترة الفتن والفتن والفتن في الشمال الإفريقي بشكل خاص من مختلف الفرق وانصار الخلافة، وكانت فرقة الخوارج أكثرها إثارة واضطراباً في المشرق الإسلامي ثم في الأندلس.

ظهر الخوارج أصلاً في جيش علي رضي الله عنه وكفروه لأنه رضي بالتحكيم، وكفروا كل من رضي بالتحكيم، فقاتلهم علي رضي الله عنه، ودمرهم وكاد يقضي عليهم في معركة "النهرين" على شاطئ الفرات، لكن الخوارج جمعوا شتاتهم في العهد الأموي عدة مرات، فأثاروا الاضطرابات، وسمكوا الدماء، ونشروا الرعب، لكن الأمويين عاجلهم ولاحقوهم، ولعل الفضل الأكبر في تمزيق هؤلاء يعود للقائد المحنك "المهلب بن أبي صمرة" الذي لاحقهم في كل مكان في المشرق الإسلامي.

ففر الخوارج فرادى واشتاتوا وجماعات إلى الجزائر وتونس وليبية، وتجمعوا بشكل خاص في المغرب الأقصى، وكانوا متعصبين

لفكرتهم، شديد التمسك بمبادئهم،

نشروا مذهبهم بين البربر وغيرهم، وساعد

على ظهور الخوارج شعور معظم البربر

بالظلم الذي كان يعاملهم به عمال بني

أمية، وكذلك الشعور بالفن من عدم

مساواتهم في التعامل ببقية المسلمين.

استغل هذا الوضع رجل يدعى "ميسرة"

فقادهم بعد أن جمعهم للثورة على والي

طنجة، عمرو المرادي - الذي كان شديداً

يبتطش بهم - فقتله، وولى خارجياً على

طنجة يدعى عبد الأعلى بن جريج، وبعد

احتلال طنجة توجه نحو "السوس"

فاحتلها، وتقدم باتجاه القيروان.



الخوارج يثورون في الشمال الإفريقي

من هم الخوارج؟

كان الخوارج من المسلمين لكنهم يتمسكون بظاهر الألفاظ، ويكفرون أهل الذنوب الكبائر، ولهذا خرجوا على جماهير المسلمين، واعتبروا مخالفيهم مشركين، وأقضوا مضاجع البلاد والعباد، وكانوا فتنة عظيمة في كل مكان ظهر فيها، كانوا كثيرون في العبادات والتلاوة، ولكن كما قال عليه الصلاة والسلام: «يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم شيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقبهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، رواه مسلم وأبو داود.

وفي حديث آخر: «يخرج في هذه الأمة ولم يقل منها قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلقهم أو حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، رواه مسلم وأبو داود .

القتال مع الخوارج

أرسل والي مصر خالد الفهري إلى قائد الجيش الذي كان في البحر: أن اترك البحر ووقف تقدم الخوارج، لكن الخوارج انتصروا عليه في أول لقاء بينهما، وازداد اقترابهم من القيروان عاصمة إفريقية، لأن من يقاتل من أجل عقيدة أو مبدأ حتى وإن كان باطلاً يكون أشد بأساً. لأنه يقاتل لمبدأ لا لغنيمة. وشاء الله سبحانه أن يحدث خلاف بين الخوارج أنفسهم. فقد استطاع أحدهم ويدعى "خالد الزيناتي" إقصاء "ميسرة" من زعامة الثائرين وتولى هو شأن الخوارج.

هنا شعرت الخلافة في دمشق بخطر الخوارج في الشمال الإفريقي شعور جدياً، فأرسلت جيشاً قوامه "٣٠" ثلاثون ألفاً بقيادة "كلثوم بن عياض القسري"، وكان طاعناً في السن شيخاً كبيراً، بلغ الثمانين من العمر، لكن ابن أخيه "بلج بن بشر" كان يقود الجيش فعلياً ويدير أمره، والتقى الحيشان، جيش الشام وجيش الخوارج هرب القيروان في قرية تدعى "قدورة"، وجرت معركة قتل فيها كلثوم القسري، وقتل معه "حبيب" قائد جيش البحر، وانتصر الخوارج. واشتد الأمر على المسلمين، إلا أن "بلج بن بشر" استطاع أن يفلت هو وسبعة آلاف من جند الشام وأن يلتجئ إلى "سبتة" ويتحصن فيها، فحاصره الخوارج بقيادة رجل يدعى "عبد الواحد الهواري" وثبت "بلج" وما استطاع الخوارج اقتحام "سبتة".

تقلص نفوذ الأمويين في شمال إفريقية، وخضع الشمال كله للخوارج ولم يبق إلا "سبتة"، وتقدم جيش آخر للخوارج تحاه القيروان بقيادة "عكاشة الفزاري" يريد إنهاء سلطة الأمويين من العاصمة.

خشي "شام بن عبد الملك" الخليفة في دمشق من ضياع هذه المنطقة من بين يديه، فقرر إرسال جيش ضخم العدد والعدة بقيادة "صفوان الكلبي" سنة ١٢٤هـ لإيقاف الزحف الخارجي والقضاء عليه، فاستطاع ضرب الخوارج والبربر، ومزقهم، وقضى على ثورتهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، وطردهم عن المناطق التي احتلوها، ما عدا منطقة "طنجة" فإنها بقيت بيد الخوارج. وتقع "سبتة" ضمن هذه المنطقة، لكن الخوارج يحاصرون الأمويين في مدينة "سبتة" وفيها بلج بن بشر الذي لم يبق له منفذ إلا عن طريق المضيق، فراسل والي الأندلس عبد الملك بن قطن يسأله المدد والمؤن والطعام. لكن هذا الطائم كان يمكر بمنطق العصبية، فلم يساعد بلجاً بشيء وما مد له يد العون، خشية أن يسلبه ولايته فيما إذا اشتد وهوي شأنه.

واشتدت الحال على بلج وساءت الأوضاع نتيجة الحصار، فسمع بذلك أحد التجار الأندلسيين متأثراً بوضع المسلمين بما يجري هناك فراسل سفينتين محملتين بالطعام والطحين إلى سبتة، يسد بذلك بعض حاجات المسلمين، لكن عبد الملك بن قطن أعدم التاجر لما بلغه هذا العون منه.



تمزيق الخوارج في أفريقيا

عندما تنقطع المودة والرحمة بين المسلمين ويبلغون هذا الحد من القسوة فيما بينهم فلا عجب أن يطمع بهم أعداؤهم وتتفرق دولهم

جيش الأندلس
وجيش الشام
ضد الخوارج

وامتدت ثورة الخوارج إلى الأندلس على ثلاثة محاور، واقترب الخطر على عبد الملك بن قطن، الذي لا يستطيع بقواته القليلة أن يصمد أمام الثورة العارمة -ثورة الخوارج- لذلك استنجد ببلج بن بشر يقول: ساعدني على أن أساعدك بشروط: أرسل إليك ما تحتاج وتأتي إلي تعينني على الخوارج على أن تعود بجيشك إلى الشمال الإفريقي بعد النصر.

رضي بذلك بلج بن بشر، ونقلت سفن عبد الملك قواته إلى الأندلس، وفي ملاقة العدو استطاع الجيشان "جيش عبد الملك والجند الشامي" أن يقهر الجيش الأول للخوارج عند "شدونة".

ثم توجهوا معاً إلى نحو "قرطبة" واستطاعوا هناك دحر الجيش الثاني وإبعاد الخطر عن "قرطبة". وبعد ذلك توجه الجيش لفلك الحصار عن "طليطلة" التي كان يحاصرها الجيش الثالث الخارجي منذ زمن، وتمزقت

صفوف الخوارج ودحرت قواتهم، وساءت الأحوال في الأندلس للخوارج، لذلك فر كثير منهم إلى الشمال الإفريقي، واستقرت أمور المسلمين في الأندلس.

ولما أوقفت هذه الثورة طلب عبد الملك بن قطن من الجند الشامي مفاخرة الأندلس فوراً، لكن الجند طلبوا مهلة للاستعداد للرحيل، فأصر الوالي على أمره، وأساء معاملته الجيش مما أدى بالجند الشامي الهجوم على قصر الولاية وأسر عبد الملك ثم إلقائه في السجن

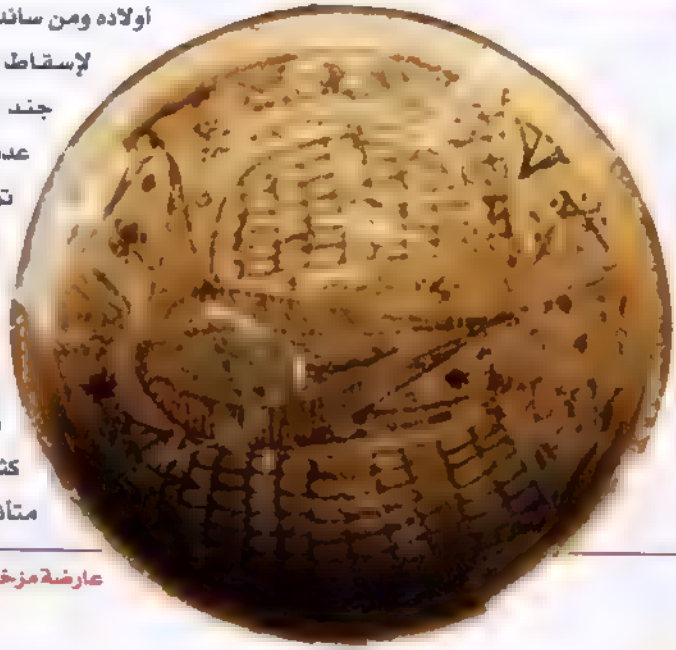




الوالي السابع عشر بلج بن بشر

ولى الجند الشامي بعد أسر عبد الملك وسجنه بلج بن بشر ولاية الأندلس وحصل خلاف في الأندلس، إذ هزأمية بن عبد الملك بن قطن إلى الشمال والتجأ في "سرقسطة"، كما فر أخوه قطن بن عبد الملك إلى منطقة الغرب واحتفى في "ماردة"، ثم راسلا بعض الشخصيات الأندلسية لمساندتهما في النزاع ضد بلج بن بشر، فاستجاب عبد الرحمن بن علقمة اللخمي، وعبد الرحمن بن حبيب الفهري، اللذان هويا في قننة الخصومة العمياء، وكان الوالي المسجون عبد الملك بن قطن قد طلب إلى بلج بن بشر إبان طلب المساعدة منه أن يقدم له رهائن ضماناً لعودة الأخير إن استطاعوا رد الخوارج، كما سبق، فلما لم ينسحب بلج بن بشر وسجن عبد الملك قام أنصاره في الجزيرة الخضراء حيث الرهائن هناك بإساءة معاملتهم، وتعديبهم حتى قتلوا واحداً منهم، مما دفع أنصار بلج بن بشر إلى قتل عبد الملك بن قطن، ولهذا السبب المباشر توجه أولاده ومن ساندتهم، وكان يربو عددهم على أربعين ألفاً نحو "قرطبة" لإسقاط ولاية "بلج" الذي لم يكن معه سوى سبعة آلاف من جند الشام، وتمكن من تجنيد ثلاثة آلاف آخرين فبلغ عددهم عشرة آلاف.

تمكن جند الشام من الثبات في قرطبة يناصرون الوالي بلج بن بشر، إلا أن عبد الرحمن بن حبيب الفهري قام بعملية انتحارية إذ اقتحم مع مجموعة من أنصاره صفوف الجيش الشامي ووصل إلى بلج بن بشر وجرحه جرحاً بليغاً، لكن أنصار بلج أحاطوا به فوثن هارباً، وهزم المتحالفون بعد أن تركوا وراءهم كثيراً من القتلى في شوال عام ١١٢٤هـ، ومات بلج بن بشر متأثراً بجراحه، بعد أن استمرت ولايته أحد عشر شهراً.



عارضة مزخرفة بأشكال الورد موجودة في المسجد الكبير بالقيروان



الوالي الثامن عشر ثعلبة العاملي

وتولى ثعلبة بن سلامة العاملي في ذي القعدة عام ١١٢٤هـ، ولأه جند الشام، وقد استطاع أهل الأندلس أن يجمعوا شتاتهم ويهاجموا جيش ثعلبة في الشمال قرب "ماردة"، وما استطاع هذا الجيش الثبات والصمود فدخل مدينة "ماردة" وتحصن بها حيث حاصرهم جند الأندلس، وما استطاع من بقي من جنده في قرطبة فك الحصار عنه، وشدد الأندلسيون عليه الحصار وعلى جنده، وهو عازم على الصمود والقتال رافضاً الاستسلام، إلى أن جاء يوم عيد الأضحى في ذي الحجة عام ١١٢٤هـ ففتح هو وجنده الأبواب وقاموا بهجوم مفاجئ باغت الأندلسيين الذين كثر فيهم القتل وولّوا الأدبار يطلبون النجاة، وتفرقوا في الأندلس، وكانت مدة ولايته عشرة أشهر.



أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي، الوالي الجديد يدخل الأندلس

رأى جماعة من أهل الرأي والفقه والعلم هذا الوضع المزري في الأندلس؛ صراع قبلي وعصبية قبلية تؤجج الأحقاد والنعرات، فأرسلوا وقدأ إلى والي القيروان" حنظلة بن صفوان" يطلعون على الصورة الحقيقية لحال الأندلس وواقعها والدماء التي تسيل حقداً على أرضها، فتفهم الأمر وأرسل رجلاً يدعى أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبي، في رجب عام



الوالي التاسع عشر أبو الخطار الكلبي

١٢٥هـ، والياً على الأندلس، وكان أبو الخطار إدارياً حكيماً استطاع بسياسته أن يوقف الفتن، فأعلن العضو العام على الجميع. وطلب من جند الشام إما أن يعودوا إلى الشام أو أن يستقروا في أماكن مختلطة من الأندلس، لا أن يتجمعوا في مكان واحد، فاستجابوا له، وأمر أن يغادر ثعلبة بن سلامة (الوالي السابق). وعبد الرحمن الفهري أرض الأندلس، ويتجها إلى شمال إفريقيا ففعلاً. ورضي أن يبقى ابن عبد الملك (أمية وقطن) في الأندلس بشرط أن يساعده ولا يتفرقا عنه. واستمر أبو الخطار على هذه السياسة الحكيمة لكنه تحول عنها إذ حدث حادث في الأندلس، حيث قُتل أحد أصدقائه المقربين ويدعى "سعيد بن جوال" فاتهم أبو الخطار القيسيين بذلك، وكذلك فعل لما تخاصم إليه قيسي وكلابي في شأن اختلفا فيه فصرّب أبو خطار القيسي، وذهب وهذا بدوره إلى زعيم قيسي يدعى "الصمّيل بن حاتم" وله شأن كبير في تاريخ الأندلس. وجاء الصمّيل إلى أبي الخطار يريد أن يستوضح الأمر، إلا أن الأمير لحنقه على قبيلة قيس شتمه وزجره وطرده من مجلسه.

كان الصمّيل بن حاتم داهية، صاحب كلام وصاحب حجة ولسان، وبدأ يجمع القيسيين، وراسل بعض الناقمين على أبي الخطار من بني كلب مثل ثوابة بن سلامة الجذامي يحصهم على الثورة، فرضي ثوابة على أن يكون الأمر له بعده، لقد أصبح معيار الناس الحكم لا المبدأ، كما جاء الصمّيل إلى رجل له شأن في "أستجة" يدعى "أبا العطاء" وما زال به حتى حركه ضد أبي الخطار.

وتحالف هؤلاء جميعاً، وتجمعوا في "شدونة" عام ١٢٧هـ، هاجمهم أبو الخطار لكنه أسر هو، وهزم جيشه. واستمرت ولاية أبي الخطار ثلاث سنوات.

الداهية الصمّيل بن حاتم

عين الصميل "عبد الرحمن بن كثير اللخمي" والياً في محرم سنة ١٢٩هـ واستمرت ولايته مدة وجيزة، وكثرت عليه الثورات، وتنوعت الاضطرابات، فقد ثار عليه "عمرو بن ثوبة" الذي يرى أنه أحق منه بالولاية، ورجل آخر يدعى يحيى بن حرين، لذلك لم يستطع عبد الرحمن إدارة الولاية بشكل يدعو إلى الاستقرار، فعزله الصميل بعد أن دام في الحكم ثلاثة أشهر فقط وعين مكانه:



الوالي الحادي والعشرون عبد الرحمن اللخمي

الوالي العشرون ثوبة الجذامي



وتولى ثوبة بن سلامة الجذامي في رجب ١٢٨هـ. واستطاع رجل يدعى عبد الرحمن اللخمي في ٣٠ فارساً و ٢٠٠ رجل من المشاة أن يقوم بعملية خاطمة في قرطبة ويخرج أبا الخطار من سجنه، وثارت العصبية تضرم نيرانها على أرض الأندلس، ومات الوالي ثوبة بعد أن دامت ولايته ستة أشهر.



أحد معالم الحياة الأندلسية حيث يبدو كيف كانوا يعيشون بالحاصل الزراعيه وكيفية تحريرها

يوسف بن عبد الرحمن بن عقبة بن نافع الفهري، جده عقبة فاتح الشمال الإفريقي وباني مدينة القيروان، تولى في ربيع الثاني عام ١٢٩هـ، واستمرت ولايته تسع سنوات وتسعة أشهر. بدأ يهدئ الأوضاع، ويزيل الاضطرابات، ويسكن الفتن، وكان شيخا قد بلغ الستين من أسرة عرعت بالتقى والصلاح والذكاء.



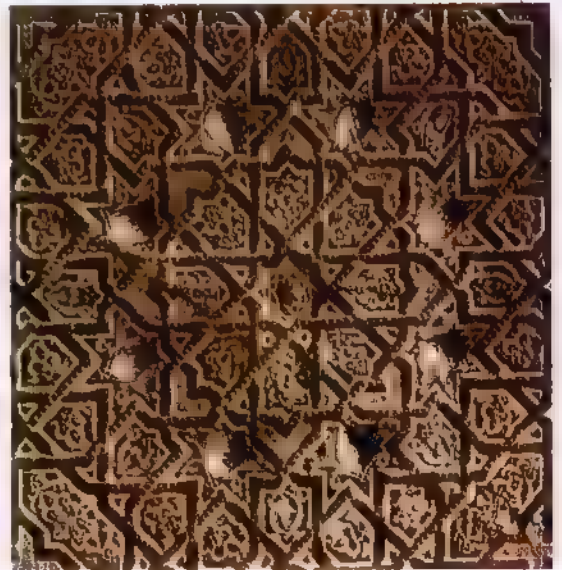
الصميل يتدخل

طمع يحيى بن حرين في هذا الهدوء النسبي واستطاع أن يستقر في جنوب الأندلس، وتولى مدينة "مرية"، وراسل أبا الخطار وحرّكه وحضّه على الثورة والمطالبة بالولاية، واتّصفا معاً على إثارة القبائل وجمع الجموع، فتوجها نحو قرطبة، غير أن يوسف بن عبد الرحمن توجه لصدّهم والتقى الفريقان في مكان قرب "قرطبة" يدعى "شقندة" عام ١٣٠هـ، فاقتتلوا اقتتالاً شديداً، وكسرت السيوف والرماح مما أدى إلى التشابك بالأيدي، وكلت الأيدي وتعبت الأجسام، عندئذ قام "الصميل" بعمل يدل على حنكته ودهائه مع أنه أمي، حيث رجع إلى قرطبة وجمع من العمال الذين تسلحوا بالحديد، ويقطع من العصي والسكاكين، فادخلهم الاشتباك وهم في قوتهم ونشاطهم، وانهاهوا هذه المعركة لصالح القيسيين وزعيمهم الصميل. مع أن عددهم لم يتجاوز "٤٠٠" رجلاً، وأسر زعيما الحركة المضادة "يحيى بن حرين" و"أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبى" فأمر الصميل بقتلها فوراً لينهي -حسب رأيه- محرّكي الفتنة، ويقطع دابرهما. ثم أثنى الصميل في الناس فلما قتل سبعين أسيراً اعترض عليه حليفه السابق أبو العطاء غاضباً، أقتل الناس؟ ومنعه من سفك الدماء.

روعة الزهراء في
تلك الأبداعات التي
لم يكن لها سابق في
التاريخ

تذكر أمثال هذه الأخبار لإلقاء بعض الأضواء على الثغرات التي مرّت في التاريخ الأندلسي في عصر الولا وغيرهم مما استفاد منها أعداء المسلمين في داخلها وخارجها.

ثم إن الوالي يوسف الفهري استاء كثيراً من تصرفات الصميل، فطلب إليه أن يترك العاصمة بعد أن ولاءه سرقة، رضي الصميل بذلك درءاً للفتنة التي يمكن أن تقع إن لم يستجب، وحباً لسرقة التي كانت غنية في تلك الفترة، إذ نجت من القحط العام الذي أصاب الأندلس، فأكرم الناس هناك وأغدق عليهم العطايا فصار الناس يزدون إليه جماعات جماعات ليجدوا المأوى والمطعم، على العكس من الوالي يوسف الذي عانى من قدوم الجائعين والأفواج الكثيرة من شتى المناطق إلى قرطبة طلباً للرزق والطعام، فكان الوضع العام لصالح الصميل، فعلا شأنه وكثر رجاله. بينما بدأ معظم الناس يتركون قرطبة ويهاجرون إلى المغرب طلباً للثروة والميرة، بل قسامت الاضطرابات أيضاً في الأندلس ضد الوالي يوسف بن عبد الرحمن.



الثورات تشتعل

حاول الفهري أن يخضع الثورات التي انتشرت في عدة مناطق من الأندلس، كما حاول أن يسيطر على منطقة الصخرة "بلاي" فلم يتمكن من ذلك إذ ثار عليه قائد جيشه عامر بن عمرو الذي تمرد والتجأ إلى "قلعة عامر" في الغرب باسم "القلعة"، فأخذ يدعو للعباسيين ويدعي أن الخليفة العباسي قد عينه والياً على الأندلس إذ كان ذلك في فترة سقوط الأمويين وظهور العباسيين في المشرق الإسلامي والتف الناس حوله وأيده زعيم قيس "الحبحاب بن رواحة" وكان هوى قبيلة قيس للعباسيين. ولأن والي يوسف بن عبد الرحمن بن عقبة بن نافع الفهري من ولاية الأمويين، فقد أصبح الصراع القبلي الآن صراعاً أموياً وعباسياً كما في المشرق.

الصراع الأموي العباسي

فتجمع دعاة العباسيين وانصارهم قريباً من سرقسطة وهاجموا قوات الصميل وحاصروا المدينة في عام ١٣٦هـ مع أن الدولة الأموية كانت قد سقطت في سنة ١٣٢هـ، وانضم اليمنيون والبربر إليهم، فأرسل الصميل يطلب إلى يوسف مساعدته، مع أنه في الأصل يراه أخطر عليه من عامر بن عمرو ويحذر منه، ولذلك لم يقدم له يوسف يد العون، إلا أن زعيماً من القيسيين يدعى "عبيد الله بن عبد الله الكلابي" أيده بالجموع وبدأ يتحرك لنصرته، لكن الصميل لما رأى هوى هؤلاء مع الأمويين، فادعى أن هواه للأمويين أيضاً، فصار الصراع -وقد امتد للأندلس- صراعاً بين الأمويين والعباسيين، وبانتهاء انتصر الصميل، بعد أن استمر الصراع سبعة أشهر تقريباً.



قلعة على الطراز الأموي في الأندلس

النصارى يستقلون الأوضاع

في هذه الفترة مات "شارل مارتل" وتولى ابنه "بابان القصير" فاحتسح جنوب فرنسا وأخرج المسلمين منها. وفي هذه الفترة - فترة القلاقل والاضطرابات مات "الفونسو الأول"، ١٤٠هـ وتولى ابنه "فرويلة" مملكة ليون النصرانية وبدأ فيما بعد ما يسمى حروب الاسترداد، وكما قال الشاعر:

هي الأحوال إن تبدل تبدل
على أعماقنا يرسى الجزاء

الأمير

الرقم	اسم الوالي	بداية الحكم	مدة الحكم
١	عبد العزيز بن موسى بن نصير	ذي الحجة ٩٥هـ	سنة وسبعة أشهر
٢	أيوب اللخمي	رجب ٩٧هـ	٦ أشهر
٣	الحرث الثقفي	ذي الحجة ٩٧هـ	سنتين وثمانية أشهر
٤	السمح بن مالك الخولاني	رمضان ١٠٠هـ	سنتين وشهرين
٥	عبد الرحمن الغافقي (الولاية الأولى)	ذي الحجة ١٠٢هـ	شهرين
٦	عنيسة الكلبي	صفر ١٠٣هـ	٤ سنوات ونصف
٧	عذرة الفهري	شعبان ١٠٧هـ	شهرين
٨	يحيى الكلبي	شوال ١٠٧هـ	سنتين ونصف
٩	حذيفة القيسي	ربيع أول ١١٠هـ	٦ أشهر
١٠	عثمان الخثعي	شعبان ١١٠هـ	٥ أشهر
١١	الهيثم الكلابي	محرم ١١١هـ	١٠ أشهر
١٢	محمد الأشجعي	ذي الحجة ١١١هـ	شهرين
١٣	عبد الرحمن الغافقي (الولاية الثانية)	صفر ١١٢هـ	سنتين وثمانية أشهر
١٤	عبد الملك الفهري (الولاية الأولى)	شوال ١١٤هـ	سنتان
١٥	عقبة السلولي	شوال ١١٦هـ	خمس سنوات
١٦	عبد الملك الفهري (الولاية الثانية)	صفر ١٢٣هـ	سنة وشهر
١٧	بلع بن بشر	محرم ١٢٤هـ	١١ شهر
١٨	ثعلبة العاملي	ذي القعدة ١٢٤هـ	١٠ أشهر
١٩	أبو الخطار الكلبي	رجب ١٢٥هـ	٣ سنوات
٢٠	ثوابة الجذامي	رجب ١٢٨هـ	٦ أشهر
٢١	عبد الرحمن اللخمي	محرم ١٢٩هـ	٣ أشهر
٢٢	يوسف الفهري	ربيع الثاني	تسع سنوات وتسعة أشهر

عهد جديد بدأ فيه نشر الدعوة وتوطيد دعائم الإسلام في الأندلس ولم يكن أقل أهمية من فتحها وإن عكزت صموده فترات حكمها العصبية القبلية والحمية الجاهلية.

لقد قامت الحيوش المسلمة بفتح المدن في الأندلس لإزالة الحواجز أمام دعوة الله، ثم جاء دور الولاية لينشروا تلك الدعوة وليثبتوا أنهم ما جاؤوا إلا للهداية والعدالة والنور، فكان نتيجة ذلك أن دخلت الأفواج من أهل الأندلس تباعا في دين الله

لما رأى القوم جندا فاتحين سمت اخلاقهم حكموا بالعدل واللين
وأيقنوا أن هذا الفتح مبعثه نور وهدى أقر الناس بالدين

ونشير في هذا العهد إلى نقاط هامة:

• إن توطيد دعائم الحكم في الأندلس وثباتها أمام هجمات الصليبيين وحكام فرنسا ما كان ليتم لولا تمكّن الإسلام في قلوب كثير من أبنائها، ويعد هذا إنجازا عظيما في عهد الولاية بلفوه بالإخلاص في الدعوة وصدق النية وحسن المعاملة، حتى وصل عدد المهتدين على يد أحد الولاة ألفي مهتد أسلم على يده. وهكذا المسلم أينما حل وارتحل سفير دائم لدينه بأخلاقه وسيرته وتعامله، يحمله على ذلك تعاليم الإسلام وحبه لهداية الآخرين، فيأندونيسيا - أكبر بلد إسلامي - ما فتحت بالقوة ولا بالحروب بل فتحت قلبها للإسلام بفصل رجال مخلصين وتجار مؤمنين أظهروا لأهلها الصورة الحقيقية المشرقة للإسلام، وكذلك دول شرق آسيا جميعها فتحت بالدعوة والهداية. وأرى الذاكرة تعيدني إلى بداية الدعوة الإسلامية، حين فتحت المدينة المنورة أبوابها لصاحب الدعوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهل كان ذلك إلا بعد أن مهد له سفيره مصعب بن عمير بنشر الهداية بين جناباتها. أبين هذه النقطة لأننا مطالبون اليوم أكثر من أي وقت مضى بالعمل على فتح القلوب ونشر الدعوة كل من موقعه خصوصا أننا في حالة ضعف لا نملك معها إلا سلاح الكلمة النيرة بل ربما نلاحق عليها، وقد بلغ عدد المسلمين اليوم في أمريكا وأوروبا عشرات الملايين منهم المهاجرون ومنهم أهل البلد الذين اعتنقوا الإسلام فلو أن هؤلاء أعطوا الصورة المشرقة لدينهم، وثبت في داخل كل منهم أنه سفير للإسلام، والتزم ذلك من يذهب إلى تلك البلاد سواء للسياحة أو الدراسة أو التجارة لتضاعف عدد المسلمين هناك ولأصبحنا قوة مؤثرة في سياسة تلك الدول، ويومها سيكون ذلك فتحا كبيرا لا بقوة السلاح بل بفعل الدعوة ونور الإسلام.

نحن بالإيمان أحيينا القلوب... نحن بالإسلام حررنا الشعوب... نحن بالقرآن قومنا العيوب.... وانطلقنا في

الشمال والجنوب... ننشر النور ونمحو كل هون.. مسلمون مسلمون مسلمون..

• الفكر الخارجي فكر قديم حديث، كانت نشأته في الخروج على علي رضي الله عنه، وما زال معتدا حتى اليوم يشق عصا

المسلمين ويخلع طاعة الحاكم لأي سبب ولا يرمي حرمة لجماعة المسلمين ولا لدمائهم، وأخطر ما فيه أمران :

١ - تكفير المسلمين على كبائر الذنوب بل بالعوا في الشطط فأصبحوا يكفرون كل من خالفهم، ونرى أثر ذلك في تقسيم

المسلمين إلى طوائف يكفرون من شاؤوا منهم ويسبغون الألقاب والحمد على من يشاؤون، وسبب ذلك كله صحالة علمهم

وضيق أفقهم.

٢٠٠٧ اعتقادهم جواز الخروج على الحاكم لاي اختلاف معه في المكر أو المنهج، ونشهد اليوم ماضي مؤلمة ودماء مسلمة معصومة تراق على اراضي المسلمين، ومن هنا أوجه دعوة ناصح مشفق، دعوة أح يرى الفارقة والدماء فينبذ قلبه حزناً وأسى، أوجه دعوة إلى شباب المسلمين وحنى علمائهم أن ينبذوا التعصب المكري واحتكار الحقيقة، ويحفظوا حرمة الدماء التي حفظها الله عز وجل، ألا يكفي أن يستبيح أعداؤنا دماءنا في كل مكان حتى نستبيح دماء بعضنا البعض ؟ .

أما أدرك عقلاؤنا النار تحزينا وتفاتلنا عبر التاريخ حتى وصلنا إلى ما نحن فيه ؟ .

• ما حدث في حصار الخوارج بلج بن بشر في سبّة حيث طلب المؤن والطعام من حاكم الأندلس عبد الملك بن قطن فما أمده بشيء !! فثأل أحد التجار لما يحدث للمسلمين وأرسل لهم سفينتين فيهما الطعام والمؤن فلما علم عبد الملك بذلك أعدم التجار !! أهذه الرحمة التي وضعها الله في قلوب المسلمين لبعضهم البعض ؟، أهذا هو التواصل والتراحم الذي تحدث عنه النبي صلى الله عليه وسلم ؟، إن هذا الماضي الأليم يتكرر اليوم بصور أخرى حيث تحاصر البلاد المسلمة اقتصادياً وسياسياً بقرارات جائرة وتصنيفات حاكمة وإخوانهم المسلمون يمنعون عنهم كل أنواع المساعدات مع أن الإسلام نسب ورحم بين أهله .

أليس من المعيب واللؤم أن يمنع المسلمون أموالهم عن إخوانهم المحاصرين في فلسطين لا لشيء بل لإرضاء القرب ؟
إن غنى الأغنياء المسكين عن إخوانهم في فلسطين وهي كل بلد إسلامي محاصر أو محتاج هو دليل لؤمهم لا غناهم.
إن كل دينار يدفعه المسلم لإخوانه المستضعفين يأتي يوم القيامة يقول يا رب أنا إيمان فلان.

فاللهم انشر الألفة والمحبة بين عبادك



الباب الثاني

الدولة الأموية في الأندلس



الفصل الأول

عبد الرحمن الداخل (سقرقريش)

الفصل الثاني

عبد الرحمن الداخل

الفصل الثالث

عبد الرحمن الداخل

الفصل الرابع

عبد الرحمن الداخل

المسألة الثانية

الدولة الأموية في الأندلس



الفصل الأول

ولا - نرى الدولة الأموية في الشام

باب - قصة عمر بن الخطاب

بابا - حدثنا عبد الرحمن الأندلسي

بابا - خمس وعشرون نورد صدد

عبد الرحمن الداخل (صقر قريش)

صقر قريش

قال أبو جعفر المنصور لندمائه وجلسائه يوماً: من صقر قريش؟ قالوا: أمير المؤمنين (أي أنت) الذي راض الملك، وسكن الزلازل، وحسم الأعداء، قال: ما صنعتُم شيئاً. قالوا: فمعاوية، قال: ولا هذا، قالوا: فعبد الملك بن مروان، قال: لا، قالوا: فمن يا أمير المؤمنين؟ قال: عبد الرحمن بن معاوية، الذي تخلص بكيدة عن سنن الأسنة وظبابة السيوف، يعبر القصور ويركب البحر، حتى دخل بلداً أعجمياً، فمصر الأمصار، وجند الأجناد، وأقام ملكاً بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة عزمه. إن معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان وذلالاً له صعبه، وعبد الملك ببينة تقدمت له، وأمير المؤمنين (أي نفسه) بطلب عترته واجتماع شيعته، وعبد الرحمن بن معاوية منفرداً بنفسه، مؤيداً براهبه، مستصحباً بعزمه، هذه قصة رجل فريدة، رجل مطارد، مطلوب الرأس، مشردٌ يبحث عنه في كل مكان، يستطيع أن يتجاوز كل هذه المخاطر والصعاب، وينشئ ملكاً وحده، ويسيطر على الأندلس كلها، بل وتثور عليه خمس وعشرون ثورة فيقضي عليها كلها ويخضعها، فأية إرادة؟ وأي قوة مستندة إلى عزيمة كان يملكها ذلك الرجل؟

صفات هذة

قال ابن حيان القرطبي شيخ المؤرخين الأندلسيين يصفه: كان الإمام عبد الرحمن راجح العقل، راسخ الحلم، واسع العلم، كثير الحزم، نافذ العزم، لم ترفع له راية على عدو إلا هزمه، ولا بلد إلا فتحه، شجاعاً، مقداماً، شديد الحذر، قليل الطمأنينة، لا يخلد إلى راحة ولا يسكن إلى دعة، ولا يكل الأمر إلى غيره، كثير الكرم، عظيم السياسة، يلبس البياض ويعتم به ويؤثره، يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويصلي بالناس إن حضر في الجمع والأعياد، ويخطب بنفسه، جند الأجناد وعقد الرايات، واتخذ الحجاب والكتاب، وبلغت جنوده "١٠٠" مائة ألف فارس.

ولد في دمشق .

خرج قارا من ملاحقة العباسيين إلى المغرب .

خرج قارا إلى ليبيا .

عبر المضيق إلى الأندلس .

تولى إمارة الأندلس .

توفي الداخل .

كان حازماً قوياً يباشر أعماله بنفسه أحمد خمسا وعشرين ثورة قامت ضده.

يعتبر حكمه بداية قيام الأندلس الحديثة.

بني أمية ويتبعون

عبد الرحمن بن معاوية الداخل (صقر قريش)



الإرادة

هذه هي قصة الإرادة تمثلت في شخص. وقصة الطموح تمثلت في رجل! مع ما عليه من ملاحظات أذكرها في حينها، وكما قال الشاعر:

ومن ذا الذي ترضى سجاياها كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

استطاع أن يؤسس الدولة الأموية في الأندلس بعد أن سقطت في المشرق.

قصة ينبغي على كل شاب أن يتفهم معانيها، وندرسها ناشتتنا، وهي التاريخ دروس وعبر. ترفع من الهمم التي فترت وتسقي الطموح الذي بدأ يذبل في النفوس في عصر العوالة.

إذا وجد الإيمان وتوفرت الإرادة لا يقف أمامها شيء، ولا تحدّها صعاب، حتى ولو كان الإيمان محدوداً وكانت الإرادة صادقة لفعلت شيئاً وانتصر الإنسان بها.

كن عزيز النفس عالي المرتقى داعي الإسلام لا داعي التحل

وإذا تعلق قلب الإنسان بالله أتاه النصر، «وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم» (آل عمران ١٢٦)

لم يكن عبد الرحمن متميزاً بالعلم الشرعي ولا بالدعوة، ولكنه تميز بالإرادة والقوة، يقول العلماء: إذا تمسك الناس بالإسلام فالنصر آت، أما إذا ترك الناس الإسلام فالنصر للأقوى.

أمتنا في هذا العصر تركت الإيمان وتركزت الهمة، بل خمدت، مع أن الآية الكريمة تخاطب المسلمين: «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» (آل عمران ١٣٩). ويقول تعالى: «فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون» (محمد ٣٥). ومثال ما يجري في فلسطين شاهد على أن صاحب الهمة لا تقهره القوى الطاغية. وكذلك هذا المثال من التاريخ (قصة عبد الرحمن الداخل).

أبو مسلم الخراساني داعية العباسيين

وكان أبو مسلم
الخراساني شاباً
أظهر كفاية ومقدرة
في الدعوة العباسية،
وكان يأخذ البيعة من
الأتباع على الصورة
التالية كما ذكرها

الطبري:

أبايعكم على كتاب
الله عز وجل وسنة
نبيه ﷺ، والطاعة
للرضا من أهل بيت
رسول الله ﷺ، عليكم
بذلك عهد الله
وميثاقه والطلاق
والعتاق والمشي إلى
بيت الله، وعلى أن لا
تسالوا رزقاً ولا منعماً
حتى يبدأكم به
ولاتكم، وإن كان عدو
أحدكم تحت قدمه
فلا تهيجوه إلا بأمر
ولاتكم.

الوليد بن يزيد الخليفة اللعوب

ولد في دمشق الشام سنة ١١٣هـ، وكانت أحداث خطيرة تجري في
المشرق الإسلامي، والمسلمون أمة واحدة كالجسد الواحد يرتبط
بعضه ببعض بأعصاب وجوارح، كما يجري في الجميع الدم الواحد
والشعور ذاته، وكان في الشام الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن
عبد الملك، وكان رجلاً صاحب لهو ويهوى الصيد، ويستمتع إلى
القيان شغوقاً بالجواري، ويعتبر بعض المؤرخين أن زوال الدولة
الأموية من ابتداء حكم الوليد هذا، وفي تلك الفترة نشط الدعاة
العباسيون من أمثال أبي سلمة الخلال في العراق، وأبي مسلم
الخراساني في المشرق، مع عبد الله بن علي وغيرهم.

مجلس الالس والطرب التي انتشرت في عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك



نصر بن سيار يحذر

وبدا بجمع الأنصار في أقصى بلاد المشرق "خراسان"، ولكن والي الأمويين "نصر بن سيار" (وكان رجلاً بعيد النظر قوي الذكاء داهية مجرباً)، نظر إلى الأمور نظرة عميقة، فعمد إلى إصلاح الوضع، وأرسل إلى الوليد بن يزيد يطلبه على ما يجري في الخفاء، وبلغت نظره إلى خطورة الوضع في خراسان، لكن الوليد بن يزيد لم يلق لها بالاً. واستمر على لهوه وعبثه، إلا أن الأمويين شعروا بخطورة الوضع، وأن الدولة صائرة إلى الزوال، كما قال واليهم نصر بن سيار:

أرى تحت الرماد وميض نار
فإن النار بالعودين تذكو
فإن لم يطفئها عملاء قومي
فقلت من التعجب ليت شعري
ويوشك أن يكون لها ضرام
وإن الحرب أولها كلام
يكون وقودها جثث وهام
اليقاظ أمية أم نيام؟

ثورات الأمويين على بعضهم

فقام يزيد بن الوليد بن عبد الملك عام ١٢٥هـ يعلن الثورة ويضع يده على الأسلحة الموجودة في مسجد دمشق، ويطلق المال في سخاء لمن يجتمع حوله، حتى التفّ حوله نحو من ألف رجل، وأرسل قائده إلى "الغدف" في البادية وكان الوليد بن يزيد هناك حين ترك دمشق، فما استطاع الوليد أن يقاوم كثيراً فدخل غرفته ووضع المصحف بين يديه يقرأ فيه ويقول: يوم كيوم عثمان، فيقتل.

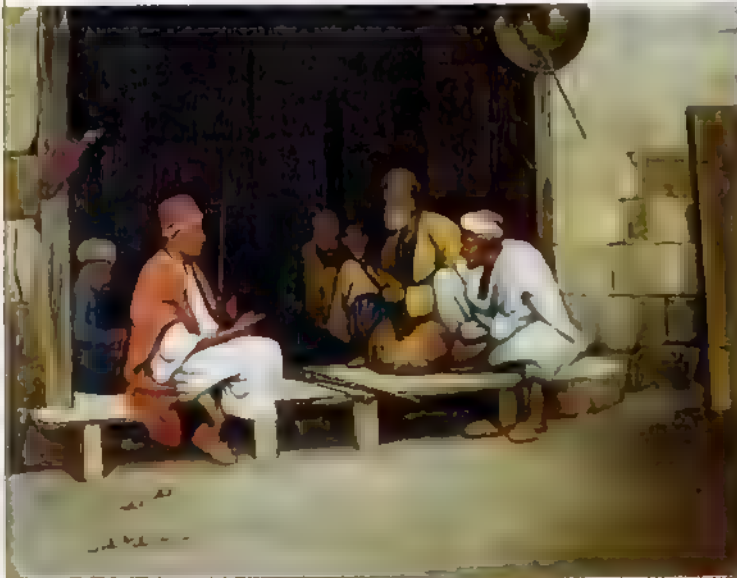
وكان مقتل الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ إيذاً بسقوط الدولة الأموية، وتولى قاتله الخلافة وبالرغم من أنه أعلن رغبته في أن يسير بالناس سيرة عمر بن عبد العزيز (رحمه الله)، فإن الناس لم يجمعوا على بيعته

بل اضطريت الحال، وحدث الصراع بين الأمويين أنفسهم.

١- فثار عليه سليمان بن هشام بن عبد الملك في عمان.

٢- وثار أيضاً مروان بن عبد الله بن عبد الملك في الأردن.

٣- وثار مروان بن محمد في إرمينية، وكل هؤلاء يدعون أنهم ما أرادوا إلا الثأر والانتقام.

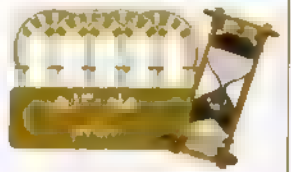


بدأ المسلمون يتحدثون عن الصدع والفتن التي أصابت كيان الدولة الإسلامية



مروان الحمار

على أن خلافة يزيد بن الوليد لم تطل إلا نحواً من ستة أشهر فقد مات في العام نفسه الذي ولّي فيه، وهو عام ١٢٦هـ، إبان هجوم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، فأصبح هذا هو الخليفة ويلقب بمروان (الجعدي أو الحمار). وكان رجلاً قديراً ذاهية، صبوراً في الشدائد ولا يكل ولا يمل، فثار عليه إبراهيم بن الوليد -أخو يزيد المقتول- فدحره مروان في أول اشتباك بينهما ودخل مروان دمشق ولم يجد مشقة في أن يبايعه الناس فيها خليفة، وبايعه إبراهيم أيضاً، كذلك ثار عليه عبد الله بن معاوية بن جعفر الطيار في الكوفة واستطاع مروان أن ينهي تلك الثورة أيضاً، كذلك ثار عليه سليمان بن هشام وهو محارب قديم، ولكنه لم يكن سياسياً فثار معه أهل الرصافة إلا أن مروان استطاع أن يخضعهم ويشتت تجمعهم، وهكذا تمكن مروان من قهر أعدائه في بلاد الشام، فاستتب له الأمر فيها. كذلك انتصر في المواقع التي ظهرت القلاقل فيها كالعراق والشام والحجاز واليمن.



أبو مسلم الخراساني يعلن الثورة العباسية

في مثل هذا الوضع المتأزم المتأزم كان أبو مسلم يجمع أنصار العباسيين ويديرهم تدريباً جيداً، وبعد أن تفاقم الوضع في الخلافة سنة ١٣٠هـ، فاجأ أبو مسلم الأمويين بإعلان ثورته، والسيطرة على مدينة "مرو" أولاً في أقصى المشرق في خراسان، وقاوم "نصر بن سيار" وظل يدافع عن الدولة الأموية ويمنع تقدم العباسيين، وهو الذي أحر سقوط الدولة عدة سنوات، لكنه مات في عام ١٣١هـ وكان القدر يسهل الأمر للعباسيين، فاحتل أبو مسلم الخراساني خراسان كلها، ثم يعهد بالحرب إلى رجل من طيء يدعى "قحطبة" لقيادة الحرب في العراق، ثم بعد ذلك يعهد بقيادة الحرب في الشام إلى "عبد الله بن علي"، الذي قاد الجيش وهزم مروان بن محمد إلى حران ثم قنسرين ثم إلى حمص فأراد أهلها قتله إذ لم يبق إلا رجال أقله معه، لكن مروان قدم الكمان على الطريق والذين صدوا غارات أهل حمص. وصل بعد ذلك مروان إلى دمشق وولى صهره "الوليد بن معاوية بن مروان" عليها.



دخل عبد الله بن علي دمشق، وقتل الوليد، وسيطر على مدينة دمشق الشام، وانحاز مروان إلى الأردن، وانضم والي الأردن إليه، ثم عبر إلى فلسطين ثم إلى صحراء سيناء فمصر، وكان عبد الله بن علي يتابعه حيثما وصل، ولما التقى به في "بو صير" حدثت المعركة المتوقعة الحاسمة بين الأمويين بقيادة مروان بن محمد، وبين العباسيين بقيادة عبد الله بن علي، ودامت المعركة عشرة أيام، وقتل مروان فيها، فانتهت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية.



نهاية الأمويين

أسباب سقوط الدولة الأموية في الشرق

هكذا انتهى حكم الأمويين في المشرق صدعته الفتن والثورات والانقلابات بعد أن ملأ الدنيا حضارة وعلماً وتوسعت فيه المتوحات في كل اتجاه، وإن المتأمل في حكمهم يلحظ أموراً خطيرة ظهرت أواخر حكمهم مهدت لسقوط تلك الدولة العظيمة:

١- عدم اختيار الأصح للخلافة :

وهذا الانحراف بدأ أواخر الحكم الأموي، فإن كان للحكم الوراثي ما يبرره من استقرار الحكم وحسم النزاع فإن الواجب أن يختار الأصح من بين الأبناء والإخوان والأهل، ولقد كان هذا متبعاً في بداية حكم الأمويين حيث قدموا عمر بن عبد العزيز على أولاد سليمان بن عبد الملك، ثم انحرفت الأمور وتولى الوليد بن يزيد الخلافة ولم يكن أهلاً لها، بل كان صاحب لهو وانشغال بملذات الدنيا، وإذا كانت هذه أوصاف الخليفة لم ينتظر منه توطيد دعائم المملكة ولا رفع راية الدين، يقول عبد الله بن المعتز (الملك بالدين يبقى . والدين بالملك يقوى) فإذا كان الملك صاحب لهو ولعب فأى قوة تنتظر منه ؟.

٢- ظهور الثورات والانقلابات :

وهذه طامة كبرى ثانية لا ينتظر معها شيوع الأمن والاستقرار للحكم وإنما يشجع على الثورة أمران : إما ضعف الخليفة وإما الطمع في الملك وكلا الأمرين شر مهلك .

٣- عدم تحري الأهلية والعدل في اختيار الولاة،

فتولى في عهدهم ولاة ظلمة مثل الحجاج الذي ملأ الأرض ظلماً ورواها بالدماء فكان هو وأمثاله سبباً في نقمة الله عليهم ونقمة الناس أيضاً.

٤- انتشار الفساد المالي،

والفساد المالي كأي فساد آخر في جهاز من أجهزة الدولة يظل ينخر في جسدها حتى تقع.

٥- ابتعادهم عن العلم،

ولا نقصد بالعلم هنا العلم الشرعي فقط وإن كان يشمل، فالعلم بمختلف أصنافه يثمر الوعي السياسي والحصاري والاجتماعي ويجعل نظرة الحاكم والمحكوم إلى الأمور أرقى وأشمل وأبعد.

٦- ميلهم إلى الدنيا وانشغالهم بملذاتها،

وإن لم يكن ذلك منتشرأ في جميع خلفائهم، لكن تعود البعض على هذه الحال كان سبباً في الانحدار وتدهور الأوضاع.

وتولى أبو العباس السفاح أمر الخلافة بتتبع الأمويين، فأجرى القتل في صفوفهم وبين أفرادهم، حتى إن سليمان بن علي (وهو عم أبو العباس السفاح) والي البصرة يأمر بقتل الأمويين ويرمي جثثهم على الطرقات تأكلها الكلاب) فاشتد الرعب ودب الهلع فيهم، فتواروا عن الأبصار، واختفوا في المناطق النائية، وتفرقوا في البلدان. وكان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام من المظلومين.

أبو العباس
السفاح



قصر الحير الشرقي يمثل جزءاً من الفن المعماري للدولة الأموية

كان كما تقدم وصمه راجح العقل، راسخ الحلم واسع العلم كثير الحزم نافذ العزم لم ترفع له راية على عدو قط، إلا هزمه، ولا بلد إلا فتحه، شجاعاً مقداماً شديد الحذر، قليل الطمأنينة لا يحلد إلى راحة، ولا يسكن إلى دعة، لا يكل الأمر إلى غيره، كثير الكرم عظيم السياسة... وصفات أخرى كثيرة قل أن يتصف بمثلها كثير من القادة والرجال.

صفات عبد
الرحمن
الداخل

تربى في دمشق حيث ولد فيها، وتأدب في بيوت الملك أعظم تأديب وأحسنه، وتدريب على الفروسية أفضل تدريب وتعلم فنون القتال، كما تأدب على كثير من معاني الخلق العربي الأصيل، وكان شاعراً رقيق الشعر، يأتي بأعذب الكلمات وألطف المعاني، جيد السبك، قال لما استقرت الأمور له في الأندلس، وقد رأى قافلة متجهة إلى الشام:

أقر من بعضي السلام لبعضي
وقؤادي ومالكيه بارض
وطوى البين عن جفوني غمضي
فعسى باجتماعنا سوف يقضي

أيها الراكب الميمم ارضي
إن جسمي كما علمت بارض
قدر البين بيننا فافترقنا
قد قضى الله بالفراق علينا

شوقه للشام

وكان جالساً في قصره بالرصافة يوماً فرأى نخلة، ولم تكن بأرض الأندلس النخل وكان هو الذي أمر بجلبها وزراعتها هناك، فهاج به الشوق إلى الديار واستبد به الحنين إلى الأهل والاحبة، وذكرى الأصدقاء فقال:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت سببني بالغرب والنوى وطول اكتنابي عن بى واهلي
بشأت بأرضك أنت هيها عربية فمثلك هي الأقصاء والمنأى متلى
سفتك عوادي المرن في المنأى الذي يسبح ويستمرى السماكين بالوبل

حب الوطن

فحب الوطن فطرة في الإنسان السليم، ويدهي أن يتذكر المرء بلده وأهله وهذا لا يتناهى مع الإيمان، فالصحابية الكرام -رضوان الله عليهم- كانوا يتغنون بحب مكة وشعابها وهم في المدينة المنورة، فكان بلال رضي الله عنه إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقبرته ويقول:

ألا لست شعري هل أبين لله بواد وحولي إذ خسر وجليل
وهل اردن يوماً مياد مجبة وهل يبدون لي شامة وخليل

فقال عليه الصلاة والسلام: اللهم حبب إلينا المدينة.

وما علينا إلا أن ننشئ ناشئتنا على حب الوطن، وتعلم الشباب حب الديار والأرض دون أي تعصب أو كراهية، ويكون التعصب إذا قدم حب الديار على حب الله وطاعته، أو ينزلها ولا يؤدي ما يطلب منه للدعوة إلى الإسلام وإقامة شعائره وشرائعه، وحب الأهل والوطن معنى سام لا تعرفه إلا النفوس العلية الطيبة.

الاختفاء

فر عبد الرحمن، واشتد عليه الطلب، واختفى في قرية نائية على شاطئ الفرات في بادية الشام سنة ١٣٢هـ، إذ حدث حادث يقصه هو في مذكراته إن صح التعبير، فيقول:

وإني لجالس في ظلمة في تلك القرية تواريت فيها برمد أصاب عيني، وابني سليمان بكر ولدي يلعب قدامي، وهو يومئذ ابن أربع سنين، فخرج من البيت لحظة، ثم دخل إلى الغرفة فزعاً باكياً يلقي بنفسه علي، فجعلت أدفعه لما بي، وهو يتعلق بي لأنه خائف يقول ما يقوله الصبيان عند الفزع، فخرجت لأتبين فإذا بالروع قد نزل بالقرية، وإذا بالرايات السود عليها منحة، وأخي حديث السن يشتد هارباً وينادي: النجاة النجاة يا أخي، فهذه الرايات مسودة، فضربت بيدي عدة دنانير ونجوت بنمسي و الصبي أخي معي، وأعلمت أخواتي بمقصدي وأمرتهن أن يلحقنني ومولاي "بدر" معهن.

هكمنت في موضع ناء عن القرية، فما كان إلا ساعة حتى أقبلت الخيل فأحاطت بالدار فلم تجد لي أثراً، ومضيت ولحقني بدر، فأتيت رجلاً من معارفي بشط الفرات فأمرت أن يبتاع لي دواباً وما يصلح لي للسفر، فدل أحد عبده السوء علي فما راعنا إلا جلبة الخيل، فسبقناها إلى الفرات، ورمينا بأنفسنا إلى النهر.



السباحة والمأساة

ووصلت الخيل إلى الشاطئ الآخر، وكنت أحسن السباحة، ولما قطعنا نصف الفرات تعب أخي واندھش. فالتفتُ إليه لأقوي همته وهم يمدعون بالآمان، فلم يسمعي وخشي الفرق، واغتر بأقوالهم. فأسرع نحوهم، وهم بعضهم أن يتجرد ليسبح ويلحقني فمنعه أصحابه، فتركوني، ثم قدموا الصبي أخي وقتلوه مع أنهم كانوا قد أعطوه الآمان. ومضوا براسه، وأنا انظر إليهم وهو ابن ثلاث عشرة سنة.

إلى المغرب

فاحتملت عليه ثقلًا، وملاني الحزن وملاني مخافة، ومضيت على وجهي أحسب أنني طائر لا على قدمي. فلبجات إلى غيضة كثيرة الشجر، فاخترت فيها حتى خف الطلب ثم خرجت أطلب المغرب. ولما استقر به المقام هناك أرسل يطلب أولاده وأمواله فأرسلوا إليه وتحسنت أحواله. ومعه مولاة بدر وابنه سليمان.





ملاحقة عبد الرحمن بن معاوية

واشتد الطلب على عبد الرحمن بن معاوية، فهرب إلى ليبية إلى قبيلة "زناة" واختفى عند رجل يدعى "أبي قرّة البربري" في برقة، واقتنع بأن المكوث غير مقبول في إفريقية وأراد أن يختبر الأندلس فأرسل موله "بدرًا" إليها، ليتصل بأنصاره ومؤيديه فالتقى بدر برجلين أحدهما أبو عثمان عبيد الله بن عثمان، والثاني عبد الله بن خالد فأطلعهما على رغبة حفيد الخليفة هشام بن عبد الملك، وأنه موجود في إفريقية وأنه يريد التأييد لطلب الحكم فوافقاه على ذلك وبدأ يجمعان المؤيدين الذين كانوا في زيادة مستمرة، وظهر أمر عبد الرحمن في جنوب الأندلس كدبيب النار في الجمر، وانتشر خبره. عاد بدر إلى سيده عبد الرحمن وأخبره بما رأى وجرى هناك.

في هذه السنوات كان عبد الرحمن بن حبيب الفهري قد فر من الأندلس إلى المغرب واستطاع أن يخضعه ويظهر على إفريقية، ولم يكن قد أعطى العهد للعباسيين ولم يبايعهم بعد، إذ ما يزال على عهده السابق، لذلك التجأ الأمويون إلى إفريقية وبخاصة في العاصمة "القيروان"، وكثر عددهم مما أدى إلى خشية الفهري منهم بأن يطلب أحدهم -وهم أبناء الخلفاء- الأمر لنفسه، لذلك لاحقهم وقتل ابنين للوليد بن يزيد بن عبد الملك وضيق على الباقين، وصادر أموالهم، وقتل معظم من وجدهم.

عبد الرحمن الفهري يتتبع الأمويين في إفريقيا



عبد الرحمن الداخل يسير في شمال إفريقيا متحقيقاً

وكانت السلطة في الأندلس بيد رجلين: يوسف بن عبد الرحمن بن عقبة بن نافع الفهري الوالي الرسمي، بينما الحكم الفعلي والإدارة المسيّرة بيد الرجل الثاني الصّميل بن حاتم وبينهما شيء من الخلاف الذي يبدو ويستتر أحياناً.

الوضع في الأندلس

رأي الصميل

أما الصميل فقد رأى أن الوضع خطير على الأندلس ففي الشمال يتربص به عدوه "الفوتسو"، وظهر في الجنوب الأمويون، فاستقر رأيه على أن يحالف يوسف الفهري وجاء إلى قرطبة، وصلت إلى "يوسف والصميل" أخبار عبد الرحمن وحرركته، فقال الصميل: دعنا نذهب إليه الآن، فإما قتلناه وأما شردناه قبل أن يستفحل الأمر - وكان هذا الرأي سديداً - إلا أن يوسف الفهري لم يرض محتجاً بقلة الجند وانفضاض الناس عنه، فقال له: نذهب إلى طليطلة ويستريح الجند ونجهزه ثم نقاقله.

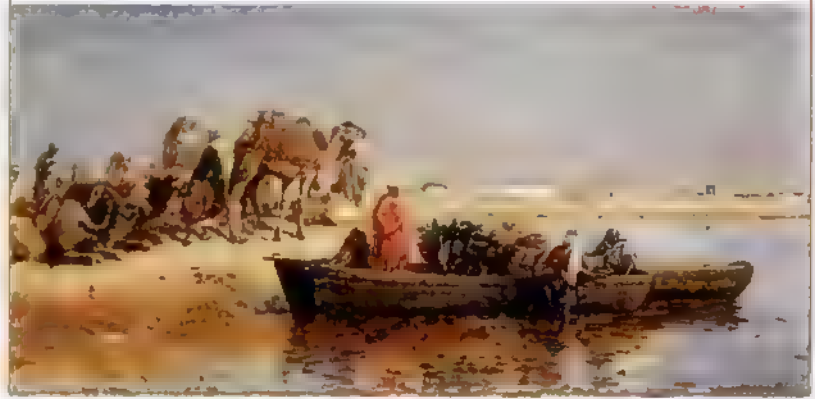
تحرك عبد الرحمن الداخل

اتجه عبد الرحمن بن معاوية مع ٦٠٠ ستمائة رجل من أنصاره نحو "رية" و"شدونة" و"مارقه" وكلهم يلاطفونه أو يؤيدونه، وكان الصميل والفهري راجعين من "سرقسطة" فورد إليهما شأن عبد الرحمن، فعرض الصميل عرضاً قبله يوسف الفهري وذلك: أن يرسل الهدايا له وأن يلاطفه ثم يغريه بالخال والأراضي ليترك طلب الولاية، فقبل الهدايا ولكنه لم يقبل العرض الذي قدمه فبقي الأمر معلقاً، ثم تحرك نحو إشبيلية وانضم إليه واليها "أبو الصباح" وكان يمانياً، وبذلك استقر له الوضع في الجنوب فبدأ يفكر بالهجوم على قرطبة.

ولما ظهر أمر عبد الرحمن بن معاوية عياناً أرسل إليه مؤيدوه أن: اقدم إلينا، عبر رسولهم المضيق على سفينة، وكان عبد الرحمن ينتظر كل يوم هذه السفينة، ولما جاءه الرسول يوماً وجده يصلي ويدعو الله أن ييسر له الأمر ولما فرغ من صلاته ابتسم وقال: من الرجل؟ قال أنا رسول أنصارك، أنا أبو غالب تمام، تفاعل عبد الرحمن خيراً وقال: تم الأمر وغلبنا إن شاء الله تعالى. ومن بعد جعله حاجباً عنده إلى أن مات، ترك عبد الرحمن إفريقية في عام ١٣٨هـ وارتحل إلى الأندلس، فوصل إلى "البيرة" واجتمع إليه أنصاره ومؤيدوه، فبدأ ينظم أموره ويستعد لملاقاة معارضيه.

الرحيل إلى الأندلس

الداخل يستعد للرحيل إلى الأندلس

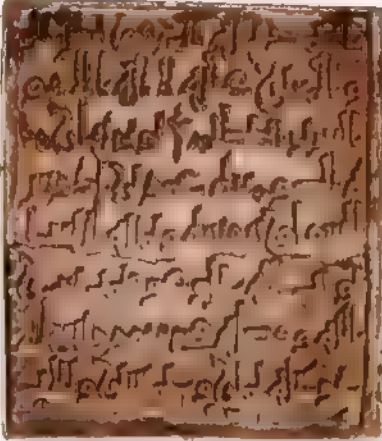


في هذه الأثناء كان يوسف الفهري والي الأندلس والصميل في الشمال، وحدث أن عامراً البيري وابنه قد ثارا على الوالي يوسف الذي أعطاهما الأمان إن استسلما، فعلا ذلك وسكنت الثورة، لكن يوسف غدر بهما وأمر بقتلهما مما جعل الناس يستأفون، ويفضون منه، ثم هطلت الأمطار بغزارة على مكان وجود الجيش حتى ما استطاع الجيش أن يحمي نفسه لهذين السبيين: غدر يوسف وهطول الأمطار فانفض عنه كثير من جنده.

بليلة في الأندلس

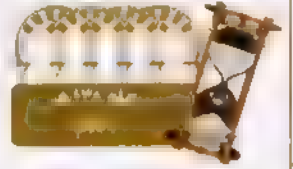
كذلك تحرك يوسف والصميل من قرطبة لصدّه قبل الوصول إليها، فاجتمع الجيشان يفصل بينهما نهر، رأى عبد الرحمن أن يباغت العاصمة ويلتف عليها، فتحرك دون أن يشعر الخصم، لكن الخصم قد عرف خطته، وأسرع كلاهما نحو العاصمة: هذا للدخول، وذاك لمنع من الدخول، فوقف الجيشان في قرية تدعى "المصارّة" وخيم عبد الرحمن على مشارف قرية تدعى "طرش".

مواجهة
الداخل
والفهرى



لوحة حجرية محفورة في منارة أحد المساجد

في التاسع من ذي الحجة -يوم عرفة- عام ١٣٨هـ حدثت المعركة الفاصلة بين العسكرين، جيش قليل العدد والعدة ليس عنده ما يأكله إلا الفول الأخضر، وجيش كثير العدد والعدد، تصل إليه الإمدادات ويزيد الطعام عندهم، وقد همس في جند عبد الرحمن من همس بأن عبد الرحمن يركب فرساً ويستطيع بفرسه أن يبتعد عن جو المعركة إن حدث هجوم الخصم "جند يوسف والصميل" ويترك الناس ليلاقوا مصيرهم للذبح والقتل والأسر، ولما تم إليه الخبر، جاء إلى أبي الصباح يقول له:



المعركة
الفاصلة
(المصارّة)

فرسي هذا يمنعني من الحركة والمناورة، فلا أقدر على ما أريد من الرمي من قوسي، لذلك قررت أن تبديل فرسي ببغلتك، ففعل هذا على حياء واطمأن الجيش إلى الداخل، ولما طلع فجر العاشر من ذي الحجة باغت عبد الرحمن خصومه صباح العيد عند قرية "المصارّة" وهم يظنون أنه يريد التفاوض وأعمل فيهم القتل وفر يوسف هارباً ونجا بنفسه، وفر جمع غصير منهم إلا أن عبد الرحمن رأى ألا يلحق القوم قاتلاً: لا تستاصلوا أعداء ترجون صداقتهم غداً، واستبقوهم لأشدّ عداوة منهم ليوم يكونون فيه معكم (يقصد القوط ومنطقة الصخرة).

وانتهت معركة "المصارّة"، واجتمع القادة اليمانيون مع بعض، فعرض عليهم "أبو الصباح" أن يقتلوا عبد الرحمن ويتخلصوا منه، ويستلموا حكم الأندلس، فرفض الباقون هذا الأمر، وبلغ عبد الرحمن كلام أبي الصباح فلم يفعل شيئاً، وإنما عرف خطورة الرجل وحقيقته، فأكمل المسير حتى وصل قرطبة فلم يدخلها، وأرسل إلى أهلها:

دخول قرطبة
ولقب الداخل

من كان يريد الخروج فليخرج آمناً ولو كان من أبناء الفهري أو أقارب الصميل وليأخذ من يشاء أمواله إن شاء، فإننا ما جئنا لنقتل أحداً أو نسلب مال أحد.

ولقب عبد الرحمن منذ ذلك التاريخ بالداخل، لأنه أول من دخل الأندلس حاكماً من الأمويين، وتمت سيطرته على قرطبة، وسار إلى الجامع وخطب خطبة الجمعة ووعد الناس بإجراء العدل.



باب المسجد الكبير في قرطبة

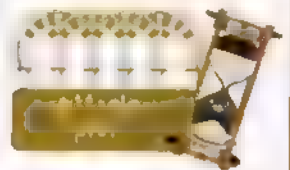
الفهري يحتل قرطبة بمفاجأة



هرب الوالي السابق إلى "طليطلة"، كما فر الصميل إلى "جيان" وصارا يجمعان القوات للهجوم على قرطبة وإخراج عبد الرحمن منها. وتوجه الداخل منها إلى ملاقاته الجيش القادم خارج قرطبة، إلا أن يوسف الفهري أرسل ابنه "أبا زيد بن يوسف" بقوة التفتت على قرطبة ودخلتها وأسرت "أبا عثمان" والي الداخل، فماذا فعل عبد الرحمن؟

أكمل تقدمه وكان شيئاً لم يكن حتى وصل إلى "البيرة" وكان جيشه كبيراً، ورأى الصميل ويوسف أن يفاوضاه، فأقروا الصلح على أن يدخلوا قرطبة جميعاً، ويقرراً بسلطة الداخل الذي اشترط أن يبقى ولدا يوسف: "أبو الأسود وعبد الرحمن" رهينة عنده، وأن يكرم الصميل ويوسف على أن يمر كل يوم يسلمان عليه.

وبهذا الصلح الذي تم عام ١٤٠هـ بدأت الدولة الأموية في الأندلس وإن كان قد سقطت في المشرق الإسلامي، وانتشر هذا الخبر مما جعل الأمويين يتجمعون مرة أخرى في الأندلس واستقر الوضع العام لهم.



الداخل يتولى السلطة

وتطورت الأحداث في الأندلس عام ١٤١هـ. فقد وصل إلى الأندلس المشتتون من الأمويين، وقد وصل من بينهم رجل كبير ذو شأن هو "عبد الملك بن عمر المرواني" ومعه عشرة من كبار الأمويين. عزل عبد الرحمن الداخل "أبا الصباح اليحصبي" حليفه السابق من إشبيلية وكان قد سمع مقالته بعد الانتصار على قوات الفهري والصميل. وولى عبد الملك بن عمر على إشبيلية كما ولى ابنه عمر أيضاً على "مورو" فأصبح بذلك معظم ولاية الأقاليم من بني أمية.



قطع الخطبة للعباسيين:

لاحظ عبد الملك المرواني والي إشبيلية جرياً على عادة العصر في ذلك الزمان أن خطباء الجمعة يدعون في آخر الخطب لأبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، أو لأي خليفة يعاصرونهم، فأشار على عبد الرحمن الداخل أن يقطع هذا الدعاء، فأجابه: لا أريد ذلك حتى لا استفز العباسيين علينا، قال: لا، اقطع ذلك الدعاء، وما زال به حتى أمر الداخل بقطع الخطبة للعباسيين وذلك بعد مرور عشرة أشهر على توليه إمارة الأندلس -ومع ذلك لم يطلب لنفسه الخلافة، ولا ادعى أنه خليفة .



صورة تمثل اجتماع المسلمين لصلاة الجمعة في الأندلس



ومن أحداث ١٤١هـ: أن يوسف بن عبد الرحمن المهري والي الأندلس السابق قد فر من قرطبة واختفى فسأل عنه الداخل الصميل بن حاتم قائلاً: أين ذهب يوسف؟ قال الصميل: لا أعلم، فقال له عبد الرحمن: والله ما كان ليخرج إلا بعلمك، فغضب الصميل وأغلظ له القول: والله لو أنه تحت قدمي ما رفعتها لك فافعل ما شئت، فرأى خطورة الوضع منه، فأمر بسجن الصميل وولدي يوسف "أبي الأسود محمد بن يوسف، وعبد الرحمن بن يوسف" وظهر يوسف في عاصمة الغرب "ماردة" يجمع الجموع من بعد ذلك.

تمكن أنصار الصميل ويوسف من أن يدبروا مكيده فدخلوا إلى السجن وأخرجوا من فيه، فأما الصميل أخذته الأنفة فرفض أن يخرج من السجن هارباً، وأما عبد الرحمن بن يوسف فلم يستطع أن يتابع لسمنه فقبض عليه ولم يهرب إلا أبو الأسود محمد بن يوسف.

ظهر يوسف بن عبد الرحمن المهري في "ماردة" واستطاع أن يجمع عشرين ألف مقاتل، فشرع عبد الرحمن الداخل بخطر هذا التجمع فأتجه إلى إشبيلية والتقى بعبد الملك بن عمر المرواني وقررا أن يجمعا الجند ويحشدها لإرساله واخضاع هذا التمرد الثالث للوالي السابق يوسف بن عبد الرحمن المهري.

يوسف في
ماردة

ولى عبد الملك ابنه أمية على جيش أرسله على عجل ليتابع فيما بعد هو على رأس جيش كبير، فلما تقدم هذا الجيش نحو "ماردة"، ووصلت الأخبار عن ماردة وقوتها وعدد جيشها، هرب قائد الجيش أمية قبل أن يلتقي بأحد، وقبل أن تكون هناك

أمية بن عبد
الملك يضر

بواذر معركة، ورجع إلى إشبيلية ففاجأ والده عبد الملك بعودته فقال له والده: ما حملك على أن استخففت بي، وجرأت العدو علينا؟ فإن كنت قد قررت من الموت فقد جئت إليه. وأمر بقتل ابنه، وهنا حسم الأمر تماماً، ثم جمع بني أمية وخطب فيهم:



خزان (صهريج) باسم عبد الملك، من الرخام بشكل مزخرف منحوت

عبد الملك
يقود الجيش

«طردها من الشرق إلى أقصى هذا الصقع. ونحسد على لقمة تبقى الرمي، فأكسروا جفون السيوف، فالوت أولى أو الظفر، فحسم بقتل ابنه وخطبته في بنى أمية كل الظنون والشكوك حول قضيتهم. ثم قاد عبد الملك بنفسه الجيش، ولحقه عبد الرحمن الداخل بقوة تدعّمه، وجرت عند ماردة معركة مدمرة، طاحنة قضت على معظم الجيشين: جيش يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وجيش عبد الملك المرواني إذ قتل منهما ٣٠ ألفاً، وأبلى عبد الملك في هذه المعركة بلاء منقطع النظير، وتمّ له النصر ولكن كان من نتيجة المعركة أن سقط هو قتيلاً. يروى أنه في بلائه أثناء القتال لم يكن يرى من أثر الدماء وسيلانها عليه، ولما سقط ميتاً كانت يده ملتفة على مقبض السيف، وما استطاعوا أن ينتزعوا السيف من يده، ولما قدم الداخل وراه بكى وذكره بحير، وزوج ابنه هشاماً من ابنة عبد الملك، وقرب أبناءه وجعل منهم الوزراء وأكرمهم إكراماً جميلاً لمكانة عبد الملك بن عمر المرواني في نفسه.

مقتل الفهري

وفر يوسف الفهري تحدّثه نفسه أن يجمع القوات ليثور للمرة الرابعة نحو طليطلة، فلما اقترب منها رآه رجل يدعى عبد الله بن عمر الأنصاري، وقال في نفسه: هذا الفهري قتلته الراحة له والراحة منه، وتبعه فلاحقه على مسافة أربعة أميال من طليطلة وقتله، وأرسل رأسه إلى الداخل، فأعلن هذا مقتله على الناس، وظن أن الاضطرابات قد هدأت، لكنه أمر بقتل الصميل بن حاتم، وتتبع أنصاره وأنصار يوسف الفهري، فصمّى رجال الحكم السابق الدين ما تركوه على حاله إذ دخل الداخل إلى الأندلس بنص سموحة متسامحة، ولكن هؤلاء ما تركوه.

العلاء بن المغيث اليحصبي يدعو للعباسيين

ووقعت حادثة كانت من أخطر الحوادث التي مرت على عبد الرحمن الداخل في عام ١٤٦هـ، إذ عبر داع من دعاة العباسيين شمال إفريقية ودخل الأندلس، وهو داعية يسمى: "العلاء بن المغيث اليحصبي"، أرسله الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور للسيطرة على الأندلس وجعلها تابعة للخلافة العباسية، فنزل العلاء "باجة" واجتمع الناس حوله حين أعلن أنه ينبغي أن يكون خليفة واحد للمسلمين، والآن فالخلافة بيد العباسيين فهم أولى بالاتباع من غيرهم (فنقل الصراع إلى الأندلس بين العباسيين والأمويين)، فاجتمع حوله: أعداء عبد الرحمن الداخل، رجال الحكم السابق، البربر، وأنصار العباسيين، وهما منهم جيشاً دخل إلى "شدونة" واستقبله أهلها وواليتها، ثم استمر للوصول إلى عاصمة المنطقة "إشبيلية".



العلاء يسيطر على إشبيلية

أرسل الداخل جيشاً بقيادة مولاه "بدر" فتمكن من إعادة السيطرة على "شدونة" إلا أن العلاء وجيشه تمكنوا من دخول "إشبيلية" العاصمة واستولوا عليها، وهرب جيش الداخل وهو يقوده إلى مدينة "قرمونة" يتحصن بها، وبقي حاكم الأندلس وجيشه محاصراً من قبل العلاء وقوته في تلك المدينة مدة شهرين، لكن عبد الرحمن الداخل فاجأ العلاء وجنده إذ فتح الأبواب وهجم مباغتة بـ ٧٠٠ رجل فقط حيث دب الرعب في صفوف الثوار وجرى القتل بينهم، وفر العلاء واستطاع أحد اشخاص الداخل من اللحاق به وقتله. كما قتلوا من أنصاره سبعة آلاف رجل، قطع عبد الرحمن الداخل رأس العلاء وعلق على أذنه رسالة مسجلة إلى أبي جعفر المنصور، حيث وضع الرأس في صندوق، كما جمع رؤوس بعض قادة أنصار العباسيين في صناديق تحمل داخلها رسائل مسجلة معبرة، معلقة في اذان القتلى إلى مكة إذ كان أبو جعفر المنصور يحج ذاك العام.



منارة أندلسية
في إشبيلية
مازالت تداقبة
على حالها
حتى اليوم

إنهاء الثورة

وضعت الصناديق في أماكن متفرقة من أنحاء مكة، أما الصندوق الذي فيه رأس العلاء فقد وضع قرب خيمة أبي جعفر المنصور ليلاً بعملية تسلل غريبة جداً، ولما استيقظ المنصور وجد الصندوق، وفتحه فإدا فيه ما رأى فقال: عرّصنا هذا البائس (العلاء) لحقته، ما هذا (عبد الرحمن الداخل) إلا شيطان، وما في هذا الشيطان من مطمع !! والحمد لله الذي جعل بيننا وبينه البحر.

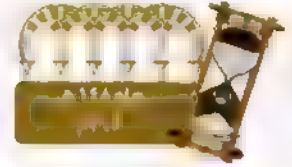
يكاد المرء يشعر بخوف العباسيين وخليفتهم أبي جعفر المنصور من الداخل من تلك المقولة التي سبقت. ولم تهدأ الأمور، وما سكنت الحوادث في الأندلس بالرغم من إخضاع الداخل أعظم ثورة قامت عليه، ثورة العباسيين بقيادة العلاء بن مغيث اليحصبي.

هشام بن عذرة الفهري



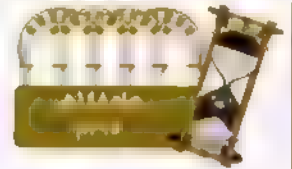
قام بالثورة عام ١٤٧هـ رجل آخر هو هشام بن عذرة الفهري في طليطلة وكان الداخل قد تعلم الدرس تلو الدرس من التجارب الماضية، وأخذ العبرة من الثورات السابقة، لذلك لم يمهّل هذه الثورة الجديدة وانطلق فوراً وقاد جيشه وفاجأ هاشماً والثوار بهجوم سريع مباغت، وحاصروهم في طليطلة وشدد عليهم، فطالبوه بالصلح فأعطاهم مقابل أن يعطوه ابن هاشم رهينة لديه، غير أن هاشماً نقض الصلح بمجرد مغادرة عبد الرحمن طليطلة مما أثار عليه غضبه فقتل ابنه وكرّ عليه، وحاصره مرة أخرى في طليطلة، لكن الداخل فك الحصار عنه لنشوب ثورات عديدة في الأندلس، كلف مولاه بديراً بمهمة القضاء على هاشم الفهري ومقاتلته، فقام مولاه بالمهمة خير قيام، ونجح في إخضاع طليطلة، وأن يخضع هاشماً ويقتله كما قتل عدداً من قواد الثورة والثائرين.

سعيد اليحصبي



كما ثار في مدينة "نبلة" عام ١٤٤٨هـ سعيد اليحصبي المطري، واستطاع أن يسيطر على مدينة "إشبيلية" عاصمة جنوب الأندلس، وذلك في شهر ربيع الأول في العام نفسه.

غياث اللخمي



كما ثار في نفس الفترة غياث اللخمي في مدينة "شدونة" وأعلن تأييد المطري. فاستمحل أمر سعيد واستمرت ثورته إلى سنة ١٤٤٩هـ، عند ذلك أرسل عبد الرحمن مولاه "بدراً" فحاصره في "إشبيلية"، ثم أوقف جيشاً بنفسه ليساند بدراً واستطاع أن يقتل سعيداً المطري، ولكن الثورة لم تخمد إذ ترأس الثوار "خليفة بن مروان". مل أهل "إشبيلية" من الثورة والثائرين مما جعلهم يرسلون الداخل يطلبون منه الصلح والأمان. فاعطاهم عبد الرحمن ورضي منهم ذلك على أن يسلموه رأس الثائرين خليفة، فقبلوا الشرط وسلموه خليفة، فقتله الداخل وانطلقت ثورته، إنه شيء مذهش وأمر عجيب أن يستطيع عبد الرحمن الداخل الذي دخل الأندلس وحيداً، ثم استطاع بقله من أتباعه من جند الشام أن يحكم الأندلس، وأن يخمد ثورة تلو أخرى!

عبد الله الأسدي



وثار عليه في نفس العام ١٤٤٩ هـ عبد الله الأسدي، واستطاع الداخل إخضاعه.

أبو الصباح اليحصبي



وخرج عليه حليفه السابق "أبو الصباح اليحصبي" أيام دخل عبد الرحمن الأندلس وكان حاكم إشبيلية، إلا أنه كان قد أسر بقتله لكن أصحابه لم يرضوا بذلك، وقد وصل هذا الأمر عبد الرحمن فأسره في نفسه، ثم ولده إشبيلية ثم عزله كما مر، فثار عليه أبو الصباح لهذا السبب -سبب عزله- وكان ذكياً شجاعاً قوياً وله أنصار كثير. استماله عبد الرحمن حتى جاءه في قرطبة، وانفرد به الداخل فقتله.

غياث الأسدي



خرج عليه ثائراً غياث الأسدي بعد مقتل أبي الصباح. وتزعّم اليمانية في إشبيلية فأرسل إليه الداخل جنوداً هزموه في إشبيلية وقتلوه فانطفت ثورته.

كان عبد الرحمن الداخل قد دخل الأندلس بنفسه تحب الصفح والمسامحة. يريد أن يجمع القلوب ويوحد الصفوف. كما بدا في تعامله مع الثائرين عليه والخصوم الدائمين مرات عديدة. لكن العنصر العربي في الأندلس قد قام بثورات عديدة، وأثار عليه الخصوم وجعل الاضطرابات. كل ذلك جعل الداخل يغير معاملته مع الناس فقتل وأسر، وأبقى رهائن عنده.

هماذا لقي من العرب؟ صراع دائم وثورات هائجة، واضطراب مستمر للحصول على الملك والسلطة ووضع العرب في العصر الحالي لا يختلف كثيراً عن ذلك الوضع وما أشبه اليوم بالأمس.)

لذلك قرر إجراء تغيير كبير في الحيش، فجعل معظم العناصر فيه من مسلمي البربر ومن الصقالبة، وهذه كلمة تطلق على كل من أسلم من الروم ومن الأوربيين. وكان هذا الأمر وذاك التغيير لم يفعل شيئاً.

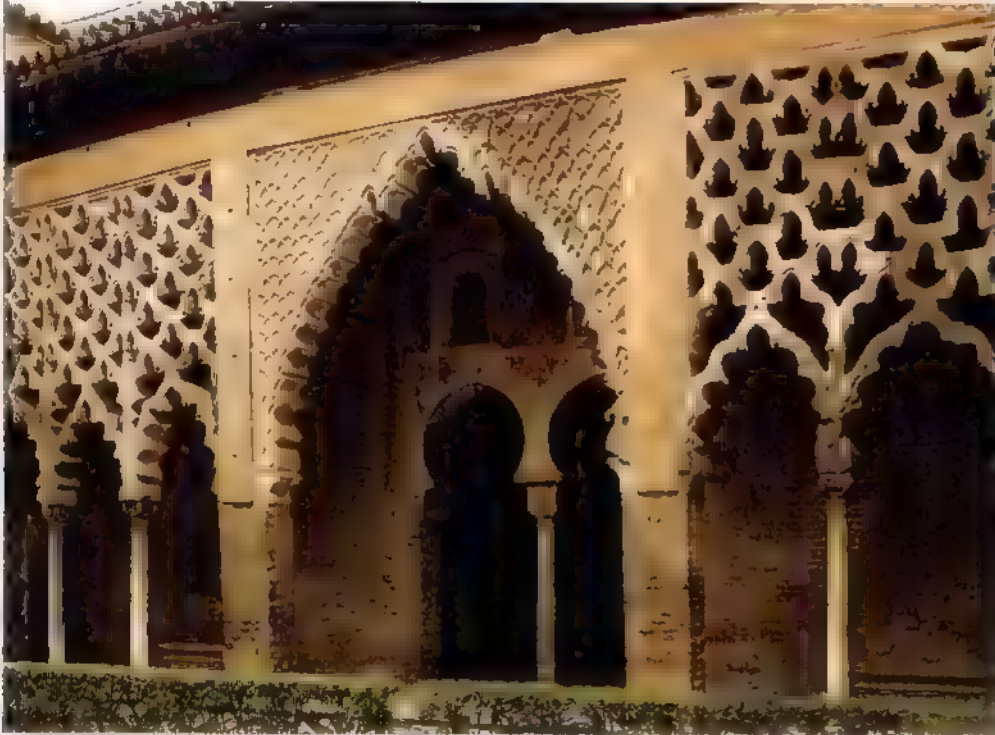
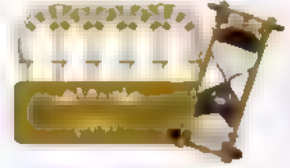


عمرو بن طالون

عبد الغافر اليحصبي

حيوة الحضرمي

فثار عليه "حيوة الحضرمي" في إشبيلية، وخرج عليه «عبد الغافر اليحصبي» في مدينة «نبلة» كما انتقض عليه «عمرو بن طالون» في مدينة «باجة»، لكن هؤلاء جميعاً طالبوا عبد الرحمن الداخل الصلح والأمان إذ جاءهم بالجنود مهاجماً. فتركهم وأعطاهم مما يكفل ألا يعودوا إلى الثورات، وذلك عند شعورهم بالضعف عن مواجهته.



أحد القصور
في إشبيلية

فرويلة بن الفونسو الاول

استغل الفرنج هذه الصّرة الحرجة التي مرت من عصر عبد الرحمن الداخل، وانتفع "فرويلة" الذي ورث عن والده "الفونسو الأول" بما كان من أحداث داخلية، واضطرابات متواصلة في الأندلس والشمال، فاستولى على عدد من المناطق المجاورة لمنطقة الصخرة "منطقة ليون"، إلا أن الداخل أرسل إليه من يحاربه، وجرت الحرب سجّالاً بينه وبين "فرويلة" ثم أرسل عبد الرحمن مولاه "بدراً" فأوقف تمده فترة من الزمن، بعد أن وصل إلى "ألبه".



وكل هذه الأحداث قد جرت في الأندلس وتعتبر من الاضطرابات التي شغلت عبد الرحمن الداخل عام ١٥٠ هـ.

سقنة بن عبد الواحد



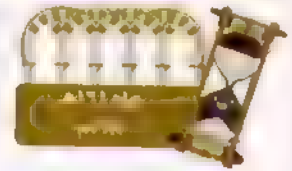
ونشبت ثورة من إحدى الثورات الخطرة التي واجهت عبد الرحمن الداخل في عام ١٥٠هـ، وذلك أن رجلاً من البربر يدعى "سقنة بن عبد الواحد" قام يدعو إلى شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام، فادعى أنه من نسل الحسين بن علي رضي الله عنهما. صدقته حشود كبيرة من البربر، وكانت ثورته في الجنوب الغربي من جزيرة الأندلس في منطقة "سنتا مارية"، فسار الداخل ليخمد ثورته في نفس العام، ولما اقترب من المناطق التي كانت تحت ثورة "ابن عبد الواحد" هز الأخير إلى الجبال الوعرة معتصماً بها، وتفرقت جماعته أيضاً في عدة مناطق منها، وما استطاع الداخل أن يتابعه في تلك الأماكن الجبلية الوعرة، فكلف رجلاً من نسل عثمان بن عفان رضي الله عنه لمتابعة هذه الفئة وهو "سليمان بن عثمان بن مروان بن أبان بن عثمان"، وعاد هو إلى عاصمة ملكه، واستمرت ثورته حتى عام ١٦٠ هـ.



عبد الرحمن الصقلي



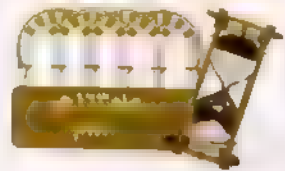
وهي عام ١٦١ هـ دخل الأندلس من الشمال الإفريقي رجل من العرب اسمه: عبد الرحمن بن حبيب الفهري وعرف بالصقلي، ولم يكن من الصقالبة ولا صلة له معهم لكنه سمي بذلك لشبهه بهم فهو طويل، ذو عينين زرقاوين وشعر أشقر يشبه الأوروبيين، فقام سنة ١٦٢ هـ يدعو للعباسيين مرة أخرى مدعياً أن بلاد المسلمين تحكمها الخلافة العباسية، وأن عبد الرحمن قد اقتطع الأندلس عن العالم الإسلامي والخلافة وعليه وعلى المسلمين في الأندلس مقاومته، وإعادته إلى سلطة الخلافة، فراسل والي "برشلونة" سليمان بن يقظان الأعرابي الذي رفض أن يؤيده، وبدلاً من أن يتجه الصقلي تجاه عبد الرحمن الداخل بقواته، فإنه قرر أن يحارب سليمان بن يقظان الأعرابي، ودارت الدائرة عليه وعلى أتباعه، مما أضعف شأنه، فاستغل ذلك الداخل فقضى على ما بقي من قواته واحرق سفنه مما جعله يفر إلى الجبال، فأعلن عبد الرحمن جائزة ألف دينار لمن يأتي برأسه فقتله أحد رجاله من البربر من أجل الدنانير، وما أكثر من يبيع رجلاً بمبلغ زهيد في الدنيا بل هناك من يبيع جيشاً كاملاً



سليمان الأعرابي



زها سليمان بن يقظان الأعرابي بانتصاره على عبد الرحمن الصقلي فأعلن الثورة على الداخل وهاجم عاصمة الشمال "سرقسطة" وتمكن منها هو وجماعته.





ثار في مدينة طليطلة
"القائد السلمي" لكن
ثورته أخمدت وهزمه
الداخل.

الداخل ينهي ثورة، القائد السلمي

عبد السلام بن يزيد بن هشام الأموي

ولأول مرة حدثت الفتنة بين الأمويين في
الأندلس، فقد ثار عبد السلام بن يزيد بن هشام،
وثار معه يعاونه عبيد الله بن أبيان بن معاوية بن
هشام، والذي حرضهما أبو عثمان "عبيد الله بن



عثمان" الذي كان قد دعم عبد الرحمن حين نزوله إلى الأندلس، وأيدهما بعض
الأمويين «ولا تنازعوا فتفشلوا» (الأندلس ٤٦). فاستطاع الداخل إخماد هذه
الثورة أيضاً، وقتل الأمويين "عبد السلام وعبيد الله" لكنه لم يقتل أبو عثمان
وقال له: لقد تركتك لفضلك علي وعلى الأمويين، ثم قال عنه: هذا أبو مسلم
هذه الدولة في المغرب الإسلامي. يشبهه بأبي مسلم الخراساني الذي كانت له
اليدين الطويلتين في نجاح الدولة العباسية، ولكنه خاضعها وعادها فيما بعد،
فقتله أبو جعفر المنصور في المشرق الإسلامي.

إبراهيم البرلسي

دمية الغساني

العباس البربري

كما أعلن العصيان "إبراهيم
البرلسي" فهزمه مولى عبد الرحمن
"بدر"، كما تمرد "دمية الغساني" في
"البيرة" وأخضعه القائد "شهيد بن
عيسى"، وثار من بعده "العباسي
البربري" فأخمدت ثورته أيضاً.



خيانة سليمان الاعرابي

وخاف سليمان من الداخل فأحدث خيانة ما حدثت من قبل بين المسلمين، وهي أول حادثة يسجلها التاريخ، والله أعلم، أن يتصل مسلم بملك من الكفار يطلب إليه أن يعينه حتى يتفرد بحكم الأندلس، هذا الملك الذي اتصل به هو "شارلمان" إمبراطور "الكارولنجية" القبائل الأوربية التي سكنت ألمانيا في ذلك العصر، ويعرض له مقابل ذلك أن يسلمه منطقة الشمال كلها وعاصمتها سرقسطة أيضاً ليضمها إلى إمبراطوريته المترامية الأطراف.

حدث غريب وأمر مشين جداً «وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل»
(الأنفال ٧١)

كل الخيانات في من خان خالقه

لا بد أن تقر "الأنفال" تعتبر

ومن النفوس من تطمع بالامارة والدنيا
ولو على الإذلال والمهانات، وقد تكون
حريصة على حياة مهما كانت نوعية
تلك الحياة.

شارلمان "إمبراطور ألمانيا الكارولنجية" القبائل
الأوربية التي سكنت ألمانيا في ذلك العصر).



استطاع عبد الرحمن الداخل أن يخضع ثورة "البيرة" لكنه ما استطاع أن يخضع الثورة التي نشبت في عاصمة الشمال "سرقسطة" التي استقر فيها الثائر سليمان بن يقطان الاعرابي، كما ثار من يعاونه الحسين بن يحيى الأنصاري، فأرسل إليهما جيشاً كثيفاً يقوده ثعلبة بن عبيد، فقاتلتهما قتالاً شديداً وذلك في عام ١٦٤هـ، وفي بعض الأيام عاد ثعلبة إلى مخيمه، فاجتمع سليمان غرته وافترق أهل الجيش عنه، فخرج إليه وهبض عليه، وأخذه أسيراً، لذلك تفرق عسكره.

شارلمان يهاجم والعلماء يتحركون

فسار "شارلمان" نحو الجزيرة الأندلسية -يدفعه الطمع والعرض المعري الذي سبق- مخترقاً جبال البيرينيه "البرت"، ولما وصل إلى سرقسطة وجد أهلها قد تحصنوا بها وأغلقوا أبوابها ورفضوا أن يدخلها واحد من جيش شارلمان أو غيره، إذ يوجد بين المسلمين في كل زمان وفي كل مكان من علماء المسلمين من يحرك الناس ويثيرهم، ويوقظ همهم وينبههم إلى مثل هذه الجرائر التي ترتكب وإلى عظمها بحق الإسلام والمسلمين.

نهض العلماء في سرقسطة فعزلوا سليمان، وأيدوا الحسين بن يحيى الذي عارض حليفه، وقاد المقاومة الضارية ضد شارلمان الذي شدّد حصاره على هذه المدينة حصاراً كاد أن يهلك أهل سرقسطة.

السكسون يثورون على شارلمان

وإشياء الله تعالى أن تتحول الأمور لصالح المسلمين، بل ويغير وجه التاريخ، لقد ثار على شارلمان قبائل السكسون في شمال ألمانيا وفرنسة، فاضطر شارلمان أن يفك الحصار ويعود أدراجه خائباً، ولما كان يعبر جبال البيرينيه وممراتها الضيقة عائداً إلى بلاده هوجمت مؤخرة جيشه حيث كان فيها كبار ضباطه مع الغنائم والأسرى فأبيدت، ووقعت الوقعة بين الفرنجة أنفسهم.

شعر شارلمان نتيجة ذلك بضعف موقفه وتغيرت سياسته نحو الأندلس. وظهر كأنه يؤثر السياسة السلمية تجاهها فأرسل وقدأ على الداخل يدعو إلى معاهدة بينهما فقبل الداخل بذلك وجرت معاهدة بينه وبين الفرنجة.

واستغل القوط هذه القلاقل والاضطرابات العديدة، فاحتلوا الثلث من منطقة الشمال لكن عبد الرحمن استطاع أن يوقف تقدمهم كما مر.



جيش شارلمان في قتال مع قبائل السكسون

فریسا

البحر الأبيض المتوسط

منطقة نفوذ القوط في الأندلس
في عهد عبدالرحمن الداخل



وبعد رجوع شارلمان من حصار سرقسطة، عاد الأنصاري إلى ثورته، ولم ينضو تحت لواء الداخل ظناً أنه متمكن في هذه المنطقة، فأرسل الداخل جيشاً يقوده ثمامة بن علقمة وكلفه أن ينهي هذه الثورة، فاستطاع ثمامة أن يدخل سرقسطة ويقتل الأنصاري.

الأنصاري يثور



حادثة طريفة

حادثة طريفة: يذكرها المؤرخون قد وقعت بعد وصول عبد الرحمن الداخل إلى سرقسطة وبعد دخول قواته إليها، تدل على أخلاقية الداخل وصفاته وحسن سياسته، قالوا: لما فتح الداخل سرقسطة وحصل في يده ثاثرها الحسين الأنصاري، وشدخت رؤوس وجوهها بالعمد، وانتهى النصر إلى غاية أمله، أقبل خواص المدينة يهنئونه، وتسلس بينهم جندي لا يؤبه له، فهنا الداخل بصوت عالٍ وأسلوب فج يدل على قلة أدب هي مثل هذه المجالس، فقال عبد الرحمن: والله لولا أن هذا اليوم أسبغ علي فيه من نعمه من هو فوقني يقصد الله تعالى، فأوجب علي ذلك أن أمهل فيه من هو دوني لأصليتك ما تعرضت له من سوء النكال، من تكون حتى تأتي مهتنا رافعاً صوتك غير متجلجج بمكانة الإمارة حتى كأنك تخاطب أباك أو أخاك؟ وإن جهلك ليحملك العود لمثلها، وأخشى أن تكون لمثلها فلا تجد مثل هذا الشافع في مثل هذه العقوبة.

يريد أن الله قد من عليه بهذا النصر، وإنك أيها الرجل لست بمقام يدعوك لأن تخاطب بهذه اللهجة في مثل هذا الموقف، ولولا وجود النصر الذي يشفع لك لأصابتك مني عقوبة ولردعتك، وكأنني بك في موقف آخر لا يوجد مثله فينكل بك.

نبهونا إلى أنفسكم

لكن هذا الجندي قال قولة أعجبت الحاضرين، وأدهشت الداخل فقال: لعل فتوحات الأمير يقترب اتصالها باتصال ذنوبي وجهلي فتشفع لي، لا أعدمته الله تعالى، فأثار هذا الجواب نفسية الداخل وقال: ليس هذا باعتذار جاهل، وتهلل وجهه، ثم قال: نبهونا على أنفسكم إن لم تكن ننتبه إليها، فأمر برفع مكانة الرجل الجندي، وأعلى مرتبته، وزاد في عطائه.





ثار في قرطبة ابن أخيه عليه وهو المغيرة بن الوليد بن معاوية بن هشام يطلب الإمارة لنفسه ناكراً الجميل، ويجحد العرقان الذي أسداه إليه عمه بأن أقره في الأندلس بعد أن كان شريداً طريداً، يختفي من مكان إلى مكان وكأن الأرض قد ضاقت عليه، كحال بني أمية لما فقدت دولتهم.

وأرض الله واسعة ولكن إذا نزل القضاء ضاق الفضاء

فأواه في قرطبة، وغمره بالنعيم، واغدى عليه العطاء لكنه أنكر ذلك وثار يطلب رأس عمه ليتولى بدلاً منه وكان هذا منه لؤماً وغدراً كما قال الشاعر:

إذا انت أكرمت الكريم ملكته وإن انت أكرمت اللئيم تمردا

فقتله الداخل عام ١٦٧هـ، ثم أرسل أمواله إلى أبيه "أخيه الوليد" مع رسول يطلب إليه أيضاً مغادرة الأندلس، فجعل أخوه يعتذر عما بدر من ابنه، ويؤكد له إخلاصه هو إليه، وليس له أية صلة به وبثورته، فأبى الداخل إلا أن يخرج أخوه من الأندلس خشية أن يحركه دم الثار غداً، فيطلب دم ابنه، وأمام هذا الإصرار رحل أخوه إلى إفريقية.

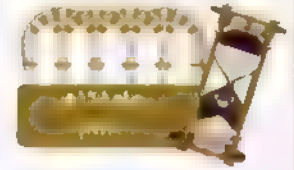
لم يعد يثق بأحد أو يطمئن إلى واحد ولو كان من أقرب الناس إليه لما رأى منهم جميعاً، وكأنه يتمثل قول امرئ القيس:

كذلك جدي ما أصاحب صاحباً من الناس إلا خانتني وتغيرا



عدد هائل من الأعمدة داخل مسجد قرطبة

ظهر ثائر ما من أحد يملك أن يثور أو يتخيل ذلك منه: هو أبو الأسود محمد بن يوسف الفهري
الوالي السابق للأندلس، بعد أن أمضى سبعاً وعشرين سنة في السجن من ١٤١ إلى ١٦٨ هـ إذ كان
رهينة كما مر في الصفحات السابقة.
كان هذا الرجل يفكر بالثورة، ويخطط طيلة مدة بقائه في السجن فكيف يثور سجين على الأمير؟
وكيف يقوم بعملية وهو وحده؟



حيلة عجيبة

عمد إلى حيلة عجيبة، نادرة في التاريخ،
تظاهر في سجنه بالعمى حتى اتقن دور
الاعمى وحركاته وتصرفاته في جميع
أحواله، كان الناس يمررون أيديهم أمام عينيه
فلا يحرك رمشاً، ولا يرى أثر انفعال أو
إحساس على ملامح وجهه، وكان من معاملة
السجناء في ذلك العصر أن يخرجهم
الحراس إلى نهر قريب من السجن في كل
مدة ليغتسلوا ويغسلوا ملابسهم، ويصلحوا
شؤونهم، وكان ذلك بمثابة "تنفس" إذ
يُخرجون من المهاجع والزنايات.
وكان أبو الأسود كفيده يؤخذ معهم بدليل من
رفاقه فابتعد يوماً ونادى رجلاً على الشاطئ
الآخر أن يأتي بمولاه هو في موعد محدد في
هذا المكان، وجاء مولاه في موعده الذي
ضرب له، فسبح أبو الأسود في غفلة عن
حراسه إلى الطرف الآخر، وفر مع مولاه على
حصان أعد له، قاصداً طليطلة، ولما علم أن
الوضع مستقر فيها، غير وجهته إلى
"قسطلونة" التي تبعد في شمال مدينة
"جيان" عشرين كيلومتراً.



إعلان الثورة

وأعلن ثورته، وأظهر عصيانه، فاحتشد حوله الآلاف من أهل الأندلس لمكانة أبيه يوسف الفهري الوالي السابق للأندلس قبل عبد الرحمن، واجتمع معه أيضاً أعداء الداخل، كما جاء إليه الطامعون في الحكم أو الراغبون في المال والعناثم، وغيرهم. حتى اجتمع حوله حشد كبير عد بعشرات الألوف، تتبع الداخل خطاه ولم يمهله فجاءه بجيش عظيم وجرت بينهما معركة قرب "قسطلونة" قتل فيها من أنصاره أربعة آلاف، وفر هو يريد أن يجمع الأنصار مرة أخرى فلم يفلح، وتمرق أنصاره وقتل منهم خلق كثير، والتجأ أخيراً إلى قرية قرب "قسطلونة" فلحقه الموت هناك.

ثورة القوط والبربر



واستغل القوط ثورته، وانتهزوا الاضطراب الذي أحدثه في هذه الفترة، فتمكنوا من مدينة جيليقية، وبسطوا سيطرتهم عليها، وهي في الشمال الغربي من الأندلس، ولكن الداخل أرسل عليهم والي طليطلة الذي تمكن من أن يوقفهم، ويقتلهم ويغنم منهم. وثار البربر أيضاً عليه في عام ١٧٠هـ لكن الداخل بسط قوته عليهم وأدلهم.

مصير بدر
صاحب الداخل

لذلك لم يعد بإمكان الداخل أن يثق بأحد من الناس قط، فهذا مولاه بدر يعد أن تعب من القتال، وكل من متابعة الثائرين وإخضاعهم، طلب الولاية في مكان ما من الأندلس، وطلب الراحة إذ تقدمت به السن أيضاً، فأبى ذلك عليه الداخل، فسأله المال ليخلد إلى عيش رغيد فأبى أن يعطيه شيئاً، بل نضاه إلى جزيرة من جزر الأندلس الجنوبية فمات هناك رفيق السفر والشقاء، ورفيق الحروب، وصديق البيت في الحل والترحال.

أين الروح القديمة؟ وأين العاطفة تجاه الأحبة؟ وأين مسامحة النفس، والخلق السمحة وأين العضو؟ لقد تغير عبد الرحمن لتغير الناس حتى من أبناء عشيرته وبني جلدته.



مسجد قرطبة الذي اكتمل بناؤه في عهد الخليفة المنصور

جامع قرطبة

(تحفة الفن

الأندلسي)

لا يكاد يظن المسلمون أرضاً حتى يبذلوا ببناء مسجد أو بيت لله يكون مركز نور وهداية وإعلاء لكلمة الله أينما حل فإذ تخرج أذان المهيم الديان. وحينما دخل المسلمون فاتحين إلى الأندلس أقاموا عدة مساجد كان من بينها جامع قرطبة الذي اختطه وحدد قبلته حنش الصنعاني رضي الله تعالى عنه -مهندس المساجد في الأندلس وكان موقعه في البداية كنيسة للنصارى تسمى (شنت بُنجنت) أي القديس منصور، فأخذ المسلمون تصفها وأبقوا لهم النصف الآخر وكان المسجد وقتها في منتهى البساطة.

ثم إن عبد الرحمن الداخل في عام ١٧٠هـ اشترى من النصارى النصف الآخر من كنيستهم بمائة ألف دينار وهدم البناء القديم للمسجد ورفع مكانه بناءً جديداً وصرف همته ليكون هذا المسجد الجديد الجامع في حاضرة ملكه قرطبة تحفة فريدة من حيث بهاؤه ودقة زخارفه وزواعة منظره، وفرش صحن المسجد بالأشجار وبلغ ما أنفق فيه ثمانين ألف دينار ذهبية .

ثم توالى اهتمام الخلفاء من بعده بمسجد قرطبة حتى كان عهد الحاجب المنصور فوسعه توسعة كبيرة وأولاه اهتماماً عظيماً حتى صار يسمى (جامع المنصور) .



كتاب أخبار مجمعة ويبدو من الكتابة الواضحة قصة

الفنوحات الإسلامية في الأندلس



مجسم تصويري لمسجد قرطبة الكبير

نتائج عهد الداخل



الدخول في الدواوين

● فصل الأندلس عن بقية الأرض الإسلامية، وأبعد الأندلس عن الخلافة الإسلامية.

● كثرت الثورات عليه والتهمت حوله تريد حرقه، أكثر من خمس وعشرين ثورة، فما أعطته الراحة النفسية للتمكين، فتغيرت معاملته حتى عن أقرب الناس إليه.

● ضاعت مناطق من جنوب فرنسا، وتمكن الفرنج من إزالة سلطة المسلمين عنها، كذلك ضاع أقصى الشمال الغربي، فتمردت "ليون القوط"، وذلك السبب الحتمي للنزاع بين المسلمين يقول الله تعالى: ﴿ويذيق بعضكم بأس

بعض﴾ (الأنعام:٦٥).

- أسس جيشاً دائماً تعداده ١٠٠ ألف مقاتل، وشكل من ٤٠ ألف مقاتل حرسه الخاص.
- دُون الدواوين، واستقرت السلطة المركزية بيده، واستجلب الأشجار لتزروع في الأندلس منها النخيل والرمان، وشكّل الأسطول البحري لحماية سواحل الأندلس.
- بنى مدينة قرطبة (سورها) وبنى مسجدها في عام ١٧٠هـ، وهو مسجد قرطبة الكبير، وجعل مدينة قرطبة تضاهي بغداد بالمباني العمرانية وبأسواقها، وبنى قصراً سماه قصر الرصافة يتتبع آثار جده هشام بن عبد الملك الذي بنى في الشام قصره المسمى برصافة هشام.
- دُون الدواوين ورتب شؤون الدولة إذ قسم الأندلس إلى مناطق إدارية، وضبط الأمن فيها. وكان يتمم أحوال الرعية، ولما خشي من الاغتيال أرسل غيره ليقوم بهذا الأمر ويبلغه عن كل كبيرة وصغيرة عن أحوال الناس، وكان كريماً سخياً يحفظ كرامة الناس، فقد أعلن ألا يطلب منه أحد حاجته على ملأ من الناس، بل إنه يرسل إليه كتابة فيلبسها له دون إبطاء، شاعر جيد الشعر، أديب، شجع الشعراء واغدى عليهم العطاء.

من الوالي بعد
الداخل؟

ولما شعر بدنو أجله احتار فيمن يولي بعده:
أيولي ابنه البكر سليمان من زوجته الشامية وكان والياً على طليطلة، لكنه أقل كفاءة من ابنه الآخر هشام
(والي ماردة) من أم إسبانية مسلمة، لكنه أقدر من أخيه على إدارة الأمور وأحسن دراية في استنباط ما
يستجد من خفايا الحوادث، فهل يولي الأكبر؟ أم يستند الإمارة إلى الأكفأ؟
لكنه لما حصره الموت، سلم خاتمه -خاتم الإمارة- إلى ابنه عبد الله، وقال له بوصيه: من سبق إلى قرطبة
من أخويك فأعطه الخاتم، وكأنه يترك للقدر أن يختار الأمير على الأندلس من بعده.
توفي عبد الرحمن عام ١٧٢هـ، ولما أعلن نبأ وفاته، بادر ولداه بالإسراع إلى قرطبة -وهما لا يدریان بشأن
وصية والدهما- فكان هشام السابق، وأول من دخلها، فسلمه عبد الله خاتم والده، وسلم عليه بتسليم
الإمارة.



تربيع وزخرفة
الابواب خسار
مسجد قرطبة
الكبير يوحى
تكوينها بمكانة
عظيمة لمسجد
عظيم

رحم الله الداخل وغفر له، لوجع وعمره ١٩ عاماً، وفر ووصل إلى الحكم في الأندلس وعمره ٢٩ عاماً، واستمرت إمارته أربعة
وثلاثين عاماً تقريباً، فأسس دولة، وفتح الأماص، وشاد البناء، وعمر العمران، وكان يخاطب الناس في أحوالهم، ويقر أمور
إمارته بنفسه، هو نموذج للصبر والمصابرة، قدوة لاتباع الهمة العالية والطموح.

إذا غامرت في شرف مرموم فلا تقنع بما دون النجوم

وصدق عليه قول أبي جعفر المنصور -الخليفة العباسي- إنه حقاً، صقر قریش.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

أحداث حياة عبد الرحمن الداخل

أبو مسلم الخرساني يعلن الثورة العباسية .

انتهاء الدولة الأموية بعد معركة (بونصير) .

تولي أبو العباس السفاح أمر الخلافة .

ملاحقة عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) من قبل العباسيين .

دخول عبد الرحمن الداخل الأندلس .

حدثت معركة المصارة بين الداخل وتحالف الفهري مع الصميل انتصر فيها الداخل .

تولى الداخل سلطة الأندلس .

ثورة الفهري والصميل ضد الداخل .

العلاء اليحصبي يدعو للعباسيين ويسيطر على إشبيلية ، ثم يدحره الداخل في نفس العام .

خيانة سليمان الأعرابي وتحالفه مع شارلمان .

بناء جامع قرطبة .

وفاة الداخل رحمه الله .



لا تكاد تذكر الأندلس إلا ويدكر معها رجلها عبد الرحمن الداخل، بل إن البعض ممن لم يطلع على التاريخ يظن أن الداخل هو الذي فتحها ونشر الإسلام فيها.

ولعل الأمر الذي ساعد الداخل على أن يكون رجل الأندلس الأول والأقوى هو اعتناؤه بتكوين جيش قوي مدرب يحفظ به الأمن الداخلي، ويصد به العدوان الخارجي، ويمكنه من الجهاد في سبيل الله، وهذه حقيقة هامة ينبغي أن تقوم عليها الدول المسلمة اليوم، فلا ينبغي الاعتماد على ما تحمله من عقيدة ريانية ومبادئ سامية بل لا بد لذلك من قوة تحميه وتدافع عنه

والحق اعزل لا يروع فان بدا شاكي السلاح لقي العداة فروعاً

ولما ترك المسلمون الاستعداد النفسي والقتالي صفهم أعداؤهم

يصفع الذئب جبهة الليث صفعا ان تلاشت انيابه والاظافر

فانظر إلى حال المسلمين اليوم كيف أن ضعفهم وتراخيهم طمع أعداءهم فيهم فأصبحوا فريسة سهلة تتقاسمها الدول العظمى وهم لا يملكون إلا السمع والطاعة، حتى أنهم لا يملكون أمر أسلحتهم وإنما أمرها بيد الآخرين، فماذا تصنع البندقية المستعارة المقيدة !!

وتناسوا قول الله تعالى: ﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ (الأنفال ٦٠).

● وحينما نمر على حادثة خيانة سليمان الأعرابي للداخل واتصاله بملك القبائل الأوربية (شارلمان) ثم وقوف العلماء في وجه سليمان وخلعه نثبه إلى أمرين مهمين :

١ ضرورة إعداد الفرد المسلم وتنشئته على الولاء لدين الله وارتباطه بمنهجه ودينه حتى لا يكون فريسة سهلة لإغراءات الأعداء وهذا لا يأتي من فراغ بل يحتاج إلى جهد وإعداد.

٢ أن وظيفة العلماء لا تقتصر على الصلاة والدروس والخطب التي لا تحاكي واقع الأمة بل هم عصب الأمة وقلوبها النابض وصرخة الحق المججلة والقادة الروحيون، فإن تعطل دورهم أو تنازلوا عنه فقد خاؤوا أمانتهم.

● ما كان عبد الرحمن الداخل ليبلغ ما بلغه إلا بعد أن واجه الموت مراراً ومرات وعبر البحر وقاسى الجوع والأذى شديداً طريداً لا يملك إلا همة اعتنى من الجبال وهدفاً ما ضعف يوماً في سبيل تحقيقه، وقصة الداخل عنوان عريض لكل حامل دعوة أو صاحب غاية أو طالب للمعالي أن الطريق مليء بالمشاق لا مكان فيه للضعيف والمتردد ولا من يؤثر الدعة والراحة

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفتقر والاقدام قتال

ولا عجب بعد ذلك إن استطاع أن يخمد خمساً وعشرين ثورة قامت ضده، وأن يخضع الأندلس لسلطانه فهو الذي خاض البحر وقطع المسافات الطوال بهمة وكل شيء بعد ذلك هين

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأهون ما يمر به الوحول

السيف الثاني

الدولة الأموية في الأندلس



أولاً - هشام بن عبد الرحمن (الرضا)

ثانياً - الحكم بن هشام (الريضي)

ثالثاً - عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط)

رابعاً - محمد (الأول) بن عبد الرحمن

خامساً - المنذر بن محمد بن عبد الرحمن

سادساً - عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن

الفصل الثاني

عهد الأمراء الأمويين



هو هشام بن عبد الرحمن الداخل، لقب بالرضا، وبهشام الأول.
ذكر عنه انه:
كان تقياً (وقد اقلح من كان همه الاتقاء) ذا ورع ينهاء، وبقية
عن محارم الله، ذكياً يحسن الإدارة، كفأ يؤدي ما يسند إليه من
الأعمال، لبقاً يتصرف بما يناسب الأحوال - كما كان رأي والده
فيه- وسراً الناس بتوليته، واستبشروا خيراً بقدمه، فقد كان من
اهل الصلاح والخير كثير الجهاد والغزو كما ذكر المؤرخون عنه.



صفاته

درهم الامارة الاموية، عبد الرحمن الاول



استرضى اخاه سليمان
حين تولى الإمارة، إلا ان
سليمان كان يرى انه أحق
من أخيه، وأنه أولى
بالإمارة وأجدر، فاضمر
في نفسه شيئاً، فلما رجع
إلى عاصمة إمارته -
طليطلة- أعلن العصيان
ودعا بني أمية لمؤازرته
ونصرته، فأجابه بعضهم،
وجاء إليه اخوه الثاني
عبد الله يؤيده، فحشد



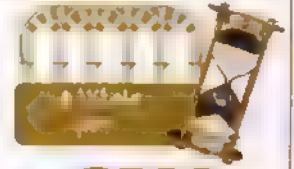
ثورة أخيه
سليمان بن
الداخل

الناس وخرج بأنصاره نحو
قرطبة يريد ما يريد.

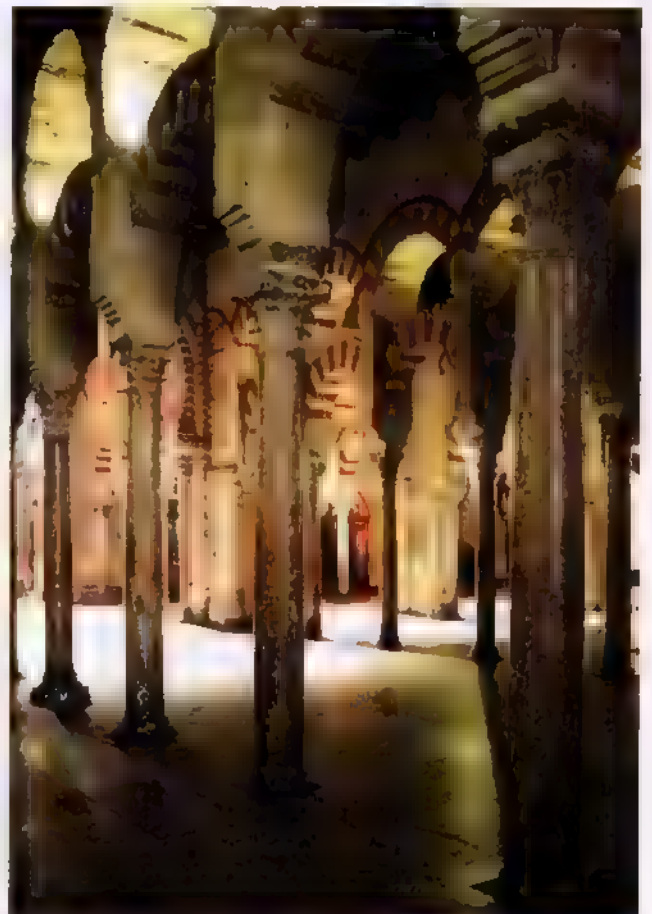
فبادر الأمير هشام لملاقاته ولصدّه عن قرطبة، وذلك في عام ١٧٣هـ والتقى الأخوان بين طليطلة
وقرطبة على الطريق، وجرى الالتحام، إذ فشل الاتصال والمحاولات السلمية بينهما، فانتصر هشام
وتمكن من تفريق المعترضين من أنصار سليمان الذي فر إلى "مرسية"، ومن بعد جرت مراسلات بينه
وبين هشام، وكانت النتيجة أن رضى سليمان وأخوه عبد الله بالصلح مع الأخ الأمير، ورضيا بمغادرة
الأندلس لقاء مبلغ كبير من المال، فكان الموضوع دنيا وقضية تشتري وتباع، فاشترها الأمير هشام
بشيء من المال لحكمته الحسنة، وأنهى بذلك طمع أخويه.

وثارت "سرقسطة"، وكانت قد ثارت على أبيه من قبل كما مر من أخبار سليمان بن يقظان الأعرابي والحسين بن يحيى الأنصاري، يقود الثورة ابنا الثائرين مطروح بن سليمان وسعيد بن الحسين، في عام ١٧٤هـ. فأرسل هشام جيشاً بقيادة (أبي عثمان)، وقد تمكن من قمع الثورة، وإخضاع العصاة، وتوجه هشام بعد ذلك يسترضي الناس ويقرب الزعماء، ويدني وجهاء القوم منه، ويستميل القلوب بالإحسان والإكرام، فهو يتمثل قول القائل:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسان



ثورة
سرقسطة



المحراب الحالي في المسجد الكبير بقرطبة في زمن هشام بن عبد الرحمن
ولا تفرأ فيه الأحكام الصنعة

المسجد الكبير في قرطبة

لذلك وطّد أركان دولته، وعمّ الأمن والأمان في إمارته، وهدأ النفوس بعد أن أنهى القلاقل والاضطرابات.

ولما تصرع هشام من القضايا الداخلية، جهز عدة حملات لقتال القوط والفرنج وإعادة الجهاد إلى مناطق أولئك الذين انتهزوا فرصة انشغال المسلمين ببعضهم بعضاً، وكانت هذه الحملات تأديبية غالباً، فقد بعث جيشاً بقيادة يوسف بن بخت قلقي ملك القوط "برمندو" وهزمه وأخضع في جيشه قتلاً وتمزيقاً وشتت جموعه، وكان يقصد هو بنفسه أحياناً بلاد الشمال يقود الجند، وقد أخضع "قشتالة" ودخل "إلبه" والقلاع التي كان قد أنشأها القوط. ولما مات "برمندو" جاء بعده ابنه "المونسو الثاني"، فأرسل إليه هشام حملات تأديبية أيضاً بقيادة "عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث الرومي"، فتوغل في الأراضي التي يسيطر عليها القوط وشتت جموعهم، غير أن "المونسو الثاني" كمن لهم في الطريق أثناء عودته وأصاب من المسلمين شيئاً، فأرسل هشام حملة أخرى انتقامية، هزمت القوط وكاد "المونسو" يقع في الأسر لولا هروبه والتجاؤه إلى قلعة بعيدة عام ١٧٥هـ، فقتل منهم مقتلاً كثيراً، وكان عبد الكريم بن مغيث قائد الحملة، وما كانت هذه الحملات إلا لرد عدوان أو تأديب أهل الشمال.



تأديب القوط والإفرنج

المسلمون يهزمون الفرنج ويخنونهم تمزيقاً وتشتيماً بحملات تأديبية



وأرسل جيشه بعد ذلك في حملة خلف جبال البيرينيه، ويبدو أنها كانت تأديبية، لتثبيت هيبة المسلمين، ولتحقيق رغبة الجهاد عملياً، والتمكن قدر المستطاع في جنوب فرنسا لأن المسلمين كانوا قد خسروا أكثر المواقع منذ الأحداث التي عصفت في أواخر عهد الولاة، وكادت إحدى هذه الحملات تحتل عاصمة "سبتمانية" بينما كان ملك فرنسا "شارلمان" مشغولاً لقمع ثورة السكسونيين، إذ استمر قائد الحملة عبد الملك ينتقل من نصر إلى نصر فوصل "قرقشونة"، وانتصر على دوق "طولوز" وأسر الآلاف من جيشه.



الهجوم على جنوب فرنسا



ثورة البربر

ونشبت على هشام ثورة البربر في جنوب الأندلس عام ١٧٨هـ، وتمكن من إخضاعها، وإعادة السيطرة على اضطرابات الجنوب بحملات تأديبية، وتمكين الأمن، وإعادة الهدوء مرة أخرى.

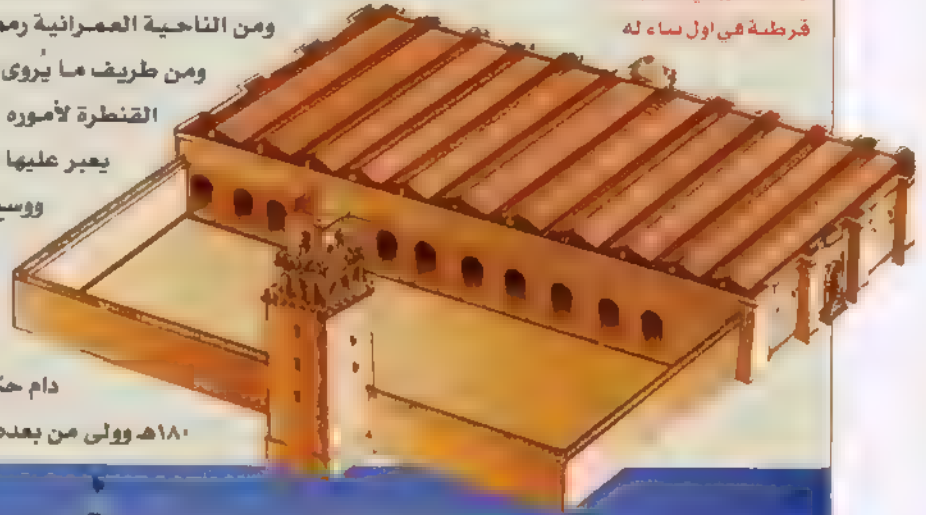
استمرت إمارته من ١٧٢ - ١٨٠هـ حوالي ثماني سنوات تميزت باستقرار الأوضاع، وقمع الثورات المخالفة، ويتمكن الحدود الشمالية، وإعادة الهيبة وبث روح الجهاد في نفوس المسلمين.



قرطبة، المسجد الكبير، مقاطع تدل على دقة وزرعة العمارة الاسلاميه

نتائج عهد هشام بن الداخل

رسم تقريبي لمسجد
قرطبة في أول بناء له



كان رحمه الله يحب العلم والعلماء ويشاورهم ويعرف لأهل الفضل مكانتهم. وأحب اللغة العربية فجعلها لغة التدريس في كل المدارس والمعاهد حتى في معاهد غير المسلمين ومدارسهم. فكان لذلك أثر في تعلم القوط هذه اللغة. وسهل لهم أن يتعرفوا لهذا الدين الحنيف فكثرت اعتناقهم للإسلام، وفهموا حقيقة التفاهم مع مختلف فئات الناس والمذاهب. وفي عهده شاع المذهب المالكي -مالك بن أنس رحمه الله- وكان أهل الأندلس من قبل على مذهب الإمام الأوزاعي المتوفى في بيروت ١٥٧هـ. ويذكر المقرئ في نصح الطبيب: رحل أيام هشام بعض الأندلسيين إلى الحج والتقوا بالإمام مالك، فلما رجعوا وصفوا من فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره ما عظم به صيته بالأندلس، فانتشر يومئذ علمه ورأيه في الأندلس.

ومن الناحية العمرانية رمم قنطرة قرطبة وقام هو بنفسه على العمل، ومن طريف ما يُروى: أن بعض الناس أشاعوا أن هشاماً قد بنى القنطرة لأموره الخاصة وأذاعوا ذلك، فأقسم الأمير هشام ألا يعبر عليها إلا للجهاد أو لمصلحة عامة.

ووسع مسجد قرطبة، ورُصفت الشوارع وأثيرت في عهده ومن بعده وخاصة العاصمة، كما اهتم بالزراعة، فجلبت الأشجار والنباتات المتنوعة. مات هشام بن عبد الرحمن الداخل بعد أن دام حكمه سبع سنوات وتسعة أشهر تقريباً عام ١٨٠هـ وولى من بعده ابنه الحكم.



تولى إمارة الاندلس بعد وفاة والده عام ١٨٠هـ وتلقب بالحكم الأول، ويعرف بالريضي، إذ حدثت في عهده ثورة "الطبقة الشعبية" من منطقة الريض وهي القسم الجنوبي الغربي من مدينة قرطبة والتي يفصلها عن القسم الشرقي نهر قرطبة، وسبب ذلك أن الضعفاء قد أشاعوا بين هؤلاء الناس أن الحكم يلهو ويلعب، وتضيع أعماله وأوقاته في العبث، ويترك إدارة الحكم ضياعاً، فأثار حميظة هؤلاء وتجمعوا حول رجل أموي وأسروا إليه أن يتولى الإمارة بعد عزل الحكم، لكن هذا الرجل وشى بهم لدى الحكم فجمعهم وقتل منهم مقتلة عظيمة في يوم واحد، وطرد قسماً ممن قام بها، وتتبّع آخرين، وكان قضاؤه على تجمعهم بقسوة وعنف، وتلك من أحداث سنة ٢٠٢هـ. وسنشرح هذه الحادثة بالتفصيل لاحقاً.



تسميته
بالريضي

تولى الحكم وعمره ستة وعشرون عاماً، ويذكر من صفاته أنه كان حازماً قوياً ولم يكن أكبر إخوته. ولما وصل نبأ إمارته إلى المغرب "شمال إفريقية" ثار عليه قريبان له:



عبد الله بن عبد الرحمن الداخل - مر ذكره أيضاً في إمارة هشام - حاول مثل سابقه أن يحشد أتباعه وأنصاره ليشور على ابن أخيه الحكم، فأرسل إليه الحكم يعرض عليه الإمارة على بلدة بلنسية ويفريه بالمناصب والأموال، ويحذره من مغبة ثورته أن تكون نهايته كاخيه سليمان، فرضي عبد الله بولاية "بلنسية" لذلك يعرف في التاريخ باسم "عبد الله البلنسي"، فأنهى الحكم هذه الثورة بحكمة وتعقل.



ثورة عبد الله بن عبد الرحمن الداخل

سليمان بن عبد الرحمن الداخل - وقد مر ذكره في إمارة هشام - جمع أنصاره وأتباعه وكان معظمهم من البربر، وعبر المضيق، وزحف باتجاه قرطبة، وكاد يدخلها لكنه فشل في اقتحامها، ثم انحرف نحو الغرب فتبعه الحكم بقواته، واستطاع أن يقتله قرب "ماردة" عاصمة الغرب وانتهت ثورة العم على ابن أخيه في عام ١٨٤ هـ.



ثورة سليمان بن عبد الرحمن الداخل

كما قامت على عهده ثورة من نوع جديد غير معهود من قبل، وذلك أن المسلمين من العرب والبربر الذين قدموا من المغرب في الفتح ويعدده قد تزوجوا بنساء من أهل الأندلس وقد أطلق المؤرخون اسم المولدين أو المستعربين عليهم أو على أولادهم، هم مسلمون ولكن تختلف طبائعهم وأشكايتهم عن المسلمين العرب والبربر، فقام هؤلاء بثورة على الحكم يتزعمهم رجل يدعى عبيدة بن حميد، فاختار الحكم قائداً من المولدين أيضاً يدعى عمروس (كل اسم ينتهي بحرف السين أو النون يعود غالباً إلى أسماء المولدين) ..



ثورة المولدين

ثاروا في طليطلة وسيطروا عليها، وتمكن عمروس من إعادة السيطرة على طليطلة، وفتت جموع القائمين بالثورة، وشتت شملهم وأجهض حركتهم. لكن "عمروس" تظاهر بعدائه للإمارة، وأنه ثائر على من أرسله، وأعلن أنه يجمع الثائرين للهجوم على قرطبة، فأخبر الحكم بذلك إذ تجمع حوله الثوار. فأرسل الحكم جيشاً يقوده ابنه عبد الرحمن، توجه كانه لا يريد إخضاع طليطلة بل يريد حماية الحدود الأندلسية وثغورها في الشمال، وعندما جاوز حدود المدينة التف عليها وطوقها، وتمكن من الدخول إليها وقتل من قواد المولدين حوالي "٧٠٠" رجلاً، فأحبط بذلك بداية ثورة خطيرة لو نشبت لكان لها دور كبير في إثارة الاضطرابات والثورات.

This illustration depicts a horse and rider in traditional Arab dress. The horse is shown in profile, facing right, with a dark coat and white markings on its lower legs. It wears a decorative bridle and a saddle with ornate stirrups. The rider is seated on the horse, wearing a long, flowing robe and a headscarf. Various parts of the equipment are labeled in Arabic:

- الرجل** (The leg) - pointing to the rider's leg.
- الركاب** (The rider) - pointing to the rider.
- الطعام** (Food) - pointing to the saddlebag.
- الحزام** (Belt) - pointing to the girth.
- المنجل** (Sword) - pointing to the sword scabbard.
- الكفل** (Kuffl) - pointing to the saddle.
- درع لثقل الفرس** (Chest plate for the horse) - pointing to the horse's chest.

ثورة الريض

كان شأن الحكم بتصرفاته يثير دهشة الناس. ويوجب التفكير. لذلك احتار الناس في الحكم عليه، هو حاكم ماجن يلهو ويلعب، وهو في الوقت ذاته مجاهد شجاع، فمن يكون؟ وما طبيعته؟

موقف العلماء

رأى الفقهاء أن من كان في مثل حاله لا يصلح أن يحكم الناس، ولا يجوز أن يكون مثله سلطان المسلمين. وكان هذا رأي عالمين جليلين هما: "يحيى بن يحيى الليثي" ولد عام ١٥٢هـ وتوفي ٢٣٤هـ، سمع الموطأ من الإمام مالك، قال عنه ابن عبد البر: قدم يحيى بن يحيى الأندلس بعلم غزير فعادت فتياً الأندلس بعد عيسى بن دينار الفقيه عليه وانتهى السلطان والعامه إلى رايه، وكان فقيهاً حسن الرأي، ومن فتاواه: أن عبد الرحمن بن حكم صاحب الأندلس، نظر إلى جارية له في رمضان فلم يملك نفسه أن واقعها، ثم ندم وطلب الفقهاء، وسألهم عن توبته، فقال يحيى بن يحيى: صم شهرين متتابعين فسكت العلماء، فلما خرجوا قالوا ليحيى: مالك لم تفتنه بمذهبنا عن مالك أنه يخير بين العتق والصوم والإطعام؟ قال: لو فتحنا له هذا الباب لسهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة، فحملته على أصعب الأمور لئلا يعود، وكذلك كان رأي العالم الآخر. وهو "طالوت المعافري" قدما العالمان إلى عزل هذا الخليفة الذي لا يصلح للحكم، مما جعل الناس ينتظرون فرصة موافية للهيأج والثورة.



وحدثت حادثة - وإن كانت صغيرة - لكنها كانت مناسبة للثورة الشعبية العارمة وكان الناس ينتظرون ذلك، إذ أصلح حداد من عامة الناس سيف جندي من حراس الحكم لم يعجبه عمله فقتل الحداد ظلماً وجبروتاً معتمداً على سلطة الحكم. واحتشد الناس على هذا الحارس فقتلوه. ثم قامت الثورة الشعبية العارمة - وقد كانت مهياة في النفوس - فعبر الثائرون قنطرة قرطبة وحاصروا قصر الحكم وأتباعه في الجهة الشرقية، ولم يستطع عبد الكريم بن معيث قائد الحامية فك الحصار، إلا أن الحكم أمر قائديه عبد الله وعبد الكريم ابني معيث الرومي أن يقوموا بهجوم مضاد ليحترقا صفوف المحاصرين بثلة من الجنود، فعبرا القنطرة وصارا يشعلان النار في بيوت الثائرين وعامة الشعب، مما اضطر المحاصرين أن يفكوا الحصار ويسرعوا لإخماد النيران التي تأتي على بيوتهم وأموالهم وأهليهم ولم يبق إلا القليل حول القصور، فأمر الحكم حراسه بالهجوم فقتلوا من بقي منهم. ثم كرّوا على أهل الرض فقتلوا منهم مقتلاً عظيماً. وأوقف الحكم الهجوم بعد ذلك.



الثورة الشعبية

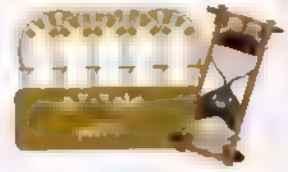


ترحيل الريضيين

الريضيون
يفادرون
الاندلس
الى مصر
مكرهين

وأمر بعد ذلك بامر عجيب هو ترحيل أهل الرض كلهم. أي حاكم يطرد شعباً كاملاً؟ نعم، قد فعل الحكم بن هشام ذلك! لذلك نُقب بالحكم الرضي كما مر. فارتحل الريضيون مجبرين إلى فاس في المغرب ثم إلى الإسكندرية في مصر. ومكثوا عشر سنوات في الإسكندرية، لكن أهلها ضجوا منهم فأمر والي الإسكندرية عبد الله بن طاهر بإخراجهم منها أيضاً. فأين يذهبون؟ وأين يستقرون؟ ارتحلوا بما توفر لهم من السمن ومخروا عباب البحر الأبيض المتوسط، حتى مروا بجزيرة فيها حامية بيزنطية قليلة هجموا عليها وقتحوها، وهي جزيرة كريت الحالية في بحر إيجة، وكان العرب يطلقون عليها اسم "إقريطش"، أسسوا الدولة الريفية المسلمة، وكان قائد الريضيين هو عمرو بن عيسى البلوطي، استمرت هذه الدولة المسلمة مائة عام إلى أن استردها البيزنطيون منهم.

دام حكم الرضي مدة طويلة. من عام ١٨٠-٢٠٦هـ، ستاً وعشرين سنة، ولما شعر الحكم بدنو أجله، وبلغ من الكبر عتياً، ندم ندماً شديداً على أعماله، وعاقب نفسه على ما اقترفت يداها، فأعلن توبته على الملأ إذ كان يخطب بالناس في الجمعة والأعياد، واعتذر منهم قائلاً: «إن الآخرة هي الأبقى والأولى»، ثم إنه تزين بالتقوى، واعتصم بالعروة الوثقى، مقرأً بذنوبه، مستغفراً ربه خاضعاً دليلاً متواضعاً يستأنس بقوله تعالى: «إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف» (الأنفال: ٣٨).
وأناب إلى الله ولكن كما يقول المثل. بعد خراب البصرة، وكانت نهايته سالحة، عسى الله أن يعزر له، ومات في عام ٢٠٦هـ.



نهاية الرضي

يدفع شعور الناس (معظمهم) بالنقص في مركزهم الاجتماعي، وبالنقص في حقوقهم العامة، وكذلك الشعور بالحيف من المسؤولين أو نوابهم، بالإضافة إلى وجود عناصر تستغل هذا الشعور، إلى الثورة والقلق مما يؤدي إلى اضطراب الأمن والاستقرار.

يدفع هؤلاء إلى النقمة فالثورة مستغلين أي فرصة بادرة، كفرص ضريبة جديدة على الحاجات الضرورية لسواد الشعب مثل المواد الغذائية أو الملابس أو السكن، وعندهم الاستعداد للعصيان وبخاصة إذا كان الحاكم قد عمد إلى إظهار فخامة الملك، وكثرة الخدم والحشم، وبنى القصور وجلب وسائل الراحة المتعددة، وأغرق في الترف والإسراف، ونسي الأحياء الشعبية حسب المصطلح الحديث، فأهمل الجوانب العمرانية والاقتصادية ولم يلتفت إلى تعليم سكانها، ولم يبد التفاتاً إلى العناصر المكونة للمجتمع والمتعددة، ولم يتحسس النار التي تحت الرماد، بل يلجأ إلى التهديد والبطش والتخويف، فتلك إذن قاصمة الملك والحكم.

لقد أغفل الرضي تلك الأمور، فكانت الضجيرة في الرض، وكان خراباً بعد خراب، وترحيل قسم كبير، وليس هذا بعلاج! وهو الذي أكثر من جلب المولدين، والفضائل الأخرى واستعان بهم.



منظر للمحراب في مسجد قرطبة والذي زين بأجمل ألوان الفسيفساء

ثالثاً

لقب عبد الرحمن بن الحكم بالأوسط حتى يميز عن عبد الرحمن الداخل الذي سبق ذكره، وعن عبد الرحمن الناصر الذي يأتي ذكره فيما بعد .

اختاره والده من بين إخوته لأنه كان تقياً عالماً، متميزاً من أهل الثقافة والأدب وسياسة الناس وكان عمره إذ جاء إلى الإمارة ٣٠ عاماً، فواجهته مصاعب من الأحداث والثورات والاضطرابات.

ثورة عبد الله
البلنسي

ثار عليه عمه "عبد الله البلنسي" رغم تقدمه في السن لكنه يدفعه الطمع إلى الحكم إذ تمكن من منطقة "تدمير" واجتمع إليه أنصاره، وكثر مؤيدوه، فأدركه الأجل هناك، إلا أنه خلف ثواراً وثورة دامت سبع سنوات، ولم يتمكن يحيى بن عبد الله والي المنطقة من السيطرة على الموقف، فأرسل عبد الرحمن الأوسط قائداً جديداً هو أمية بن معاوية أخمد الثورة وذلك بنقل العاصمة إلى "مرسية" وكان هذا سبباً من الأسباب التي أطفأت هذه الثورة، وسكنت الحوادث فترة منهم.

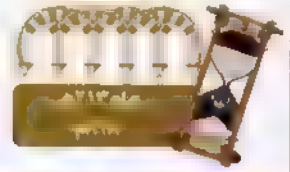
ثورة القوط



وفي الشمال استغل القوط وتمردوا في المناطق الإسلامية فأرسل الأوسط أحد وزرائه هو عبد الكريم بن مغيث، وانتصر عليهم في مواقع عدة، وفك الأسارى المسلمين منهم، وهدأت الأحوال في الشمال وأوقف نشاط القوط.



البرج الذهبي في الحمراء يبتعد عن فخامة البناء



ثورة البربر

ولكن توترت الأحوال من جديد، واضطربت الأمور في عام ٢١٣هـ إذ ظهر من يجمع البربر وهم غالبية يحبون الشعب ممن لم يتمكن الإيمان في قلوبهم، ظهر رجل يدعى "محمود بن عبد الجبار بن راحلة" يقود البربر في ثورة مضطربة بمنطقة "ماردة"، ويرتكب حماقة أخرى إذ يتحالف مع "الفونسو" حاكم القوط في الشمال الغربي وراسل الملك الفرنجي "لويس بن شارلمان"، أعد هذان العدوان اللدودان العدد والمدة وارسلاه إلى محمود ليتقاتل المسلمون، وكان القوط أصلاً يتبعون سياسة الاعتداء والتحرش كلما وجدوا لذلك مجالاً، وكانوا يثيرون في الواقع كل عاص أو مخالف، ولا تختلف سياسة الفرنج عن سياسة القوط في الأندلس، ويلاحظ أنها الخيانة الثانية في الأندلس حين استنصر الثائرون بأعدائهم الفرنج أو القوط، وقبل أن يقوى أمر محمود أرسل الأوسط قوات متتابعة وجيوشاً متلاحقة لكنها أخفقت جميعاً في إطفاء هذا اللهب الثائر الذي ألهب الأندلس من ٢١٣-٢١٨هـ، لذلك قاد عبد الرحمن الأوسط بنفسه جيشاً جراراً ليدحض هذا التحالف القوطي الفرنجي مع الثائرين، واستطاع أن يهزمهم هزيمة منكرة، وفر قائد هذه الجموع إلى الحصون فهذات الأوضاع نوعاً ما هي الأندلس.

البربر يتجمعون للثورة والقتال



ثورة سليمان بن مرتين

وما أن هدأت ثورة البربر حتى ثار بربري آخر اسمه "سليمان بن مرتين"، جمع أتباع الثائر محمود قبله، وبدأت سيطرته على المنطقة تدريجياً، فأخضع أولاً مدينة "باجة" ثم أكمل سيطرته على مدينة "نطليوس"، رأى عبد الرحمن الأوسط هذا الأمر قوة، لذلك أرسل جيوشاً متلاحقة، وتابع أنصار سليمان في كل الأماكن، حتى اضطر قائد الثورة إلى الهرب ملتجئاً إلى النصارى القوط في الشمال. رأى القوط هذا فرصة للتدخل في المناطق الإسلامية المتاخمة لهم، ولنصرة "سليمان بن مرتين" حليفهم، فلم يستكن الأمير عبد الرحمن الأوسط لهذه الاستفزازات، بل تابع بجنوده تلك الثورات وتمكن في النهاية من قتل سليمان. لم يكتف الثوار بأعمالهم الإجرامية والفوضى، ولا ياشعألهم نيران الاضطرابات، بل أخذوا يطلبون النجدة من جيرانهم الأجانب ويقحمونهم إلى المناطق الإسلامية، وبئست الخيانة هذه.



ثورة هاشم الضراب

ومما يشير إلى سوء الأحوال وضعف النفوس لدى العامة أنهم مستعدون للتحرك لكل من يناديهم، وجاهزون لإعلان العصيان استجابة لكل من يدعو إلى ذلك. ومن غريب الواقع أن حدادا يدعى هاشم الضراب ليس له هدف أو غاية استطاع أن يجمع الجموع في وسط الأندلس في "طليطلة" من الساعين إلى الفتن، والطامعين في الأموال والحكم ومن النفوس الباغية. وتمكن هؤلاء أن يبسط سيطرته على "طليطلة" وما حولها، فأرسل إليه عبد الرحمن الأوسط خيرة قواده وصموة جيوشه، وانتهى أمر هاشم وقتل، لكن لتهيب الثورات لم ينطفئ حتى عام ٢٢٤هـ. فأخمده عبد الرحمن بعد أن استمر اشتغالها ثماني سنوات.

وقد تزامن هذا اللهب في الأندلس، مع لهيب اضطراب الأحوال في المشرق الإسلامي في هذه الفترة بالذات إذ مات الخليفة المأمون بن هارون الرشيد، واستلم الخلافة المعتصم، فدب الضعف في الخلافة العباسية، كما وهن حكم الإمارة في الأندلس.



نار الفتى والثورات تنهك كاهل الدولة الإسلامية



غزوة النورمان

النورمان: اسم يطلق في المصادر الحديثة على سكان الدول الاسكندنافية. السويد والنرويج والدانمارك، وأطلق المؤرخون المسلمون عليهم اسم المجوس، أما في المصادر الإنكليزية فإن اسمهم "الفايكنز" أو "النوريمين". ويرجع أصل هذا الشعب إلى أصل جرمانى، وقد ظهرت اعتداءاتهم أولاً على سواحل الدول الأوروبية. وكانت قبائل همجية تشتهر بالنشاط التجاري أو الحربي، ويهمن في هذا البحث القبائل النورمانية التي انطلقت من الدانمارك، يصفهم المؤرخون الأندلسيون. كانت تخرج من البحر مراكب عظام، وكان يخرج منها أقوام يعرفون بالمجوس، كانت لهم شدة وبأس وقوة وجلد على ركوب البحر، وكانوا متى خرجوا خلت منهم سواحل البحر مخافة منهم، وكانوا لا يخرجون إلا على رأس ستة أعوام أو سبعة، وكانوا أقل ما يخرجون في أربعين مركباً، وربما بلغوا المائة مركب، ويغلبون كل من لقوه في البحر ويسبونهم ويأسرونهم.

في سنة ٢٢٩ هـ ورد كتاب من "وهاب الله بن حزم" عامل "الأشبونة"، (لشبونة عاصمة البرتغال الآن) يذكر فيها أنه حل بالساحل قبله ٥٤ مركباً للمجوس (النورمان)، ومعها أربعة وخمسون قارباً، فخرجت الكتب إلى العمال بالاحتراس، وتمكن والى "لشبونة" من صدهم ومنعهم من الدخول إلى مدينته.

فتابع النورمان طريقهم نحو مصب نهر وادي



الكبير، و"إشبيلية" مدينة تقع على مجراه حتى وصلوها، فأصيب أهل إشبيلية بالدهشة من هؤلاء الغرياء وهجومهم المفاجئ حيث تمكنوا من بسط سيطرتهم عليها، إذ كانت سفن المسلمين متواجدة في الشرق لأنهم لم يتوقعوا أن يأتي أي هجوم من الغرب، فلما بلغ الأوسط أعمالهم القذرة أرسل أشهر قواده الفزال "يحيى بن حكم الجياني" و"يحيى بن حبيب" مع القوات، فهاجموا النورمان قرب قرية "ملياطة"، ٣٠ كم شمال غرب إشبيلية، إذ كانوا متوجهين لاحتلال العاصمة قرطبة، واستطاع المسلمون إيقافهم هناك وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وحطموا خمسة وثلاثين مركباً من مراكبهم الأربع والخمسين، وعلقوا على جذوع النخل أعداداً منهم بعد أسرهم، وقتل قائد النورمان هنا أيضاً. استغرقت عملية النورمان مائة يوم من ظهورهم أمام لشبونة حتى اختفائهم، أشغلوا المسلمين، واستباحوا إشبيلية أكثر من غيرها، وقتل من الأندلسيين الخلق الكثير.

عائلة من الفايكنج (النورمان)



غزو الشمال
الإسباني
وجنوب فرنسا



نتائج غزوة
النورمان

أراد عبد الرحمن الثاني أن يظهر قوته ويلقي الرعب في قلوب الأعداء في الشمال والشمال الغربي. الفرنج في فرنسا، والقوط في شمال غرب الأندلس، قاد بنفسه جنده نحو القوط وتحرك بحملة حتى بلغ مدينة ليون فأخضع كثيراً من الحصون والقلاع التي كانت بيد مملكة ليون، وأرجعهم إلى حدودهم في الجبال المنيع من الصخرة.

وأرسل وزيره عبد الكريم بن مغيث عام ٢٣١ هـ فعبّر جبال البيرينية رداً على اعتداء هؤلاء على الأندلس وتخريبها، ودخل جنوب فرنسا وحاصر مدينة "غرندة" واحتلها وغنم منها، وأرعب أهلها، ومن ثم صار الأمر بين كرّرها في جنوب فرنسا.

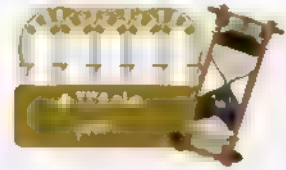
كان من نتائج غزو النورمان أن أمر عبد الرحمن الأوسط إحكام بناء السور في إشبيلية، حيث قال: إن بنيان سور مدينة إشبيلية وتحصينها أوكد عليه من بنيان الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة.



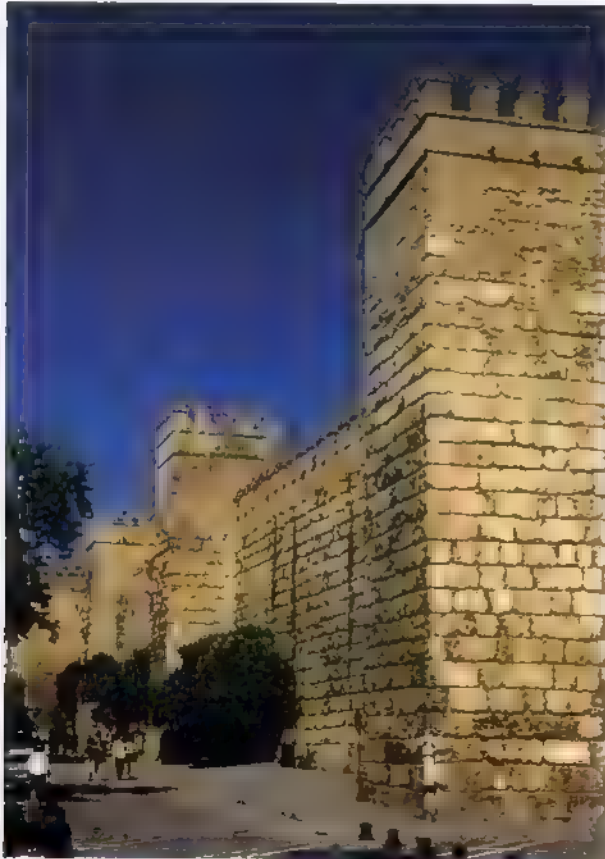
درهم الامارة الاموية، عبد الرحمن الثاني

أثارت هذه القوة التي ظهرت أيام عبد الرحمن الأوسط حفيظة المتشددین من نصاری الأندلس، إذ قام رجل نصراني من نصاری قرطبة يدعى "اليخيو" بحركة سميت "حركة الشهداء القديسين"، ومن العلوم أن المسلمين ما ألزموا أحداً بترك دينه، بل تركوا للنصارى ولغيرهم معابدهم ومدارسهم وأزياءهم وحرية عباداتهم، وبالرغم من هذه الحرية ظهرت حركة التمرد في قرطبة، فقام رجل في يوم الماطر عام ٢٣٥هـ يدعى "بركتو" يناقش مسلماً حتى طور النقاش إلى أن نال من الإسلام والمسلمين شتماً وسباً مقدعاً فنهاء المسلمين فلم ينته، فأخذه إلى القاضي فحذره وردعه فلم يرعو إذ قال له القاضي: إن الذي يشتم الإسلام يقتل ولو كان مسلماً، فكيف بغيره؟ فأصر جهاً وشم عياناً في مجلس القاضي، عند ذلك أمر القاضي بقتله، وذاع الخبر، مما جعل أنصار "اليخيو" ينشطون، إذ جاء رجل آخر يدعى "إسحق" نال بدوره من الدين الإسلامي وبببه بأقذع السباب والشتائم فنبه وحذر فلم يرتدع فقتل.

وجاء واحد تلو آخر. لذلك سماهم بعض الدارسين الأوربيين بالمتعصبين المنتحرين، وأطلق عليهم آخرون اسم الشهداء القديسين، وذاع صيتهم بين نصاری الأندلس، ومنهم انتشر الخبر في أوربا.



حركة تمرد (اليخيو) والقديسين



السور المنيع المحيط بأشبيلية القديمة والذي كان لعبد الرحمن الأوسط الفضل في أحكام بنائه



صالة أحد القصور في الأندلس

فماذا فعل الأوسط؟ لو سكت لجار أن يخدش هذا العمل منهم هيبة الإسلام والمسلمين، وإن قتل ازداد عدد المتقدمين على الانتحار. واستغلهم إعلام الأعداء، حتى وصل الأمر إلى درجة خطيرة في الأندلس، فقد استمرت هذه الحركة ثلاث سنوات، حتى تطورت إلى درجة خطيرة ففي عام ٢٣٨هـ دخل بعض المتطرفين مسجد قرطبة الكبير وانتهكوا حرمة، ولوثوا بالأوساح جدرانها، فأمر عبد الرحمن بإعدام كل من فعل هذه القطعة الشنيعة.

انتهز هذا العمل "اليخيو" من وراء الستار يعلن أن هؤلاء مظلومون، وأنهم شهداء أبرار راحوا ضحية الظلم من أجل عقيدتهم، ولا يستغرب أن يكون الإعلام الأوربي والكتب النصرانية ممجداً لهذه الحركة، ورفع مقام المنتحرين إلى مرتبة القداسة والشهادة!!

أراد الأمير أن يستعمل الحكمة لإنهاء هذه الحركة الخبيثة وأول مرة في تاريخ الأندلس يأمر الأوسط بعقد مؤتمر كنسي دعي إليه رجال الدين المسيحي في الأندلس إلى قرطبة واجتمع معهم الأوسط وسألهم سؤالاً صريحاً:

هل تقرون حركة "اليخيو" وما يسمى بالقدسين الشهداء؟

هل تريدونها فتنة عمياء بين المسلمين والنصارى؟

تساور رجال الدين فيما بينهم، ثم خرجوا بقرار أن هذه الحركة مغالية في عملها خارجة عن مبدأ النصارى، وأنه ما ظلم أحد من النصارى في الأندلس، وأن النصارى يتمتعون بكل حرية بعقيدتهم، وعبادتهم ومدارسهم، ثم أعلن هذا المؤتمر إدانته الصريحة لهذه الحركة، وانتشرت بين الناس تلك

الإدانة، فهذأت الحركة وقل

المتعصبون منهم ظاهرياً.

والملفت للنظر أن هذه

الحركة لم تتحدث عنها

المصادر الإسلامية ومنها

الأندلسية، وما يذكر عنها

إنما هو من المصادر الأوربية

التي تتسم أصلاً بالغلو

والحقد والتحيز، وهذا

يدعو إلى الاحتراس من

تلك المعلومات التي

تذكرها، ولعل المصادر

الإسلامية التي تتحدث

عنها قد فقدت.



النصارى في الأندلس يشعلون نار الفتنة

الأسطول الإسلامي

اهتم عبد الرحمن الأوسط بالأسطول الإسلامي، فأصبح هذا الأسطول يحفظ سواحل الأندلس وأصبح مستعداً دوماً لحراستها من جهة الأطلسي والأبيض المتوسط، ويذكر ابن حبان المؤرخ الأندلسي: أن الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٣٤هـ سير أسطولاً من ثلاثمائة مركب إلى أهل



صفحة من القرآن الكريم من العهد الأندلسي

جزيرتي "ميورقة" و"منورقة" لنقصهم العهد وإضرارهم بمن يمر إليهم من مراكب المسلمين، ففتح الله للمسلمين عليهم وأظفرهم بهم فأصابوا سباياهم وفتحوا أكثر جزائرهم. ورادت دور صناعة السفن كثرة وقوة ومهارة حتى لا تدع فرصة أخرى لغزوة مماثلة تباغت المسلمين كما فعلت غزوة النورمان.

استمر حكم عبد الرحمن الأوسط في الأندلس ٣٢ سنة إلى عام ٢٣٨هـ ومات رحمه الله وتولى من بعده الإمارة ابنه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم.



الأسطول الإسلامي يحفظ سواحل الأندلس

درهم الامارة الاموية، محمد الاول



دب الوهن، وظهر الضعف في ابتداء حكم محمد بن عبد الرحمن الأوسط الذي جلس على كرسي الحكم عام ٢٣٨هـ. وما يكاد يستقر على الجلوس حتى أعلن حاكم "سرقسطة" في الشمال انفصاله عن إمارة الأندلس، واستقل بمنطقة الشمال دولة.

وتبعه في الغرب حاكم جديد يدعى "عبد الرحمن الجبليقي" فانفصل

بمدينة "بطلوس" ثم

ضم إلى حكمه عاصمة الغرب مدينة "ماردة". وطمع أهل الرغائب في وسط الأندلس في "طليطلة"، لكن جيشاً أرسله الأمير محمد أخضع ثورتهم. وبقيت النفوس تغلي خمس سنوات إلى عام ٢٤٤هـ حتى تمكن أن يوطد الحكم فيها وأرسل رجلاً من بني ذي النون يدعى إسماعيل والياً عليها، وما أن وصل هذا الرجل حتى أعلن انفصاله عن إمارة الأندلس، فأسس دولة ذي النون.

وظهرت بداية دول الطوائف في الأندلس في هذه الفترة. وهذه التسمية واضحة المدلول في وصف حالتها، وكانت في فترتين:

١- الأولى: بدأت في عهد محمد بن عبد الرحمن الأوسط وكانت قليلة العدد كما ذكرنا.

٢- الثانية: ظهرت أواخر عهد الأندلس فقد وصلت أعدادها إلى اثنين وعشرين دولة! تأمل رحمك الله، وأرجع إلى بيئتين ذكرنا في المقدمة لابن خضاجة.

ظهر في بداية حكم الأمير محمد انفصال في الشمال، وتبعه انفصال في الغرب. وكان الانفصال الثالث في الوسط في طليطلة.



جيش الأمير محمد بن عبد الرحمن يحضخ طليطلة ويحصن قلعتها



النورمان من جديد

كانت هذه الفترة أجمل وقت مناسب للنورمان الذين أعادوا الكرة بثمانين مركباً، فأبحروا عبر خط طويل ملتفين حول الأندلس ليقترحوها من الجزيرة الخضراء. وذلك في سنة ٢٥٤هـ، فأحرقوا المسجد الذي كان قد أرساه موسى بن نصير "مسجد الرايات" ثم التفتوا إلى شمال الأندلس ثم رجعوا فأعادوا الهجوم على النصارى، واقتحموا عاصمة مملكة "نافار" ودحروا جيشها وأسروا ملكها "غرسيه" الذي اقتدى نفسه منهم سبعين ألف دينار.

وعاث النورمان هساداً في الأماكن التي مروا بها، إلى أن تهيأ للأمير أن يجهز جيشاً يهزمهم، وحطم المسلمون من مراكبهم أربعين مركباً، وقتلوا كثيراً من جنودهم، وردهم الله خائبين، لأن الأندلسيين كانوا قد استفادوا من هجومهم الأول فأنشؤوا سفناً حربية لحماية شواطئهم، فلم يستطع النورمان هذه المرة أن يفعلوا شيئاً كما فعلوا في المرة الأولى.

لكنهم أعادوا الكرة بعد سنتين من هذا الهجوم، ففي عام ٢٤٧هـ ظهرت من مراكبهم ستون مركباً قبالة الشواطئ الأندلسية فأمر الأمير محمد عمال السواحل بالاحتراس والتيقظ، فتمكنوا من تحطيم أربعة عشر مركباً، بينما لاذت المراكب الباقية بالفرار.



النورمان يبدؤون بالبرول على شواطئ الأندلس

زاد هجوم النورمان ضعف الأمانة الأندلسية الواهن، بالإضافة إلى بدايات الصراع من أجل الحكم على مدينة أو منطقة.

لم يكن النزاع من أجل الحكم بين الدويلات الإسلامية (الطوائف) فحسب، فقد امتد لهيب التنافس إلى ممالك النصارى. ففي عام ٢٤٩هـ حدثت الحرب بين مملكة "نافار" وعاصمتها "بنبلونة"، ومملكة "ليون"، فانتصر النافاريون انتصاراً كاسحاً على جيش مملكة ليون، ولكنهم ما استطاعوا أن يسقطوا العاصمة "ليون" بأيديهم.

وما زال الوضع في الشمال على دولتين "مملكتين" لنصارى الإيبان.

١- مملكة نافار" وملكها "غرسيه"، وقد بسط سلطته على حساب المملكة النصرانية الأخرى، ويعتبر هذا من أشهر مؤسسي هذه المملكة في منطقة الشمال الغربي للأندلس.

٢- مملكة "ليون" وقد حكمها

في هذه الفترة ملك قوي

شديد البأس هو "الفونسو

الثالث" تمكن من توسيع

مملكته وأوصل حدودها إلى جبال

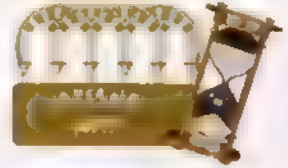
البيرينيه" وعبر نهر "دويرة" بعدة

حملات حالفه فيها النجاح.

• أما المسلمون فما زالت الثورات

والانقسامات تهز الإمارة الأندلسية،

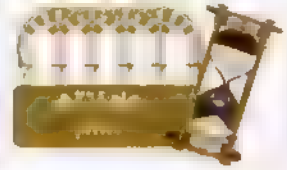
ومن أشهر هذه الثورات:



النزاع بين النصارى في الشمال



قتال النصارى فيما بينهم

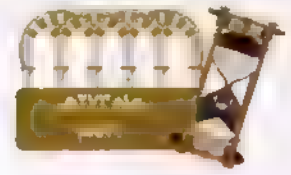


ثورة عمر بن حفصون الخطيرة

ظهر على مسرح الأحداث في عام ٢٦٤هـ رجل خطير في جنوب الأندلس بمنطقة "رندة" يدعى ابن حفصون أصله من المولدين، بدأ عمله بقطع الطرق، فاجتمع حوله قطاع الطرق والسراق والباحثون عن الأموال والقوصى. وتجمع حوله أناس أغلبهم من المولدين لحاجات في أنفسهم، يصفه ابن حيان. إنه إمام الثائرين وقدوتهم، وهو أعلاهم ذكراً في الباطل، وأضخمهم بصيرة في الخلاف، وأشدّهم سلطاناً وأعظمهم كيداً، وأبعدهم قوة. بدأ يقطع الطرق في الجبال بأربعين رجلاً، ثم نزل إلى السهول واحتل مدينة "بريشتر" وجعلها قاعدة له ولعصابته، وكانت ثورته قريبة من العاصمة، لذلك خشي من سطوته، ولم يتمكن حاكم "رنية" وقائد منطقة الجنوب من إخضاع ابن حفصون. بل هزمه هذا الأخير، فأتبعه محمد بن عبد الرحمن الأوسط بجيش آخر هزم أيضاً، وتلاه جيش تلو جيش يهزمهم ابن حفصون الواحد بعد الآخر. إلى أن أرسل جيشاً بقيادة ابنه المنذر الذي استطاع أن يحاصر "ابن حمدون" - حليف ابن حفصون في حصن "الحامة". هب ابن حفصون لنصرة حليفه المحصور في الحامة، حيث سنحت الفرصة للمنذر بن محمد أن يلتقي به خارج الحصون فانتصر عليه وقتل رجاله، وهرب ابن حفصون بعد أن جرح جرحاً بليعاً إلى حصن الحامة يحتمي به، فشدّد عليه المنذر الحصار حتى كاد ينهي تمرده لولا قدوم الأخبار بوفاة والده، ففك الحصار وعاد إلى قرطبة ليتولى الإمارة، وأنقذ القدر لأمر يريده الله سبحانه وتعالى ابن حفصون. مات محمد بن عبد الرحمن الأوسط في عام ٢٧٣هـ بعد أن استمرت إمارته ٣٤ أربعاً وثلاثين سنة من عام ٢٣٨-٢٧٣هـ.

بقايا كنيسة امر ابن
حفصون ببناها خارج
مقره وكانت محفورة
بكاملها في
الصخر حيث ورد في
بعض الروايات أنه
دخل في النصرانية.





رجع المنذر إلى قرطبة وتولى إمارة الأندلس عام ٢٧٣هـ، كان قوي الشخصية ذا مراس بمنون الحرب، فقد كان يقود جيوش والده كما سبق، لكنه ورث من والده إمارة ممزقة: تمزق هي الشمال الغربي، والشمال الشرقي، وفي الوسط، وفي جنوب الأندلس حيث ثورة ابن حفصون، لم يكن الوضع السائد في هذه الفترة لصالحه، بل وجد وزير والده "هاشم بن عبد العزيز" هو الذي يدير الأمور، وهو المتسلط على مقاليد الحكم، ولما حاول إيقافه عند حدوده حدث الصراع بينهما.

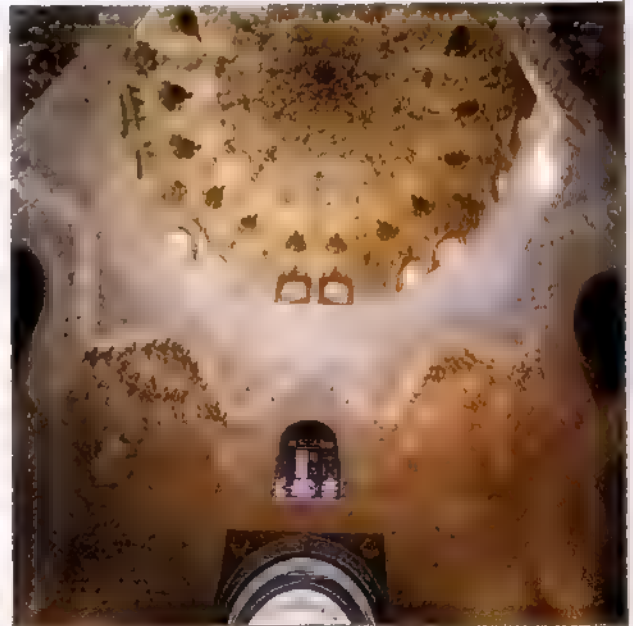
قصيدة شعرية في رثاء محمد الأول منحونة على الحجر

الاغتيالات السياسية

بدأ المنذر أعماله في الأندلس بشريط الاغتيالات السياسية حين أرسل من يقاتل الوزير وينهي الصراع بينهما لصالحه، ثم جاهد المنذر محاولاً توحيد الأندلس لكن الثوار المنضولين رفضوا كل مراسلاته للتصالح أو التفاوض، حتى إن ابن حفصون راسل الأغلبية ولاة شمال إفريقية يعرض عليهم ما يسميه هو فتح الأندلس،

ويطلب منهم المدد والعون،

غير أن الوالي الأغلب كان عاقلاً حكيماً رفض أمثال هذه الفكرة من أساسها، مما جعل عمر بن حفصون يتجه إلى المولدين ليجمعهم على أسس عرقية، فاستجابوا له وتجمعوا يثيرون القلاقل على الإمارة في الجنوب، مما دعا المنذر أن يقود بنفسه الجيش لإخماد ثورتهم وحركتهم التي تعيث في الجنوب فساداً، ففضى على تسلطهم في عدد من المدن، وقبض على أحد زعمائهم يدعى "عيشون" -حليف ابن حفصون المتسلط على مدينة أرشدونة- وقتله.



القبة العظيمة المدهشة في قصر الرهراء



حصار ابن حفصون

ثم سار المنذر نحو "بريشتر" عاصمة ابن حفصون، وشدد عليها الحصار، وضيق على عمر بن حفصون الخناق، مما اضطر هذا أن يطلب الصلح ويجري التفاوض حيث أبدى استعداداه للذهاب إلى قرطبة إذا رفع المنذر عنه الحصار، وأمدّه بالطعام والعتاد، رأى المنذر أنه قد يصدق هذا الشاكر قاطع الطريق ويعود بذلك الهدوء والاستقرار، فأجابته إلى طلبه، فبرّ بوعده هذا ابن حفصون وذهب مع المنذر إلى قرطبة، وهدأت الأحوال في الجنوب شيئاً ما.

ولكنه فرّ بعد فترة من الزمن إلى عاصمته السابقة "بريشتر" وأعلن عصيانه مرة أخرى، فلم يمهله المنذر بل اشتد في طلبه فحاصره في عاصمته.

وقد صادف هذه المصيرة من القلاقل في الأندلس تمزق وانقسامات في أوربة وظهرت على الساحة الأوربية دول جديدة، فتشكلت دول: إيطاليا والمانيا...



أثار قلعة اسلامية قديمة باقية حتى اليوم وتجري عليها الحفريات الأثرية

وفي صفر ٢٧٥هـ مات المنذر وهو يحاصر "بريشتر" إذ قضى الله عليه بالموت، ثم يكن الوقت - كما يقال - لصالحه، فلم يستطع توحيد إمارة الأندلس، ولم يقض على تمرد فيها، ولم يته أية دويلة منفصلة خلال حكمه القليل إذ لم تستمر إمارته سوى سنتين، من ٢٧٣-٢٧٥هـ. رحمه الله، وتولى الإمارة من بعده أخوه.

جاءته الإمارة بعد وفاة أخيه المنذر، وكان يحاصر ابن حفصون، فطلب إليه الصلح على أن يرفع الحصار عنه، فوافق عبد الله على ذلك، ومضى إلى قرطبة ليدبر شؤون إمارته، وفي حكمه أضيفت دولة جديدة إلى قائمة الدويلات المنفصلة في عهد أخيه.



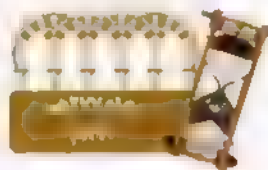
ثورة كريد بن عثمان

ثار في "إشبيلية" كريد بن عثمان على والي الأمويين أمية بن عبد الغافر الذي لم يستطع أن يفعل شيئاً لإخماد ثورة كريد، فطلب كريد العون من "ماردة" في الغرب وعليها رجل يدعى "جيليقين"، فأرسل هذا مدداً قوياً مما مكن كريداً أن ييسط سيطرته الكاملة على إشبيلية ويقتل واليها أمية. وكان هذا تمزقاً جديداً في جسم الأندلس، وأضيفت مدينة جديدة إلى المتمردين العصاة.



ثورة خير بن شاكر

وثار في عام ٢٧٧هـ رجل يدعى خير بن شاكر وسيطر على مدينة "جيان" لكن ابن حفصون المتمرّد حاول أن يتقرب إلى الإمارة الأندلسية لتتقر بثورته وتصرّف بها، فأرسل رجلاً يدبر اغتيال ابن شاكر فقتله، وأرسل ابن حفصون إلى الأمير عبد الله بعد مقتله يظهر حسن نواياه، يسأله الصلح والمعاهدة، لكنه قوبل بالرفض. كانت الأوضاع غير مستقرة بشكل عام وتتوالى الثورات، سواء في الدويلات أو في مملكتي ليون أو نافار الإسبانيتين.



بوابة قصر في إشبيلية



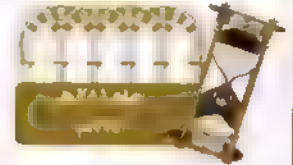
أرسل عبد الله ابنه المطرف ليتخلص من ابن حفصون بجيش إلى "بريشتر" فحاصرها وضيق عليها الحصار، وجرت معارك طاحنة حولها وما استطاع أن يخضعها.

لكنه تمكن في إشبيلية من ثورة كريد وقضى على المتمردين فيها، وولى عليها رجلاً يدعى "إبراهيم بن الحجاج" يديرها، ومن العجيب أن ابن الحجاج أعلن انفصاله عن قرطبة، واستقل بشؤون دولته بعد فترة وجيزة.

إنه لأمر مؤسف يدعو إلى الفسابة ما إن يتمكن والي هي مدينة يولى عليها حتى يبادر إلى إنشاء دولة تنازع أختها، أو تنازع حكم الأمويين.



ابن حفصون
من جديد



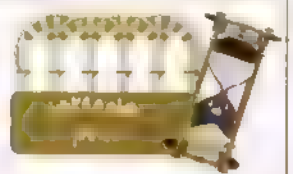
خزان روماني، كان القوطيون الغربيون والمرب يستعملون هذا الخزان وحافظون عليه

واستمرت الأحوال على ما هي عليها من الثورات الهائجة والحركات الانفصالية المتمردة حتى حل عام ٢٨٩هـ إذ يتحالف متمرّد الجنوب ابن حفصون مع إبراهيم بن الحجاج في إشبيلية مع نصاري القوط في الشمال، وتمت المراسلات بين أقطاب التحالف الشيطاني (ابن حفصون، ابن الحجاج، القوط). لذلك بادر عبد الله دون إهمال، فقاد الأمويين إلى معركة هي الوجود أو الضياع ضد هذا التحالف الذي كان أكثر عدداً، واستطاع أن ينتصر عليه بعد قتال عنيف جرى حول إشبيلية، ويمكن قبضته منها، ما عدا "بريشتر" التي بقيت بيد ابن حفصون.



ولا يزال الصراع في الجنوب حتى لاح الخطر على الأندلس من الشمال فقد هاجم القوط والفرنج من الفرنسيين ينشرون القلاقل، ويزرعون الرعب، ويبثون الخوف في نفوس الناس هناك على الحدود الإسلامية.

أرسل عبد الله على عجل جيشاً يقوده القائد "تأب بن عيسى"، فاستطاع هذا القائد الفد أن يوقف هجومهم ويحاصر مدينة "بنبلونة" حصاراً شديداً وكاد أن يفتحها لولا أنه سقط شهيداً على أبوابها، وعادت الحملة إلى قرطبة بعد استشهاده.



هجوم
نصراني



ثم جهز عبد الله حملة أخرى في عام ٢٩٥هـ لإخضاع ابن حفصون في "بريشتر" فأنت على الحصون حولها ودمرتها دون فتح تلك المدينة. وبعد عامين أي في سنة ٢٩٧هـ أرسل عبد الله جيشاً كبيراً لانهاء تمرد ابن حفصون فعاد دون أن يفت من عضد هذا التأثير شيئاً.

صمود ابن
حفصون

ابن حفصون إنسان عجيب، قاطع طريق على قلة من رجاله يحافظ على مدينته ويمنعها عن السقوط بذكائه الشيطاني، وقد دامت ثورته سبعة وأربعين عاماً.



خلع الملك "الضونسو الثالث" في عام ٢٩٧هـ بعد أن تقدمت به السن ولعدم استطاعته إدارة المملكة التي انقسمت بدورها إلى مملكتين:

- ١- مملكة ليون الأصلية: ويحكمها "غرسيه الأول" في الشمال الأندلسي.
- ٢- مملكة "جيليقية" التي انفصلت عن ليون ويحكمها "ادونيو" في أقصى شمال غرب الأندلس.
- ٣- مملكة "استرياس" ويحكمها "فرويلة" في أقصى الشمال.
- ٤- مملكة "نافار" في وسط الشمال.
- ٥- بالإضافة إلى الفرنسيين "الفرنج" في شمال شرق الأندلس.

الوضع العام
للتصاري على
حدود الأندلس
في تلك الفترة

جندي من جيش القوط

دام حكم عبد الله بن محمد الأول خمسة وعشرين عاماً ٢٧٥-٣٠٠هـ حيث توفي في قرطبة عام ٣٠٠هـ رحمه الله، وكان آخر الأمراء، وقد تمتع بالصفات الحسنة والأخلاق العظيمة، وكان ورعاً متواضعاً محباً للخير، كثير العناية بشؤون الحكم وتوطيده، فنشر العدل ورفع الظلم، وكان ينظر في المظالم بنفسه، كما وصفه المؤرخون.

وفاة عبد الله
بن محمد



درهم اندلسي في عهد عبد الله بن محمد الاول



فرنسا

أردونة

قرقشونة

رأسقال

نافار

أرغون

قطالونية

جبرولة

برشلونة

طركركة

جزر الألبان

مبورقة

بنس

البحر الأبيض المتوسط

قشتالة

سرقسطة

سرقسطة

وادي الحجاره

جمال اشاب

مديريه

مديريه

طليطية

طليطية

الهرب

بعلبوس

مارقة

باجة

لظنت

جمال قرطبة

قرطبة

أشبيلية

لبله

قرطبة

عرقطة

قرطبة

حلال

المرية

مرسية

مرسية

قرطبة

شذونه

مالقة

طريف

سبتة

المغرب

عهد المنتذر بن محمد وعبد الله بن محمد

الطعن أحداث عهد الأمراء الأمويين

٢٢٢	تولي هشام بن عبد الرحمن (الرضا) إمارة الأندلس.
٢٢٣	ثار عليه أخوه فانتصر هشام ثم تصالحا.
٢٢٤	وفاة هشام (الرضا)
٢٢٥	تولي الحكم بن هشام (الربضي) للإمارة.
٢٢٦	ثار عليه عماء سليمان وعبد لله فقتل سليمان وتصلح مع عبد الله.
٢٢٧	ثورة المولدين ولكنه تمكن من إخمادها.
٢٢٨	وفاة الحكم بن هشام الربضي.
٢٢٩	إمارة عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط).
٢٣٠	قامت ضده عدة ثورات وبعضها دام فترة طويلة لكنه تمكن من إخمادها.
٢٣١	بدأت حركة تمرد (اليخيو) والقديسين واستمرت ثلاث سنوات ثم انتهت الأوسط بذكائه وحزمه.
٢٣٢	وفاة عبد الرحمن الأوسط.
٢٣٣	تولي محمد (الاول) بن عبد الرحمن للأندلس.
٢٣٤	التورمان يحاربون من جديد.
٢٣٥	نزاع بين مملكة نافار ومملكة ليون انتصر فيها النافاريون.
٢٣٦	ابتداء ثورة عمر بن حفصون.
٢٣٧	وفاة محمد (الاول) وتولي ابنه المنذر.
٢٣٨	وفاة المنذر وهو يحاصر ابن حفصون في (بريشتر).
٢٣٩	تولي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن للإمارة.
٢٤٠	ثورة كريد بن عثمان.
٢٤١	خلع ألفونسو الثالث.
٢٤٢	وفاة عبد الله بن محمد.

التطورات في
عهد الأمراء
الأمويين

١- انتقلت الأندلس في هذا العهد إلى حياة جديدة يحكمها الإسلام وقد حرر الإنسان من جميع الضغوط والوشاخ التي تحركه إلا ما ندر، وهو على الغالب صفة المجتمع المسلم إذ ليس على الإنسان سلطان غير منهج الله سبحانه وتعالى، لذلك ازداد إقبال الناس من نصارى الأندلس للدخول في الإسلام.

٢- نظمت فيه إدارة الدولة وأوجد منصب الحجابة أو الوزارة.

٣- صُكَّ في دار الصكوك النقد الإسلامي، واعتمد أساساً للتعامل.

٤- ظهر الاهتمام العمراني فأنشئت المدن والجوامع، واهتم بالمرافق العامة فأنشئت الحدائق، وتنوعت وسائل الري، وجلبت المياه بالأقنية والترع.

٥- أصبح التبادل الثقافي بين الأندلس والمشرق الإسلامي، فقد رحل كثير من أبناء الأندلس لينهلوا من علوم المشرق، وظهر منهم فقهاء ومحدثون، ويذكر هنا "عباس بن فرناس" المعروف بمحاولة

الطيران التي ذهب ضحيتها، وهو أول من عمل صناعة الزجاج من الحجارة، كما عمل الميقاتية لمعرفة الأوقات.

٦- صُممت المدارس، وانتشر التعليم على نفقة الدولة للذكور والإناث، وقررت اللغة العربية لغة رسمية في المعاهد والمدارس غير الإسلامية.

٧- عرف القضاء بنزاهته واستقلاله، فساد نظام العدل والإنصاف لكل الناس.

٨- قلَّ الجهاد نحو الشمال أو الفرنجة.

٩- زاد الترف في الحياة الاجتماعية، ومال معظم الناس للهو والعبث، يشير إلى ذلك قدوم "زرياب" الذي كان في العراق تلميذاً لإبراهيم الموصلي المعروف بظنون الغناء والموسيقا، قريه الأمراء والأثرياء، وظهر فن الموشحات الأندلسية.

رسم يبين ترفه
وانشغال المسلمين
بلمبة الشطرنج



١٠- لم يرق نشاط سياسي ملحوظ مع الخلافة العباسية في الشرق.

١١- ظهرت اضطرابات وثورات عديدة في عدد من المدن.

١٢- ظهر الاهتمام بالجند ودور الصناعات الحربية. ونظمت القوات العسكرية. وظهرت



دينار خليفة قرطبة
عبد الرحمن الثالث



القوة البحرية. فقد قسمت الأندلس من الناحية العسكرية إلى عدة مناطق وكان لكل منطقة جيشها الذي يخضع لقيادة أميرها أو حاكمها. وكانت تجتمع هذه الجيوش في الحروب في منطقة حشد، وأغلب ذلك في العاصمة، ثم تنطلق للقتال. وبعد انتهاء العمليات القتالية يعود كل جيش إلى منطقته، وإذا وقع هجوم مباغت فإن كل جيش يقوم برده إلى أن يأتيهم المدد من بقية المناطق. هذا عن الجيش النظامي العامل. ويلتقي بهم بعد ذلك المتطوعون والمرقزة والملحقون إبان الأزمات أو المواجهات مع الأعداء.

لم تكد شمس الخلافة الأموية تأفل في المشرق العربي حتى أشرقت ثانية من الأندلس، فهم الملوك أبناء الملوك، وكان تلك النفوس العظيمة لا تصلح إلا للخلافة، وتزداد الخلافة بهم حسناً وبهاءً

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

ولو لم تطعه بنات القلوب لزلزلت الأرض زلزالها

ومع أن عهدهم كان عهد عز للأندلس لكن لم يكونوا جميعاً بنفس الدرجة من الكفاءة والحنكة، لذا نرى شمس حكمهم تسطع تارة وتكسف تارة أخرى، ولعل الفترة التي بين حكم عبد الرحمن الداخل وحكم عبد الرحمن الناصر لم يكن فيها شخصيات تمتلك الكاريزما أو التأثير الذي كانا يتمتعان به، ولا جرت فيها تطورات خطيرة غيرت مجرى الأمور سوى بعض التطور الحضاري الذي مر ذكره، وأرى لزماً علي حين أحل أحداث التاريخ واستخرج منها العبر أن أقف مع فاجعة عظيمة وقعت في زمن الحكم بن هشام (الريضي) وهي :

• الثورة التي قام بها الريض (الطبقة الشعبية) ضد الحكم تستحق أن نقف معها لأنها لم تكن عن طمع أو اختلاف في الفكر والسياسة بل كانت ثورة شعبية عفوية وكان خطأ الحكم فيها من جهتين :

١ التمييز بين طبقات الشعب وإقصاء طائفة عن المشاركة الفاعلة في إدارة الدولة أو حتى التمتع بشروطها وكان هذا هو الدافع للثورة والمؤجج لها .

٢- حينما تمكن من إخماد الثورة والقضاء عليها قام بترحيل الريض جميعاً وإخراجهم من الأندلس !! وحينما نطالع التاريخ نجد أن بعض الولاة أو الحكام نضوا رجالاً أو أكثر لسبب أو لآخر، لكن أن يتنفي حاكم شعباً بأكمله يدين بدينه، ويهجر طائفة عن بكرة أبيها، فمن أعطاه الحق بذلك؟ ومن ملكه أرض المسلمين حتى يبعد عنها أصحابها؟

إن هذا هو الاستبداد والاستعباد الذي قاتل الإسلام لحوه وجاء لإلغائه، ولئن كان الحكم أول حاكم بدأ بذلك فقد تفان حكام جاؤوا من بعده باضطهاد طوائف وجماعات من شعوبهم، وما الجرائم والتنكيل الذي مورس ضد جماعات إسلامية معروفة وطوائف أخرى في بعض البلدان العربية ببعيد عن الذاكرة . وهذا الاستعباد من الحكام هو الذي يولد العنف المضاد وينتج آراءً متطرفة ويجعل البعض يرى الخروج على الحكام .

• إن إشارتنا إلى أخطاء الحكم بن هشام لا تعني تبرئة ساحة الريض ومن ساعدتهم وأغراهم بالثورة عليه، فإن الخروج على الحاكم - وإن انحرف - من أكبر الماسد التي تعصف بالبلاد وتجرحها نحو الدمار، خصوصاً حينما يكون الخروج بطريقة المواجهة المباشرة التي يكون عامة الشعب فيها هم وقود المعركة، فيكثر القتل ويعم الدمار .

وفي التاريخ شواهد كثيرة على ذلك، وكأني بحوادث التاريخ توجه نداء إلى الحكام أن يلتفتوا إلى شعوبهم ويحفظوا حقوقهم ويوسعوا مشاركتهم ليحفظوا حكمهم من التزعزع .

الباب الثاني

الدولة الأموية في الأندلس



أولاً - عبد الرحمن بن محمد (الناصر)

ثانياً - القتال والجهاد

ثالثاً - إعلان الخلافة

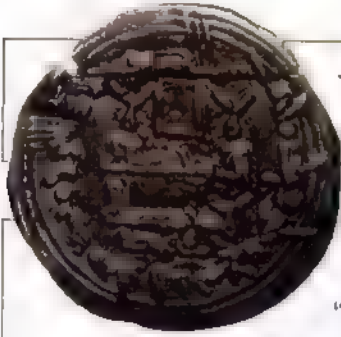
رابعاً - غزوة الخندق

خامساً - حضارة الأندلس تبرز في عهد الناصر

سادساً - الحكم بن عبد الرحمن (المستنصر)

الفصل الثالث

عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر



درهم خليفة قرطبة: عبد الرحمن الثالث

كان ولي عهد عبد الله بن محمد الأول ابنه محمد، لكن أخاه المطرف دبر مكيده سببت في قتله غيلة، ليكون هو المستلم لإمارة أبيه، إلا أن الأمير عبد الله اكتشف الأمر وعلم أن ابنه المطرف هو قاتل ابنه الثاني فقتله قصاصاً.



توليئه الحكم

فاهتم الأمير لذلك بحميده عبد الرحمن اهتماماً بالغاً، وأولاه عناية خاصة إذ جعله بعدما شب وبلغ يشرف على بعض أعمال الإمارة، وكأنه يهيئه ليكون هو الأمير بعد وفاته، وكان الفتى عند حسن ظن جده. تولى الإمارة وعمره اثنان وعشرون عاماً، ودام حكمه خمسين عاماً من ٣٠٠-٣٥٠ هـ.



أحداث في عهد الناصر

ولد في الأندلس -

دبر عمه المطرف مكيدة لقتل والده محمد -

اهتم به جده اهتماماً بالغاً بعد وفاة والده -

تولى إمارة الأندلس وعمره اثنان وعشرون سنة -

كان يحب مظاهر الملك والجِد مع خشوع وخشية لله -

اتسم عهده بالنهضة العمرانية -

كان ذكياً حازماً عاقلاً استطاع توحيد الأندلس بعد التمزق -

كان محباً للجهاد وأمضى أكثر خلافته في سبيله -

توفي الناصر - رحمه الله تعالى - بعد أن دامت إمارته خمسين سنة -

أحوال الأندلس والعالم الإسلامي



ولا بد أن نلقي نظرة سريعة على أحوال العالم الإسلامي لما استلم الحكم عبد الرحمن:

١- في الأندلس:

• ما زال ابن حفصون مستمراً في ثورته متمكناً من الجنوب.

• وبنو الحجاج يسيطرون على مدينة إشبيلية وما حولها.

• ويستقل بنو ذي النون في طليطلة وسط الأندلس.

• ويستمر على التمرد موسى بن موسى في مدينة سرقسطة.

ولا زالت الدويلات النصرانية متمزقة فيما بينها كما سبق ذكرها.

٢- العالم الإسلامي

في المشرق، فالخلافة العباسية ليس لها إلا الاسم وتحكم أسر أو شخصيات على مناطق ممزقة من كيان الخلافة.

• يتحكم بنو بويه على فارس وأصبهان، ويتفرد محمد بن إلياس بحكم كرمان.

• بنو حمدان هم سادة الموصل وما حولها، والإخشيدون حكام مصر وبلاد الشام.

• يسيطر الفاطميون (العبيديون) على المغرب العربي وإفريقية.

• يعلو على اليمامة والبحرين في تلك الفترة حكم القرامطة.

• طبرستان وجرجان وما حولهما في أقصى الشرق بيد الديلم.

• وتشد يد نصر بن أحمد الساماني على خراسان.

• أما العراق ووسطه الأهواز ففي قبضة البريديين.

• ولأمويين الأندلس وحالتها كما ذكرت.

تمزق ما بعده تمزق! أرايت مثيله في الحياة والتاريخ؟ ولم تبق للخلافة إلا الاسم

وكل يدعي وصلاً بليلى

وليلى ما يكون لها وصال

صغر سن
الناصر

ونغير مجرى الحديث عن جو المنازعات والانشقاقات والثورات لعله أن يكون استراحة للنفوس فتبدأ بالجانب الحضاري والإنساني، رأى الناس من صغر سن عبد الرحمن الناصر أنه لن يستطيع أن يقود الأندلس وحالها كما ذكرنا، مما دعا ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد المرید أن يقول أبياتاً مستبشراً بصغر السن:

بدا الهـلال جـسديداً والملك غض جـديداً
يا نعمـة الله زيدي إن كان فيك مزيد
إن كان للصوم فطر فأت للدهر عـيدا

ونسبت إليه أيضاً أبيات كأنه يرد على من يغمز في صغر سن الحاكم:

لا يضر الصغير حدثان سن إنما الشأن في صعود الصغير
كم مقيم فازت يداه بغمم لم تنله بالرفض كف مغير



حب المظاهر

مع الخشوع

وكان يجمع مع حبه للمجد والمظاهر الذي ورثه عن أجداده من بنى أمية الثقة التامة بالله تعالى والخصوع له والخشية منه.

ذكر مرة أنه أرسل إلى المنذر بن سعيد (سنذكر تعريفاً به لاحقاً)، أرسل إليه يحثه ليصلي في الناس بالمصلى صلاة الاستسقاء، فالتاس قد ضجروا من قلة الامطار يشتكون، وقد بادروا إلى المصلى، ولما جاء الرسول قال له المنذر: ما شأن الخليفة سيدنا في هذا اليوم؟ نحن نريد أن نصلي للاستسقاء وهو جالس في قصره غائب عنا، لا يدرى على أية حال هو؟

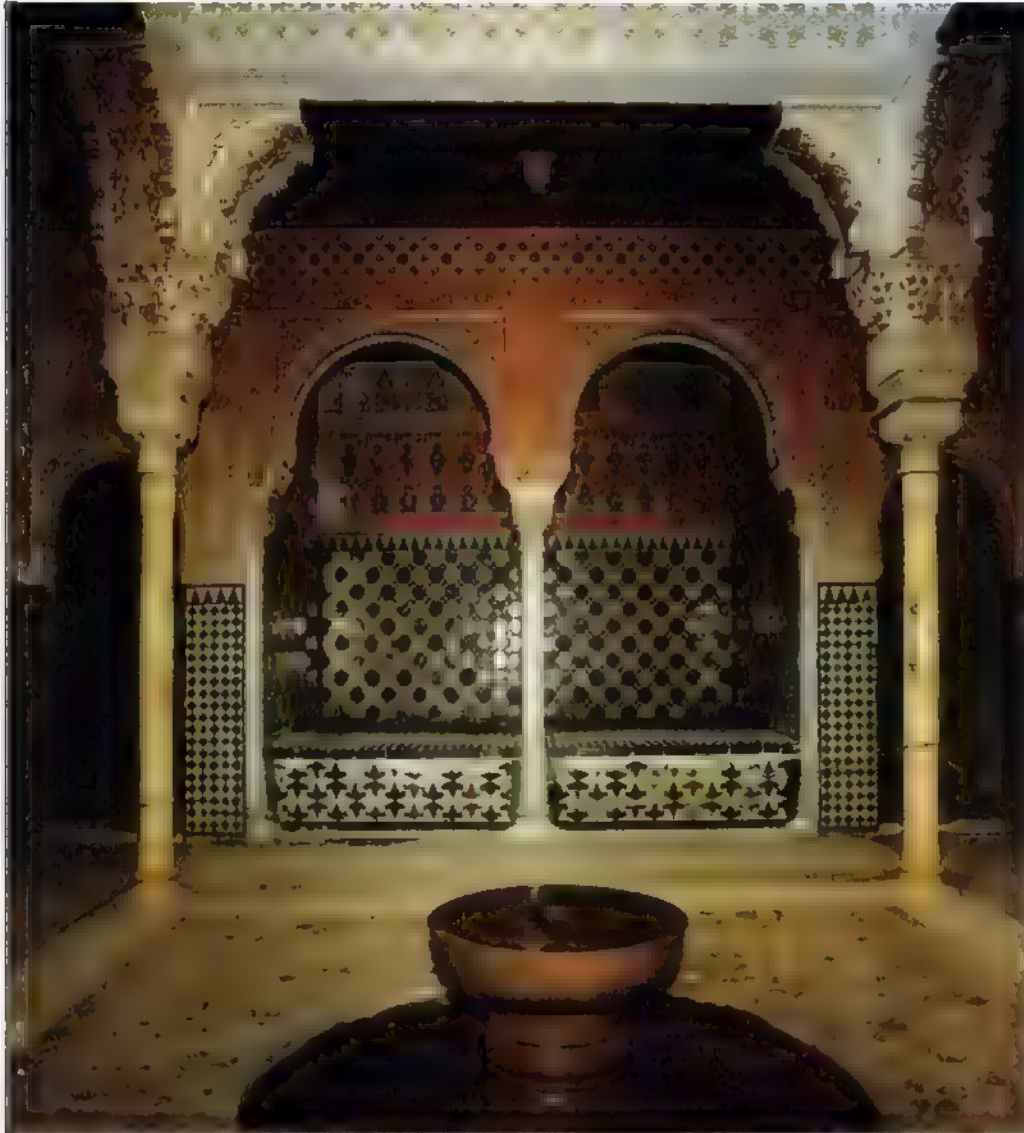
فرد رسول المنذر قائلا: ما رأينا الخليفة أخشع منه في يومنا هذا إنه منتدب (يبكي) حائر متفرد بنفسه، لايس أخشن الشياب، ممترش التراب قد رقد به على رأسه ولحيته (جعل التراب فوق رأسه وخلال لحيته)، يبكي معترفا بدنوبه يناجي ربه: اترك تعذب بي الرعية؟ وانت أحكم الحاكمين! لن يفوتك شيء مني. تهلل وجه المنذر إذ سمع هذا عنه فقال: يا غلام احمل المطر بيدك كناية على أن الغيثات وقال: إذا خشع جبار الأرض فقد رحم جبار السماء. ولم ينصرف الناس عن المصلى إلا فتحت أبواب السماء بالمطر وتدفق الغيث من السحب.



منزل عبد الرحمن الثالث باق إلى الآن في اطلال مدينة الزهراء

الزهراء وعمران الأندلس

حكم عبد الرحمن الناصر خمسين عاماً، وقد قام بأعظم عمل عمراني لما استقرت الأمور، فقد بنى مدينة الزهراء سنة ٣٢٥هـ على بعد خمسة أميال من الشمال الغربي من قرطبة اكتمل بناؤها على مدى أربعين سنة، وبنى له قصراً فيها يقتدي بجده الأمير محمد وأبي جده عبد الرحمن الأوسط وجده الحكم، فكل هؤلاء وغيرهم قد بنوا قصوراً سموها بالزاهر والمبهر، والقصر المنيف وما إلى ذلك من التسميات، أما هو فقد سمى قصره: "الزاهر"، وبنى فيه داراً سماها دار الروضة لسكنه، وبنى في الزهراء داراً للحيوان "حديقة الحيوانات" وداراً للطيور، وداراً للحلي والزينة، إلى جانب دور الصناعات الحربية والسفن.



رخفة متعددة الألوان للحمام والترف الكبير لدى حكام الأندلس

قصر الزهراء

ربما أظنّب المؤرخون
في وصف ما بناه
الناصر، فقد ذكروا.
أن جدران قصر
الزهراء كان من
الذهب والرخام
السميك الصافي،
وان قرامد سقمه
من الذهب والفضة،
ووضع في وسط
القصر "اليتيمة"،
الجوهرية التي لا
مثيل لها أهداها له
إمبراطور
القسطنطينية،
وجعل في وسط
القصر أيضاً إناءً
واسعاً (قالياً كبيراً)
ملئاً بالزئبق، وهي
كل من جوانب
القصر ثمانية أبواب
انعقدت فيها حنايا
العجاج وخشب
الأبنوس المرصع
بالذهب والجواهر
قائمة على أعمدة
من الرخام والبلور
الصافي.

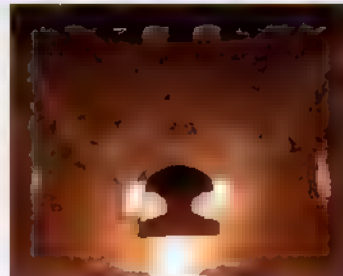
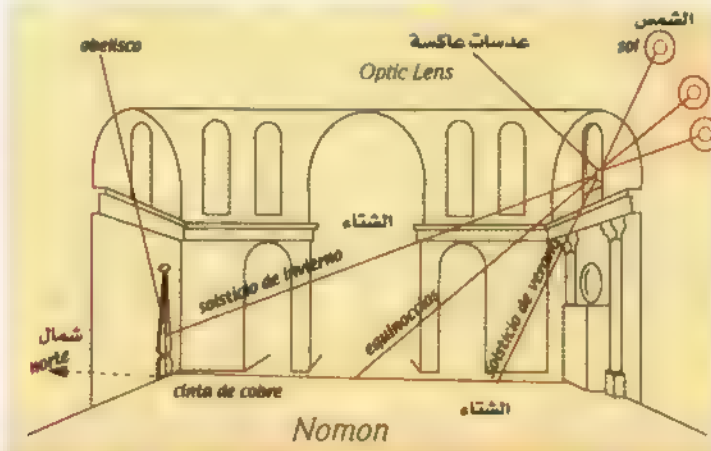


حسابات الشمس

وكذلك قالوا عن قصر الزهراء: كانت الشمس تدخل من تلك الأبواب، فيضرب شعاعها في صدر المجلس وجدرانه، فيعكس نوراً مبهرًا يسلط على هذا الإناء، فإذا أراد أن يضرع أحداً من المجلس أمر أحد خدمه بتحريك الإناء، فينبعث نور من الزئبق المتحرك الرجراج يملأ جو المجلس بريقاً عجيباً، فيشعر المرء كأن المجلس يدور حول نفسه، وتُستقبل الشمس أينما كان المرء جالساً.

ومن عجائب قصر الزهراء: الحوض المنقوش بالذهب، والحوض الأصفر المنقوش بالأخضر وبالصور والتمائيل. قالوا عنها: لا يمكن أن يُشمن بمال، حُمل الحوض من مكان إلى مكان من البحر ثم نصب في القسم الشرقي من دار الملك المعروف بالمجلس المؤنس الجميل الذي يطل على حديقة غناء، وجعل فيه اثنتا عشرة صورة "تمثالاً" من الذهب الأحمر مرصع بالدر الغالي.

الغرف والاعمدة موضوعة
في أماكنها بحيث تستقبل
الحجرات الشمس في
الشتاء أكثر منه في
الصيف.



قرص الشمس الذي كان دليلاً حياً لمعرفة الوقت

صناعة التمائيل

ومما صنع بدار الصناعة بقرطبة: صورة أسد إلى جانبه غزال وإلى جانبه تمساح، وفيما يقابله شعبان وعقاب وفيل وفي المجنبتين حمامة وشاهين، وطاووس ودجاجة وديك وحداة ونسر، وكل ذلك من الذهب الخالص المرصع بالجواهر النفيسة، وجعلت تلك التماثيل بحيث يسيل الماء من أفواهها، وفي وسط الحديقة بحيرة كان يخبز في كل يوم لحيتانها ثمانمائة خبزة، وقيل اثنتا عشرة ألف خبزة، وكان الحكم بن الناصر يشرف على البناء، وكان هو يشرف بنفسه أحياناً، قال المقرئ في وصف هذا القصر:

طبق مدون
عليه، مدينة
الزهراء منقوش
عليها بشكل
رخفي مصقول



درهم مصكوك في عهد عبد
الرحمن الثاني، سنة ٢٢٩ هـ



نافورة على شكل ظبي - مدينة
الزهراء - نحاس منصهر ومشكل

حضارة رائعة

إنه لم يكن مثله في الإسلام البتة، وما دخل إليها قط أحد من سائر البلاد النائية، والنحل المختلفة من ملك، وارد ورسول وافد وتاجر جهيد (بارع بالتجارة)، وفي هذه الطبقات من الناس تكون المعرفة والفطنة - إلا وكلهم قطع أنه لم ير لها شبيهاً، بل لم يسمع به، بل لم يتوهم كون مثله. ولو لم يكن فيه إلا السطح المرد والمشرق على الروضة، المباهي بمجلس الذهب والقبعة، وعجيب ما تضمنه من إتيان الصنعة وفخامة الهمة وحسن المستشرق، وبراعة الملبس والحلة، ما بين مرمر مسنون، وذهب مصون، وعمد كأنما أفرغت في القوالب، ونقوش كالرياض، وبرك عظيمة محكمة الصنعة، وحياض وتماثيل عجيبة لأشخاص لا تهدي الأوهام إلى استقصاء التعبير عنها ووصفها.

علبة حلي من العاج يعود تاريخها إلى سنة ٩٦٦ (باريس، متحف اللوفر)

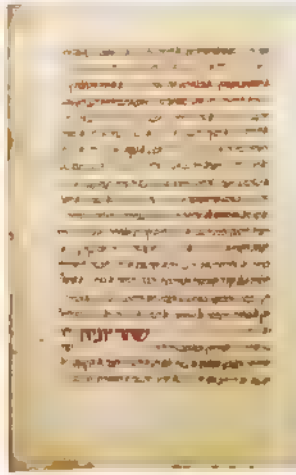
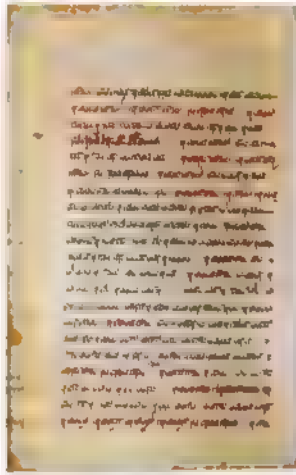


مدينة الزهراء، "القاعة الجميلة" (الغنية): كانت قاعة عبد الرحمن الثالث للاستقبال.

موقف العالم
المنذرين
سعيد من هذا
الإسراف

هذا البناء العجيب أو ليس فيه
إسراف؟ أما كان قد بلغ غاية الترف؟
كان سقف القصر في البهو الذي
يقابل فيه الناس مغشى بالذهب
والفضة، صفراء فاقعة إلى بياض
ناصع تسلب الأبصار وتخلب العقول
بأشعة نورها وضياؤها من اصفر قانع
يبعثه الذهب إلى أبيض ناصع ينبعث
من الفضة.

جلس يوماً لأعضاء مملكته وأهل
قرباته، فسألهم الناصر هذا
السؤال: هل رأيتم



تقويم قرطبة (بالعبرية)

أو سمعتم ملكاً كان قبلي فعل مثل ما فعلت وبني مثل ما بنيت أو قدر عليه؟ قالوا - وهذا
شان البطانة التي توافق أهل الحكم على كل حال : لا والله! وإنك لأوحد في
شؤنك كلها، ما سبقك إلى هذا ملك رايناه، ولا انتهى إلينا خبره، إلى أن
دخل المنذر بن سعيد، فوجه إليه الناصر السؤال ذاته، فسأل الدمع على لحية
القاضي، وقال: لا والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان - لعنه الله -
يبلغ منك هذا المبلغ ولا أن تمكن من قيادك هذا التمكن، مع ما أتاك الله
من فضله ونعمه وفضلك به على العالمين، حتى ينزلك منازل الكافرين،
فغضب الخليفة غضباً شديداً وردّ بجلاء: انظر ماذا تقول، كيف تجعلني مع
الكافرين؟ وكيف أنزلني الله منزلتهم؟

قال المنذر: نعم. أما يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ولولا أن يكون الناس
أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها
يظهرون﴾ (الزخرف ٣٣).

هوجم الخليفة وأطرق رأسه ملياً، وغلبه البكاء خاشعاً، فأقبل على القاضي يقول:
جزاك الله عنا وعن نفسك وعن المسلمين خيراً، وعن الدين والمسلمين أجل جرائه،
وكثر من أمثالك، ما قلته هو الحق، وأمر ببنقض الذهب والفضة عن السقف، وأعاد
تراباً على مثل سقف غيره. وهو يستغفر الله تعالى، وندم ندماً شديداً على ما أنفق في

هذا السقف، ولكنها هي الدنيا:

حذار حذار من بطشي وفتكي
فقولني مضحك والفعل مبكي

هي الدنيا تقول بملء فيها
فلا يغرركم متي ابتسام

جرة من مدينة الرهراء من
الخزف، مزينة بالرسومات
على الخزف المصقول

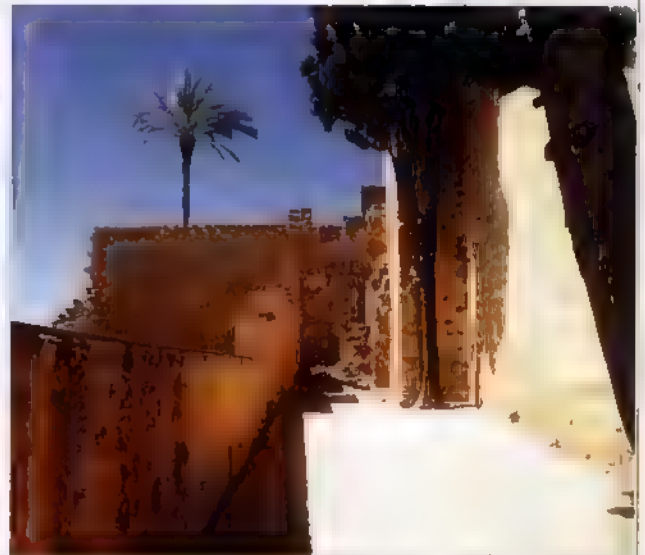


المنذر يخاطب في الخليفة

انهلك الناصر في الإشراف على الزهراء حتى تأخر عن حضور صلاة الجمعة -في يوم الجمعة- ثلاث جمع متواليات. فأراد المنذر بن سعيد أن يذكره بما يتناوله من الموعظة بفصل الخطاب والحكمة. والتذكر بالإنباء والرجوع. فابتدأ بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله في أول خطبته بقوله تعالى: «أتبنون بكل ريع آية تعبثون. وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون. وإذا بطشتم بطشتم جبارين. هااتقوا الله وأطيعون. واتقوا الذي أمركم بما تعلمون. أمركم بأنعام وبنيين. وجنات وعيون. إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم. قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين» (الشعراء ١٢٨-١٣٦). ثم وصله بقوله: «فمتاع الدنيا قليل. والأخرة خير لمن اتقى». ثم مضى في ذم الإشراف على البناء بكل كلام جزل وقول شديد. ثم تلا قوله تعالى: «أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين» (التوبة ١٠٩). وراح يحذر وينذر ويحاسب حتى أذكر من حضر من الناس وخشعوا. وأخذ الناصر من ذلك باوهر نصيب. وقد علم أنه المقصود به فبكى وندم على تضريطه. غير أنه لم يحتمل صدره لتلك المحاسبة العلنية. ولشدة ما سمع فقال شاكيا لولده الحكم: والله لقد تعمدي مندر بحطبه. وما عني بها غيري. هاسرف علي وأفرط في تقيعي. ولم يحسن السياسة في وعظي. هزعزع قلبي واستشيط غيظا عليه لذلك!! فأقسم أن لا يصلي خلمه صلاة جمعة. وجعل يلزم صلاتها وراء أحمد بن مطرف خطيب جامع قرطبة.



بقايا غرفة استقبال في مدينة الزهراء ويظهر الحوض في وسطها



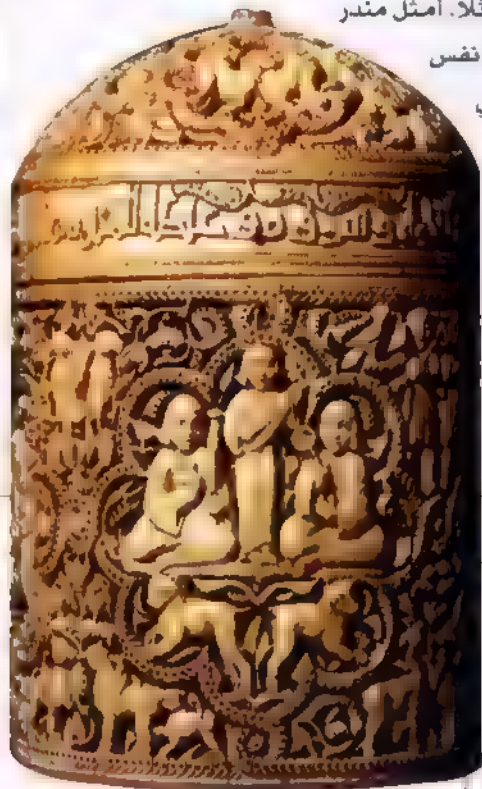
المرالى مدينة الزهراء

تلك هي عقوبة القاضي المنذر. أن لا يصلي الخليفة الناصر خلمه في صلاة الجمعة. لذلك الخطيب الذي تجاوز الحد في الكلام!! وانظر كيف يتعامل حكام اليوم مع العلماء الذي يذكرونهم بالله تعالى والأخرة ومصالحة الأمة.

الناصر واقترح عزل المنذر

ولكن لما رأى ولده الحكم تعلق والده بالزهراء والصلاة في مسجدتها العظيم، قال له: فما الذي يمنعك من عزل منذر عن الصلاة به إذ كرهته؟ ولكن الناصر زجره قائلاً: أمثل مندر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه لا أم لك يعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشدة؟ سالكة لغير القصد؟ هذا ما لا يكون، وإني لأستحيي من الله ألا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعاً مثل مندر في ورعه وصدقه، ولكن أخرجني فأقسمت ولوددت إني أجد سبيلاً إلى كفارة يميني بملكي، بل يصلي مندر بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله، فما أظننا نعتاض منه أبداً.

واعتذر الحكم لأبيه عما قاله بشأنه، فقال: يا أمير المؤمنين إنه رجل صالح، وما أراد إلا خيراً، ولو رأى ما أنفقت وحسن هذه البنية لعدرك.



صندوق مجوهرات من العاج بمدينة الزهراء

المنذر الزاهد

أمر الناصر بعد ذلك بالقصور ففُرشت، وفُرش ذلك المجلس بأصناف الديباج، وأمر بالأطعمة، وقد أحضر العلماء والأمراء وغص بهم المجلس، فدخل مندر بن سعيد في آخرهم، فأومأ إليه الخليفة أن يقعد بقربه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنما يقعد الرجل حيث انتهى به المجلس، ولا يتخطى الرقاب، فجلس في آخر الناس وعليه ثياب رثة.

يمثل هذه الروح الطيبة الطاهرة،
يمثل هذا التعامل بالخلق الرفيع من
العلماء والحكام مع كل الناس بُني
المجد الأندلسي، فقد مضى المنذر إلى
ربه ليلحق بالخليفة الناصر، وذبلت
زهرة الزهراء، ولم يبق منها إلا أطلال
خرية، وبقي المسجد الكبير -مسجد
قرطبة- خالداً على الأيام، شاهداً
بعظمة الإسلام الذي بيني والرجال.



جدار مع بعض الأقواس والأعمدة في مدينة الزهراء

أحوال
الأندلس

أصبح عبد الرحمن أميراً على قرطبة، والبلاد في حالة من الموضى، فالتمق الداخلي قد جعل كل مدينة دولة مستقلة، ومن كل إقليم إمارة منفصلة - كما سبق ذكره - وكانت الحروب الداخلية والفتن المتلاحقة التي استمرت طوال حكم المنذر وأخيه عبد الله قد أرهقت الإمارة الأندلسية، واستنزفت كامل قوتها. وكانت الدول النصرانية في الشمال: (ليون أو نافار) كما ذكر سابقاً - تتابع مسيرتها لبناء قدراتها الذاتية، فأصبحت مملكة ليون من أقوى تلك الدول، وأخذت زعامة دول النصراني في محاربة المسلمين.

مواقع الغوريين في كل سنة من سنة الجوار									
مواقع الغوريين									
1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
11	12	13	14	15	16	17	18	19	20
21	22	23	24	25	26	27	28	29	30
31	32	33	34	35	36	37	38	39	40
41	42	43	44	45	46	47	48	49	50
51	52	53	54	55	56	57	58	59	60
61	62	63	64	65	66	67	68	69	70
71	72	73	74	75	76	77	78	79	80
81	82	83	84	85	86	87	88	89	90
91	92	93	94	95	96	97	98	99	100

تقويم بالألوان

كانت الأندلس كما ذكرنا يوم تولى عبد الرحمن الناصر الحكم، فكانت مهمته خطيرة وصعبة، وكانت سنة حينذاك اثنين وعشرين سنة، لذلك بايعه كل أصحاب المكاثة، ولم ينافس أحد لخطورة المهمة التي كانت ستواجهه من يتولى الحكم في الأندلس في ذلك الحين، لكن عبد الرحمن كان أميراً حازماً، وذكياً عادلاً، وعاقلاً شجاعاً محباً للإصلاح حريصاً عليه، أحبه الشعب وأخلص له، وكان هو قدوة له، لذلك استطاع أن يقضي على العصاة، ويعيد للأندلس وحدتها وقوتها ومكانتها.

التوجه لتوحيد
الأندلس



هزائم ابن حفصون

في عام ٣٠٠ هـ أي في العام الذي تولى الناصر الحكم هاجم الثائر ابن حفصون مدينة "رية" وضرب حصاراً حولها، فبدأ عبد الرحمن الثالث عملياته فوراً يقود بنفسه الجيش. وتمكن من رفع الحصار عن المدينة، ثم تابع هجومه على قوات ابن حفصون فانتزع منها عدداً من الحصون المهمة، ثم لم يتوان عن تحرير المدن الموالية لابن حفصون في كورة "البيرة" وتطهيرها من أنصاره، وتوجه عبد الرحمن الناصر بعد ذلك إلى وادي آش، فاحتل الحصون والقلاع المنتشرة فيه، وأوغل في تقدمه عبر شعاب جبل الثلج (سيرا نيفادا)، وعاد إلى قرطبة بعد مضي ثلاثة أشهر.

اهتز ابن حفصون من تلك الهزائم التي منيت بها قواته، وأخذت الحصون منه، كيف لشاب صغير أن يفعل به هذه الأفاعيل؟ ويهزمه بهذه الهزائم المرة؟ فتحرك يريد أن يفعل شيئاً فالتقى بجيش عبد الرحمن الذي يقوده بنفسه قرب قرية تدعى

"طرش"، ووقعت معركة رهيبة قرب قلعتها، قتل فيها عدداً كبيراً من جند ابن



صندوق مجوهرات، مصنوع من العاج في مدينة الزهراء

حفصون وحلفائه النصارى، وتقدم الناصر مزيداً في هجومه وإعادة المناطق التي كانت بيد هذا الثائر العنيد. ذهل ابن حفصون مما أصابه من همة هذا الشاب غريمه الناصر، فأرسل يطلب المدد من العبيديين (الفاطميين) على عجل، إلا أن الناصر كان يقطعاً فتوجه مباشرة نحو "شدونة" ومنها إلى "قرمونة" اللتين كانتا تحت قبضة المتمردين ابن حفصون، وحاصرهما فاستسلمتا له، كذلك تمكنت سفنه أن تستولي على مجموعة من السفن المحملة بالمال والأمداد التي أرسلها العبيديون (الفاطميون)، وهي طائفة من الإسماعيلية المنحرفة) لدعم ابن حفصون عن طريق البحر في المضيق، فأمر الناصر بحرقها.

ومن حوادث سنة ٣٠١ هـ موت عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج، فتولى إمارة المنفصلين في إشبيلية ابنه محمد بن عبد الرحمن، لكنه ما إن جلس حتى ثار عليه من أسرتة أحمد بن سلمة من بني حجاج، وهكذا يطمع الطامعون في الحكم على أقاربهم، وأدرك هذا الأخير أن ليس بإمكانه مقاومة عبد الرحمن بن إبراهيم فأرسل إلى الناصر يطلب منه المساعدة والمعاونة وأنه يعطيه الولاء إذا أنهى حكم عبد الرحمن بن حجاج، فلبى الناصر هذا النداء، وأرسل قوة استطاعت أن تقضي على تمرد بني حجاج، ويصدق ابن سلمة إذ يعلن ولاءه للأمويين الذين أعادوا سلطتهم على إشبيلية.

بدأ نجم الناصر
يلمع فيضيه في
سماء الأندلس،
كيف استطاع هذا
الشاب أن يعيد إشبيلية؟ وكذلك
معظم المناطق التي كانت تحت قبضة
ابن حفصون بأقل من سنة؟



السيطرة على إشبيلية

جنود الناصر
يهبون للجدّة
أمير إشبيلية
محمد بن
عبد الرحمن



قرطبة، باب إشبيلية. الطريق القديمة المؤدية إلى إشبيلية

كان عبد الرحمن الناصر يفضل دونما ريب (وهو في بداية عهده) عدم الدخول في معارك مع دول الشمال النصرانية، حتى يتفرغ لتصفية أعداء الداخل، لينطلق من قاعدة صلبة من الجنوب والوسط، إلا أن دول الشمال لم تترك له الفرصة، إذ قاد ملك ليون "أردينو الثاني" هجومه الكبير سنة ٣٠٢هـ، ووصل بهذا الهجوم حتى مدينة "ماردة" وكان يحكمها "عبد الرحمن الجيليقي" واستولى على بعض القلاع، وأباد المدافعين عنها، ثم تابع تقدمه حتى "بطليوس" وهي من المدن المهمة التابعة لماردة، فأرسل أهلها وفداً محملاً (بالفضدية) مظهر الطاعة، واكتفى أردينو بما حققه من نصر، وعاد وهو مثقل بالفنائم دون أن يواجه قوة، خشية إذ اقترب من منطقة قرطبة.



النصارى يهاجمون



سرقسطة تخضع

انتشرت أخبار الانتصارات التي مكنت الناصر في أرجاء الإمارة ولما سمع بها ابن قسي المتمرّد بمدينة "سرقسطة" لم يتمهل بل بادر فوراً فأرسل إلى الناصر يعلن له الخضوع، وأنه يدخل فيما دخل فيه الأمويون، فأقره الناصر، وكان من خلقه أن يقدق على العصاة الذين

يستسلمون له ويكرمهم، ويوسع عليهم، وغالباً كان يبقّيهم على أعمالهم، لذلك أخذت المدن الأندلسية في الخضوع له، وتسليمه قيادها مدينة بعد أخرى، بداية من إشبيلية وسرقسطة، ونهاية بالعصاة في "بريشتر" عاصمة ابن حفصون المتمرّد.

النصارى يهاجمون بماردة، أردينو الثاني .





واجهه مدخل مجلس الحليفة الاموي عبد الرحمن الثالث في عرناطه

الناصر يهاجم النصارى

وجد عبد الرحمن الناصر الفرصة مواتية لإظهار وحدة المسلمين وتلاحمهم ضد العدو المشترك (مملكة ليون)، فوجه جيشاً بقيادة وزيره "أحمد بن عبدة" مع بداية سنة ٣٠٤هـ، واصطدم بجيش مملكة ليون في عدد من المعارك الثانوية التي انتهت كلها بالنصر، وغنمت قوات المسلمين غنائم كبيرة، وعاد جيش قرطبة إلى قاعدته بعد أن الحق أضراراً كبيرة في ممتلكات ليون وأراضيها.

النصارى يدخلون متصرفين طليطلة



وفي ربيع ذلك العام ٣٠٤هـ تحالف "أردينو" ملك "ليون"، و"شأنجة" ملك "نافار" للقيام بعمليات ناجحة، فوصلت قوات التحالف إلى "طليطلة" -عاصمة الشمال وكانت مستقلة بيد بني ذي النون- فدخلت المدينة ومناطقها فأعملت فيها هدماً وإحراقاً وأذلت أهلها وأخذت منهم السبايا، وأحرقوا مسجدها، فأسكرتهم نشوة الانتصار هذه.



النصارى يدخلون طليطلة

كانت هذه الدويلات أمثال "طليطلة" نقمة ووبالاً على الإسلام والمسلمين في المغرب والمشرق والأندلس، إذ ما كانت باستطاعتها حماية أنفسها، بل كانت تجد في المنازعات مع جيرانها، ليست إلا كالهريحيكي انتفاخاً صولة الأسد، وتطمع دول النصارى دائماً بالهجوم عليها، وسفك الدماء وإتلاف الحرث والنسل، وأين من يوحدنا ويجمعها؟

وكان لا بد من عمل عاجل، فيتحرك عبد الرحمن الناصر ليجمع الشتات، ويوحد القوات، ويجمع الدويلات المتفرقة، فرأى قبل أن يقوم بهذه المهمة توجيه ضربة لهذه الدول النصرانية التي لا تزال تثير الصمت والحروب، وتنتشر الخوف والرعب في المسلمين قرييين منها كانوا أو بعيدين، فأرسل وزيره أحمد بن أبي عبيدة فخاض عدة معارك ثانوية انتصر فيها وعاد بالغنائم.



الاعمدة والافواس داخل المسجد الكبير في قرطبة



نهاية ابن حفصون

وقد رَأَى أن يموت "عمر ابن حفصون" -وكان قد تنصر ظناً منه أن ذلك يجلب له التأييد فكان العكس- في سنة ٣٠٥هـ، فتفرقت حكومته بين أولاده، فقام "جعفر بن عمر" مكان أبيه في "بريشتر"، واستقل "عبد الرحمن بن عمر" في حصن "طرش"، بينما تركز ابنه الثالث "سليمان" في مدينة "أبدة"، فكانت فرصة مناسبة إذ أسرع عبد الرحمن الناصر فوجه جيشه إلى "أبدة" واستولى عليها وأخذ سليمان أسيراً إلى قرطبة فأكرمه الناصر وعفا عنه وضمه إلى جيشه، أدى عفو الناصر هذا إلى أن يستسلم عبد الرحمن بن حفصون دون قتال ويعلن خضوعه للأمير الناصر.

ثورة سليمان بن عمر بن حفصون

وتطورت الأحداث في جنوب الأندلس، حيث قتل جعفر بن عمر بن حفصون في سنة ٣٠٨هـ، فقام أخوه سليمان مكانه، وأقره عبد الرحمن الناصر على ولايته، ولكنه نكث عهده، وثار عليه، فأرسل الناصر عدة حملات سنوياً لإخضاعه، فامتنع جعفر في حصونه ولم تتمكن الحملات المتتالية في كل سنة من إخضاعه.

علبة من العاج للمغيرة أخ الحكم الثاني (موجودة في متحف اللوفر في باريس)





في عام ٣٠٨هـ تقدم عبد الرحمن بنقصه يقود جنده وكنم الأخبار ليفاجئ مملكة "ليون" وحليفها "ناهار". وأسرع الجند الأندلسي يتقدم نحو الشمال، إلا أن النصاري هناك كانوا على علم بتحركه، فأرسلت مملكة "جيليكية" حملة للعدوان على قرية "الفرج" وهي منطقة حدودية وعلى ريفها، فسيطر الجيش على الريف، واستولى على ما فيه من خيول وماشية، وتقدم للانقضاض على "الفرج" بالذات، لكن عامل هذه المنطقة استطاع أن يحشد كل الإمكانيات المتوفرة، فاندفع جميع أهل المدينة من المرسان والمشاة، حتى خرجت النساء أيضاً لمجابهة هذا العدو الغاشم، ودارت معركة قاسية انتهت بانتصار المسلمين انتصاراً حاسماً، وبدأ جيش "جيليكية" بالانسحاب فاندفع فرسان "الفرج" وابطالها لمطارقته طوال النهار وأبادوا معظم قوات العدو، دبت روح الأمل في نفوس المسلمين لما رأوا قدرة هذه المنطقة الصغيرة أن توقع الهزيمة المنكرة بجيش "جيليكية".



معركة الفرج

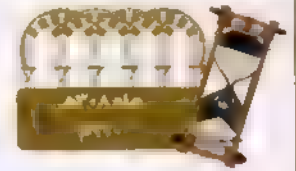


عبد الرحمن يقود جنده ليفاجئ مملكة ليون.

تابع الناصر التقدم بجيشه نحو الشمال، في الوقت الذي كانت فيه الحشود وقوات الدعم تتلاحق بصورة مستمرة من سائر الأندلس لتنضم إلى الأمويين، ولتزيد من قوتهم، حتى إذا توجه عبد الرحمن الناصر نحو "طليطلة" كان في استقباله حاكمها "لب بن الطريشة" ومعه حامية المدينة التي انصمت فوراً إلى جيش المسلمين، فقد توحدت الأندلس ما عدا مناطق صغيرة لا يؤه لها، لذلك قرر الناصر تكثيف الجهد القتالي وأخذ في الاستعداد لمعركة حاسمة مع خصمه "أردينو" ملك ليون فكانت غزوة "موبش"، هل قرأتم؟ أو سمعتم عن هذه الغزوة؟ غزوة "موبش" من الغزوات المهمة في التاريخ الأندلسي، تقول: أين أنتم يا أحفاد المسلمين؟ وهل جهلتم عزمكم؟



الناصر
يتوجه شمالاً



القاعدة في

سالم

تقدم عبد الرحمن الناصر كما رأينا نحو الشمال حتى وصل إلى مدينة "سالم" وجعلها قاعدة لقواته وتوقف فيها لإعادة تنظيم قواته، ثم أرسل منها قوات أخضعت "إلبة" والقلع التي حول مدينة "سالم"، حتى وصلت إلى نهر "دويرة"، وهو نهر يفصل بين مملكة النصارى وبين المسلمين يقع في الثلث الشمالي من الأندلس.

فأرسل فرسانه بقيادة وزيره "سعيد بن المنذر" الذي تمكن من إخضاع حصن "وخشمة" والرجوع بالفنائم، وقد أضرم فيها النار بعد أن كانت الحامية المدافعة عنها قد انسحبت.

حدائق ساحرة داخل القصور



حصن قاشتر

وفي صباح اليوم التالي انطلق عبد الرحمن إلى حصن "قاشتر" حيث كانت الأخبار عن سقوط حصن "وخشمة" في قبضة المسلمين قد انتشرت عبر الإقليم، مما أضعف الروح المعنوية في وسط الحاميات المدافعة، لذلك انسحبت حامية "قاشتر" عن الحصن وتخلت عنه دون قتال، فدخله المسلمون وغنموا ما فيه، وانطلقت مجموعات من فرسان المسلمين في اتجاهات مختلفة لتدمير جميع الحصون والقلع، حتى لم يتركوا في تلك الجهة مكانا يأوي إليها جند "ليون".

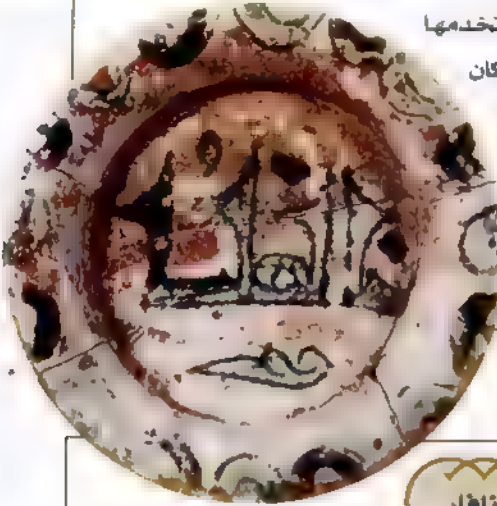


عازف العود واثنان من الموسيقيين مع آلاتهم

مدينة قلونية

توجه الناصر بعد ذلك نحو مدينة "قلونية" من أمهات المدن التي تستخدمها قوات النصارى للإغارة على حدود المسلمين، فلم تجابه مقاومة كبيرة، وكان أهلها قد تركوها ولجؤوا إلى الجبال المجاورة، فانطلق الجند يدمرونها ويحرقونها، ويغنمون ما فيها لتصبح نكابة لهم ولغيرهم، وأرسل من هناك أحد قواده "محمد بن لب" بمجموعة من الفرسان للإغارة على حصن "قلهرة" فدخل الحصن الذي تركته الحامية خوفاً من المسلمين.

طبق مدون عليه واجر مرسوم عليه اسود متقابلة منقوش عليها بشكل زخرفي مصقول. مدينة الزهراء



قتال ناهار

جعل هذا التقدم الظاهر للمسلمين ملك ناهار "شانجة" ينطلق بنفسه لإيقافه محاولاً تدمير طلائع قوات المسلمين أثناء العبور، لكن قوات الفرسان في المقدمة تلقت صدمة هجوم النافاريين، واستطاعت إحباط الهجوم، وأخذت قوات شانجة بالانسحاب، مما جعل قوات المقدمة الإسلامية أن تلقي بثقلها في المعركة ونجحت في تحويل انسحاب العدو إلى هزيمة وانطلق الفرسان إلى مطاردة فلول العدو الممزقة ثم عادوا إلى مركز تجمع القوات بعد العبور لإعلام عبد الرحمن وإطلاعه على الموقف. استطاعت مقدمة الجيش الأندلسي (الحاق الهزيمة بجيش العدو "ملكة ناهار" فكيف إذا لاقاهم جيش عبد الرحمن الناصر. ثم انطلق عبد الرحمن الناصر في تقدمه عبر إقليم "ناهار" بجيشه إلى المناطق الجبلية، وكان قد أمن الأطراف والممرات بمفارز الاستطلاع لحماية أجناب الجيش والمؤخرة، فتجاوز المناطق الجبلية والمضائق بأمان، ووصل إلى منطقة سهلية، فأمر عسكره بالتوقف وإقامة المعسكر للاستراحة.

حصن قلهرة

ثم تحرك الناصر بنفسه يقود بقية الجيش إلى حصن "قلهرة" ولم تحاول حاميته الدفاع عنه بل انسحبت قبل قدوم المسلمين، فدخله المسلمون واخذوا في تدمير منشأته وتحصيناته الدفاعية طوال يومين كاملين لإشاعة الهلع والخوف في نفوس الحاميات الأخرى المتواجدة في قلاع الأعداء المتناثرة، ثم عبر الناصر نهراً صغيراً يدعى "ابرة" نحو الشمال.



قلهرة، الحصن المنيع الشهير

معركة موبش

وفي هذا السهل بدأ تدفق جيش "ليون" و"نافار"، ودارت معركة كبيرة انتهت بهزيمة التحالف النصراني فهربوا لا يلوون على شيء، ولا يهتدون إلى أين ينهزمون، والمسلمون على أثارهم يقتلون من أدركوا منهم حتى حجز الظلام بينهم، وكان حصن "موبش" قريباً من ميدان هذه المعركة وهو حصن يتميز بدفاعاته. فهرب أكثر الجيش إليه، فما كان من الناصر إلا أن طوّق الحصن واستخدمت قواته تجهيزات الحصار من المناجيق وغيره، ثم اندفع المسلمون فاقترحموا الحصن واسروا من فيه من المقاتلين فأمر الناصر بضرب رقابهم جميعاً، وغنم المسلمون ما في الحصن من غنائم كثيرة، فتوقف خشية أن يوغل في بلاد الأعداء، وليعيد ترتيب أموره وتنظيم جيشه، وقد أحرق معاقل النصارى النافاريين حتى لا يستفيدوا منها ثانية. استمرت غزوة "موبش" ثلاثة أشهر، يفتح الناصر فيها معظم الحصون ويحترق في عمق الدولة المعتدية "نافار"، ثم عاد إلى قرطبة بعد أن تصدّد أحوال الثغور واجتمع بقادتها، عزّواي عزّ بعدما كان من تدهور الأحوال).

النصارى يبدون الهجوم على جيش المسلمين في معركة موبش





معركة سانت استيفان

وفي عام ٣٠٥هـ تقدم "أردنيو" حاكم "ليون" من (القوط)، بجيش كبير نحو إقليم "طلبيرة" واستطاع أن يستولي على معظم الإقليم. وكان قد بدأ سياسة جديدة سيئة - سياسة الأرض المحروقة - فيأخذ الغنائم، ويحرق المدن والقرى والأرياف، إذ لم يبق في شمال الأندلس مسلم واحد، بقي القوط أحراراً في أرض المسلمين، وانظر ما يعله القوط و"أردنيو"!!.. فكل إناء بالدي فيه ينضح، وانظر إلى أخلاقنا وأخلاقهم، فأرسل الناصر جيشاً بقيادة "أحمد بن أبي عبدة" وكانت وجهته نحو "سانت استيمان" وكانت من أقوى الحصون. فجاء "أردنيو" بجيش يقوده بنفسه لأهمية هذا الحصن وأرسل يطلب المدد من الدول النصرانية، فتجمعت قوات لهم كبيرة متوجهة نحو حصن "سانت استيفان"، لإنجاده وإنقاذه من المحاصر "أحمد بن أبي عبدة"، فأمر "أحمد بن أبي عبدة" جيشه بالانسحاب لعرفته أنه لا يمكن لقواته القليلة من مواجهة الأعداد الهائلة القادمة، لكنه صمد هو ومجموعة من قادته وأعداد قليلة من المقاتلين حتى أبيدوا إبادة تامة، وتمكنت بقية القوات من الانسحاب بكامل قوتها وأسلحتها.



أردنيو "يقود جيشه بنفسه ضد جيش الناصر بقيادة أحمد بن أبي عبدة"

وفي العام التالي في عام ٣٠٦هـ أرسل الناصر حاجبه "بدر بن أحمد" بجيش يأتيه الرهد من المناطق الأخرى حتى وصل هذا الجيش إلى حدود مملكة ليون، فأرسل الناصري في الشمال طلائعهم ليصدوا المسلمين أو يعيقوهم من التقدم، ولكن الطلائع الإسلامية استطاعت تمزيق تلك الطلائع المعادية، أما اللقاء بين الجيشين فقد تم في مكان قريب من "مدونية" أو "مطونية"، وجرت معركة عظيمة، وتمكنت القوات الإسلامية من إحراز النصر بالرغم من ثبات قوات ليون واستماتتها في القتال، فسحقت قوات الشمال، وهزمتها هزيمة منكرة، حتى أنه لم تتمكن سوى وحدات قليلة معادية من معادرة ميدان المعركة، والفرار بعيدا تنجو من أهوال المعركة.



هزيمة الناصري



مظهر جميل لقاعة العدالة ويبدو السقف العلوي وقد رسم عليه ملك الناصر



كان من بعض ما تركته هذه الفروقة من النتائج ظهور حالة انهيار معنوي كبير في وسط سكان الشفور النصرانية المتاخمة لحدود إمارة الناصر، لذلك أراد "شانجة" ملك "نافار" أن يقوم بأعمال عدوانية لمعالجة تلك النفوس، فتقدم عام ٣١١هـ على رأس جيش كبير في اتجاه مدينة "بقيرة" وما استطاعت حاميتها الصغيرة بقيادة "ابن لب" ومعه "مطرف بن موسى" من بني ذي النون من الصمود طويلا في الدفاع، واستطاع "شانجة" اقتحام المدينة وإبادة حاميتها وقتل قادتها جميعاً ابن لب وأبناء ذي النون .



الناصرى يقتحمون بقيرة

الناصرى يدخلون بقيرة

الناصر يرد

فأراد الناصر وقد بلغه تجاوز الأعداء في الشمال، وعبورهم وادي "دويرة" وإثارة الخراب في أرض المسلمين أن يوقفهم عند حدودهم، وأن يزحف هو على رأس جيش بعد أن أرسل مقدمة بمهمة مجابهة قوات الشمال وإحباط هجماتها جيشاً يقوده "عبد الحميد بن سبيك"، الذي وصل إلى "تطيلة" وأوقف العدوان هناك.



عبد الحميد بن سبيك بمود جيشاً وصل به إلى . تطيلة .

ثورات ضد الناصر

وأراد عبد الرحمن الناصر تحقيق المباغتة والإسراع في تنفيذ العمليات لردع الأعداء فخرج من قرطبة على رأس جيشه الكبير عام ٣١٢هـ. وأقام قريباً من قرطبة لتنظيم القوات القادمة في منطقة الحشد وإعدادها للمعركة الفاصلة، في هذه الأثناء تحرك بعض الطامعين في الحكم ولم يقدرُوا الخطر الحقيقي الذي يهدد وجود الإسلام والمسلمين في الأندلس، فثار في الجنوب "بتدمير" عبد الرحمن بن وضاح، كما أعلن العصيان في "بلنسية" شرقاً محمد بن عبد الرحمن بن الشيخ، فأصبح الناصر بين أعداء متفرقين حيث كان في الشمال: القوط، وفي الجنوب "تدمير" وثارها، بالإضافة إلى ثورة ابن حفصون نشأت من جديد بقيادة ابنه في "بريشتر" عاصمة الجنوب الشرقي.

الهجوم العظيم

لذلك توجه بجيشه نحو "تدمير" وانطلق منها إلى "بلنسية"، فنزل الثائرون من معانهم ولكن الناصر استطاع أن يخمد ثورتهم ما عدا "ابن الشيخ" الذي أصر على التمرد، فخشي الناصر أن ينتهز التصاري القوط ابتعاده، فترك حامية لحصار "ابن الشيخ" وانطلق بجيشه هو نحو "تطيلة" فلما وصل إلى حصن "قليقرة" وجده خالياً، فأمر بتدمير وإحراق جميع ما فيه (يرد على ما فعله "شانجة" سابقاً)، كذلك كان العدو قد أخلى جميع الحصون والقلاع وكانت حامياتها قد تركت متاعها وموادها التموينية فغنمها المسلمون، وهدموا الحصون التي كانت في تلك الجهة.

شكل يمثل بعض الدفاعات التحصينية الوقائية في مبنى الناصر الحربي حيث يتم سكب الزيت أو الرصاص المذاب من البرج على أي أعداء يحاولون كسر باب القوس أسفلهم.



وتقدم الناصر بعد أن اجتاز السهول

فوصل بقواته إلى منطقة الجبال وكان عليه

أن يعبر بجيشه الجرار "مضيق المركوير" بين السلاسل الجبلية

الشاهقة، وهو أمر صعب بالغ الخطورة، فخشي من المباغتة، فأعاد الناصر تنظيم قواته للمسير في تلك المناطق، ودعم المقدمة والمجنبات والمؤخرة بقوات من الفرسان، وفعلوا استطاع أن يعبرها على أسلم طريقة وقطع تلك الجبال إلى أن وصل إلى مدينة "بشكسونة" وإليها ينسب "شانجة"، فأحرق الناصر مبانيها، كان "شانجة" قد حشد قواته في المرتفعات الجبلية، وأخذ في متابعة تقدم جيش الناصر لعله يجد منه غرة، مما جعل عبد الرحمن الناصر يتابع تحركاته أيضاً. هددع عناصر الاستطلاع في كل اتجاه، وأمر القادة بالحد، وأخذ تدابير الأمن.



مضيق المركوير

وعندما وصلت قوات المسلمين إلى المضيق الضيق الصعب أخذ فرسان "نافار" في الهبوط من الجبال، والانحدار من المرتفعات لإيقاف تقدم المسلمين، فأمر الناصر بالهجوم، وانطلقت القوة الرئيسية بهجومها فعبرت النهر، ولم تستطع قوات "نافار" الصمود في مواضعها، فاقتلع المسلمون أعداءهم، ووضعوا السيوف فيهم ففروا إلى جبل وعر، فاقتحم المسلمون عليهم وبسطت الأرض بأجسادهم حتى كانت الخيول تجري عليهم مثل ما قال المؤرخون.

هجوم نافار



منظر حي الاذرع أو حي سكن الضباط من برج المراقبة



دخول العاصمة بابلونة

وتقدم الناصر إلى أن وصل بقواته إلى مدينة "بابلونة" أهم مدن مملكة "نافار" وهي عاصمتها، لا يمر بمكان إلا دمره، ولا بقية إلا هدمها، وأزال المواقع المحصنة بها، وكان أهل "بابلونة" قد غادروها، كما قد انسحبت الحامية المدافعة عنها، فدخلها الناصر لدين الله وأمر بتدميرها وتخريب مبانيها.

بقايا مدينة الرهراء



صخرة قيس

وكان "شانجة" ملك "نافار" قد شيد كنيسة كبيرة أنفق عليها الأموال الكثيرة في مكان يسميه المسلمون "صخرة قيس" وكان قد حصنها تحصيناً قوياً كما عمل على حشد قوات كبيرة في الجبال والمرتفعات المشرفة على هذه الصخرة، فوصل إليها الناصر بسرعة وفي لحظة طرف اقتلع المسلمون جيش "نافار" وصرعوا من فرسانه ووجوه أصحابه من كان عوناً للملك "شانجة"، وأمر الناصر بإحراق القرية وما فيها.

راس عمود قرطبه او مدينة الزهراء

فرار الملك

لم يتوقف "شانجة" عن محاولة تنظيم قواته، وتنظيم قوات الدعم التي كانت تأتيه من "إلبه" والقلاع عند حصن يدعى "شتت اشتين" لشن هجوم مضاد على جيش الناصر المتقدم، فدارت معارك قاسية أظهر فيها المتصارعان عناداً في القتال وبأساً شديداً. ولكن المسلمون استطاعوا انتزاع النصر في النهاية، ومضوا يلاحقون جيش "نافار" الذي فر نحو المرتفعات الجبلية وكذلك فعل الملك النافاري "شانجة". أخضع الناصر جميع القلاع والحصون في الشمال حتى إنه أحرق العاصمة "بيلونة" ومزق جيش "نافار" وجعل ملكها فاراً يبحث عن مأوى في الجبال. إنها العزيمة الصادقة تفعل الأعاجيل.



الناصر يقود
الجيش
ويلاحق
النافاري
بنفسه



احتماد صراع النصارى فيما بينهم

ورجع الناصر إلى قرطبة.. ومات "شانجة" في سنة ٣١٤هـ، وكان ولي عهده "غرسيه" صغيراً، لذلك قامت جدته التي تدعى "طوطة" بالتوصاية عليه.

رأى أحد قواد "نافار" ويدعى "فررلند" تسلط "طوطة" على الحكم واستنثارها به فتحالف مع ملك ليون "اردون بن روزيد" ضد "غرسيه" وجدته، مما جعل "طوطة" وحفيدها وأنصارهما يتوجهون إلى "قرطبة" يستنصرون بالأمير عبد الرحمن الناصر وهكذا الأيام دول. فوجد فرصة للإيقاع بهم، ويعيد الحكم إلى "طوطة" بمساندتها بقوات من جنده، وتتولى هي وحفيدها ملك "نافار" مرة أخرى

صراع بين
الناصري

نهاية ثورة ابن حفصون

في هذه الأثناء تطورت الأحداث في "بريشتر" عاصمة الجنوب الشرقي التي كانت تحت قبضة ابن حفصون وأولاده من بعده، حيث وجه الأمير عبد الرحمن جند الأندلس بقيادة وزيره "عبد الحميد بن سبيل"، وخرج "سليمان بن عمر بن حفصون" للقائه فهزمت قوات ابن حفصون وقتل سليمان، فخلفه حفص أخوه، واستمر على المقاومة، لكنه اضطر في النهاية إلى الاستسلام، فأخذ أسيراً إلى "قرطبة"، وعفا عنه الناصر وضمه إلى جيشه، وانتهى هذا التمرد الذي دام سبعة وأربعين عاماً، وخضعت عاصمة الجنوب للأمويين.

لم يكن ابن حفصون ثائراً عادياً يعتمد على أساليب العنف والبطش فقط، وإنما بذكائه أعلن أنه صاحب دعوة سياسية يطلقها بين الذين يحسون أنهم مضطهدون في دولة تحكمها فئة لا تلتفت إلى مصالح أولئك المنتمين إلى أعراق وجنسيات عديدة في المجتمع، وهؤلاء على الأغلب في فترات التاريخ كانوا يحتفظون بنزعة استقلالية، يظهرونها إذا ضعفت الإدارة المركزية، أو إن وجد من يجمعهم في صف واحد وراية واحدة للقيام بالعصيان، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن الذين يعتنقون الإسلام لا عن علاقة وطيدة بالمسلمين، ولا عن اعتقاد سليم متين يبتغون نحلهم ومذاهبهم متربصين بالإسلام والمسلمين الدوائر، فجمع ابن حفصون لذلك عشاق القوضى والقلقل والاضطرابات، كما جمع أذعياء الظلم والعسف والجور الذي لحق بهم من السلطان وأعوانه.

وهل كانت الثورات التي قامت في المشرق الإسلامي أو المغرب أو في الأندلس إلا من تلك الفئات التي عرفت بالباطنية في تاريخنا؟ كثرة الزنج، أو القرامطة، أو ثورة ابن حفصون.



مدخل مجلس الخليفة الأموي عبد الرحمن الثالث في غرناطة

اضطراب الخلافة
العباسية



بلغ الضعف في الخلافة
العباسية في الشرق حداً
كبيراً، حتى إن "مؤسداً بن
المظفر" من الترك قتل
ال خليفة العباسي "المقتدر"
وعين "القادر بالله" خليفة
اسماً، إذ أن الذين كانوا
يديرهم هم قيادة الموالي لا

ال خليفة، فأعلن الناصر أن القادر غير جدير
بالخلافة، وأن الوضع في الشرق يسوده الضعف
والتجزئة، بل أصبح الخليفة لا يملك من أمور
الخلافة شيئاً سوى المظهر الاسمي، والدعاء له على
المناابر، فأعلن أنه أجدر بالخلافة منه، ولقب بالناصر
لدين الله أسوة بالصاب المشرقيين، وذلك في ذي
الحجة سنة ٣١٦هـ، ونشر للملا أن يكون الدعاء له
على المناابر، وأن يخاطب بلقب: "أمير المؤمنين"، وربما
لأسباب أخرى تجمعت لديه جعلته يعتقد أنه أحق
من غيره.

فنقل الدولة من عهد الإمارة
إلى عهد الخلافة، فهو أول
من لقب بأمير المؤمنين،
وهو أول خليفة أموي في
الأندلس وكانوا قبله أمراء.

دينارين عباسيين مصكوكين في
عهد المعتز، سنة ٤٦٦ هـ



ظهر في الشمال الإفريقي خطر
جديد يهدد الناصر ألا وهو
حكم العبيديين "الفاطميون"
الذين نشطت دعوتهم في تلك
الفترة، فبسطوا سلطانهم في
المغرب وغيره، واحتلوا "تاهرت"
في سنة ٣١٤هـ.

العبيديون
(الفاطميون)



جيوش الفاطميين تبسط نفوذها في المغرب

في عام ٣١٨هـ تقدم الفاطميون المتحكمون في المغرب بأسطول بحري هاجم أسطول الأمويين في مدينة "الرية" جنوب شرق الأندلس وكانت قاعدة للأسطول الأموي وفيها الميناء الرئيسي، وأحدثوا دماراً هائلاً في ذلك الأسطول، فرأى عبد الرحمن أن يعيد تنظيم قواته البحرية، وينشئ المراكب البحرية القوية، وهجم بأسطوله على الساحل المقابل للأندلس فاستطاع أن ييسط سيطرته على "سبتة"، ولم يعد بعد ذلك يخشى الناصر أي خطر أو تهديد يأتيه من الجنوب أو الشمال الإفريقي. وكان يمكن أن يتابع انتصاراته وأن ييسط سيطرته على الشمال الإفريقي لولا حدوث ثورة في "طليطلة" ضده.



الفاطميون يهاجمون



خارج مسجد قرطبة الكبير، أكبر جامع في العالم الإسلامي بعد مكة

ثورة طليطلة

إذ أعلنت تمرداً في عام ٣١٨هـ، فوجه عبد الرحمن وفداً من العلماء لإقناع رعاياها بالعدول عن الثورة، ولما فشلت المحاولات السلمية أرسل جيشاً لإخماد لهيب الثورة في "طليطلة"، غير أن هذا الجيش لم يتمكن من فرص السيطرة عليها. مما دفع الطمع بالنصارى للاستفادة من هذا الوضع المتأزم. فأرسل ملك ليون "راميرو" لدعم الثوار في تلك المدينة المتمردة، فأرسل الناصر فوراً جيشاً لصدّ قدوم جيش النصارى قبل أن يصل إلى "طليطلة"، واستطاعت هذه القوات دحر تقدم جيش ليون وتمزيقه في شمال المدينة، فأسقط بيد الثوار واستسلموا للناصر الذي وصل بجيشه، ودخل "طليطلة" ظافراً.



تطور القتال بين المسلمين في الأندلس والنصارى في شمالها، وجرت أحداث معركة تُعدّ من أخطر ما مر على الأندلس زمن عبد الرحمن الناصر، هي "غزوة الخندق".

قرطبة، المسجد الكبير. منظر نحو المحراب: الجناح المؤدي إلى المحراب (الذي كان هو الجناح المركزي حتى توسيع المنصور) أوسع من الأجنحة المشتركة. ونلاحظ أنه قد تحول إلى متحف للزوار فقط.



وقبل أن ندخل في تفاصيلها نلقي نظرة عامة على أوضاع نصارى شمال الأندلس، فقد كانت هناك ثلاث ممالك وقواتها مقسمة تبعاً لذلك إلى:

- ١- مملكة ليون شمال غرب الأندلس.
- ٢- مملكة نافار التي استطاع الناصر أن يسيطر عليها سيطرته في غزوة "بنيبلونة" التي سبق ذكرها، وأعاد الملكة "طوطة" وحفيدها "غرسيه" إلى الحكم في أقصى الشمال.
- ٣- منطقة شمال شرق الأندلس ويحكمها الفرنسيون.

أوضاع
النصارى في
الأندلس



هجوم ليون

وكانت مملكة ليون أخطر هذه الممالك على المسلمين لقربها من بلادهم، وقد تربع على عرشها عام ٣٢١هـ "راميرو الثاني" بعد صراع ومنازعات شديدة استمرت بين أعضاء هذه المملكة للاستيلاء على الحكم استمرت سبع سنوات. فأراد "راميرو" إظهار قوته بأول عمل له فتوجه إلى حصن "وخشة"، فخرج المسلمون تاركين الحصن كما انسحبت القوة المدافعة عنه إلى الجبال.

الملك، راميرو، يتجه لقتال المسلمين عند حصن وخشة



خيانة في سرقسطة

بادر الناصر على عجل بنفسه يقود جيشه لملاقاة ملك ليون ليوقف نشاطه، إلا أن "راميرو" رفض المواجهة وتجنب الصدام فآثر الانسحاب، رأى عبد الرحمن الناصر أن يبذل قوة ليون، وأن يزيل خطر مملكة الشمال الغربي "ليون"، فتوجه عام ٣٢٣ هـ لضربها وتمزيقها، لكن الوالي الذي كان قد عينه الناصر على مدينة "سرقسطة" ويدعى "محمد بن هشام التجيبي" أعلن عصيانه، وثار على الناصر وأرسل إلى حكام المدن والمناطق الإسلامية القريبة منه أن يثوروا، ويعلنوا استقلالهم وانفصالهم عن الخلافة، ولم يكتب بهذا بل أرسل إلى "راميرو الثاني" يعرض له خضوعه، ويطلب إليه العون والمساعدة فأرسل إليه ما طلب فوراً، أما حكام المناطق الإسلامية -ولو أعلن بعضهم التمرد على سلطة الناصر- قد رفضوا خيانة المسلمين أو الغدر بهم لما أرسل إليهم "راميرو الثاني".



اشكال من
الخطوط
الكوفية
المنقوشة على
الابنية

لم ينتظر الناصر تطور هذا التحالف، فأسرع يقود جيشه بنفسه سنة ٣٢٦هـ، وبدأ جهاده بحصار قلعة أيوب، وهي من أشهر من الحصون المهمة المتمردة التي حالفت النصارى، واستطاع اقتحامها، وقتل قائدها "مطرف" بن مندف التجيبي، وقتل كذلك قادة قوات الدعم الذي أرسله "راميرو الثاني" لمساعدة مطرف.

الناصر يهجم بنفسه



الناصر يستدون الثورة

وما لبثت "طوطة" أن نقضت عهدها متأثرة بنشاط ملك ليون ونسيت فضل الخليفة عليها وعلى حفيدها حين أعادها ملكين إلى حكم "نافار"، فأرسلت إلى "راميرو" تساعده وتحالفت معه بإثارة الهجوم والقتال على حدود المسلمين وثغورهم، وأدت بذلك مسوونة ضخمة ودعماً قوياً إلى حلف ملك ليون ومحمد بن هشام التجيبي، وشكلت بذلك جبهة واحدة وتحالفاً قوياً، وبدأ بذلك التحالف الثلاثي (ليون-نافار-التجيبي) الخطر الكبير على الخلافة الأموية في الأندلس.



الناصر يحاصر قلعة أيوب وهي من الحصون المتمردة التي حالفت النصارى

وعين أميراً جديداً من أحد أقاربه يدعى أحمد بن إسحاق قائد الفرسان على حصار "سرقسطة" بعد أن وصل إليها ثم جاوزها، كان أحمد بن إسحاق هذا متأمرّاً يرأس الماطميين سرّاً ليتفرد بالسلطة، ولما عين حاكماً على منطقة "سرقسطة" -سوى المدينة- ظن أن الفرصة قد حانت له، وأن الأوان لإظهار نواياه السيئة، فتهاون في الحصار، ولم يبذل في تهدئة الأمور شيئاً، فاطلع الخليفة على حقيقته، وأرسل من يقبض عليه ويغتاله، ويقضي على عصيانه، ووصل هذا الخبر إلى "أمية بن إسحاق" أخي أحمد فأعلن العصيان على الإمارة، وتمرد على الناصر في مدينة "شنترين" غرب الأندلس، ولكن قائداً من قواد الخليفة الناصر استطاع أن يتصدى لمؤامرة هذا الخائن الذي فر إلى مملكة ليون يستنجد بـراميرو الثاني، ويحارب معه، ويذله على عورات المسلمين.



خيانات متتالية

راس عمود في
سرقسطة ونقش
على الرمر

تمكنت قوات الخليفة من فتح "سرقسطة" وإنهاء التمرد، ووقع حاكمها "محمد بن هشام التجيبي" أسيراً فأرسل إلى الناصر فطلب منه أن يعفو عنه وأن يسامحه وأظهر له صدقه وولاءه وخضوعه، فعفا عنه الناصر وأعادته إلى منصبه حاكماً لسرقسطة.



فتح سرقسطة

تابع الناصر تقدمه بجيشه يدمر حصون مملكة نافار وقلاعها ويمزق جيش الملكة "طوطة" التي أصبحت عاجزة عن الاستمرار في القتال فاستسلمت، وتقدمت تطلب الخضوع وتظهر الطاعة تعطي الموائيق، و«إنهم لا إيمان لهم» (التوبة: ١٢١)، فقبل الخليفة طلبها، وأقرها وحفيدها "غرسية" على مملكة نافار مرة ثانية.

استسلام
الملكة طوطة

راس عمود آخر في سرقسطة



لما استطاع الناصر أن يمزق شمل هذا التحالف الثلاثي: ليون - نافار - المتمردين التجيبين، لم يبق أمامه سوى شمال غرب الأندلس (مملكة ليون) وخصمه هناك اللود "راميرو الثاني"، فبدأ يستعد لإجراء معركة فاصلة حاسمة ضده، وينظم جيشه الذي وصل تعداده إلى مائة ألف مقاتل. وبعد أن أكمل استعداداته، توجه الخليفة نحو قلعة "سمورة" وكانت أقوى قلعة لمملكة ليون، لها سبعة أسوار، وبين الأسوار خنادق واسعة عميقة تغمرها المياه، بالإضافة أن لها حامية قوية وفيها قوات عديدة للدفاع عنها. نجح الناصر في اقتحام السور الأول، ثم تابع جنده إلى السور الثاني فجاوزه ثم إلى الثالث، وانتهى الأمر إلى خروبه، فاشتد النصارى للقتال يدفعهم الخوف بحيث لو سقطت القلعة في "سمورة" لأصبحت أبواب مملكة ليون مفتوحة. وكان الفرور قد دب في نفوس بعض القادة من جند الناصر وعلى رأسهم "نجدة الصقلي" مع وجود بعض القادة غير الأكفاء في مراكز القيادة وظهور العصبيات مع اغترار بعض المسلمين بكثرة العدد، وبالانتصارات التي سبقت، وكأنهم نسوا قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرَتُمْ فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَصَاحَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلِيتِمَ مَدِيرِينَ﴾ (التوبة ٢٥)، أدت كل هذه الأمور وأمثالها إلى إنقاص الحماس للقتال، فتهاون هؤلاء واسترخوا وأظهروا قصوراً واضحاً في متابعة زخم الهجوم والتقدم نحو الأمام بقوة.

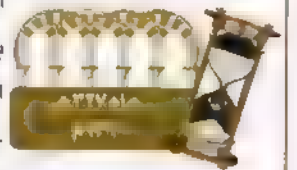


قلعة سمورة

الناصر وجنده يقرون من المعركة بعد أن تهاونوا وأصابهم الفرور وظهرت بينهم العصبيات



استمادت قوات العدو المدافعة عن القلعة من فتور بعض المسلمين، فنظمت هجوماً مضاداً قوياً تمكنت بواسطته تدمير قوة هجوم جند الناصر، وأثارت الاضطراب في تنظيمه، فبدأت الهزيمة تدب في صفوف الجيش الأندلسي، فأسرع "راميرو الثاني" إلى تطوير هذه الهزيمة بالهجوم المتواصل حتى حوّل هزيمة جيش الناصر إلى مطاردة، وكان ذلك في شهر شوال سنة ٣٢٧هـ، فر الناصر وجنده نحو "سلمنقة" على شاطئ نهر "دويرة"، وتوقف فيها لإعادة تنظيم قواته ومحاولة الجمع لإيقاف المطاردة المعادية، إلا أن ملك ليون لم يدع له الفرصة، وساندته "طوسلة" التي خانت للمرة الثانية وهذا شأن غير المسلمين «كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة» (التوبة ٨)، وكما بينه سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ (التوبة: ١٠)، ودارت رحى معركة ثانية، فانهزم جند الأندلس مرة أخرى.



هزيمة الناصر

الخندق

وصل المسلمون منهزمين إلى مكان يدعى الخندق يقع جنوب شرق "شلمنقة" فقام الناصر وجنوده بهجوم مضاد قوي، لكن هذا الهجوم لم يقد شيئاً إذ لم يتمكن جيش الأندلس من مجابهة ضراوة هجوم الشمال مملكة ليون ومملكة نافار. فضروا على غير نظام، وقتل قائد الجيش "نجدة الصقلي" واستشهد عدد من

العلماء، وأسر "محمد بن هشام التجيبي"

كما أصيب الخليفة الناصر بجراح، فوئى باتجاه قرطبة وليس معه سوى خمسين فارساً فقط، ولم ينج من الأسر إلا بأعجوبة.



فلس الامارء الاموية، عهد الله



درهم مصكوك في عهد عبد

الرحمن الثالث سنة ٣٣١ هـ



عزناطة الحمراء ساحة البركة، بعد هذا البرح من اعظم لروح الحمراء وتوجد فيه قاعة السمراء افاعلة الاستقبال

تقدم النصارى
إلى العاصمة
قرطبة

وتقدمت قوات التحالف الشمالي إذ قرر "راميرو" أن يسقط قرطبة فلم يعد أمامه مانع، لقد دمر الجيش الكبير مائة ألف مقاتل، ولم يبق إلا خمسون فارساً.
لكن "أمية بن إسحاق" هذا الخائن وأخوه كما مر ذكرهما أخذته بقية من إيمان، وتحركت فيه جدوة من نور، فخاف على المسلمين، فأقدم على "راميرو" بوقعه في مكر أعدده -وقد حفظ له التاريخ هذه المكرمة- يقول له: إن ما عمله عبد الرحمن الناصر خطة محكمة يعريك لتتقدم فتقع في مصيدة أعددها لك، ليدمرك وقوتك، ولا يزال هناك كثير من الكمائن على مجنبتى الطريق الموصل إلى قرطبة تتربص لك ولحيشك، ثم رغبه بالاكتماء بما حصل عليه من الغنائم وأنه يكفيه فخراً بما حقق من انتصار كبير على هذا الناصر الذي ظن وجنوده أنهم لن يفلحوا.



البقية الباقية من الناصر وجنوده الخمسين لم تقع في الأسر توجه إلى قرطبة

عودة النصارى

انطلقت الحيلة على "راميرو الثاني" فأوقف المطاردة وكر راجعاً على مملكة ليون.
تنفس عبد الرحمن الناصر الصعداء وأعاد تنظيم جيشه، ورتب أمور قواته، وهكذا الأيام:
فيوم لنا ويوم علينا ويوماً نساء ويوماً نسر
ثم أرسل إلى ملك ليون يفتدي أعداداً كبيرة من أسرى المسلمين ومن بينهم "محمد بن هشام التجيبي" حاكم "سرقسطة"، فأفرج عنهم بعد أن مكثوا في الأسر ثلاث سنوات.
وأرسل "أمية بن إسحاق" فيما بعد إلى الخليفة الناصر يطلب إليه العفو فأمنه، وعفا عنه وأكرمه لما قدم من خدمة بإنقاذ البقية الباقية بعد معركة الخندق.



راس عمود، قرطبة

نتائج الخندق

- ١- كان من أبرز نتائج الخندق، تعرض جيش المسلمين للخصائر الفادحة، إذ قتل عند حصون سمورة أربعون ألف مقاتل، وعلى بعض الروايات بلغت الخسارة خمسين ألف قتيل.
- ٢- وعلمت المسلمين أن النصر بيد الله حقاً، وأن لا يتكلموا على عدد أو قوة، أو تفريغهم وسيلة من وسائل الدنيا.

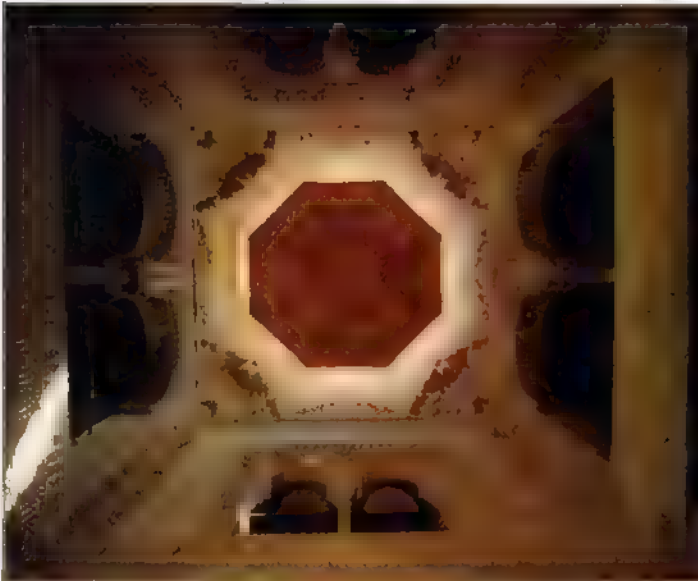


الهجوم الإسلامي

واستفاد الناصر من غزوة الخندق -أو هزيمته- فعمل على إزالة عوامل الضعف وكانت هناك محصورة في نطاق ضيق، ولم تتضخم لتشكّل وباءً قاتلاً ولم تؤثر على مسيرة الجهاد في تكوين جيش الأندلس حينذاك، فأعاد الثقة إلى الأكفاء من قادته، واعتمد على أهل الخبرة ممن يتوافر فيهم البأس والكفاءة في إدارة المعارك، وبالرغم من توقفه هو عن قيادة الجهاد، فقد وجه عام ٣٢٩هـ أي بعد سنتين فقط من هزيمته في الخندق قوة استطاعت اقتحام حدود مملكة ليون، وعملت فيها تدميراً وتخريباً، وقد هلك فيها من جند الانصارى في الشمال ضعف ما قُتل من المسلمين في الوقعة الأولى "الخندق" كما ذكر المقرئ في "نصح الطيب".

سالم قاعدة الشمال

ثم بنى الناصر مدينة "سالم" عام ٣٣٥هـ لتكون مركزاً للقوات المدافعة المتواجدة في منطقة الشفور، ولتكون القاعدة قريبة من الشمال، يمد منها العون لأي ثغريحتاج إلى مساعدة ومدد في أي خطر ما، وأوجد الصائفة والثانية. وبنى مدينة "المرية" في الجنوب الشرقي من الأندلس على البحر المتوسط لتكون قاعدة للأسطول الأندلسي، وجعل فيها داراً لصناعة السفن.

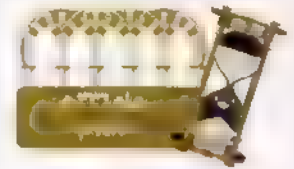


قبة برج احد القصور يظهر من اسفل

خامساً مشاركة الأندلس في عهد الناصر

بعد أن استقرت الأوضاع في الأندلس، توجه الناصر إلى إرساء دعائم الحكم في كل الاتجاهات الداعية إلى بناء الدولة.

من الناحية السياسية



أصبحت قرطبة أيام الخلافة في المكانة السياسية التي تعد إليها الوفود والرسائل من جميع الدول، فقد وصل إليها سنة ٣٣٦هـ وفد من "بيزنطة الشرقية" من القسطنطينية - إسطنبول حالياً - لتطوير العلاقات بين دولة الرومان الشرقية وبين الأندلس، فقال الوفد ما راوه من عظمة الأندلس ورفيها، وبهرهم هول المجلس - الذي سبق ذكره - فوجموا لا يتكلمون، ورد الناصر بوفد يرأسه "هشام بن بديل" بالهدايا الثمينة إلى ملك الروم، ودامت السفارات بينهما.

كما جاءت وفود الدول المجاورة لقرطبة تلتبس الصداقة، وتبادل السفراء فيما بينها ومن مختلف المناطق حتى من نصارى شمال الأندلس، فأجروا مع الناصر معاهدات سلم وأمن، فأمن المسلمون في الثغور وساد الهدوء. مات في عام ٣٣٩هـ "راميرو الثاني" ملك ليون، فاقسم ولده الملك أردينو وشانجة، ثم تنازعا مما جعل "شانجة" - وهو الصغير - يطلب المساعدة والعون من الناصر بالذات، ولم يتوان الناصر في ذلك فأمد "شانجة" بمال وعتاد مكنته من استلام الحكم، لذلك عقد مع الناصر معاهدات أمن وسلام.



روعة الزهراء في تلك الأبداعات التي لم يكن لها سابق في التاريخ

٢١ من الناحية الاجتماعية



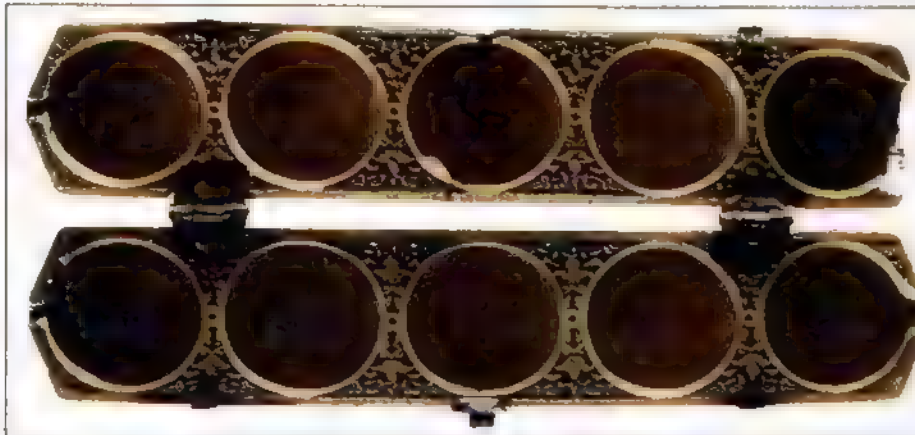
قدر صغير من مدينة الرهراء من

الحرف مربنة بالرسومات

تفتن الناس في أنواع الاطعمة والملابس والغناء والطرب، وانشغلوا عن الاستعداد للجهاد، وكان من سنّ فيهم هذه السنة: "زرياب" الذي سبق ذكره فاشغل الناس بابتكاراته في عالم الطعام واللباس، فلكل فصل نوع من اللباس والطعام، وكل مجلس آداب وتقاليد، وكل حفلة طرب وغناء (وموسيقا) بمختلف الألحان، ولقد تصدى العلماء على محاربة الترف والإسراف منهم "المنذر بن سعيد البلوطي" (موضع قرب قرطبة يقال عنه فحص البلوط)، قال عنه "ابن بشكوال": "منذر بن سعيد خطيب مصقع (ماهر) لم يكن بالأندلس أخطب منه، مع العلم البار، والمعرفة الكاملة، واليقين في العلوم والدين، والورع وكثرة الصيام والتهجد والصدع بالحق، كان لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد استسقى غير مرة فسقي، وكذلك الخليفة الذي بيده متاع الدنيا الكثير يقف خاشعاً متضرعاً إلى الله أن ينزل الماء وإن لا ينال المسلمين قحطاً أو حرماناً من رحمة الله بسببه، وهو الذي ما قصر يوماً بحق الإسلام والمسلمين.



رسم يهمل عن انشغال المسلمين باللهو والطرب ومحالسا النساء



سبق ذكر بعضها، إذ أصبحت قرطبة من أكبر مدن العالم آنذاك سكاناً، إذ بلغ عدد سكانها نصف مليون، ولم يكن مدينة أكبر منها إلا بغداد، وبلغت دورها ثلاث عشرة ألفاً (دور واسعة عربية كما يقال)، بالإضافة إلى القصور، وكان فيها ثلاثة آلاف مسجد، فهل في هذا العصر مدينة مثلها بعدد مساجدها؟

صندوق العباب لأحدى فتيات عبد الرحمن الثالث مصنوعة من العاج والمعدن

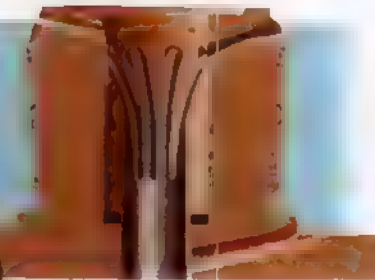


الاعمدة والاقواس والزخرفة والفسيفساء في بهو أحد قصور الزهراء

ابريق ماء على شكل
طاووس مدينة الزهراء.
صب ونقش على النحاس

قسمت قرطبة وحدها إلى ثمانية وعشرين ضاحية، وقسم رجال الشرطة إلى شرطة بالليل وشرطة بالنهار، وجعل قسم منهم لمراقبة التجار، ونظم جباية المال وموارد بيت المال حتى بلغ دخل هذا البيت (٦,٢٤٥,٠٠٠) ديناراً ذهباً، ولما مات كان قد ترك في بيت المال ثلاثمائة مليون ليرة ذهبية، وكان ثلث هذا المبلغ يرصد لتغطية نفقات الدولة الجارية، ويدخر الثلث الثاني، وينفق الباقي على مشروع العمران. وقد ذكر فيما قبل الجانب العسكري في الحياة العامة لأهل الأندلس في زمن عبد الرحمن الناصر عند الحديث عن مدينة سالم. لذلك أطلق على قرطبة لقب "جوهرة العالم" في ذلك الزمان، وحق لها هذا اللقب.

وكذلك نظم أسلوب البريد، ونظم المالية، فالضرائب والمكوس والخراج والجزية، ونظم القضاء ووضع شروطاً لتولي القضاء، في الناحية الفقهية، وفي العدالة والاستقامة، ولم يشترط عريية الجنس في القضاء، وأنشأ قضاءً جديداً أسماه قضاء المظالم ما يقابل محاكم الاستئناف في يومنا هذا، وأوجد جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كذلك جعل نظام الحسبة ففي كل بلد محتسب، يشرف على الأسواق التجارية ومشاكلها وقوانين القضاء.



التطور في هندسة جر
مياه الشرب



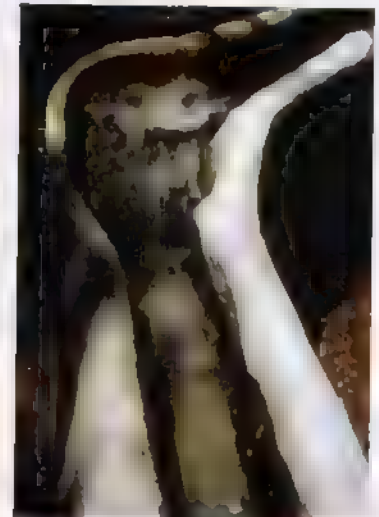
عجلة مياه عربية اشتهرت في عهد الامويين

نمت الزراعة نمواً مزدهراً، فتنوعت أشجار المواكه والمزروعات من قصب السكر والأرز والزيتون والكتان، وأوجد مزارع خاصة لتربية دودة القز، كما نظم أقنية الري وأساليب جر المياه، وجعل تقوياً للزراعة لكل موسم (ومنها انتقلت الزراعة إلى أوربة) وفي الصناعة جعلت المناجم، وطور أنواعها، الذهب والرخام والفضة والرصاص والنحاس، وتطورت صناعة الجلود، ومراكز خاصة لصناعة السفن والأتها، وصناعة الزيوت والأدوية، وفي زمنه ظهرت الأسواق الخاصة للبضائع، فهناك سوق للنحاسين، وسوق للزهور والشحوم وسوق للزيوت.

التطور في الهندسة الزراعية حيث تبدو هندسة جر المياه من الانهار والفتحات



النواعير: لرفع مياه الأنهار إلى الأراضي الزراعية



صهريج مياه الأمطار

من الناحية الثقافية

صندوق مزين: مدينة الزهراء من العاج



صارت قرطبة مركزاً للعلوم والآداب، وانتشرت الثقافة وكثر الإنتاج العلمي وشاعت المعرفة، وبلغ عدد الكتب "٤٠٠٠٠" أربعمائة ألف كتاب في مكتبة واحدة هي مكتبة الحكم، وبلغ عدد المكتبات "٧٠" مكتبة، ووضعت لها فهارس دقيقة، وتصانيف عديدة، كما ظهر النساخون الذين كانوا يقومون بدور المطابع في عصرنا، وظهر المجلدون لتجليد الكتب والعناية بها وحفظها، وكان الناصر يعرف بحبه للعلم والعلماء، ومن أشهر العلماء: القاضي عبد الله محمد بن محمد الذي أخذ العلم عن مائتين

وثلاثين شيخاً، كما ظهر القاسم بن الدباع الذي نقل العلم عن مائتين وستة وثلاثين شيخاً، ولم يكتف بما أخذ من الأندلس بل سافر إلى المشرق لينهل من علومه، وكان من بين العلماء الأندلسيين الذين قدموا المشرق الإسلامي.

وبرر ابن عطية في التفسير، كما اشتهر في الفقه الباجي، وابن وضاح وابن عبد البر، وابن عاصم والمنذر بن سعيد في الفقه والحديث، وظهر بالفلسفة ابن رشد وابن مسرة القرطبي، وبرع في اللغة ابن سيده صاحب المعجم، وأبو علي القالي صاحب الأمالي الذي تلقى تعليمه في بغداد ثم رحل إلى الأندلس فبلغ في فقه اللغة شأناً بعيداً هناك، وكتب ابن القوطية في التاريخ، وبرز شاعر عظيم هو محمد بن هائن الأندلسي ضاهى المتنبي وأما تمام وكان أهل الأندلس يأملون له مكانة مثل عظماء الشعراء لكنه مات صغيراً.

وغيرهم، فقد عمل الناصر على نشر المعرفة في ربوع البلاد، فابتنى في قرطبة وحدها سبعاً وعشرين مدرسة وأدخل إليها الفقراء من الطلاب مجاناً، حتى أصبحت قرطبة في عهده منارة تجتذب إليها الأدباء والعلماء والفنانين.



حاوي من الفخار مخصصة عند وجود فيضان

لوح صندوق مزين: مدينة الزهراء من العاج



نهاية الناصر

ومما يذكر أن القاضي منذر بن سعيد وقف يوماً إلى جانب الخليفة الناصر لدين الله، واستمع إلى ما قيل في مدح الزهراء، فاهتز الناصر وابتهج، وأما القاضي منذر فاطرق، ثم قال منشداً:

يا باني الزهراء مستغرقاً أوقاته فيها أما تأمل؟
لله ما أحسنها رونقاً لو لم تكن زهرتها تذيل

فقال الناصر: إذا هب عليها نسيم التذكُّار والحنين، وسقتها مدامع الخشوع لا تذبل إن شاء الله تعالى، فقال منذر: اللهم اشهد أنني قد بثت ما عندي، ولم أَلْ نصحاً.

ودبلت الزهراء وتوفي الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن الثالث بعد حكم دام خمسين عاماً، قضاهما في جهاد دائم لم يعرف خلالها من أيام الهناء إلا قليلاً، ولم يركن إلى الراحة أثناءها إلا نزرأ يسيراً، ما عرفت الدنيا نموذجاً من الحكام يماثله أو يشابهه، كان فرداً في تكوينه، وكان فرداً في حكمه وقيادته، وقد وجد بخطه -رحمه الله-: أيام السرور التي صمت له دون تكدير، يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا، ويوم كذا من كذا، وعدت تلك الأيام فكانت أربعة عشر يوماً. كما ذكره المؤرخ المقرئ في نصح الطبيب.

من سيصل إلى العز مثله، همة الشباب وحكمة الشيخ، يقترن اسمه بأروع آيات المجد والعزة للإسلام والمسلمين، ملك الأندلس خمسين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام، ولم تصف له إلا أربعة عشر يوماً أفتامل وتدبراً.

وصدق تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ (آل عمران ١٨٥).

مضى الناصر للقاء وجه ربه تاركاً مال الدنيا للدنيا، وتاركاً وراءه زهراءه وأماله وتواري في غياهب حضرة في قصر قرطبة من ثرى الأندلس، رحمه الله..

وتبقى سيرة الخليفة الناصر مدى الزمان بالرغم من زوال الزهراء، وبالرغم من إخراج المسلمين من الأندلس سيرة مشجية، عظيمة بأن واحد لأنها سيرة رجل في حياة أمة يرجى لها -الآن- عز ماضيها، ومجد غابرها.

ويذكر عنه أنه أوجد الخلافة الثالثة للمسلمين:

١- الخلافة العباسية في الشرق.

٢- الخلافة الفاطمية (العبيدية وهكذا اسمها في التاريخ) في الشمال الإفريقي.

٣- الخلافة الأموية في الأندلس أعلنها الناصر.



أحداث عهد عبد الرحمن الناصر

- تولي عبد الرحمن الناصر للإمارة .
- بناء مدينة الزهراء (الأسطورة التاريخية) .
- هزيمة ابن حفصون أمام الناصر .
- سيطر على إشبيلية وأخضع سرقسطة .
- التنصاري يدخلون طليطلة ويخربونها ويحرقون مسجدها .
- معركة الفرج وغزوة موبش وكان الانتصار فيهما للناصر .
- جيش الناصري حاصر (سانت استيفان) لكن الجيش ينسحب ويقتل قائده .
- الناصر يهزم القوط والنافاريين في عدة معارك .
- موت شانجة ملك نافار وقيام الملكة (طوطة) بالوصاية على غرسيه بن شانجة .
- سيطرة الفاطميين على المغرب .
- الفاطميون يهاجمون عبر البحر لكن الناصر أبعد خطرهم .
- فتح الناصر لسرقسطة .
- غزوة الخندق التي هزم فيها الناصر .
- أعاد الناصر الثقة إلى جنده واقتحم حدود مملكة ليون .
- وفاة الناصر - رحمه الله تعالى .

نجم لامع في سماء الأندلس، وصفحة بيضاء من تاريخها، وحاكم لم يعرف الدهر له مثيلاً، ولو أن العظمة والأمجاد تخلد أصحابها في الدنيا لكان الناصر من أحقهم بذلك

ولو جاز الخلود خلدت حيا ولكن ليس للدنيا خليل

ولم لا وهو الكريم ابن الكريم سليل صقر قريش (عبد الرحمن الداخل)

أفعال من تلد الكرام كريمة يتوارثون الجود والاقداما

ومع ما ذكرناه من عظمة الناصر وتمكنه من الخلافة فإنني أجد من واجبي التوقف مع بعض الأمور:

• التطور العمراني والحضاري الهائل الذي حدث في عهد الناصر كان إنجازاً عظيماً سجله له التاريخ وخلد اسمه في مصاف العظماء، لكن أن ينتج عن ذلك الإسراف والتبذير في بناء القصور بالذهب وأنواع الحجارة الباهظة الثمن - كما مر في وصف الزهراء وما فيها - ويتفنن في نحت التماثيل الضخمة والتي لا تحل شرعاً فهذا مما يؤخذ على الناصر رحمه الله تعالى - ومما يزيد الأمر سوءاً أن يكون هذا التبذير من بيت مال المسلمين مع أن الحاكم مؤتمن عليه لا مالك له.

فمن الذي أعطى الحق للحكام أن يتصرفوا بأموال الدولة ويلعبوا بها خارج نطاق مسؤولياتهم وأمانتهم؟

إن النبي صلى الله عليه وسلم عين والياً على بعض مناطق المسلمين يدعى ابن اللببية - فجاء بعد ذلك ومعه هدايا ومقتنيات فحمل يقسم الهدايا يقول : هذا أهدي إلي وهذا لكم فاشتد غضب النبي صلى الله عليه وسلم وقام خطيباً في أصحابه يقول: «أما بعد: فإنني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله عز وجل فيأتي فيقول: هذا لكم وهذا هدية أهديت إلي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه فتنظر أيهدى إليه أم لا؟ (رواه مسلم وابن خزيمة)

فإذا كان الحاكم يحاسب على الهدايا التي تأتيه وهو على كرسي الرئاسة فكيف بمال المسلمين الذي ائتمنه الله عليه ؟

والمؤلم أن يكون هذا النظام الرقابي الصارم النابع من تعاليم ديننا قد تلقفه الغرب اليوم وطبقوه على رؤسائهم ومسؤوليهم، بينما نراه مهملأ عندنا فترى أموال المسلمين تهدر وتنهب وتسرق ولا يجرو أحد أن يحاسب المسؤولين عن ذلك.

• العمو الثاني الذي أعطاه الناصر الملكة نازار (طوطة) وحفيدها (غرسيه) وإعادتهما للحكم بعد أن غدرا به أول مرة كان عفواً في غير محله، وفقد قال رسول الله ﷺ: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» (رواه الشيخان) وإن الحزم كان يقتضي محاسبتهما على الغدر الأول وعدم إعادتهما للحكم ثانية:

ومن البلية عذر من لا يرعوي عن غيه وخطاب من لا يفهم

وقد اتضح أثر هذه الزلة حينما تحالفت الملكة (طوطة) مع ملك ليون وجيها الجيوش لمحاربة الناصر وقد استطاعا بتحالفهما هزيمة المسلمين في معركة سميت بالخندق، فما ينبغي للمسلمين أن تأخذهم الرافة بعدو ماكرحاقده فيستغل طيببتهم وتسامحهم.

• إن المطالع لتلك الحقبة من التاريخ يذهله التطور الحضاري الذي كان عليه المسلمون بينما كان القوط والصرب وما أصبح اليوم فرنسا وأوربا قبائل همجية لا تعرف شيئاً عن الحضارة

أيام كانت قصور الملك عالية كان الفرنج إلى الغابات أويينا

وحين كنا نجر الخز أردية كانوا يسيرون في الأسواق حافينا

إن المسلم الذي يربط حاضره بماضيه لا تزال في نفسه العزة والهمة التي بنت تلك الأمجاد، وإن قوماً كانوا أئمة الدنيا وشعلة الحضارة فيها لا يليق بهم أن ينحدروا إلى المستوى الذي نحن فيه فيصبحوا تابعين بعد أن كانوا قادة، وينقلبوا مقلدين بعد أن عمرت الدنيا باختراعاتهم وابتكاراتهم.

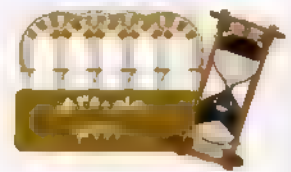
فلتكن دراستنا لذلك التاريخ المجيد دافعاً ومحفزاً لنا لننهض من جديد، فليست القوة أن لا تسقط أبداً إنما القوة أن تسقط ثم تنهض من جديد.

سائلوا التاريخ عنا ما وعى من حمى حق فقير ضيعا؟

من بنى للعلم صرحاً أرفعا؟ من أقام الدين والدنيا معا؟

سائلوه، سيجيب المسلمون





لقب الحكيم بالمستنصر، ويوقع له وعمره سبع وأربعون سنة، استلم الأمانة من والده، فتابع السير بالأندلس على النهج الذي سار عليه والده من قبل، وعلى الطريق الذي رسم، وليس من الغرابة بمكان أن يكون عهد الابن لعهد الأب في الظاهر والمضمون وقد قيل عنه: جرى على رسم والده ولم يعقد من ترتيبه إلا شخصه، لقد كان والده قد أعدّه أثناء حياته لهذا.

اعتلى الحكيم سرير الملك ثاني يوم وفاة والده يوم الخميس ثالث شهر رمضان من عام ٣٥٠هـ، وقام بأعباء الملك خير قيام، وكانت الأندلس مستقرة ثابتة، حدودها آمنة، وتمتع بالتقدم وال عمران.

ساحة الاسود الرائعة
في قصر الحمراء



رسم يوضح التقدم العلمي في هندسة جر المياه

صندوق من العاج ورثه الحكم عن
أبيه الناصر



عاشق الكتب وقصة المسجد

كان الحكم عالماً كبيراً يلقبونه "عاشق الكتب"، يحضر
المجالس العلمية، وينشئ الجامعات والمدارس والمكتبات
العامة، ويجلب الكتب إلى الأندلس من البلاد
الإسلامية، وقد جعل تاجراً خاصاً يرسله إلى
البلاد ليشتري له، سمع بكتاب الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني، فأرسل وهذا
لشرائه، ودفع لمصنفه ألف دينار من
الذهب ليشتري النسخة الأولى منه.
وكان عالماً بالأنساب والأسماء، حافظاً
للتاريخ، محباً للعمران، فكان أول
عمل قام به: أن وسع مسجد قرطبة
"الجامع الكبير"، الذي تقام فيه
الجمعة والأعياد بالإضافة إلى
الصلوات الخمس، وقد حدثت قصة طريفة لما أتم التوسعة،

وذلك أن الناس امتنعوا أن يأتوا إلى المسجد، فاستغرب الحكم الثاني هذا وسأل من
حواله ما الأمر؟ وما السبب الذي منع الناس أن يقصدوا جامعهم؟ قالوا: لقد انتشر بين الناس: أنك بنيت
توسعته على أسس من مال حرام! فأرسل
إلى علماء قرطبة وأعيانها وأهل الفضل
منها يجتمعون عنده، ثم قام فحلف
أيماناً مغلظة أنه ما جعل في هذا البناء
شيئاً حراماً ولو يسيراً، وإنما بناء من
أخماس بيت المال، عند ذلك توافد الناس
إليه، وأقيمت الصلوات فيه.



تلك هي التقوى، تولد حساسية لدى
المسلمين بالتحري عن الحلال في كل
شيء، فهل تعود إلى مجتمعاتنا؟
وتفعل فعلها في حياتنا؟
كذلك أمر ببناء ثغر قريب من مدينة
"طليطلة"، وجعله قوياً محكماً ليصد
غارات الأعداء عن هذه المدينة.

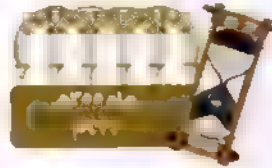
الجهاد على
الأعداء في
عصره

- ١- طمع القوط "من نصارى الشمال الغربي في الأندلس" سنة ٣٥٠هـ أي بعد تولي الحكم الثاني مباشرة، فهاجموا ثغور المسلمين، فتوجه الجيش الإسلامي بأمر من المستنصر وتقدم في بلادهم، وفتح حصناً من أشد حصونهم يدعى "سانت استيفان". وبرهن المستنصر أن الأندلس ما زالت قوية كما كانت زمن والده، لذلك أرسلوا إليه يطلبونه الصلح والمعاهدة.
- ٢- قامت مجموعة أخرى من شمال الأندلس "ليون" تحذو حذو الشمال الغربي بالهجوم على ثغور الحدود، فأرسل الحكم الثاني جيشاً يقوده قائده الشهير "غالب بن عبد الرحمن الناصري"، فردها خائبة، وأمن الثغور هناك.
- ٣- وفي عام ٣٥٢هـ، نقض "غرسية بن شانجة الأول" حاكم البشكنس العهد «ولا تزال تطلع على خائنة منهم» (المائدة: ١٣).
- فأرسل إليه الخليفة حاكم سرقسطة "محمد بن هشام التجيبي" بجيش ليصده، فاستطاع أن يفرق جموعهم، ويمزقهم عند الثغور.
- قائد واحد لمنطقة واحدة بجيش وحده يوقع الهزيمة بالأعداء ويجعل الثغور الإسلامية في أمان، هذا إذا كان المسلمون قد أخذوا بالاستعداد الدائم فلم يركنوا إلى الدنيا، يرهبون بقوتهم عدو الله وعدوهم.
- ٤- توجه "محمد بن هشام التجيبي" بأمر من المستنصر بجيش إلى "برشلونة" عام ٣٥٢هـ فخربها على أهلها ودمرها حتى لا يعودوا إلى العدوان أو يفكروا به.
- ٥- وفي العام نفسه تمكن "غالب بن عبد الرحمن الناصري" بجيش أن يفتح حصناً يدعى "قلهرة" ويضمه إلى حكم الأندلس، وكان قلعة لنصاري "البشكنس" ومقراً لهم للهجوم على الثغور الحدودية للمسلمين.

الخليفة ابن نصر
الأحمر وخلفاء
الدولة هي صورة على
سقف قصر الأسود
في غرناطة في نهاية
القرن ١٤م



وظهر النورمان من جديد، ففي عام ٣٥٥هـ إذ ورد كتاب من حاكم منطقة قصر "أبي دانس" على المستنصر بالله يذكر فيه ظهور أسطول المجوس "النورمان" بثمانية وعشرين مركباً، فخرج أسطول إشبيلية إليهم عن طريق النهر ثم البحر فاشتبك الأسطولان في وادي "شلب" بحيث تمكن الأسطول الأندلسي من تحطيم عدة مراكب لهم، ورد النورمان على أعقابهم خاسرين.



النورمان يغزون من البحر



مملكة ليون النصرانية

أما في مملكة ليون فقد جرت أحداث بين ملكها "شانجة الأول" وبين ابن عمه "أردون الرابع" الذي كان قد خلع عن الملك، ويريد الأخير أن ينتزع الملك من الأول، لذلك أسرع "أردون" إلى الحكم المستنصر برجوه المساعدة، ولكن القدر لم يمهله فمات وهذات الأحداث، إلا أن "شانجة" أرسل إلى الحكم برجوه المساعدة والصفح عما كان منه في الحوادث ضد ثغور المسلمين، ويظهر له الخضوع.



أسطول الأندلس يحطم سفن النورمان

صدوق من العاج مخرف بالحيوانات في مدينة الرهراء

جرة ضخمة
مذهبة
صمدت
خلال القرون
لتشهد على
المدنية التي
وصلت إليها
غرناطة

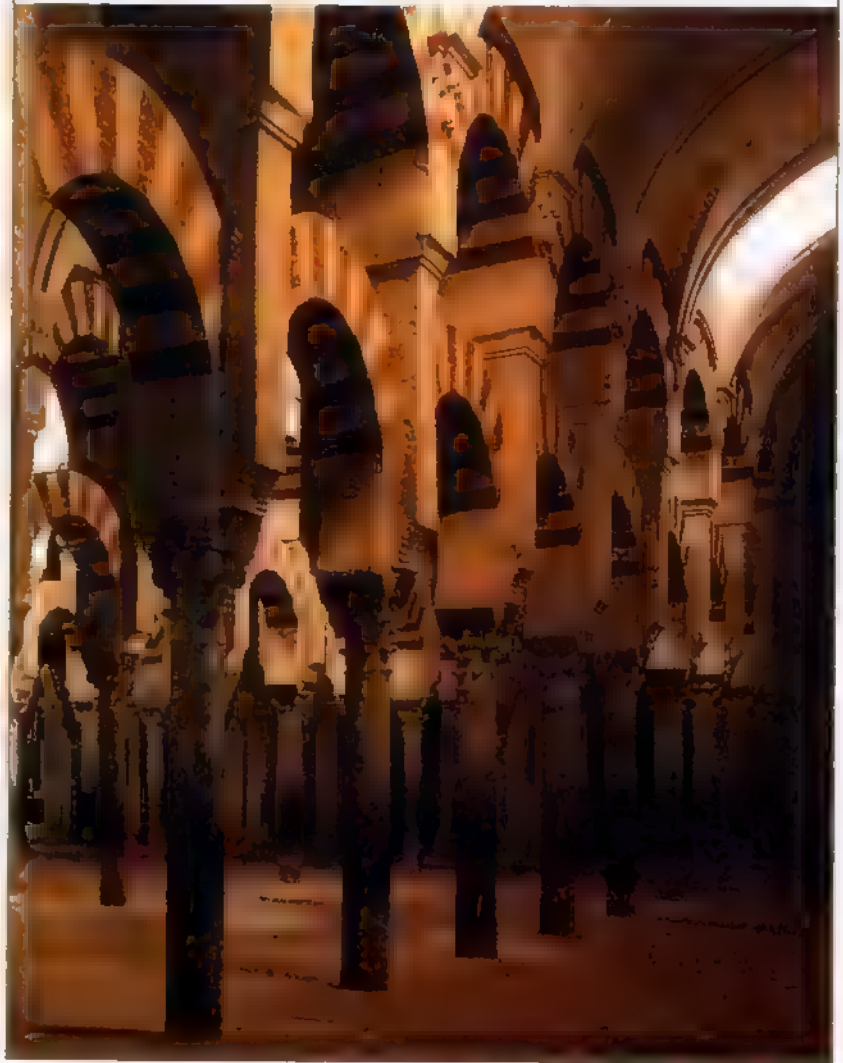


النورمان من جديد

عاد النورمان على الهجوم على السواحل الأندلسية بين عامي ٣٦٠-٣٦١ هـ وكانوا قد هجموا قاصدين المرية، فأصدر الخليفة المستنصر بالله الأمر إلى قائد أسطول المرية، وإلى أمراء البحر الآخرين الذين ردوا غزوة النورمان، فانصرفوا خائبين كما قدموا، وردّهم الله ولم يصيبوا شيئاً، وكان آخر هجوم لهم.

سيطر العبيديون "الفاطميون" في عام ٣٥٨ هـ على مصر وجعلوها مقراً لهم لإخضاع العواصم الإسلامية حتى إنهم سموها عاصمتهم باسم "القاهرة" أمّين بذلك أحلامهم، ثم تقدموا نحو الحجاز وبلاد الشام، وظهر تهديدهم للأندلس وكانت مدينة سبتة بيد الخلافة الأندلسية "الأموية" فأرسل المستنصر جيشاً فتح طنجة أيضاً وجعلها تابعة للأندلس، ليمنع الأندلس من طمع العبيديين.

الصراع مع الفاطميين



قرطبة. المسجد الكبير. منظر من طرف آخر

ظهر أمر خطير للغاية عام ٣٦١هـ إذ ثار البربر، وهم سكان البلاد أصلاً على الحكم العبيدي (وهذا اسم يذكره مؤرخونا عن الفاطميين تنزيهاً عن نسبتهم لفاطمة الزهراء رضي الله عنها وذلك لانحرافهم)، وأرسلوا إلى الحكم المستنصر في الأندلس يطلبون المساعدات منه، ويسألونه النصر، فلم يتوان المستنصر بالله من إرسال المدد

السريع إليهم، واستطاع هذا التحالف البربري الأموي من إخراج الفاطميين من المغرب، وأن يقتلوا الحاكم الفاطمي هناك، ويبسطوا سيطرتهم على الشمال الإفريقي.



ثورة البربر



حوض مياه صغير من الحجر مزخرف ومنحوت

لكن فتنة ثانية ظهرت بين البربر أنفسهم، إذ قامت مجموعة منهم يطلقون على أنفسهم الأدارسة ثاروا على الأمويين والبربر حلمائهم فأخرجوهم من المغرب وسيطروا على "طنجة"، خشي الخليفة الحكم أن يتطور شأن الأدارسة فأرسل أسطولاً البحر بقيادة أمير البحر، عبد الله بن ماسح، فهاجم أسطول طنجة، التي يحكمها الأدارسة وقائدهم «الحسن بن مكنون».

دافع الحسن عن مدينة طنجة وجماعته دافع المستميت، لكن الغلبة كانت للأسطول الأموي فبسط السيطرة على طنجة مرة أخرى، وفر الحسن بن مكنون إلى حصن آخر يدعى "حصن النسر"، فتوجه الجيش الأموي بقيادة "غالب بن عبد الرحمن" لتصفية هذا الجيب وغيره من الجيوب العائدة للأدارسة، وطلب حشد القوات عنده من شتى

أنحاء المغرب، وكان من بين الحشود جندي مغمور لا يعرف من قبل، ولا يؤبه له، جندي عادي صغير، يدعى محمد بن أبي عامر جاء لمساندة القائد غالب بن عبد الرحمن، وسيكون له شأن في تاريخ الأندلس.

تمكنت القوة الأموية من تضيق الأدارسة بعد حصار شديد، ووقع الحسن بن مكنون أسيراً بيدها فأرسل إلى قرطبة، ويقال إن غالب بن عبد الرحمن قد أغرى جنود الحسن بالمال فتفرقوا عنه.



ظهور الأدارسة



الحسن بن مكنون قائد الأدارسة



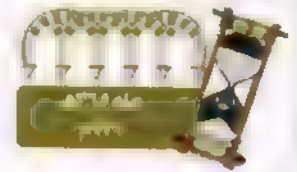
نفي الحسن بن مكنون

أمرو وزير بني أمية جعفر بن عثمان المصحفي في قرطبة عام ٣٦٥هـ بإخراج الأسير الحسن بن مكنون من الأندلس إذ أنه لا يزال يحمل فكر التمرد والثورة، فأرسل إلى تونس "إفريقية" فرفض حاكمها إبقائه هناك فأبعد إلى مصر حيث استقبله العزيز الفاطمي، وسيكون له ذكر في المستقبل.

فسيفساء دقيقة وجميلة



ظهور محمد بن أبي عامر



ظهر شأن محمد بن أبي عامر ذلك الجندي البسيط في قتال الإدارة حول حصن النسر وغيره، فعلا، ورفعت مكانته، ورقى في المناصب حتى أصبح مديرا للشرطة في العاصمة قرطبة أي أنه أصبح الرجل الرابع في الخلافة:

- ١- الخليفة الحكم المستنصر.
 - ٢- الوزير جعفر المصحفي.
 - ٣- قائد الجيش غالب بن عبد الرحمن الناصري.
 - ٤- قائد الشرطة محمد بن أبي عامر.
- توفي الحكم المستنصر عام ٣٦٦هـ بعد أن دامت خلافته خمس عشرة سنة وسبعة أشهر، من ٣٥٠-٣٦٦هـ.

لوحة جنادرية على شكل محراب مصنوعة من الرخام

عهد المستنصر بالله مستأفك وهيب

إن المطلع على تاريخ المستنصر لا يستطيع أن ينكر ما كان عليه الرجل من حزم ودين وحب للعلم وأهله، ويكفيه أنه قطع الخمر من الأندلس وتشدد جداً في منعها، ولكن حدثت في عهده فاجعة عظيمة ربما كانت هي بداية السقوط في الأندلس وإذناً بانتهاء دولة بني أمية فيها، وذلك عندما عين ولده الصغير هشام الذي لم يبلغ الحلم بعد ولياً لعهد، بل يذكر المؤرخون أن هشام عين وهو لم يزل في بطن أمه !!!

فعندما حملت (صبح) محبوبة المستنصر بهشام هناك حاجبه ورجل الدولة الثاني جعفر بن عثمان المصحفي قائلاً :

هنيئاً للأنام وللإمام كريم يستفيد على كرام

مرجى للخلافة وهو ماء !! ومأمول لأمال عظام !!

واستخلف هشام وهو ابن أحد عشر سنة، فبالله أي خلافة أو حكم ينتظر من خليفة طفل أو طفل خليفة !!

وخليفة في قصص بين وصيف وبغا

يقول ما قال له كما يقول البيضا

وكان الخلافة مال يقسم بين الورثة حتى وإن لم يكونوا أهلاً لها، وهذه آفة وطامة كبرى جعلت أمتنا تتكبد الكثير من الخسائر وتعاني الكثير من الظلم والفساد.

وانظر كيف حدثت الفتن حينما تولى هشام الصغير وحجب عن الخلافة وأصبح الرجال من ورائه يحكمون باسمه ويحيكون المكائد لبعض وهو عن كل ذلك غافل لاه !!

فالإمارة والحكم مسؤولية عظيمة وكبيرة لا ينبغي أن يتسلمها إلا من هو أهل لها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حين طلب الإمارة : «إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة» (رواه مسلم).

ومما يجوز للحكام أن يوزعوا المناصب على أولادهم وأقربائهم ويجعلوا لهم صلاحيات تفوق صلاحيات رجال الدولة !! فتذوب الأمانة عند المصالح الشخصية والمنافع والشهوات، ويشعر الناس بالظلم وتشتعل نيران الثورة والانقلابات.

الحمائم المكيه في

قصر الزهر رست

بالقيسماء والحرار

البدية





باعتبارها منسوبة إلى بعض قصور
الأمير الحسين بن عبد الله بن فيصل



صالة العدالة في
أحد قصور
الأمير الحسين بن عبد الله بن فيصل

الباب الثاني

الدولة الأموية في الأندلس



أولا - هشام بن الحكم (المؤيد بالله)

ثانيا - الحاجب المنصور

ثالثا - الاحداث في عهد الحاجب

رابعا - غزوة شنت ياقيب (سانت يعقوب)

خامسا - عبد الملك بن الحاجب المنصور (الحاجب المظفر)

سادسا - عبد الرحمن بن الحاجب المنصور (شنجول)

الفصل الرابع

عهد الحاجب المنصور

مات الحكم المستنصر ولم يخلف سوى ابنه هشام ولياً من بعده، وكان له من العمر إحدى عشرة سنة. واتخذ لقب المؤيد بالله، وكان غير قادر لصغر سنه ولخلل واضطراب في عقله على إدارة شؤون الدولة ورعايتها، فتنازع الأمويون على من يتولى الأمر؟ ثم استقر رأيهم على أن يشكلوا مجلس وصاية من الخليفة يدير الدولة حتى يكبر هشام، وأن يكون أعضاء هذا المجلس رجالاً من غير بني أمية، إذ كان بنو أمية يخشون ألا يسلم الأمر إلى الخليفة إن كان منهم أو أن يستبد به دونهم، لذلك اختاروا ثلاثة رجال ليسوا من بني أمية:

الأول: جعفر بن عثمان المصحفي وزير الدولة الأموية.

الثاني: غالب بن عبد الرحمن الناصري قائد الجيوش الأموية.

الثالث: محمد بن أبي عامر قائد الشرطة في قرطبة.

أصبح الصغير الذي وصل إليه الحكم بالوراثة، دون أن يكون مهياً لها -ولن يكون الصغير كذلك هو مركز المؤامرات والدسائس بين الأقارب وبين المقربين من ذوي المكانة العليا في إدارة الدولة. وقد رأينا ما آل إليه الأمر في عرض قصة هشام المؤيد بالله، فالصغير بحاجة إلى وصي! ومن سيكون ذلك الوصي؟ فيقتل من يقتل، ويبعد من يبعد، ويؤول الأمر إلى من هو أشد حيلة وأكثر دهاءً، وأقوى مركزاً.



الخليفة الصغير

في التاريخ أمثلة كثيرة شاهدة للعيان عن الضيق والاضطرابات إذا عين الصغير حاكماً وما الصغير إلا للهو واللعب، وحوله رجال يلعبون بحبك الدسائس لا ترفع الدولة أو عزتها أو أمور الناس، وإنما لرفع المكانة والأقارب، والتحكم من وراء الوصية. فيقتل ابن العم، ويبعد العم، ويقضى في السجون من كان ذا أمر قبل.



رسم تقريبي يوضح خروج الخليفة الصغير هشام الصغير من أحد غرف القصر والحاشية نمشي حمله



المارس المسلم الحاجب المنصور

عهد جديد، عهد الحاجب المنصور، من المع
الأسماء في تاريخ الأندلس، فكيف استطاع هذا
الرجل أن يملأ الدنيا ويشغل الناس في الأندلس
والشمال الإفريقي ويدخل التاريخ؟ إنه يذكرنا
بعبد الرحمن الداخل وحده.

ولد عام ٣٢٦هـ في منطقة الجزيرة الخضراء في
مدينة "تركش" جنوب الأندلس، ونسبه: محمد
بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن
الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري، وكان
الجد الأخير من قواد الجيش الذين فتحوا
الأندلس ودخلوها مع طارق بن زياد. ولما بلغ
توجه نحو قرطبة -عاصمة العلم والمعرفة- فكان
يحضر مجالس المقه حريصاً عليه بالرغم من
فقره، وانشغاله لتأمين قوته وقوت أولاده، فتتلمذ

على جميع فقهاء قرطبة، ولما حصلت فتنة المصاطميين في الشمال الإفريقي، اشترك متطوعاً في الجيش الذي أرسل لقمع
الثورة. فلما رجع تطوع في الشرطة حتى أصبح قائدها في العاصمة قرطبة كما مر، وهو الآن عام ٣٦٦هـ في مجلس الوصاية
الذي يدير شؤون الأندلس، ثم أصبح الحاكم الحقيقي فيما بعد ولذا عدّه بعض المؤرخين بداية لعهد جديد في الأندلس.

الحاجب المنصور

ولد جنوب الأندلس في مدينة (تركش) .

من أحفاد عبد الملك المعافري أحد القواد الذين فتحوا الأندلس مع طارق بن زياد .

كان بداية عمره أجيراً ثم تولى قيادة الشرطة .

عين وزيراً وحاجباً لهشام المؤيد بالله .

استأثر بحكم الأندلس .

ملك الأندلس بحزم وعزم وتوسعت الفتوحات في زمنه .

توفي وهو يستعد للجهاد .

لما مات المستنصر بالله حدث أمر خطير: ذلك أن جنود الجيش (وكانوا يسمون الصقالبة وهم قوم يؤتى بهم من مختلف البلاد الإفريقية ذكوراً أو إناثاً إلى الأندلس، ثم تتولى الدولة رعايتهم، فينشؤون نشأة إسلامية، وقد كان لهم دور كبير في عدد من حوادث الأندلس إذ كانوا يشكلون غالبية حرس الإمارة أو الخلافة) هؤلاء لم يرضوا أن يعين هشام المؤيد بالله لصغر سنه أو غير ذلك، فثاروا وضجوا يريدون أن يولوا المغيرة بن عبد الرحمن الناصر (عم هشام) إذ كان عمره سبعاً وعشرين سنة. فلما رأى محمد بن أبي عامر ذلك منهم بادراً بمجموعة من شرطته غير آبه بالصقالبة أو غيرهم، وتوجه إلى منزل المغيرة فقتله - قيل قتله خنفاً - وبعمله هذا قد أيد موقف هشام وأبقاه خليفة.

أيدت موقفه هذا أم الخليفة "صبح البشكنسية" وكانت قد أسلمت، ودعمته، وهل كان هناك من هو أقوى من سلطة المرأة إن كانت مقربة أو أليفة لدى أولي الأمر. أجرى محمد بن أبي عامر بعض التغييرات في تشكيلة الحرس الخاص للخليفة من الصقالبة واستبدلهم بعناصر من الشرطة المواليين له، ولم يعارضه أحد.

سندوق من العاج في الأندلس



ابن أبي عامر
يحمي
الخليفة



وفي عام ٣٦٦هـ سمع نصارى الشمال بالحكم الجديد في قرطبة. وبعض الاضطرابات التي وقعت فيها، فهاجمت مجموعة من مملكة ليون قلعة رباح إحدى ثغور المسلمين واقتحموها وارتكبت مذبحه دامية في سكانها، فلم يبق الوزير المصحفي بأي شيء، ولم يبد أي مقاومة

لذلك العدوان وصد، ربما خوفاً من الوضع السائد في قرطبة وخشية على مركزه إن غادرها، فما كان من قائد الشرطة محمد بن أبي عامر إلا أن قاد الجيش بنفسه متوجهاً إلى ديار النصارى إلى قلعة تدعى "الحامة" من حصون "جيليقية"، وحاصرها حتى أخضعها، ثم جال في مناطقها ثلاثة وخمسين يوماً، ففتم وسبى، في طريق عودته وزع الغنائم على الجنود وعلى الناس، يتقرب بها إلى القلوب، فانتشر أمره وذاع صيته، فأحبه الناس لسخائه وشجاعته.



التصدي
للهجوم
النصراني



وعاء حجري من الخزف، قرطبة

وفي نفس العام ٣٦٦هـ توجه بجيش آخر مشاركا جيش الدولة بقيادة غالب بن عبد الرحمن (الوصي الثالث) من مدينة "مجريط" (مدريد عاصمة إسبانية الحالية)، وغزوا معاً النصارى في شمال الأندلس، فانتصروا نصراً مؤزراً وعادا، وأصبح ابن أبي عامر حديث الساعة وعلا نجمه، وذاع صيته، فأصدر الخليفة المؤيد بالله أمراً يعين بموجبه ابن أبي عامر قائداً للجيش إضافة إلى قيادة الشرطة. إلا جيش الشمال فقد بقي بقيادة غالب بن عبد الرحمن، ومركزه مدينة سالم.



غزو نصارى الشمال



مصباح زيتي في قصر ابن أبي عامر



زواج سياسي

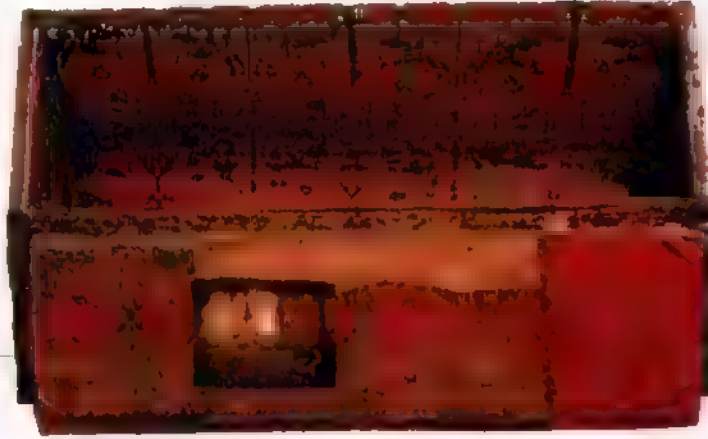
أراد محمد بن أبي عامر أن يقوي مركزه، فأرسل يخطب أسماء ابنة غالب، وكان قد سبقه الوزير المصحفي إلى خطبتها، فزوجها أبوها من ابن أبي عامر، وكان عرساً مشهوداً في الأندلس.

أسماء ابنة غالب ترف لآل أبي عامر على هودج يعرس مهيب

وغزا مع عمه بلاد النصارى عام ٣٦٧هـ. وسيطرا على مجموعة من الحصون التي كانت في قبضتهم، وبخاصة حصن "شلمنقة"، وجالا معاً في بلاد القوط أربعة وثلاثين يوماً، وبعد عودته اصدر الخليفة المؤيد بالله أمراً جعل ابن العامري الحاكم العام للعاصمة قرطبة، كما اصدر أمراً بتأثير من والدته "صبح" عين القائد غالب بن عبد الرحمن "أبا زوجة ابن أبي عامر" وزيراً مشاركاً للوزير جعفر المصحفي.



الحاكم العام للعاصمة



صندوق خاص للمصاحف عليه نقش اسم الخليفة هشام الثاني تم اكتشافه عام ١٨٥٣م

ثم اصدر ابن أبي عامر أمراً بإقالة الوزير في العام نفسه، وسجنه قالوا لتلاعبه أو خيانتة بيت المال -والله أعلم- ثم تجاوزت هذه الملاحقة لإنزال العقاب بأولاده وأهله وأصحابه، فطولبوا بالأموال، وأخذوا بالحساب الشديد، واستمرت النكبة عليهم وكأنها نكبة البرامكة في الدولة العباسية، ومن طريف ما يذكر أن المصحفي أرسل أبياتاً إلى ابن أبي عامر من السجن يستعطفه:



إقالة الوزير المصحفي

هبني أسأت فأين العضو والكرم؟
يا خير من مدت الأيدي إليه أما
بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر
إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا

فرد عليه محمد بن أبي عامر رداً قاسياً وكتب إليه:

الآن يا جاهلاً زلت به القدم
أضريت بي ملكاً لولا تثبته
فأياس من العيش إذ قد صرت في طبق
ولوتشفع فيك العرب والعجم

ثم أصدر الخليفة هشام المؤيد بالله أمراً عين بموجبه العامري وزيراً بدلاً من المصحفي، فتنازل العامري عن قيادة الجيش لأحد أتباعه: جعفر بن علي بن حمدون الملقب بالأنديلسي. ووصل آخر الأمر أو في نهاية المطاف للاستيلاء على مراكز القوى في الدولة الأموية أن أصدر الخليفة قراراً جعل ابن أبي عامر حاجبه الخاص، وهذا يعني أنه أصبح بمثابة وزير دولة، أو مدير الديوان الأميري في عصرنا، فيدير شؤون الخليفة منه واليه، وكان يتقرب إلى العلماء والفقهاء، وقد اشتكوا له مرة انتشار كتب الفلسفة البيزنطية والفرنجية إذ ترجمت إلى العربية تحمل مبادئ تسيء إلى العقيدة الإسلامية، وتتضمن كلمات ذات مدلول إلحادي، فأصدر الحاجب المنصور المعروف بحزمه (حيث كان لا يدع الأمور تملت من قبضته) أمراً بحرق كل الكتب التي فيها أية إشارة أو غمز أو لمز بأحكام الشريعة.

وبدا يقرب إليه البربر المسلمين، يستبدل بهم العرب الأمويين، وكثر أولئك في مراتب الدولة.



العامري وزيراً وحاجباً



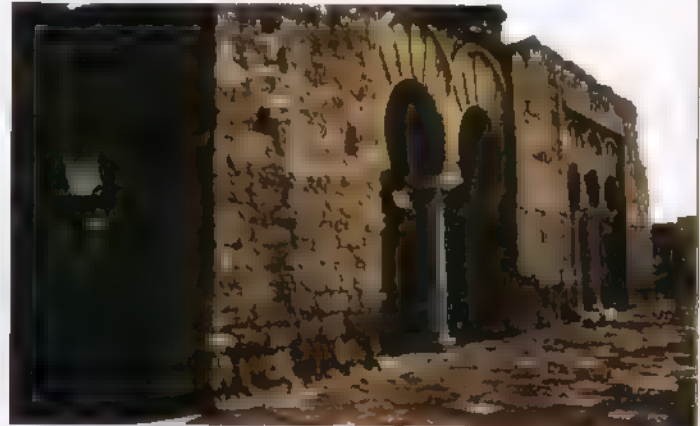
جنود الحاجب المنصور



بناء مدينة الزاهرة

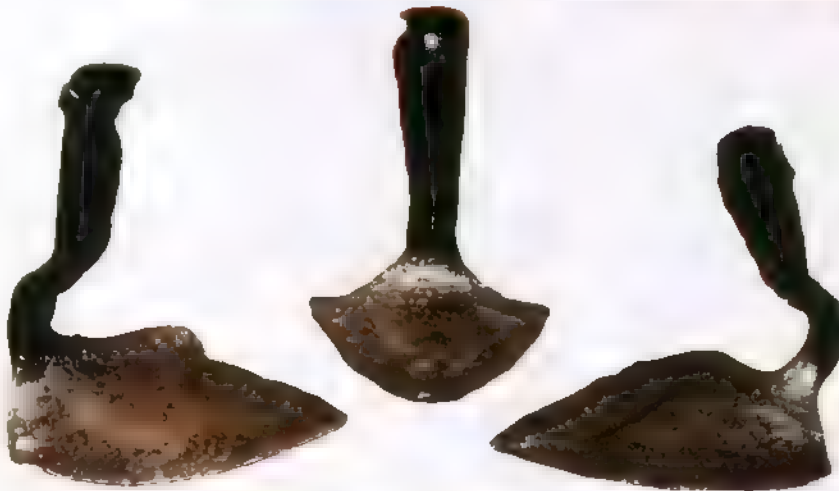


أنشأ الحاجب مدينة الزاهرة شمال شرق قرطبة وابتدأ في إنشائها عام ٣٦٨هـ على الوادي الكبير، وتم بناؤها بسرعة إذ انتهى البناء في عامين فقط، وجعلها مقرا له ولانصاره، هنقل إليها الاموال والأسلحة من الزهراء، وأقام فيها القصور ينافس بها الزهراء، ونقل الدواوين إليها وجعلها مركزا لإدارة الدولة، ومن ثم توسعت الزاهرة حتى وصلت حدود العمران إلى قرطبة.



أبريق منقوش ومرخرف من النحاس

مخططة أثرية تعود لآل حمصون - في
مدينة الزاهرة



ثلاثة معارق حديد



درهم حليلة قرطبة

محمد الثاني

وقد تؤدي إلى الاستبداد والتفرد، أو تصبح

المهيمنة الوحيدة على الذين يديرون الحكم ظاهراً.

فيزداد أوار الشهوة، ويلهب سعارها إذا كان الحاكم صغيراً تحت وصاية، أو ضعيفاً هزئاً في الشخصية والمعرفة.

وتستأثر البطانة -القوي منها- على شؤون الحكم والإدارة ولا بد هنا من أن تسفك الدماء، وتكثر الاغتيالات السياسية، كما فعل الحاجب حين حمل أم هشام بدهائه وقوة عزمه على أن تخلق هي بذاتها الأعذار لحجب ابنها، حتى غدا الصغير هشام شبه معتقل أو سجين.



دينار خليفة قرطبة، هشام الثاني

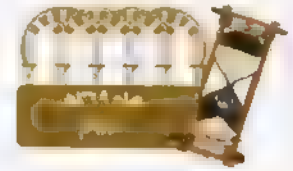


الحاجب
يستأثر
بالحكم



مكبح حصان من
الحديد المصنوع
والمرحرف

بلابل في
المغرب



ثم يستقر شأن المغرب فقد ثارت قبيلة صنهاجة من البربر في مدينة فاس عام ٣٦٩هـ يقودها رجل يدعى "بلكين بن زيري" واتصل هذا بالفاطميين في مصر فأمدوه بجيش يقوده رجل -مرت أخباره سابقاً- من البربر هو "الحسن بن مكنون".

وما استطاع القائد الأموي أن يصمد في قتال البربر الشائرين والفاطميين الذين جاؤوا مدداً لهم، فهزم هو وجنده، وسيطر البربر على المغرب، ولم يبق للأمويين إلا مدينة "سبتة"، فخشي الحاجب المنصور من تطور تلك الأحداث، فحصن الجزيرة الخضراء، لأنه يخشى من مطامع الحسن بن مكنون الذي أصبح والياً على المغرب.

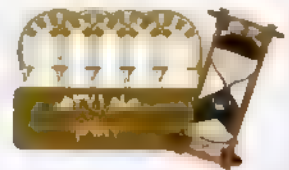


بلكين بن زيري يتصل بالفاطميين

تحرك القوط في الشمال عام ٣٧١هـ ومارسوا أعمالاً انتقامية ضد ثغور المسلمين هناك، فقاد الحاجب المنصور جيشاً يتوجه به إلى قلعة "سمورة" -وكان عبد الرحمن الناصر قد هزم أمام أسوارها كما مر- فاستطاع المنصور أن يقتحمها ويفتك بأهلها، وتركها طعمة للنيران، فدمرت معظم معالمها، وهرب أهلها إلى قلعة قريبة منها تدعى "سانت مانس"، توجه إليها المنصور أيضاً بجنده، وأوقع بهم هزيمة منكرة، وقد أصبح طريق العاصمة ليون مفتوحة أمام قواته إلا أنه لم يتابع إليها لشدة البرد في ذلك الشتاء القارس.

وأصبح عمله هذا حديث الناس أجمعين.

لقد استطاع الحاجب أن يدمر قلعة "سمورة"، وقد عجز عنها من عجز من قبل، فهي حصن ليس في البلاد حصن أشد قوة، وأمنع سوراً منه.



الثأر لهزيمة
الناصر في
الخندق



خشي أبو زوجة المنصور غالب بن عبد الرحمن على مكانته من صهره، أو هكذا بدا له فتحركت الوسواس والهواجس في صدره! فقام بخطة يريد أن يتخلص منه، فدعاه إلى وليمة في قلعة "أنبية" وكان المنصور قد خرج إلى تلك الثغور يتفقددها، فوجئ المنصور بهجوم مباغت من رجال عمه، بل هجم عمه عليه وضربه بالسيف فجرح في يده، وكاد أن يقتل، فر من الحصن وألقى نفسه من عل فكسرت رجله، وانطلق بحصان أعده

أصحابه هناك إلى أقرب مدينة هي سالم، وجمع أنصاره، وتوجه نحو قلعة عمه، وقد خرج لملاقاته فتقابل الرجلان بجيشيهما ويا أسفا! صراع بين اثنين من مجلس الوصاية، الحاجب المنصور وجنده، وغالب بن عبد الرحمن أبو زوجته قائد الشمال! ما شأنهما؟ وما الغاية.. هل هي إلا حزازات النفوس ووساوسها؟ أم هو الكرسي والسلطة؟ فهزم غالب، وقيل قتل، وعاد الحاجب إلى قرطبة، ولم يعد له منافس وقد كان يخشى كيد أبي زوجته، فتخلص منه، بعد أن نجا من عملية اغتيال له كما مر.



صراع بين
الحاجب
وغالب

حيوان من النحاس مع النقش والزخرفة

لم يعد الحاجب يتوجس خيفة إلا من رجلين اثنين:

١ - جعفر بن عثمان المصحفي الوزير المعزول فأمر بقتله، وقيل مات في السجن.

٢ - جعفر بن علي بن حمدون قائد الجيش الذي عينه هو فأمر بعمله.

كانه يتمثل بقول الشاعر:

بمن يثق الإنسان فيما ينويه ومن أين للحر الكريم صحاب؟
فإني رأيت الناس إلا أقلهم ذئاباً على أجسادهن ثياب



ريبة قاتلة

فأصبح بذلك الحاكم المطلق الذي لا يرد له أمر، زعيم الأندلس بلا منازع، وإن كان الخليفة يذكر على المنابر فليس هو إلا اسماً فقط.



البربر يجاهدون القوط



وقد إليه جماعة من البربر عام ٢٧٢ وفيهم إخوة "بلكين بن زيري" الذي كان ثار على الأمويين (وهم زاوي، وحلالة، وماكسن)، وطلبوا الإذن بالدخول عليه، فأذن لهم ثم سألهم ماذا تريدون؟ قالوا: تعبنا من الثورات ضد المسلمين، وقد عزمنا على الجهاد، فأذن لنا أن نتوجه نحو القوط لجهادهم، ففرح بهم الحاجب المنصور فأمدهم بالرجال والعتاد، فتوجه هؤلاء إلى "جيليقية" وعسكروا قريباً منها ينامون النهار ويفيرون بالليل، ونشروا الرعب والهلع على منطقة ليون، ولم يعرف أحد من هؤلاء؟ ومن أين قدموا؟، وبقي أمرهم مكتوماً فترة طويلة، ثم أرسل حاكم ليون جيشاً للتخلص من هذه العصابات كما كانوا يطلقون عليها، ترك هؤلاء جيش ليون يتوغل في العمق، ثم قاموا بهجوم على مؤخرته، وهم يكبرون ويهللون، فولى جيش ليون الأدبار، وتحقق هؤلاء البربر يقتلونهم ويأسرون ويفنمون.

صورة تمثل قتال المسلمين في الأندلس مع النصارى (من الكتب الغربية)

عزم المنصور بالهجوم على ليون عاصمة إقليم "جيليقية" في غزوة عظيمة تعد من المعارك الفاصلة في حروب الأندلس تدعى (غزوة ليون).



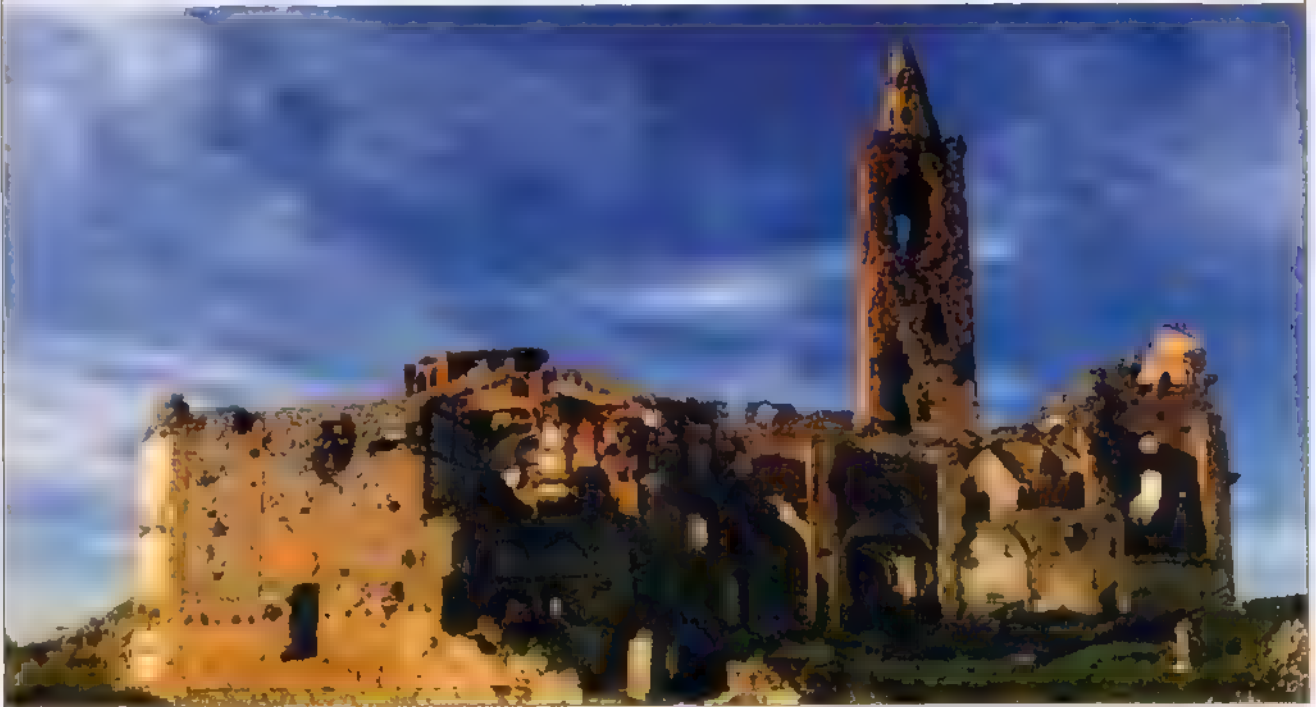
قاد الحاجب المنصور الجيش بنفسه، واتجه إلى ليون مباشرة فحاصرها وكان قد جاء إليها المدد من كل أرجاء بلاد الفرنج ومن فرسة بشكل خاص. ودارت المعارك حول ليون ليالي وأياماً، وبقي الحصار الشديد الطويل حولها. واستشهد في القتال الميرير هناك عدد كبير من المسلمين. كما قتل من النصارى الكثير ومن قادتهم بشكل خاص حتى استطاع الحاجب المنصور أن يفتح ليون وكانت تلك أول مرة تسقط فيها ليون بعد الفتح الإسلامي ويؤسر من هذه المدينة ثلاثة آلاف أسير، أمر المنصور أن يصعد المؤذنون ليرفعوا نداء الله أكبر، الله أكبر، فوق هذه المدينة الطاغية، فأعاد إلى جنباتها صدى الأذان بعد انقطاع مائتي سنة.

غزوة ليون العظمى

وأذان المسلم كان له في الغرب صدًى من همّتها

ثم توجه المنصور نحو عاصمة المشرق "برشلونة" التي كانت بيد الفرنسيين، وما استطاع هؤلاء أن يقفوا في وجهه أو يصدوه ففتحها، ولم تهزم له راية قط.

فتح برشلونة



بقايا قلعة هي برشلونة



هواية جمع
القبار

خاض الحاجب المنصور في حياته أكثر من خمسين معركة، وكان غلمانه يأتون إليه بعد كل معركة وينفضون ما علق على ثيابه وأسلحته من غبار ويجعلونها في قارورة أعدت لهذا الغرض، لقد أوصى أن تدفن معه في قبره هذه القارورة لتكون شاهدة له عند الله يوم العرض والحساب.

مستودق فضي تم تنفيذه بأمر الخليفة الحكم الثاني لابنه هشام

ثار البربر على الفاطميين في المغرب عام ٣٧٥هـ، فأرسل الحاجب المنصور ابنه عبد الملك ليعاونهم في إنهاء الحكم العبيدي "الفاطمي" الذي كان يتولى لهم الحسن بن مكنون كما مر ذكره. هُزم الحسن بن مكنون والجنود الفاطميون، وسيطرت قوات الأندلس على الوضع. فعين الحاجب والياً يدعى "الحسن السلمي" على المغرب الأقصى. واستطاع هذا أن يهدئ الاوضاع حين عين نائباً عنه رجلاً من البربر اسمه "الزيري المغراوي". وأصبحت دولة الأندلس إلى أقصى اتساع لها في زمن الحاجب. ولم يمر على الأندلس حاكم مثله. رجل فريد من نوعه. أية همة جعلت من هذا الأكار (الذي يعمل بالآجرة) أن يحكم الأندلس. ويبسط نفوذه على المغرب، ويهزم دولة النصارى في الشمال والشمال الغربي، والشمال الشرقي في الأندلس. وأظنه كما قال الشاعر:

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكروا لأقداما



السيطرة على المغرب الأقصى

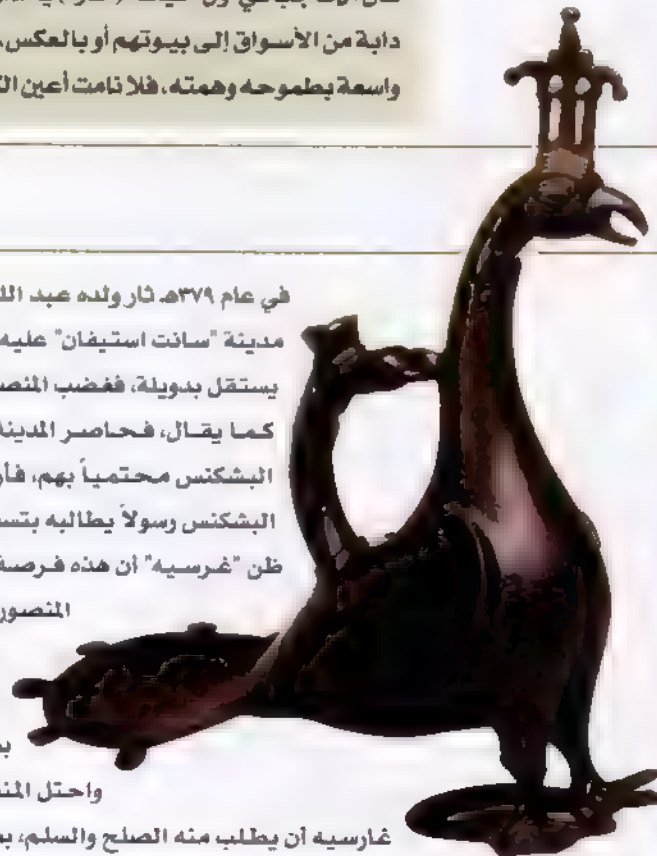
كان الحاجب في أول حياته (أكاراً) يحمل أمتعة الناس بأجرة على دابة من الأسواق إلى بيوتهم أو بالعكس، وأصبح نجماً يحكم دولة واسعة بطلوحه وهمته، فلا نامت أعين الكسالى والعابثين.

في عام ٣٧٩هـ. ثار ولده عبد الله الذي كان قد عينه حاكماً على مدينة "سانت استيفان" عليه، وأعلن التمرد على أبيه يريد أن يستقل بدويلة، فغضب المنصور غضباً شديداً، غضبة مضرية كما يقال، فحاصر المدينة، ثم اقتحمها، فضر ابنه إلى البشكنس محتماً بهم، فأرسل المنصور إلى "غرسية" حاكم البشكنس رسلاً يطالبه بتسليم الولد المتمرد ومن معه. ظن "غرسية" أن هذه فرصة له، فرفض تسليمه، مما جعل المنصور يتوجه إليهم بجنوده، واستمر القتال المرير أياماً، إلا أنه أنهى القتال لصالحه فهزم البشكنس، بعد أن كسروا في ساحات القتال، واحتل المنصور حصن "وخشمة"، فاضطر غارسية أن يطلب منه الصلح والسلام، بعد أن قبل بطلب المنصور، فسلم اللاجئ ومن بينهم ابن الحاجب جميعاً. فأمر المنصور بقتل جميع الدين التجوؤا إلى النصارى وكانوا قد تعاملوا معهم ومن بينهم ابنه.



ولده يثور عليه

ابريق ماء على
شكل طاووس من
مظاهر ترف الملوك
في الرهراء



ثار حاكم ليون الذي ظن أن هذا الاضطراب الذي وقع بين الأب وابنه لصالحه. فاجتاز ثغور المسلمين عام ٣٧٩هـ ذاته، لكن حاكم مدينة الثغور سالم تصدى له وهزمهم ثم تبعهم في أراضيهم، وقام الملك بهجوم مضاد إلا أن وزير الحاجب "قند" تمكن منه ومن قواته وأسر الملك بعد أن أصيب "غرسية" بجرح بليغ، ومات متأثراً بجراحه بعد فترة.

جاء ابنه "شأنجة" يطلب الصلح، ويرضى بدفع الجزية، ويطالب بجثة أبيه فأرسلت إليه، ولكن أنى يكون له وتغير المسلمين الوفاء بالعهد؟.

إذ خان وهاجم أراضي المسلمين في عام ٣٨٥هـ، فتوجه الحاجب المنصور يقود الجيش بنفسه ويهزم جيشه ويوقعه في الأسر ويحمله معه إلى قرطبة، وتعهده المنصور بالعناية والرعاية.



الجهاد مع نصارى ليون



وزير الحاجب قند يصد هجوم النصارى ويأسر الملك

ومن الجنوب ثورة إد قام "زيري المغراوي" الذي كان قد عين على الشمال الإفريقي حاكماً من قبل الأندلسيين، بثورة على الحكم الأندلسي، فسيطر على المغرب الأقصى بأكمله ما عدا مدينة "سبتة"، وفشل جيش الحاجب الذي أرسله بقيادة ابنه عبد الملك، فماداً فعل المنصور؟ وهل ترك الوضع على ما هو عليه؟ كلا، بل اتصل ببعض زعماء الثورة سراً يغريهم بالسلطة وبالأموال، فأقدم أحدهم على طعن زيري لكنه لم يقتل! ودب النزاع بين أنصاره، فبادر المنصور أثناء ذلك فأرسل جيشاً آخر يقوده ابنه عبد الملك وقاتل البربر وأنصار زيري قرب طنجة، وانتصر عليهم، وهز زيري وأعوانه، واستطاع عبد الملك أن ييسط سيطرة الأمويين على الشمال الإفريقي (تونس والجزائر والمغرب) مرة أخرى، وأرسل "زيري" إلى المنصور يطلب الصفح ففعا عنه.



خيانة في المغرب

عزم الحاجب المنصور أن يقتحم (سنت يعقوب) عاصمة "جيليقية"، آخر معقل للنصارى في شمال غرب الأندلس وكانت منطقة وعرة وتعد من أخطر المناطق الأندلسية، لم يصل المسلمون إليها إلا أيام الفتح من عهد موسى بن نصير وطارق بن زياد، ثم خرجت من أيدي المسلمين، فقرر المنصور أن يعيدها إلى حكم المسلمين، إذ أيقن أنه من المحال تحقيق الاستقرار أو ضمان الهدوء في الأندلس مع بقاء "جيليقية" صاعدة قوية، لذلك قرر أن يقتحم هذه المنطقة الصعبة، فوجود عشرات الأنهر ما بين عاصمته قرطبة وبين شانت ياقب، تجعل العبور بالغ الصعوبة، بالإضافة إلى سلاسل الجبال الوعرة.



الهجوم على جيليقية

وكانت هذه المنطقة قاعدة روحية للنصارى في الأندلس أيضاً، إذ كانت منزلتها عندهم تأتي بعد القدس ورومة، ومكانة كنيستها عندهم كمكانة الكعبة عند المسلمين -والكعبة المثل الأعلى- احتلت الكنيسة في جيليقية هذه المكانة لوجود قبر هناك يزعمون أنه قبر "يعقوب الحواري" أحد حوارى عيسى عليه السلام، وأنه قد خرج من القدس يبشر بدين المسيح ويدعو إلى الله حتى وصل إلى هذه البقعة، ولما مات بعد عودته إلى بلاد الشام، حمل أصحابه رفاقه ليدفنوه في أقصى المكان الذي بلغه في دعوته، فدفنوه هنا ولقبت الكنيسة باسمه: "سنت يعقوب"، ثم بلغتهم "ياقب"، يحلف النصارى باسمه ويحجون إليه، ويعتفون عنده.

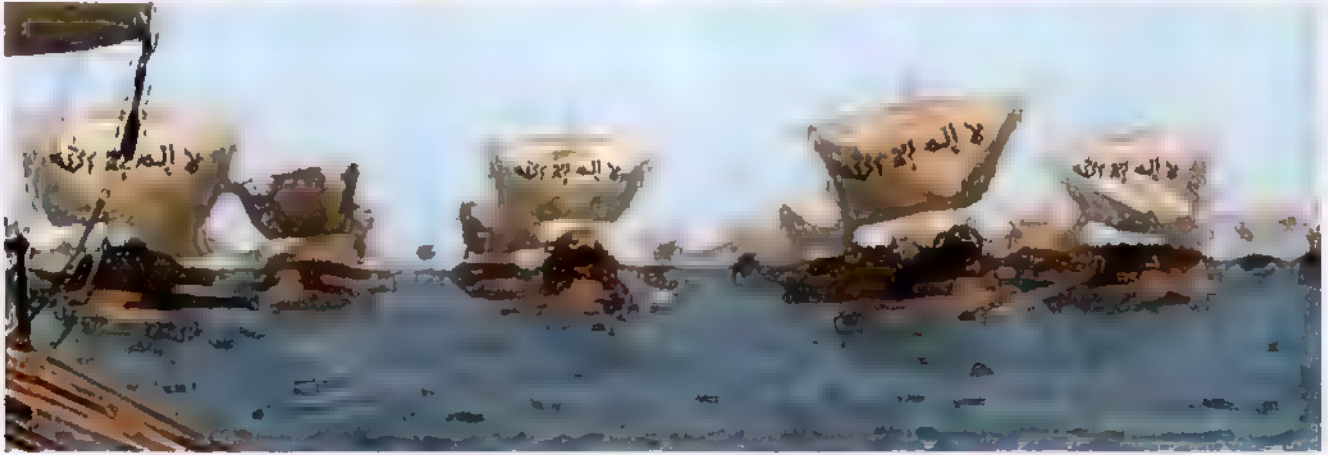
عاصمة روحية

رأى المنصور أنه لا يمكن أن يصل إلى هذه البقعة إلا بالكتمان، كتمان استعداداته وطريق مسيره ليأخذهم بفتة، وكيف ذلك؟ إذ لا بد أن تصل الأخبار إلى أهل "جيليقية" للأسباب التي ذكرت. أمر المنصور بإعداد جيش البر من مدينة "سالم" ثم ينطلق منها، وأن يعد الجيش البحري (الأسطول) من مدينة "قصر ابي دانس" وسيحمل الأسطول العدة والطعام، ومع الأسطول قوات الهندسة. وقد أخذ الاستعداد لهذه الغزوة وقتاً طويلاً، لأن الخطة التي رسمها المنصور قد نفذت بدرجة مدهلة في إطار حملة (برية بحرية) معاً.

حملة برية بحرية

أمر المنصور أن تبدأ الحملة في الرابع والعشرين من جمادى الآخر عام ٣٨٧ هـ وقاد بنفسه هو القوات البرية حتى وصل إلى نهر "دويرة" وأمر أن تدخل السفن في النهر وجانب المحيط الأطلسي، واصطفت السفن سفينة جنب أخرى حتى تشكل جسراً يمكن العبور عليه، ويتزود الجند مما فيها من الطعام.

ابتكر الحاجب طريقة اهتدى إليها تفكيره ونفذتها قوة عزيمته، جيش بري يعبر جسوراً تشكلها السفن على عدة أنهر فانظر إلى الإبداع كيف يتفجر عندما توجد الإرادة والعزيمة والطموح.



سفن الحاجب تعبر المضاف النهرية وتمون الجيش

تسامح وحزم

قرر المنصور أن يمر على القبر المقدس لدى النصارى هناك، فلما وصل إليه لم يجد أحداً سوى شيخ طاعن في السن عاكف عليه، فسأله الحاجب: ماذا تفعل هنا؟ فأجاب الشيخ الهرم: إني أؤنس صاحب القبر. فتعجب منه المنصور ومن وفائه لهذا القبر الذي لا ينضعه في الدنيا ولا في الآخرة، وصدق الله تعالى القائل عن من يعمل ويتعب وينصب وهو في الآخرة، «عاملة ناصبة» (الغاشية: ٣)، فأعطى ابن أبي عامر وأمره بتدمير كل مصنع حربي، وإحراق السفن، وهدم الأماكن الحصينة، دون أن يمس القبر أو الكنائس، ثم أمر بالرحيل والعودة وقد وصلت أخبار فتوحاته إلى رومة والقسطنطينية.

المدينة الخالية

لم يكن سكان تلك المدينة يعتقدون أن المسلمين سيصلون إلى مدينتهم، لكنهم لما رأوا طلائعهم ووصلتهم أنباء تقدمهم أسقط في أيديهم، ففروا إلى الجبال وأخلوها بسرعة توازي سرعة تحرك الجيش الإسلامي، دخل المسلمون المدينة وليس فيها من أحد، بغير قتال يذكر، فجمعت الغنائم الكثيرة التي تركها أهل المدينة.

سلاح الهندسة

فتح في طريقه مدينة "بورتو" موضع التقاء القوات البرية والبحرية، ثم جازها، وكان سلاح الهندسة يوسع للجند الممرات الضيقة، ويردمون العوائق البسيطة، وعبروا الجبال إلى أن وصل الجيش إلى حصن بلاي ففتحه، ولم يكن المسلمون قد فتحوه من قبل، وأنهم طريقه، يعبر السهول والجبال حتى وصل إلى حصن "شنت ياقب" في الثاني من شهر شعبان أي بعد مسيرة استغرقت أربعين يوماً تقريباً.

لا يأتي
الزمان بمثله

قال الشاعر عن الحاجب المنصور (وقد كتبت فيما بعد على قبره):

أشاره تنبيك عن أخباره حتى كافك بالعيان تراه
تأله لا يأتي الزمان بمثله أبدا ولا يحمي الثغور سواه

وقد صدق فيما قال فيما
يتعلق بمهمته وحرصه
على الأمة ومجدها
عندما نقارنه بالحكام
الذين جاؤوا بعده.



الحاجب المنصور

خاض المنصور خمسين
معركة، ولم تهزم له راية
قط، وقد وطئت قدماه ما
لم تطأه قدم مسلم قبله.
خمسون معركة بلا يأس
ولا قنوط ولا استسلام
ولا راحة، فأي همة وأي
ظموح هذا.

الأسيرة

واليك بعض القصص التي جرت في أيام الحاجب المنصور والتي تدل على ذكائه وهيمته:

الأسيرة

أرسل يوماً رسوله إلى ملك البشكنس زمن السلم والمعاهدة، إذ يعم الأمن وتبادل السفارات، وكان من شروط المعاهدات بينه وبين ذاك الملك: ألا يبقى أسير مسلم في بلاده. ولما وصل الرسول إلى ملك البشكنس أكرمه إكراماً زائداً، وسمح له أن يتجول في مملكته كما يحب، وأن يلتقي بمن يريد، فدخل هذا الرسول إلى كنيسة من كنائسهم، بينما هو هناك أقبلت إليه امرأة فكلمته، وعرفتته بنفسها وقالت: أيرضى المنصور أن ينسى بتنعمه بؤسها؟ وزعمت أن لها سنوات طويلة في الأسر، هي وابنتها، وحلفت عليه أن يبلغ الحاجب المنصور شأنها.

ولما قدم الرسول فأخبر المنصور بمشاهداته في تلك المملكة، وما لاقى من أمور، وما أعجبه وما لم يعجبه، وأخبر المنصور بكل ما رأى وسمع، فقال له المنصور: أو غير هذا؟ قال: نعم، وذكر قصة المرأة الأسيرة، وسردها له، فقال له الحاجب: ويلك، كان ينبغي أن تقدم خبرها على كل شيء، ثم أعد الجيش مباشرة متوجهاً إلى بلاد البشكنس، اندهش ملكهم وأرسل يريد أن يعرف ما السبب؟ فأخبره الحاجب بأن هناك مخالفة صريحة لشروط الصلح والاتفاق. وذلك أن أسيرة مسلمة مع ابنتها ما زالت مقيمة عندكم، فاستطلع الملك الخبر، وتتبع خيوط القصة حتى وجد تلك المرأة فأعادها مكرمة عزيزة إلى قرطبة، واعتذر للحاجب بأن أحد جنوده قد تصرف هذا التصرف وليس له هو علم بذلك، فلما جاءت المرأة الأسيرة أكرمها الحاجب المنصور أيما إكرام.

فإن وجد أسرى من المسلمين بيد الأعداء، فإن الولاية معهم قائمة، والنصرة لهم واجبة، حتى لا تبقى في المسلمين عين تطرف، حتى تخرج إلى استنقادهم إن كان عدد المسلمين يحتمل ذلك، أو تُبذل جميع أموالهم في استخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهم.

هذا ما يقوله علماء المسلمون إن كان بيد العدو أسير مسلم، وعلى الأمة السعي لفلنك أسره الأقرب فالأقرب ثم الجميع.



منظر لكنيسة نصرانية في أرض الأندلس

طابت لنا
العيشة

وقصة أخرى أعجب من التي سبقت: غزا الحاجب المنصور بلاد البشكنس غزوة، فدخل فيها أعماق بلادهم، وأصبح وراء الجبال، وفي أثناء عودته سالماً غانماً وقد فعل الأفاعيل في أرضهم وأملاكهم، كان القوط النصاري قد تجمعوا في مضيق ضيق جداً وحاروا على أطرافه وهيؤوا سيلاً كثيرة لمنع الحاجب المنصور وجنوده من عبوره، ومن أصعب المواجهات، مواجهة عدو تمكن في ممر أجباري فماذا فعل الحاجب المنصور؟

لم يقاتلهم، ولم يقاتل! بل اختار مدينة قريبة من ذلك المكان، فنزلها ووزع جنوده في أرجائها، يعملون ويحرقون، يبيعون ويشترون، ويقوم بكل متطلبات الحياة فيها، ويعد الحاجب الجند بالسرايا يميناً وشمالاً يقتلون ويأسرون ويعنمون، حتى ضج القوط من غاراتهم، وأرسلوا إليه أن عبر المضيق أنت وجنودك، إلا أن المنصور رفض قائلاً: لقد طابت لنا العيشة هنا وإن هذه البلاد جميلة، يطيب سكانها، وسأبقى إلى السنة القادمة. لأغزو في الصيف القادم إن شاء الله تعالى، وكان جنده يأتون بقتلى النصاري منهم ومن القرى في السرايا والغارات ويلقونها أمام الوادي، حتى ضج سكان المنطقة إلى الدين في الوادي أن يدعوهم بعبور، فأرسلوا ثانية بذلك إلى

الحاجب المنصور الذي
قبل أن يمر عبر المضيق
برجائه وذلك بشرطين:

- ١- أن يحمل النصاري
ما معه من الغنائم
والأسلاب على دوابهم
أمامه.

- ٢- وأن يقوموا هم بإزالة
الجثث التي ألقاها على
الطريق بضم الوادي.

رضي القوط بذلك
تخلصاً منه، وذلك هو
العزم والحزم من المنصور
رحمه الله تعالى.



الجاسوس

استقر الحاجب المنصور في إحدى غزواته بمدينة سالم وهو الثغر الذي بناه هو على حدود الدول النصرانية في الشمال، وخطرت له خاطرة تدل على مدى ذكائه وحسابه وتوقعاته، فاستدعى أحد فرسانه في ليلة شديدة البرد، كثيرة الأمطار. وكلفه أن يخرج إلى مكان من المصيق سمّاه قرب هذه المدينة، وقال له: من مر بك في هذه الليلة تأتي به إليّ كأننا من كان.

فاستغرب الفارس -في نفسه بالطبع- ومن يخرج في مثل هذه الليلة؟ البرد القارس والمطر الغزير. نفذ الفارس الأمر، وبقي يرصد الطريق يرجف من البرد تحت وابل المطر، وإذا بشيخ كبير من النصارى الذين كانوا يعيشون في هذه المدينة من أهل الذمة، على دابة ومعاه آلة الحطب من فأس وحبل، فسأله الفارس بعد أن استوقفه: إلى أين أيها العجوز في مثل هذا الوقت؟ وماذا تفعل؟

قال العجوز: أريد حطباً لأهلي ليستدفئوا، فتركه الفارس يواصل مسيره، لكنه تذكر أمر الحاجب المنصور وحزمه، فوقف العجوز قائلاً: لا بد أن تأتي معي إلى الأمير، قال: وماذا يريد الأمير مني؟ دعني أتابع سيرتي. إلا أن الفارس أجبره على المثول بين يدي الحاجب، فأمر بتفتيشه وتحري ملبسه فما عثروا على شيء مريب، لكن المنصور أمر بتحري بردعة الحمار، وبعد تحريها وجدوا فيها خطاباً من بعض النصارى القاطنين في جهة من هذه المدينة يدلون العدو على عورة من عورات المسلمين كاتبين. أن اهجموا على مدينة سالم وعلى جيش المنصور من الجهة الفلانية -مكان سموه- ونحن سنساعدكم على تلك المباغطة.

تملكت الدهشة الحارس، واستفهم من أميره: وكيف عرفت أن هذا الجاسوس سيمر في تلك الليلة؟ فقال: وهل تنتهز العيون (الجواسيس) إلا أمثالها؟ ومن ملك البلاد عليه أن يسهر لحمايتها وحفظها، ويعرف مداخل المتريصين بها، فلما كان الصباح جمع أولئك الطابور الخامس، فأمر بضرب أعناقهم وكذلك عنق ذلك العجوز الحطاب الكذاب.

قارورة الغبار

أعد الحاجب المنصور لنفسه كفناً -إن مات يكفن به- من حلال كسبه، وكسب أهله، وكان قد أعد كما سبق قارورة أو صرة قماش فيها ما علق بثيابه وجسده من غبار الغزوات أو أثناء سيره إليها، وقد أوصى أن تدفن معه يوم وفاته في قبره لعلها تشفع له يوم القيامة.

فكان عظيم الرجاء بالله سبحانه وتعالى أن يتقبل منه أعماله ويخاصة غزواته

وجهاده، وقد قال ﷺ: «من أغبرت قدماء في سبيل الله حرمه الله على

النار» (رواه البخاري)، وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: «لا يجتمع غبار

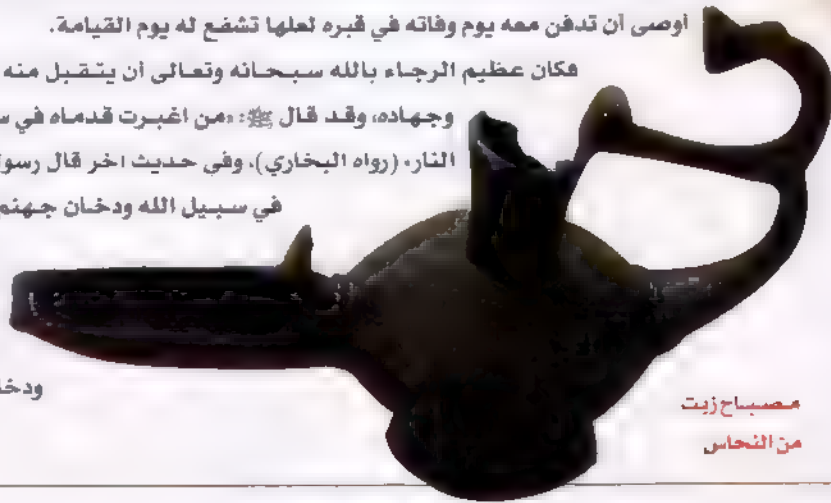
في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، هذه

رواية النسائي، وفي

الترمذي: «لا يجتمع على

عبد غبار في سبيل الله

ودخان جهنم».



مصباح زيت

من النحاس

الراية المنسية

كان كلما غزا غزوة، رفع الجند الرايات، وحين ينزلون يثبتونها على الأمكنة العالية، فيأخذونها حين يرحلون، وقد صادف أن نسي أحد الجنود راية رفعت على تلة بين عدة حصون كان المسلمون قد اقتحموها وفر أهلوها وجنود العدو منها إلى الجبال القريبة منها، أو تفرقوا بين شعب الجبال، وصار هؤلاء يراقبون الراية المنصوبة التي ترفرف للدلالة على العز ووجود الجيش من بعيد، ويظنون أن هناك قوة باقية من المسلمين لتباغتهم إذا نزلوا إلى الحصون الخاوية، وهكذا أياماً إلى أن استيقنوا برحيل المسلمين جميعاً وأن هذه الراية منسية هنا، لذلك يذكر المؤرخون عنها باسم غزوة الراية. عز الراية المنسية، وأي عز، وكأنه مثل مخاطبة الرشيد للصحابة، ذلك يوم كنا أمة عزيزة.

باب العدالة في غرباطة

محاكمة الوصيف

يضاف إلى ذلك العز والعظمة عدله بين الناس، والعدل أساس الملك، وبالعدل قامت السموات والأرض، وقد ذكرت عنه قصص عدة هي عدله وقبوله للحق وسعيه له دون محاباة أحد، فمنها أنه كان جالساً ذات يوم في مجلسه إذا برجل من عامة الناس يطلب الإذن بالكلام فأذن له المنصور، فقال الرجل: إن لي مظلمة عندك، فقال المنصور: ومن ظلمك؟ فأشار الرجل إلى وصيف واقف عنده والوصيف هو "المحبوب الذي يُقرب من الرجل"، فسأله الحاجب المنصور: هل اشتكيت إلى القاضي؟ قال: نعم. ولم يفعل شيئاً ولم أصل إلى حقي ولم يرفع عني المظلمة، فغضب غضباً شديداً إذ وجه كلامه إلى القاضي: يا عبد الرحمن، أعجزت أن تأخذ العدل، أو كنت مهاناً فلم تصل إليه؟ فقال له القاضي: هذا وصيفك، وكيف لي أن أقاضيه لمكانته عندك؟ فما كان من المنصور إلا أن أمر ذلك الوصيف: أن ائزل، واخلع ملابسك وأزل الشارات والرتب، ففعل ذلك، ثم قال له: اجلس مع خصمك أمام القاضي. واستمع القاضي إلى الرجل وإلى الوصيف، فحكم على هذا الأخير بعد أن استمع إلى الشهود والأدلة، وأوصل إلى الرجل حقه ورد عليه مظلمته. ثم أمر الحاجب المنصور بضرب ذلك الوصيف ضرباً مبرحاً، فسئل: لم تفعل به هذا؟ قال: ما ظلم إلا لمكانته مني، وعليه أن يعاقب لاستغلاله هذه المكانة.

الموت مجاهداً

خرج من العاصمة وهو ابن الستين لغزو الشمال كرة أخرى حتى وصل إلى مدينة سالم ليعيد العدة لغزوة أخرى. فجاءه الموت الذي هو نهاية كل حي، وهو على الفراش لمرض أصابه، وقيل بجرح أصابه كان به، وكان يدعو ربه راجياً أن يأتيه الموت وهو على طريق الجهاد، فمات رحمه الله في عام ٣٩٢هـ. توفي رحمه الله بعد جهاد يقرب من ثلاثين عاماً، وبعد أكثر من خمسين غزوة، ولم يتوقف عن البذل والعطاء، ورفع شأن الأندلس إلى مكانة لم تبلغها في عصر من العصور لا قبله ولا بعده، رحمه الله رحمة واسعة، وغفر له. وأذكر هذه القصة لتدل على عظمته أولاً، ولما أصاب الأندلس بعد وفاته من مصائب الدهر، والتمزق المدمر لهذا المجد الذي بناه الحاجب المنصور.

ومن غزواته أنه عندما نفّض نصارى الشمال بقيادة "شانجة" المهود مع المسلمين عام ٣٩٠هـ فتجمعوا واحتشدوا للإغارة على الدولة الإسلامية قرب جبال "الجزئية"، فهب المنصور بذاته يقود جيشاً وأوقع بهم هزيمة تكراء قرب تلك الجبال، وكانت إمداداته تصل إليه من مدينة سالم ثم قفل راجعاً إلى قرطبة، ولكنه ما أن ينزل من صهوة جواده حتى يمتطي جواداً ليعود مجاهداً في سبيل الله.

جهاد متتالي



منظر لمقبرة سلاطين الحمراء

الكافر على قبر الحاجب المنصور

ذلك أن مولى المستعين بالله بن هود (وسيأتي خبر دويلة بني هود من دول الطوائف) يقول: لما توجهت إلى مقابلة "الفونسو" وجدته في مدينة سالم، وقد نصب على قبر المنصور بن أبي عامر سريريه، وامراته متكئة إلى جانبه، فقال لي: يا شجاع (اسم المولى) أما تراني قد ملكت بلاد المسلمين وجلست على قبر ملكهم؟ قال فحملتني الغيرة أن قلت له: لو تنمس صاحب هذا القبر وأنت عليه، ما سمع منك ما يكره سماعه! ولا استقر بك قرار! هم بي، فحالت امرأته بيني وبينه، وقالت: صدقك فيما قال، أيعمر مثلك بمثل هذا؟

اسم خالد

ودهب المنصور إلى لقاء ربه، وسيبقى اسمه خالداً مع أسماء الأبطال في تاريخ المسلمين، ولكل خصوصيته وشخصيته، وكل مجزي بعمله. و«من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة» (النساء ١٣٤) وقد أشار بعض المؤرخين إلى أنه ربما كان ينوي غزو جنوب فرنسا وأوروية، ويحترق جبال البيرنيه.

الخلافة المنصور

تولي هشام المؤيد بالله الحكم وعمره ١١ سنة ١١.

ابن أبي عامر (قائد الشرطة) يحمي الخليفة الصغير من محاولة انقلاب الصقالبة ويقتل عم الخليفة المغيرة بن عبد الرحمن الناصر.

إقالة الوزير المصحفي وتعيين ابن أبي عامر وزيرا وحاجبا .

استنثار ابن أبي عامر (الحاجب المنصور) بالحكم .

صراع بين الحاجب المنصور وعمه (والد زوجته) غالب بن عبد الرحمن ينتهي بقتل غالب .

غزوة ليون العظمى التي انتصر فيها الحاجب المنصور .

فتح برشلونة .

نار ولده عبد الله عليه فأمر بقتله ومن معه .

قام (زيري المغراوي) بثورة في المغرب استطاع أن ينهيها الحاجب المنصور .

غزوة شنت يانت (سانت يعقوب) التي انتصر فيها الحاجب في جيليقية .

وفاة الحاجب المنصور وهو يستعد للجهاد رحمه الله تعالى .

تولي عبد الملك الحاجب المظفر ابن الحاجب المنصور .

وفاة عبد الملك وتولي أخيه عبد الرحمن (شنجول) .

شنجول يطلب الخلافة من هشام المؤيد بالله .

الأمويون يثورون ويعزلون هشاما المؤيد بالله .

إرادة لا تقهر وعزيمة لا تعرف العجز أو الكلل .. أكار (أجير) لم يجلس به فقره عن طلب المعالي ولا منعمته قلة ذات يده عن الطموح حتى إلى أعلى المناصب !! ... رجل جاء من بين الطبقة المنسية الكادحة ليعلو سدة الحكم ويصبح حاكم الأندلس !! ... رجل أصبح بقصته دليلاً من أدلة التاريخ على أنه لا شيء يقف أمام الإرادة والعزيمة... رجل لم يصنعه نسبه ولا غناه، ولا رفعته عشيرته ولا قومه. بل صنع مجده بيده وعقله وأصبح رجل الأندلس الأول بحتكته وذكائه وجده، وقصة الحاجب المنصور كقصة عبد الرحمن الداخل لا تتركان ذريعة لمتخاذل أو متباطئ أو متكاسل، فإنه من صبح عزمه وقويت إرادته فلا بد أن ينال غايته

على قدر اهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وهذه دعوة إلى كل شاب أو فتاة بيد أن حياتهما فإنهما لا بد أن يجدا مصاعب كثيرة وعقبات متتالية - وهذه سنة الله في الأرض - لكن ما ينبغي لكل هذه العقبات والمصاعب أن تحول دون طموحهم أو أن تثني عزمهم عما يصبون إليه، بل ينبغي أن تزيدهم إصراراً وتحدياً وليكن لهم في أمثال الحاجب المنصور أسوة وقوة.

• لقد تسلم الحاجب المنصور مقاليد الحكم والدولة مشرفة على فتنة عظيمة، فاستطاع بقوته وذكائه وحزمه أن ينتشلها من نيران الفتنة ويعيد لها هيبتها وعزها، لكنه ربما في بداية أمره تجاوز حد الحزم إلى الأخذ بالريبة والشبهة، كما فعل مع الوزير المصحفي، وهذه سلبية تؤخذ على الحاكم بل على كل إنسان يتعدى ظواهر الأعمال إلى خفايا النوايا، والنبي صلى الله عليه وسلم قال لخالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه حين قتل مشركاً شهد أن لا إله إلا الله: لم قتلته؟ فقال خالد بن الوليد: إنما قالها خوفاً وجزعاً، فقال له النبي العبدل صلى الله عليه وسلم: (اشققت عن قلبه؟) بل إنه صلى الله عليه وسلم ينقلنا إلى الجهة الأخرى وهي تغليب العمو وحسن الظن فيقول: (ادروا الحدود بالشبهات).

وما أجمل قول معاوية رضي الله عنه حين بعث رسالة إلى أحد ولاته يخاطبه (لاتأخذن أحداً بجريرة غيره أو بتهمة لم تثبت فإنك لأن تخطئ بالعفو خير من أن تخطئ بالعقوبة).

• ما ورد من أن الحاجب المنصور كان يجمع الغبار العالق في ثيابه وأسلحته من آثار غزواته التي تجاوزت الخمسين، وأوصى أن تدفن معه لتكون شاهدة له عند الله تعالى يوم الحساب !! وإنا لنرجو الله أن يكرمه بدفاعه ورفع راية هذا الدين.

لكننا نسأل أنفسنا ومن حولنا: ماذا قدمنا من عمل نقف به بين يدي الله عز وجل؟... هل هيأنا أنفسنا ليوم نقف فيه بين يدي مالك الملك فيسألنا عن كل ما قدمناه وما عملناه؟... وإن يوم القيامة ذو حسرات، فها فرحة من جاء يوم القيامة وقد قدم صالحاً هي دنياه... فيقول: يا رب جاهدت في سبيلك بالمال أوبالنفوس أو بالكلمة، ويا رب: صمت وقمت وتصدقت ورغبة ورهبة منك وفيك.

ويا حسرة من جاء يوم القيامة وقد نسي لقاء الله وانغمس في الشهوات والمعاصي فيقول له رب العزة سبحانه كما ورد في الحديث: يا فل (اختصار فلان للإهانة والتحقير) أثم أكرمك و أزوجك و أسودك و أسخر لك الخيل و الإبل وأذرك تراس وتربع ؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول له الجبار: أفكنت تظن أنك ملاقي؟ فيقول الخاسر: لا يا رب، هيجيبه الملك الديان: هاليوم أنساك كما نسيتني.

الموت باب وكل الناس داخله ياليت شعري بعد الباب ما الدار؟

الدار دار نعيم إن عملت بما يرضي الإله وإن خالفت فالنار



هو عبد الملك بن محمد بن عبد الله، ولقب
بالحاجب المظفر، أوصى له والده بالحكم بعده،
واستمر على سياسة والده إذ أقر بالخلافة للأمويين وما
زال الخليفة الرسمي هو: هشام المؤيد بالله، فبقيت
الأندلس في عهده موحدة كما تركها والده، وتابع الفزوات
سنوياً كعادة أبيه، ولم يتغير الوضع في الشمال الإفريقي،
وكان المغراويون هم سادته، بينما تعزقت دولة النصارى في
الشمال للخلافات التي نشبت بينهم، توفي عبد الملك
عام ٣٩٩هـ إذ دام حكمه حوالي ست سنوات، وكانت وفاته
في مدينة سالم حين كان يستعد لإعداد غزوة في
سبيل الله. وتولى من بعده أخوه عبد الرحمن
الملقب (شنجول)



جنود عبدالملك بن
الحاجب المنصور
بحوضون المعارك



منظر المنازل من احدى الشرف العديدة في مدينة الحمراء

الملقب بشنجول، أمه قشتالية الأصل، نشأ حياة الترف وأمضى طفولته وشبابه باللعب لم يكن يعرف الجدية في أموره مثل والده الحاجب المنصور، أو أخيه الحاجب المظفر. تولى بالوراثة فلم يكن مهياً لتولي الأمور، ولكنه تولى فاضاع البلاد وأظهر الفساد، لا هدف له فكانه كما قال الشاعر:

ومن أخذ البلاد بغير جهد يهون عليه تسليم البلاد

وتلك الحياة: إذا ولينا أمثال الخلفاء والقواد الأبطال كان العز والنصر لنا بإذن الله، ولما جاءنا أمثال "شنجول" ممن همه الشهوات انتكسنا وأصابنا الدال وحل بدولتنا الدمار.



حياة الترف



أصبحت المعارف من
مظاهر الترف بين
عامة المسلمين

الأمويون يثورون



فاضطربت الأحوال في الأندلس، ورأى الأمويون أن الخلافة ستخرج من أيديهم، وعاشوا في حذر من ذلك فجمعوا أمرهم وثاروا، يقودهم: "محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر"، وحشد حوله أيضاً خصوم العامريين، وانتهاز فرصة خروج شنجول من قرطبة متوجهاً إلى طليطلة، فسيطر على إدارات الدولة، وسيطر على العاصمة، كما سيطر على الزاهرة التي هي مقر الحكم من دواوين، فأصدر أمراً باسم الأمويين يعزل فيه الخليفة المؤيد بالله هشاماً، ويلقب نفسه بالخليفة محمد المهدي بالله.

طلب الخلافة

ضيق شنجول الملك والعز، ثم كان السبب الأول في ضياع الأندلس، فكان أول عمل أقدم عليه أنه يريد أن يدعي الخلافة أو يصل إليها، فما كان والده ليتجراً على هذا المقام لأنه يعرف نسبه ويعرف أصله، والأصل أن تكون الخلافة كما مر في الأندلس في عصره في قريش، وكذلك كان موقف عبد الملك بن الحاجب المنصور فلم يدعيا الخلافة. وإن كان الخليفة في عصرهما اسماً بلا حكم، ولكنه المقام المحترم، والشرف المصون، فطمع شنجول بالخلافة وضغط على المؤيد بالله الذي أصدر أمراً يعلن فيه أن ولي العهد من بعده: عبد الرحمن "شنجول"، فأعلن على المنابر ذلك، فأثار الجدل بين الناس والإشاعات، من هذا؟ شنجول ولي العهد؟ ما نسبه؟ وما مكانته؟ أليس هذا قلة دراية ونقص حكمة؟

تمزق الأندلس

عاشت الأندلس بعد دهاب الخلافة وإنهاء حكم أسرة بني عامر سنواتٍ صعبة

من الفرقة والتنافس، وتمزقت إلى دول وممالك يحكم فيها أمير مستقل عن غيره، حتى بلغت جملة عددها إلى أكثر من اثنتين وعشرين أماراً، ولكن هؤلاء الأمراء المهازيل على تلك الدويلات الممزقة، لم يستعينوا ببعضهم، ولم يتفقوا فيما بينهم، بل تمسكوا بعوامل الفرقة والتمزق من العصبية والانانيات، فهانت لديهم مصالح الأمة، واتصف بعضهم بالقدر والخيانة، فباعوا دينهم ودولاتهم للعدو المتريص بهم جميعاً، وراح هؤلاء يستعينون به ضد بعضهم بعضاً، ويقدمون متنازلين عن حصون ومدن ومناطق له (للعدو) ثمناً لبقائهم في السلطة والحكم، وهذه الدويلات (بهذه التسمية أثيق بها من اسم الدول).

ولما وصلت الأخبار إلى شنجول رجع بمن معه إلى قرطبة ليستعيد السيطرة، ودارت معركة طاحنة بين أنصاره وبين أنصار المهدي بالله، فهزم شنجول وفر من المعركة ثم قتل في نفس العام الذي تولي فيه، فانتهت سلطة العامريين، وعاد الحكم إلى بني أمية مرة أخرى. ولكن الأحوال تزعزعت في قرطبة، فالمعزول هشام لم يرض بالأمر الواقع، فجمع حوله أنصاره من بني أمية، وكذلك من بني عامر، وجرى التصادم بينه وبين المهدي بالله قُتل المهدي فيه، وعادت الخلافة من جديد إلى هشام المؤيد بالله، كل ذلك في عام ٣٩٩ هـ.

نهاية شنجول وصراع الأمويين



ثورة الأمويين في الأندلس



الباب الثالث

دويلات الطوائف وملوك المغرب



الطوائف

الملوك

الطوائف

الملوك

الطوائف

الملوك



المسألة الثالثة

دويلات الطوائف وملوك المغرب



الفصل الاول

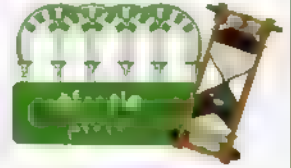
دويلات الطوائف

اولا - عهد الطوائف

ثانيا - هزيمة مدينة بربر

ثالثا - الصراع الاسلامي المبراني في الاندلس

رابعا - سقوط طليطلة وبعض دويلات الطوائف



في عام ٤٠٠ هـ تمزقت الأندلس وقامت كل طائفة أو عائلة بارزة بإعلان الاستقلال في مدينة من المدن وما يحيط بها، فتمزقت الأندلس إلى ٢٢ دولة مستغلة ضعف الأمويين وصراعهم، وبدأت فترة حالكة في تاريخ الأندلس. وهذه الدويلات هي:

بلنسية

المبارك والمظفر
أعلننا الاستقلال في
مدينة "بلنسية".

دانية والبلبار

وأعلن مجاهد
العامري انفضاله
عن سلالة الحاحب
المنصور وتفرد
بمدينة "دانية"
والجزر الشرقية في
الأندلس "جزر
البلبار".



حدث بين تاجرين اندلسيين ونظير عليهما الحسرة على وضع الاندلس

البونت

وتفرد بحكم مدينة
صغيرة تدعى "البونت"
رجل يدعى "عبد الله
بن القاسم".

أركش

وتابع مثل السابق "بنو
خزرون" معلنين
انفضالهم في مدينة
صغيرة تدعى "أركش".

أعلن بنو البكري
انفصالهم، وانشقوا عن
قرطبة في مدينة "وئبة".

وئبة

وشار رجل من البربر
اسمه "زادي بن زيري"
وحكم غرناطة مستقلاً.

غرناطة

كذلك قام "هذيل بن عبد
الملك" منفصلاً في
مدينة "شتمرية"
بإدارتها.

شتمرية (سافتا ماريا)

وأعلن بنو تيزيري
انفصالهم في مدينة
"مورور".

مورور

عجبا أمر هذا الخليفة!

كان الحاجب الوصي على
هشام في صغره، فلما كبر
عزله شنجول، وأعاد
لنفسه الخلافة بعد أن
أنهى الصراع لصالحه ضد
محمد المهدي بالله، ثم إنه
يعزل الآن مرة أخرى الآن
من قبل سليمان بن
الحكم. وانظر إلى الحال
عندما يولى الأمر لمن لا
يستحقه وليس له من
المؤهلات سوى نسبه.

ولقب سليمان
نفسه
"بالمستعين"
بالله، وأدت
هذه الفتن
إلى ازدياد عدد
الدويلات
وتتابعها.



عزل هشام المؤيد بالله

قام سليمان بن عبد الرحمن
الناصر بثورة على الخليفة
هشام الملقب بالمؤيد بالله،
مستغلاً فوضى الاضطرابات في
المدن الأندلسية وانفصالها عن
قرطبة، وسيطر على
العاصمة وعزل
المؤيد بالله.



درهم يحيى بن
إسماعيل من
النحاس



أما خيرون العامري من أقارب الحاجب المنصور فقد أعلن
انفصاله في "مرسية".
اختل الحكم في قرطبة سنة واحدة (٣٩٩-٤٠٠ هـ) فتمزقت
الأندلس، وساءت الأحوال وتردت الأوضاع نحو الحضيض
أكثر فأكثر، فبلا رأس وقائد حازم بختل الأمر ويضيع
الناس ويمشوا وتذهب ربحهم.

مرسية



بنو حمدون

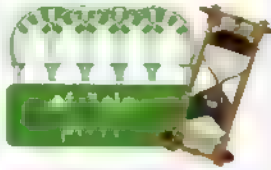
يحكمون

قرطبة

أما في قرطبة، فقد ثار رجل من بني حمود واسمه علي بن حمود من الأدارسة على الخليفة المستعين بالله، ويعزله، ثم يستلم هو الخلافة وتلقب نفسه الناصر بالله، وما أكثر الأثقاب! وذلك في عام ٤٠٧هـ.

وفي العام نفسه ثار القاسم بن حمود على أخيه علي، وتمكن من قتله، ليستلم الحكم ويلقب نفسه بالأمون، لكن يحيى بن علي بن حمود انتزع الحكم من عمه وسيطر على مقدرات قرطبة ويعرف هذا "بالمقلي"، وما كان هذا ليحكم إلا مدينة قرطبة، ومع هذا فأطلق على نفسه أمير المؤمنين، أمير المسلمين.

ما أتفه الإنسان إذا لم يعرف حد نفسه، وتجاوز عن حدوده، لا يحكم إلا مدينة! وها هو أمير المسلمين كل المسلمين أينما كانوا وأينما وجدوا!



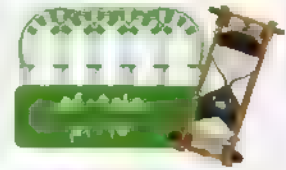
رندة

ينشق بنو يفرون في
مدينة "رندة".
ويحكمونها.



الرية

واستطاع خيرون
العامري أن ييسط
سيطرته على
مدينة "الرية".



قرمونة

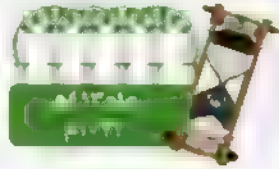
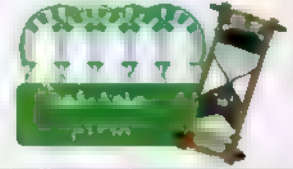
أعلن رجل يدعى أبو
محمد بن برزالمدينة
"قرمونة" مستقلة وتضرد
يحكمها.



صندوق مجوهرات من العاج، وقمل من الفضة

ثار المنذر بن يحيى التجيبي على حكم قرطبة، وأعلن انفصاله وسيطرته على مدينة سرقسطة، وذلك في عام ٤٠٨ هـ.

سرقسطة



بطلوس

انفصل عبد الله بن محمد بمدينة "بطلوس".

اطلال خربة للرومان الذين كانوا يقطنون الاندلس



إشبيلية

واستقلت إشبيلية يحكمها قاضيها محمد بن إسماعيل بن عباد.



عودة الدولة الأموية

وفي عام ٤١٢ هـ استطاع عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر إعادة الحكم إلى الأمويين، فأنهى حكم بني حمود الذي دام من عام ٤٠٧-٤١٢ هـ، ولقب نفسه المستظهر بالله في قرطبة. وتقول الأوضاع المتردية هل من مزيد لهذه الدويلات:

أما في "نبلة" فقد تصرف بها أحمد بن يحيى.

نبلة (بلبة)

نشأت في نحن الآن من تمزق المسلمين، فقارن أوضاعنا بأوضاع المسلمين في الأندلس في أوائل القرن الخامس الهجري، كل مدينة دولة لا ولا تظن أن وضعنا اليوم هو أسوأ الأوضاع، فقد مرت على تاريخنا فترات سوداء ومظلمة ولكن لا بد من معرفة التاريخ والاعتبار من أخطائه واستنهاض الهمم من أجل ذلك.

جاء إلى الحكم الأموي في الأندلس عام ٤١٤هـ محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر وتلقب بالمستكفي بالله، وكان همه لا يعدو نفسه في رغباتها، وأطلق العنان لشهواته قبل أن يستلم الحكم فكيف وقد تولاه، فثار عليه الأمويون وأهل قرطبة لمجونه وأنه لم يزل معروفاً بالتخلف والبطالة أسير الشهوة، فقتلوه لأنه هان على نفسه فهان على الناس، وهو أبو الشاعرة المعروفة "ولادة" ومجلسها الأدبي في قرطبة، وقد هام الشعراء بها، منهم الشاعر المعروف ابن زيدون، وكذلك ابن عبدوس، ومما قاله ابن زيدون يتشوق إلى محبوبته ولادة بنت المهدي:

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقاً والافق طلق ووجه الارض قد راقا
وللنسيم اعتلال في اصائله كانما رق لي فاعتل اشفاقا

وله فيها قصيدة مشهورة يعتبرها الشعراء من كنوز الأدب والتي اولها:

اضحى التناهي بديلاً من تدانينا وخاب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقا اليكم ولا جفت ماقينا



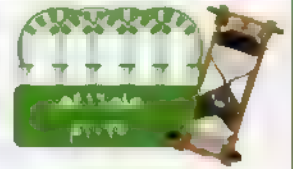
ولادة وابن زيدون

لكن "محمد بن جهور" قام بثورة هو الآخر على بني حمود، وانتزع منهم مقاليد الحكم وسيطر على الإدارة، وأعاد الحكم إلى الأمويين شكلاً اسمياً إذ عين منهم خليفة يدعى هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر الذي لقب "بالمعتز بالله".



ابن جهور يسلب الحكم

واستغل بنو حمود هذه الثغرة بين الأمويين والفتنة التي وقعت بينهم فقاموا بثورة عليهم جميعاً وسيطروا على قرطبة مرة أخرى.



بنو حمود ثانياً في قرطبة

طليطلة

كذلك تمكن بنو ذي النون من طليطلة وسيطروا سيطرتهم عليها وانفصلوا عن قرطبة.

درهم خلفاء الحموديين، من النحاس إدريس بن يحيى



باجه

استقل الحاجب بن محمد بأمر مدينة "باجه" عام ٤٢٢هـ، فهذه دويلة!

وفي منتصف ذي الحجة سنة ٤٢٢هـ أعلن العلماء والقادة ودوو الرأي من المسلمين سقوط الخلافة الاموية، وأسلموا زمام الحكم إلى رجل يدعى "أبا الحزم بن جهور"، وكان جديراً بهذه المهمة، إذ رضي أن يتسلم مقاليد الأمور على أن يجعلها شوري.



دينار عباد بن محمد من النحاس

دولة الأندلس الاموية دامت ٢٠٠ سنة تقريباً، أسسها عبد الرحمن الداخل وكانت عهد قوة في بدايتها، ثم جاء دور المجد والعز أيام الأمراء والخلفاء في وسطها، ثم تمزقت إلى دويلات خلال ٥٠ عاماً، فوصلت إلى اثنتين وعشرين دويلة أو أكثر.



نهاية الدولة الأموية

واستغل النصارى هذا التمزق -وهل فرصة أثنى من هذه- فاستردوا ثلث الأندلس في الشمال، وأرجعوا كل المناطق التي كان الحاجب المنصور قد فتحها وضمها إلى سلطة الأندلس المسلمة، وكان "شنجول" وهو السبب الأول في هذا الهوان لفساده وشهوته، ثم ورثه الذين جاؤوا من بعده لجشعهم بمنصب ولو كان على قرية، وأنانيتهم المضربة وطمعهم بحكم ولو على أهل بلدة.



صندوق من الجواهرات

النصارى يأخذون ثلث الأندلس

ونحن اليوم أمة ممزقة لم تصل إلى ما يشبه تمزق الأندلس، ولن نياس قط لقوله تعالى: «ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين» (القصص ٥).

ووعد الله قائم: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض» (النور ٥٥).

ولكن الآمال لا يوصل إليها بالأمان وإنما بالصدق والعمل.



درهم خلفاء حمود، علي بن حمود من الفضة

أمة ممزقة



شاحه يوحد ممالك الاندلس الشمالية



ملك إسبانية النصراني

في هذه الفترة سيطر "غارسية الثاني" على مدينة "قشتالة"، وقد اغتيل سنة ٤٢٠هـ في كنيسة بمدينة ليون أثناء تأدية مراسم زواجه من أخت ملك ليون "برمودة الثالث".
جاء من بعده "شانجة" ابنه ولقب بالثالث أو الكبير، فبسط سيطرته على "قشتالة" و"ناغارة"، وهجم على مملكة ليون وضمها إلى ملكه، وسمى نفسه بعد ذلك باسم ملك إسبانية، وكانت الدول النصرانية في شمال الأندلس تتوحد، ويزداد شأن المسلمين فيها سوءاً بتنازع دول الطوائف.
مات "شانجة الكبير" عام ٤٢٦هـ، وجاء من بعده ابنه "فردنند" وأكمل هذا بضم ما بقي من مملكة ليون إلى ملكه، وأما في الأندلس فما زال التمزق يستمر.

وفي عاصمة الشمال التي بيد المسلمين "سرقسطة" كان فيها التجيبيون، وكانوا حكاماً منفصلين أصلاً عن العاصمة، قامت ثورة ضدهم يقودها "سليمان بن محمد بن هود"، وعزل التجيبيين وأبعدهم عن الحكم، وأخضع "سرقسطة" لسيطرة بني هود، ولقب نفسه بالمستعين بالله (لا يملك إلا مدينة وريفها)!!



بنو هود في سرقسطة

مرسية

وفي عام ٤٢٩هـ استقل بنو طاهر بأمر مرسية.



بنو صمادح في المرية

قام حاكم مدينة "المرية" من بني "صمادح" على ساحل البحر الأبيض المتوسط، جنوب شرق الأندلس وهي العاصمة البحرية، فيها قاعدة أسطول الأندلس وسفنها، بإعلان استقلاله وانفصاله.

دفع الجزية للنصارى !!

أما في "إشبيلية" فقد تولى بعد وفاة حاكمها ابنه المعروف "بالمعتصد بالله أبي عمرو" سنة ٤٣٣هـ، وكان من أسوأ الرجال خلقاً وديناً فحاول أن يسيطر عليها منمصلأ عن حكم قرطبة، لذلك بدأ الصراع بينه وبين الحكم في العاصمة، فماذا فعل؟



بريشتر تنفصل عن دويلة سرقسطة

استعان بالنصارى في الشمال، وتوجه إليهم بنفسه، ف عقد حلفاً معهم لما التقى "بضرئند" ورضي أن يدفع له الجزية مقابل أن يحميه من سلطة قرطبة. وفي ٤٣٨هـ مات حاكم "سرقسطة" المستعين بالله، وتوزعت دويلته إلى عدة دويلات، أما المدينة ذاتها فقد بقيت تحت سيطرة "أحمد بن سليمان" وكان أكثر إخوته طمعاً في الحكم، ومن بينهم "يوسف بن سليمان" الذي استقل بإحدى المناطق التابعة "لسرقسطة" تسمى "بريشتر" ولها قصة ستذكر.



قصر بباد أيو جعفر أحمد بن سليمان في سرقسطة، وهو أحد كبار رؤساء الطوائف وهو من سلالة بني هود كان يطلق على القصر في البداية لقب "دار السرور".



فرنسا

أرومية

قرطاجنة

أرغون

نافار

قشتالة

ليون

جليقية

قطالونية

بريشتر

سرقسطة

سرقسطة

جبرونة

برشلونة

مراكنة

قملونة

بلنسية

شاطبة

دانية

دانية

دانية

مرسية

مرسية

مرسية

مرسية

مرسية

مرسية

مرسية

مرسية

مرسية

مرسية

مرسية

مرسية

مرسية

مرسية

مرسية

مرسية

مرسية

مرسية

مرسية

مرسية

مرسية

البحر الأبيض المتوسط

دول الطوائف

مركمة حسب تاريخ انفصالها

مناطق الطوائف
نهر
مدينة
جبل

دويلات الطوائف

الرقم	الدولة	الحاكم	سنة الانفصال
١	بلنسية	المبارك والمظفر	٤٠٠ هـ
٢	دانية والبليار	مجاهد العامري	٤٠٠ هـ
٣	البونت	عبد الله بن القاسم	٤٠٠ هـ
٤	أركش	بنو خزرون	٤٠٠ هـ
٥	قرطبة	تناوب على حكمها بالانقلاب الأمويون وبنو حمدون وبنو جهور	٤٠٣ هـ
٦	ولبة	بنو البكري	٤٠٣ هـ
٧	غرناطة	زادي بن زيري	٤٠٣ هـ
٨	شنتمية (سانتاماريا)	هذيل بن عبد الملك	٤٠٣ هـ
٩	مورور	بنو تزييري	٤٠٣ هـ
١٠	مرسية	خيرون العامري ثم بنو طاهر	٤٠٣ هـ
١١	قرمونة	أبو محمد بن برزال	٤٠٥ هـ
١٢	المرية	خيرون العامري	٤٠٥ هـ
١٣	رندة	بنو يضرون	٤٠٦ هـ
١٤	سرقسطة	المنذر بن يحيى التجيبي ثم بنو هود	٤٠٨ هـ
١٥	بطليوس	عبد الله بن محمد	٤١٣ هـ
١٦	إشبيلية	محمد بن إسماعيل بن عباد	٤١٤ هـ
١٧	(لبلة)	أحمد بن يحيى	٤١٤ هـ
١٨	باجة	الحاجب بن محمد	٤٢٢ هـ
١٩	طليطلة	بنو ذي النون	٤٢٢ هـ
٢٠	بريشتر	يوسف بن سليمان	٤٣٨ هـ
٢١	شنتمية الغرب	بنو هارون	٤٠٧ هـ



في عام ٤٤٠هـ، وصل عالم إلى الأندلس كان قد تركها قبل ثلاثة عشر عاماً ليأخذ العلم من المشرق الإسلامي. هذا العالم الجليل هو "أبو الوليد الباجي". من أكبر علماء الأندلس والعاملين والمجاهدين. نذكره لعله يكون قدوة للعلماء وطلاب العلم في عصرنا.



أبو الوليد الباجي

فقيه كبير معروف له مصنفات كبيرة بعضها مطبوع وبعضها مخطوط، وضاع كثير منها بضائع الأندلس. له علم غزير حصله مع الفقر والتعفف، وكان يأكل بعمل يده، أما قال رسول الله ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل بعمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده، (رواه البخاري)، فقد كان يخرج إلى تلامذته ليعلمهم وفي يده أثر المطرقة من عمله اليدوي الذي كان يمتهنه، وكان يرذ على النصراري يفند مزاعمهم ويدعوهم إلى دين الإسلام عند إزارتهم الشبهات، كان جليلاً رفيع القدر والحفظ، ولد في بطليوس ٤٠٣هـ ودفن بالمرية ٤٧٤هـ.

العالم الجليل (الباجي)



درهم حديد بـسـرقـسـطة، أحمد بن سليمان

هابتدر الأمر بالتطواف للقيام بمهمة عظيمة، دامت رحلته ثلاثين عاماً يدعو فيها إلى التوحيد ونبد الخلافات، والتجمع في قوة واحدة، لرد مكائد النصراري في الشمال ومن يسانداهم من أهل فرنسة، يتجول في الأندلس يدعو الجميع حكماً ومحكومين متصلين أو منفصلين، جنوداً أو شعباً إلى الوحدة الإسلامية، وإلا فستضيح البلاد وتنتهك الأعراض، وتبـدد الأموال.

دعوة الباجي لوحدة الأندلس

دعوة عظيمة في مبدئها، عظيمة في إعلانها، عظيمة في غايتها، ينتقل بها من بلدة إلى بلدة، ومن مدينة إلى أخرى، ومن دويلة إلى إمارة، بل من قرية إلى قرية: اتجهوا أيها الناس إلى الوحدة الإسلامية، وابتعدوا أيها الناس عن دواعي الفرقة والتعصب، واحذروا عدوكم، دعوة استمرت ثلاثين سنة من حياة العالم العظيم الباجي الذي نذر نفسه لقضية أمته.

رحب به الأمراء أينما نزل، واحتفى به الحكام في كل مكان حل فيه، وأظهر الجميع سرورهم بدعوته والسعي لتلبية تـدـاءاته، لكن كلام في كلام، إذ لم ينزل أحد من أولئك إلى سلم العمل، ولم يرتق درجة منه.

ترحيب سياسي زائف

تحريك الأمة

لم يفقد الإمام الباجي الأمل، وكان يحدث العامة بالإضافة إلى المسؤولين في كل دويلة يبصرهم بالواقع المرير الذي يعيشونه، ويظهر لهم الحالة البائسة للأندلس في تلك الفترة، ويثير فيهم العزيمة لعلهم يتحركون، والقيام بواجبهم، وسندكر أثر هذه الدعوة فيما بعد.

في ٤٤٩هـ كان بنو عباد قد استولوا على "مالقة" ثم توسعوا على حساب المنطقة حولها، فسيطروا على "نبلة"، و"ولية" وجزيرة "شنقيط"، و"شنتمرية" المغرب، و"شنية" حتى وصلوا إلى المحيط واحتلوا "مرسية"، ويدؤوا يتحرشون بغرناطة، وهذه إشارة واضحة إلى مدى الإسفاف والتدني، هذه الدويلات تتنازع فيما بينها.

مالقة وجنوب الشرق



ميناء مالقة وتبدو حركة البواخر التجارية للمدينة (المتظر تمت معالجته بالكمبيوتر)

لم يكتف هؤلاء الحكام المتفرقون باستقلال دويلاتهم، بل أشعلوا نيران القتال والمنازعات بينهم، مما زاد الأمر سوءاً ومهد الأمر لأعداء الأمة مستغلين تمزقها وضعفها. فاستغل النصارى، وقام "فردلند" بعبور نهر "دويرة" وحاصر مدينة "بازو" جنوب نهر "دويرة" فدافع أهلها عن المدينة دفاعاً بأسلاً، وطلبوا الاستعانة بالمسلمين من بقية المناطق فما قام أحد بتلبية استغاثة هؤلاء.

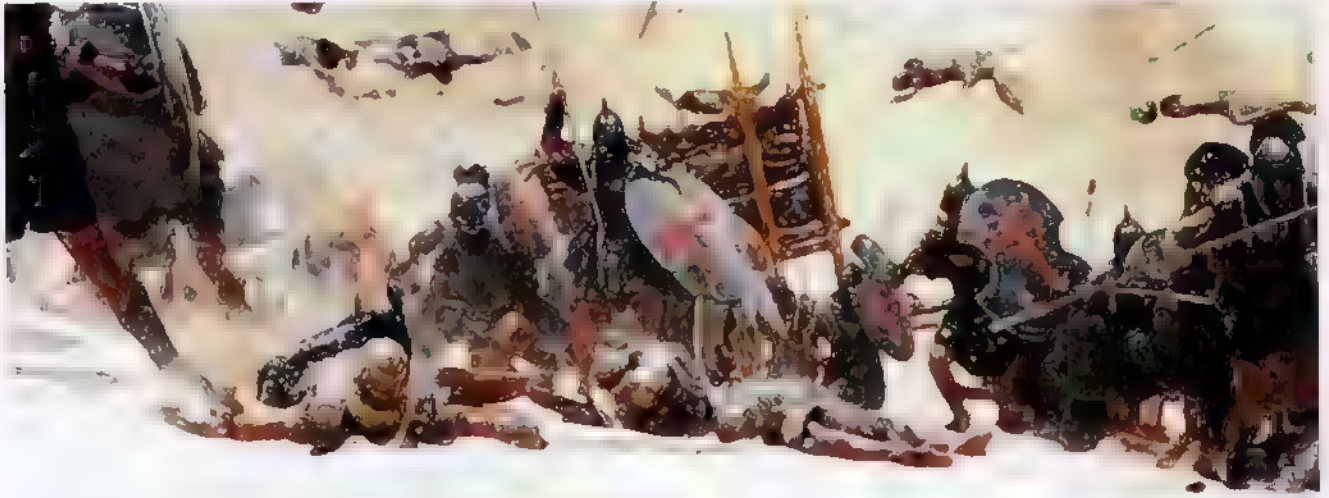
لأن القوم في خلف شديد وما في القوم معتصم إباء حتى اقتحم "فردلند" هذه المدينة البانسة بصورة عنيفة، فقتل أهلها، وأخذ الأسرى وانتهك الأعراض، وذلك في عام ٤٤٩هـ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.



صراع الدويلات



النصارى يهاجمون لقتال المسلمين



جيش هردند يقتل المسلمين بوحشية

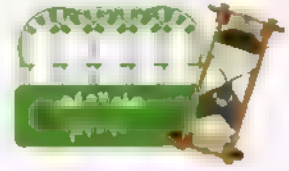


قلمرية تسقط

وتقدم "فردلند" نحو
"طليطلة" عاصمة
الوسط الأندلسي، وعاث
في ضواحيها فسادا كما
فعل في القرى التابعة
لإشبيلية، وسقطت بيده
مدينة "قلمرية" في عام
٤٥٦هـ، وفعل في كل مكان
أضعاف ما فعله في
مدينة "نازو".



البريق، الأندلس. نقش على النحاس



وحدة طليطلة وبلنسية بالزواج

مات في هذه الفترة في عام ٤٥٢هـ
"عبد العزيز بن عبد الرحمن بن
الحاجب المنصور" حاكم "بلنسية"
وتولى من بعده ابنه "الملك
المظفر" وتزوج من ابنة المأمون
حاكم مدينة "طليطلة"، فتوحدت
الدولتان، كما قيل أمة تتمزق من
أجل الأطماع وتتوحد من أجل
الزواج!

وقع حادث خطير، وحدث امر مدهل جر الأندلس إلى امور جسام هو سقوط مدينة "بريشتر"، وهو امر من ابشع ما مر للأندلس في تلك الفترة.

دويلة بني هود تنقسم

كانت "سرقسطة" من أكبر دول الطوائف، وهي مدينة قريبة من دول النصارى في الشمال، وكانت بيد التجيبين ثم سيطر عليها بنو هود، ولما مات "سليمان بن هود" الملقب بالمستعين بالله، توزعت مملكته إلى دويلات بين أبناء سليمان الخمسة، وبقيت المدينة بيد "أحمد بن سليمان" الملقب بالمقتدر بالله، ومدينة "بريشتر" تتبع "سرقسطة" وقد حكمها اخوه يوسف الملقب بالمظفر بالله.

النورمان يهجمون

تجمعت قبائل النورمان كرة أخرى عام ٤٥٦هـ مع قوات الفرنسيين واتجهوا من جنوب فرنسا وعددهم يربو على أربعين ألفاً فعبروا "البيرينية" وتقدموا نحو "سرقسطة" وكان على الطريق "بريشتر" حيث تقع شمال العاصمة حوالي ستين كيلومتراً، فحاصروها.



هجوم من الفايكنج يأخذون فيه الرقيق والاموال

الحصار والمأساة

أرسل المظفر بالله إلى أخيه المقتدر بالله يستعين به ويطلب المدد، فرفض المقتدر ذلك، وترك المسلمين محاصرين في هذه المدينة، فأرسل المظفر إلى كل الدويلات يستغيث بها، فما أجابه أحد، فتحرك العلماء في كل منطقة فما وجدوا أذناً صاغية، فأصبح الناس في تلك الفترة أشواكاً لا ورق فيها، وكانوا أوراقاً لا شوك فيها، واشتد الحصار أربعين يوماً وجرت معارك عديدة وشديدة خارج المدينة، فلما قلت الأقوات واشتد الضيق بالمدينة، وبعد قتال شديد استطاع النورمان اقتحام القسم الخارجي من المدينة، وتحصن المسلمون بالمدينة الداخلية، مصممين على القتال والثبات، لكن أحد الخائنين دل الفرنسيين على مجرى الماء الأرضي الذي يأتي إلى المدينة ويرويهها، فقطع المرنسيون الماء، واشتد بالمدافعين العطش، وتقاتلوا من أجل الماء،

فعرض أهل "بريشتر" التسليم بشروط على النورماندين، فرفضوا ثم اقتحموا المدينة بالقوة، واستباحوا ما فيها ومن فيها، فقتل من المسلمين على أقل تقدير أربعون ألف رجل، وعلى التقديرات العالية مائة ألف رجل، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهتكوا الأعراس أمام المحارم، وقسمت المدينة إلى مناطق يديرها جندي من النورمان، إذ أصبح جميع من في تلك المنطقة عبيداً له، وكان الخطب أعظم من أن يوصف أو يذكر، واختاروا خمسة آلاف من أجمل فتيات تلك المدينة البائسة وقدموها هدية لملك القسطنطينية، وتركوا حامية من ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل فيها ثم رجعوا إلى فرنسا مثقلين بالغنائم والأسلاب.

أما عن فيلوف، فربما لا ذكر لها في القمل
المروءة الخوايف من
وأي له وكل ما غاب ملك كأمك المم
العهود القوافي
بين مكث القمل في حركته وميتهم القمل
الحاشي
بأقمل القمل وكان قوتها
من شدة القمل وحمل القمل في ذلك القمل
ومكرها وأما في القمل في يومها القمل
بالقمل في القمل في القمل في القمل
حدروا له معاً ذلك وأما في القمل في القمل
شبهه مثلها في القمل في القمل في القمل
الاول في القمل في القمل في القمل في القمل
وأما في القمل في القمل في القمل في القمل
استمر في القمل في القمل في القمل في القمل

مخطوطة كتاب
"طوق الحمامة عن
الحب والمحبين لابن
حزم الاندلسي تاريخ
هذه النسخة ٧٣٨ هـ
تم اكتشافها في
مكتبة جامعة ليدي

أما يعيد التاريخ نفسه؟ أما تتذكرون صرخات بنات البوسنة، كم انتهك من الأعراس فعلى أقل تقدير خمسون ألفاً، وكم قتل من الرجال فعلى أقل تقدير مائتا ألف.

أيا أخت سراييفو سلاماً وإن تبكي فما يجدي البكاء
يعر علي اختادانا كثير كإحصى لكن غناء

هذا الحادث الاليم حرك الباجي، فلم ينتظر أمرا من أحد أو توجيهاً من حاكم بل قام يحرض المسلمين وعامتهم، ويحث الناس للقيام بالجهد في سبيل الله والمستضعفين إن لم يتحرك الحكام، وتحرك معه العلماء، من بينهم ابن حزم الفقيه المشهور: الحافظ، ولد عام ٣٨٤هـ، ونشأ في تنعم ورقاهية، ورزق دكاء مصرطا وذهنا سيالا. وكان أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وقد امتحن لتطويل لسانه في العلماء، وكان رأس أهل الظاهر في الأندلس. قيل عنه: لسان ابن حزم وسيف الحجاج قرينان وتحرك معهم جماعة من العلماء من أبرزهم:

"ابن عبيد البر" الذي ولد عام ٣٦٨هـ في قرطبة، الملقب حافظ المغرب، شيخ الإسلام. صاحب التصانيف الفائقة، وله بسطة كبيرة في علم النسب والأخبار، جلا عن وطنه فكان في الغرب مدة، ثم تحول إلى شرق الأندلس فسكن "دانية"، و"لنسية"، و"شاطبة" وبها توفي، قال عنه "ابن بشكوال": ابن عبد البر إمام عصره، وواحد دهره، وقال أبو الوليد الباجي: لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر بن عبد البر في الحديث، وهو أحفظ أهل المغرب.

و"ابن رشد الجد" (جد الفيلسوف ابن رشد): الإمام العلامة أبو الوليد، قال عنه "ابن بشكوال": كان فقيها عالما، عارفا بالفتوى، بصيرا بأقوال أئمة المالكية، سار في القصاء بأحسن سيرة، فقد كان قاضي الجماعة، ثم استعفى منه فأعفى، وكان حسن الخلق، سهل اللقاء، كثير النفع لخاصته،

جميل العشرة لهم،

عاش سبعين سنة،

ومات في ذي

القعدة سنة

٥٢٠هـ.



العلماء يتحركون



مخطوطة أندلسية قديمة للقران الكريم

وتحركت النفوس، وتحرك المقتدر - الذي قُتل أخوه المظفر مع المقتولين من سكان بريشتر -، وأعان تجمع الباجي البالغ عددهم ستة آلاف بالسلاح والمدد، وارتفعت صيحات التكبير والتهليل متوجهة نحو بريشتر، وسار المتطوعون من الجهات إلى الثغر "بريشتر"، وحدثت معركة بعد تسعة أشهر عند أسوارها، معركة شديدة مزق فيها المعتدون، إذ لم يستشهد من المسلمين سوى خمسين

شهيداً، بينما قتل من النورمان ألف وخمسمائة، وأسر الباقون، وعادت بريشتر إلى حكم المسلمين.

أربعون ألفاً يُقتلون حين تركوا التوحيد وضعفت النفوس فانظر إلى خيانات الحكام.

سنة آلاف يعيدون المدينة وينتصرون ولم يقتل سوى خمسين منهم. فانظر إلى دور العلماء.

حينما قامت إذا دعوة الجهاد ورفعت راية الإسلام بندائه الخالد الله أكبر، وتردد صدى لا إله إلا الله محمد رسول الله في حنايا الصدور، لاقى الناس المسلمون النصر، ولما خفت هذا الحس في ثنايا النفوس واستكانت إلى الدعة لقيت ما لقيت من الأهوال والفظائع في الأبدان والأموال والأعراض.

لكن القائمين على أمور الدويلات لم يتعظوا، لقد أصمت الأحقاد أبصارهم وبصائرهم، وأماتت الشهوات الدنيئة عزائمهم.

العلماء
الجاهدون



المقتدر والباجي يتوجهون نحو بريشتر.



النصارى في صراع دائم

الصراع بين نصارى الشمال



مات "فردنند" (فرديناند) ملك النصارى الذي كان قد وحد الدول النصرانية تحت حكمه، وتوزعت مملكته إلى أولاده الثلاثة: سيطر "شانجة" أكبر أولاده على قشتالة، وسيطر الأوسط "الفونسو" على ليون، بينما تمرد الأصغر "غرسية" بحكم "جيبليقية" والبرتغال.

طمع الكبير في ملك أخويه، فهاجم على مملكة ليون وأخضعها بينما فر حاكمها أخوه ملتبجاً إلى "مليطلة" التي يحكمها المأمون من بني ذي النون، فأحسن استقباله وأكرم وهادته ومن معه.

أتاح ذلك لـ"الفونسو" أن يطلع على عورات المسلمين ويتعرف إلى مداخل "مليطلة"، وقد مكث فيها تسعة شهور فعرف كل شيء عن مليطلة وهذه المعلومات كانت بداية لاحتلالها فيما بعد.

والله تعالى يقول: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبائلاً ودوا ما عنكم» (آل عمران: ١١٨)

وتلك سداجة ما بعدها سداجة من المأمون حاكم "مليطلة"، وغفلة أن يدخل العدو بلاد المسلمين يجول ويصوّل فيها بحرية من باب الإكرام من أولي الأمر.

وتابع شانجة تقدمه بعد أن بسط سيطرته على ليون، نحو مملكة أخيه الأصغر وانتصر عليه وضم إلى مملكته جيبليقية والبرتغال، فوحد دولة النصارى مرة أخرى، بينما لا يزال حكام الطوائف في صراع لضم قرية أو لسلب منطقة من بعضهم بعضاً، ولا يزال القوي يعتلي على الضعيف، والكبير يبلع الصغير.



توحيد دول النصارى

صراع بين دويلات الطوائف

قام ابن عباد فاستولى
على مدن "قرمونة"،
"مورو"، "أنكش"، و"رنده"
حتى اضطر المظفر حاكم
"بطليسوس" أن يدفع
الجزية لشانجة مقابل أن
يحميه.



إشبيلية تتوسع

لما توفي المظفر بن عباد،
تولى الحكم من بعده ابنه
الملقب بالمعتمد، وحكم
إشبيلية عام ٤٦١هـ، وإشبيلية
مدينة مهمة، وهي قريبة من
قرطبة التي كانت العاصمة
قبلها، فتحرك المعتمد عام
٤٦٣هـ بهجوم على قرطبة،
واستطاع أن ينهي حكم بني
جهور، وضم قرطبة إليه
وصارت لذلك إشبيلية أكبر
الدويلات في الأندلس.



صالة من صالات القصور الإسلامية التي لد في إشبيلية



الفونسو يتولى حكم النصارى



حدث صغير في مملكة النصارى يسبب أحداثاً جساماً فيما بعد، ومعظم النار من مستصفر الشر، ذلك أن شانجة تحرك للاستيلاء على حصن سمورة التي كانت تحت إدارة اخته "أوراك"، وبينما هو في الطريق وقعت عملية اغتيال له، ربما كانت بتدبير خصومه في عام ٤٦٥هـ، فقد اغتاله أحد الفرسان، فبقيت مملكة النصارى بدون ملك، فاستدعي الفونسو الموجود في طليطلة لاجئاً لتولي الحكم، فرحل إلى طليطلة بالغبطة لما ناله وبالتكريم، ولم يطلب منه حاكمها المأمون إلا الصداقة، وقطع له ما شاء من اليهود، ولكن «كيف يكون للمشركين عهد» (التوبة: ٧)، ولم يكن هذا كما قطع لنفسه.

أصبح الفونسو الآن ملكاً لقشتالة وليون وجليقية دولة واحدة، وبعد مدة قبض على أخيه الأصغر "غرسية" الذي دعاه للتباحث معه، وأودعه السجن، فقتل بقية عمره في السجن لمدة سبعة عشر عاماً.

النصارى يستعدون للقتال

"الفونسو" ذاك الطريد عن مملكته، اللاجئ في طليطلة أصبح حاكماً بأمره في دولة إسبانية النصرانية! ثم ازداد عتواً وجبروتاً في أرض الأندلس، وتظهر درجة طغيانه في حادثتين:
الأولى: الهجوم على إشبيلية.
الثانية: الهجوم على قرطبة.

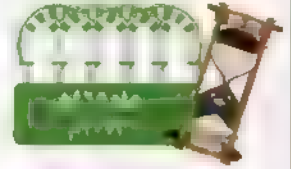
كان الفونسو قد أجل هجومه على طليطلة ولكنه أشغل نفسه بمهاجمة أريافها ومزارعها وذلك لمعرفة قوة حصونها، وشدة بأس أهلها، يريد بعمله ذلك إضعاف طليطلة والتمهيد لاحتلالها وإسقاطها.

الفونسو يخطط للهجوم

أرسل الفونسو وفداً إلى إشبيلية في عام ٤٦٥هـ يطلب إلى المعتمد بن عباد حاكمها أن يؤدي إليه الأموال التي تعهد بها له، بالإضافة إلى زيادة الضرائب التي ينبغي أن تجمع له وترسل فوراً.

سمح المعتمد لزوج الفونسو التي جاءت مع الوفد وهي حامل أن تستقر في قرطبة ثم تضع مولودها في جامع قرطبة الكبير لإشارة القساوسة والرهبان التي تقول: إنه إن ولد ولد له في أكبر مسجد للمسلمين فسيبلغ ذاك الوليد شأناً كبيراً.

مطالب الفونسو من إشبيلية



المفاوضات تفجر الوضع

جاء هذا الوفد وكان يرأسه وزير الفونسو "ابن شاليب اليهودي"، ونزل خارج إشبيلية يطالب المعتمد بما سبق، فأرسل المعتمد إليهم وزيره "أبو بكر بن زيدون" (ابن الشاعر الشهير صاحب ولادة)، فأساء الوزير اليهودي أثناء المفاوضات والمداولة، واشتط في محادثاته، فما استطاع المعتمد أن يتقبلها إذ للذل درجة وللهوان مرتبة، فغضب غضباً شديداً ورفض رفضاً قاطعاً، فأرسل سرية قتلت الوزير اليهودي فصلب في قرطبة، كذلك قتلت كل من معه -وكانوا خمسمائة رجل إلا ثلاثة رجال ليبلغوا الخبر إلى الفونسو بأن ابن عباد يرفض كل طلب لك وهذا جوابه: قتل الوزير اليهودي ومن معه.



وزراء المعتمد يحبرونه بمطالب البصاري واسلوبهم المدل بالموضب

ولعل هذا من حسنات ابن عباد إضافة إلى كرمه وشهامته فهو وإن أضع ما أضع وفعل ما فعل منعته العزة الإسلامية والعربية أن يلي مطالب الفونسو.

لا ترهقوا العرب فالعرب الكرام لهم وإن ارهقوا وثبة الصرغام غصبانا

ويروى أنه لما سكن غضبه، استمنى الفقهاء عن حكم ما فعل متذكراً معنى الحديث أن الرسل لا تقتل. فبادره أحد الفقهاء بالرخصة في ذلك لتعدي الرسول حدود الرسالة إلى ما استوجب به القتل، إذ ليس له ذلك، ثم التفت هذا المصنف إلى بقية الفقهاء قائلًا: إنما بادرت بالفتوى خوفاً أن يكسل الرجل (ابن عباد) عما عزم عليه من منابذة العدو، وعسى الله أن يجعل في عزيمته للمسلمين فرجاً.

ولما وصل النبا إلى الفونسو أقسم أن ينتقم بشدة، فجهز جيشاً واحتشد عنده من جميع الممالك النصرانية، فأرسل السرايا تعيث فساداً في المقاطعات الأندلسية تحرق كل شيء، وتدمر كل بنيان حتى وصل إشبيلية، وضرب الحصار حولها، ثم أرسل رسالة إلى المعتمد يطلب منه أن يسلم إشبيلية. فماذا يفعل ابن عباد؟ نعم ماذا يفعل؟ لم يتحرك أمير من أمراء الطوائف المتخاذلين -وهذه أكبر دويلة (إشبيلية) ستسقط أمام أعينهم، وسيحل الدمار بعدها على مدنهاهم ودويلاتهم. ولكن:

اهيب بقومي إلى المكرمات
وما من ملب وما من مجيب



مروحة المرابطين

أرسل الفونسو إلى المعتمد برسالة يقول له فيها: كثر بطول مقامي في مجلسي الذباب (الذباب)، واشتد عليّ الحرّ فائق إليّ من قصرِكَ بمروحة أروّح بها على نفسي، وأطرد بها الذباب عني. لكن الردّ الذي أرسله ابن عباد ما كان ببال الفونسو، وجعله يفكّ الحصار وينسحب، فماذا كتب ابن عباد:

كتب على ظهر رسالة الفونسو: قرأت كتابك، وفهمت خيلاءك وإعجابك، وسأنظر لك في مراوح من الجلود اللمطية ♦ في أيدي الجيوش المرابطية تروّح منك لا تروّح عليك إن شاء الله. ولما ترجمت له الرسالة، أطرق الفونسو برأسه وقد فهم إشارة ابن عباد: (أي أن ابن عباد سيطلب مروحة من المغرب العربي حيث توجد دولة المرابطين الإسلامية، أي أنه سيستنجد بالمرابطين إن لم يفكّ الفونسو الحصار) فقرر الرحيل خوفاً من إدخال جيوش المرابطين على أرض الأندلس فتقلب الموازين لصالح المسلمين «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً» (الأحزاب ٢٥).

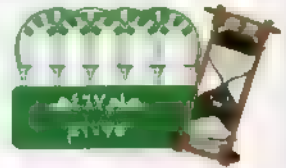


المرابطون يحصون الثغور والوديان

♦ اللمطية، أرض لقبيلة من البربر باقضى المغرب كانوا يصنعون الجلود شديدة القساوة.

توفي المأمون بن ذي النون في عام ٤٦٧هـ، وخلفه حفيده الملقب "بالقادر بالله" في حكم طليطلة، وكان من أسوأ الحكام الذين مروا بالأندلس من دويلات الطوائف، وكانت مدينة "بلنسية" تابعة لدولة ذي النون في طليطلة، فلما مات المأمون أعلن حاكمها "ابن رويش" محمد بن عبد العزيز الذي كان وزيراً للمأمون هناك انفصاله عن القادر واستقل بها.

استقلال
بلنسية





تهديد طليطلة

بدأ الفونسو شغل
الشغل للاستيلاء
على طليطلة بدءاً
من عام ٤٧٠هـ
بالإشارة على أراضي
مملكة طليطلة
ومزارعها، فحرق
ودمر محصولاتها،
واستمر على ذلك
سبع سنوات كمالات
لينهك قبواها،
ويضعف إمكاناتها
شينا فشيئاً.



ادوات الكتابة للخط العربي. علم اشتهر به العرب فساعدتهم في تدوين
الكتب العلمية القيمة



اتحاد سرقسطة ودانية ويلنسية

وفي العام التالي ضم بنو
هود (الذين كانوا
يحكمون دويلة في
سرقسطة) دويلة "دانية"،
واتصلوا "بابن رويش"
لصم "بلنسية" إلى
سرقسطة، إذ تزوج
"أحمد المستعين بن
المؤتمن" من ابنته، ولم
يلبث أن توفي "ابن
رويش"، واتفقت
الدويلتان أو اتحدتا.

شعر أهل طليطلة بإهمال القادر بالله للمدينة، وبعدم الاستعداد الكافي للدفاع عنها وإبعاد
الأخطار من حولها، فتشاور الأعيان فيما بينهم وقرروا أن يستعينوا بالمتوكل على الله حاكم
"بطلوس" وكان صالحاً قام بما يجب عليه، مثلاً في الفيرة والنجدة، من أهل الرأي والحزم،
شهماً شجاعاً، فأعان هذا أهل طليطلة بحيث تخلصوا من سلطة القادر الذي استعان بالفونسو
بطلب المدد، فخلعوه عام ٤٧٢هـ، وأعاناه الفونسو فأعاده إلى حكم طليطلة مرة أخرى بعد عشرة
أشهر من خروجه.



خلع القادر حاكم طليطلة

أرسل الفونسو الى المتوكل يطلب إليه دفع الجزية وبعض القلاع والحصون ويهدده تهديداً مروعاً إن لم يقبل ما عرضه عليه. ومع أن بطليوس دولة صغيرة وليس لديها من القوة ما تستطيع به دفع العدوان المتوجه إليها من الفونسو، إلا أن هذا الحاكم الصالح (ولم يكن وال أفضل منه من حكام دويلات الطوائف) رد على تهديد ملك قشتالة وليون وجيليقية برسالة قوية رغم صعوبة موقفه قال فيها:



الفونسو والمتوكل حاكم بطليوس

رسالة المتوكل

وصل إلينا من عظيم الروم كتاب مدع في المقادير وأحكام العزيز القدير، يرعد ويبرق، ويجمع تارة ويفرق، ويلبّد بجنوده الوافرة وأحواله المتظاهرة، وتو علم أن لله جنوداً أعز بهم كلمة الإسلام، وأظهر بهم دين نبينا محمد عليه السلام، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون، بالتقوى يعرفون، وفي التوبة يتضرعون، ولئن أمت من خلف الروم بارقة فباذن الله، وليعلم المؤمنون، وليميز الخبيث من الطيب، ويعلم المنافقين.

أما تعبيرك للمسلمين فيما وهي من أحوالهم قبل الذنوب المركوبة، ولو اتفقت كلمتنا مع سائرنا من الأملاك علمت أي مصاب أذقناك، كما كانت أبأوك تتجرعه، وبالأمر كانت قطيعة المنصور على سلفك أهدى ابنته إليه مع الذخائر التي كانت تفد كل عام إليه، وأما نحن وإن قلّت أعدادنا، وعدم من المخلوقين استمدادنا، فما بيننا وبينك بحر نخوضه، ولا صعب نروضه إلا السيوف تشهد بحدّها رقاب قومك، وجلاد تبصره في ليلك ويومك، وبالله تعالى وملائكته المؤمنين نتقوى عليك ونستعين، ليس لنا سوى الله مطلب، ولا لنا إلى غيره مهرب، وما تتريصون بنا إلا إحدى الحسنيين، نصر عليكم فيما لها من نعمة ومنة أو شهادة في سبيل الله فيما لها من جنة! وفي الله العوض مما به هدّدت، وفرج يقتر بما مددت، ويقطع فيما أعددت.

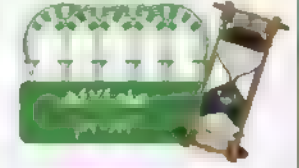


لم يكن عهد الطوائف يخلو من إشراقات وضاءة، والمتوكل نموذج مضيء. رفض أن يستذل، على ضعف من دولته وقلة حيلته، ونزر أسلحته، وعدد رجاله، ولكن أبت شهامته أن يستخذي للطاغوت، وما كان من حكام الدويلات الطائفية مثله أحد.

الحركة التجارية
ازدهرت ضمن الحكم
الإسلامي



صالات من القصور الاسلامية الخالدة في اشبيلية



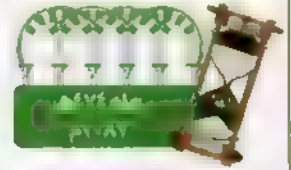
انقسام سرقسطة

وفي عالم ٤٧٤هـ يموت أحمد المقتدر بالله حاكم سرقسطة (عاصمة شمال الشرق) وهي دويلة صغيرة، فانقسمت إلى قسمين:

يوسف المؤتمن وأخوه المنذر حيث بدأ القتال بينهما كل يريد أن ينال منطقة أخيه، واستعان المؤتمن على أخيه بالنصارى لقاء مبلغ من المال يدفعه لهم أو تنازل عن حصون، وقد أعانته النصارى على ذلك، فاستطاع المؤتمن أن يسيطر على دويلة أخيه في النهاية.

ولا يتوانى النصارى من إضعاف الجبهة الإسلامية، وذا أمر مهم تسعى إليه السلطات النصرانية حينئذ، فكيف به يتحقق دون بذل بل يُبذل له، فأي حماقة تلك؟ أم أي إسفاف في شؤون المسلمين؟





الباجي يودع

شعر الباجي في عام ٤٧٤هـ باقتراب وفاته. فدعا علماء المسلمين في الأندلس واجتمع معهم وبين لهم أن ثلاثين عاماً من الدعوة والاستعداد جعلته كأنه ييأس من هؤلاء الحكام والأمراء والسلاطين حسب تعدد قبائهم وأسمائهم. وأنه خلص إلى نتيجة واحدة فيها الحل، وهي أن على أهل الأندلس أن يرسلوا إلى دولة المرابطين في الشمال الإفريقي (ويبدو أن الباجي كان السبب الأول في دعوة المرابطين والاستغاثة بهم) وكان ذلك في مدينة "المرية"، فتوفي رحمه الله قبل تمام غرضه، بأن يرى أمة الأندلس أمة واحدة، اجتمعت كلمتها كلها ضد العدو المتربص بهم في كل لحظة. رحم الله الإمام الباجي العظيم فهو ينصح للمسلمين حتى في آخر لحظات عمره، ويوجههم إلى الاستعانة بدولة إسلامية مجاهدة صادقة ففيها وحدها الأمل بعر الأمة والخلاص من أعدائها.

يقول حجة الإسلام، العلماء الثلاثة، إمام مهلك نفسه وغيره، وهم المصرحون بطلب الدنيا المقبلون عليها.

وأما مسعد نفسه وغيره، وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهراً وباطناً، وأما مهلك نفسه، مسعد غيره، وهو الذي يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق، وإقامة الجاه. (إحياء علوم الدين ٣).

وإن محاسبة الأمراء بالإنكار على أعمالهم المخالفة للشرع، أو أقوالهم المتناقضة مع الإسلام، لا تعني مطلقاً الإساءة إلى أشخاصهم، وإنما تعني تقويم إغوجاجهم. والسعيد من اتعظ.

وقد حملت الدولة الإسلامية في تاريخها الطويل بمآثر جليلة سجلها العلماء في مواقفهم الخالدة والفذة مع الحكام، أما في الجهاد ومقاتلة الأعداء فهم في مقدمة الجند وعلى رأس المتقدمين، فهم طلاب علم ومعلمين في السلم، جنود مقدمون في زمن الجهاد، أينما تبحث عنهم تجددهم.

والباجي من هؤلاء العلماء العاملين، جمع بين العلم العزير والرجولة الحققة، من الصفوة الطيبة، من أهل المعرفة الحققة، والعالم الحق كما قال القائل:

إن الملوك لتحكم على الورى وعلى الملوك تحكم العلماء

لقد قام الباجي بالذهاب إلى ملوك الطوائف من تلقاء نفسه، ورفق صوته فكان كمؤمن آل فرعون لو صادف أسماً واعية، لأن الذين مرّ عليهم يدعوه فيها إلى جمع الكلمة والانتباه إلى المخاطر كانوا يجلسونه في الظاهر، ويستقلونه في الباطن، ويستبدون نزعته، ولم يفد شيئاً (نصح الطبيب ٧٧/٢).

لكن دعوته أثمرت من بعده، إذ أصبح أهل الأندلس أخذين بزمام المبادرة في التوجه إلى استدعاء المرابطين كما رأينا، وقد أثارت العياري من الناس ونهبتهم إلى الأخطار والأعداء المتربصين.

فالعالم قوام الأمة. ينذر ويبشّر، يرشد ويعلم، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وينصر المظلومين، ويمنع الظلم، ويبين طريق الفلاح والسعادة، يدعو إلى التوحيد والقوة، ويدعو إلى جمع الكلمة ومواجهة الكفار والأعداء قولاً وعملاً.

وما أحوج ما تكون الأمة اليوم إلى علماء يتحلون بصفة العلم والعمل، والتقوى والزهد والجرأة في الحق والصلابة في التمسك بالعدل، وحمل الدعوة إلى الإسلام لتطبيق نهج السماء في الأرض.

في شهر محرم الحرام سنة ٤٧٨هـ، كان إيواء طليطلة لأفونسو السادس بن فردلند -أيام هريه- نعمة عليها، وسبباً لسقوطها، إذ تذكر بعض الروايات: أن الأفونسو استمع ذات يوم وهو متظاهر بالنوم إلى حديث المأمون -الذي أعطاه ما أعطاه- مع وزرائه في كيفية الدفاع عن طليطلة واحتمال مهاجمة النصارى لها، واستيلائهم عليها. وكيف يمكن ذلك؟ وبأية وسيلة؟ وقد أجاب بعضهم أن النصارى لا يستطيعون الاستيلاء على مدينة يمثل هذه الحصانة إلا إذا أنفقوا سبعة أعوام على الأقل في تخريب أحوازها (أراضيها) وانتساف مؤنها.



خطة الفونسو

الحصار
والانتهيار

وبعد أن عاث الفونسو فساداً في ممتلكات طليطلة سبع سنوات كاملات قام بصرب الحصار على المدينة، وضيق عليها الخناق حتى سقطت، بعد أن أعطى الأفونسو الأمان لأهلها بضممان حرياتهم واحترام شعائر دينهم وحقوقهم، وأنى يفي من يتصرف بالطابع الصليبي؟ وكيف يتمسك بالعهد صليبي متعصب؟ فقد ارتكب بعد شهرين فقط بحق أهل طليطلة الأفاعيل، وحولت المساجد ومن بينها الجامع الكبير إلى كنائس.



جيش الفونسو يقتحم طليطلة

دعوة الشعراء

لأنهزام

ولعرفة المصيبة التي ألت تكفى لو أجريت مقارنة بسقوط عاصمة من عواصم المسلمين بيد الأعداء في هذا الزمن، القدس مثلاً بيد الأعداء، فهذا الشاعر المشهور ابن العسال يقول معبراً عما يجيش في النفوس:

حشوا رواحلكم يا أهل اندلس
فما المقام بها إلا من القلط
السلك ينثر من أطرافه وارى
سلك الجزيرة منتورا من الوسط
من جاور الشرك لا يامن عواقبه
كيف الحياة مع الحيات في سقط؟

أما قوله هذا دال على استكانة وخنوع؟ فهل تهجر الأرض لمجرد سقوط منطقة أو مدينة منها؟ أم ينبغي أن يكون ذلك حافظاً لمزيد من الاستعداد والإصرار على الجهاد والمصابرة في اللقاء كما يقول الشاعر:

هوادي بحس وقلبي مهى
وروحى تثور وعقلي يهى
وهي عزمتي عناد الجهاد
أراه يقيننا ولا أدعى

الألم بسقوط

طليطلة

وقد نظمت أشعار كثيرة لما سقطت طليطلة، تبين الواقع المؤلم الذي أصاب المسلمين، وتلقي اللوم على تقصير ملوك الطوائف ومسؤوليتهم، إنما كان هذا سببه السياسات المنحرفة التي يمارسونها، فقد أورد المقرئ قصيدة طويلة لشاعر أغفل اسمه في المدينة المنكوبة:

لئنك كيف نستسم الثغور؟
سرورا بعدما سببت نغور
لقد قصمت ظهور حين قالوا
أمير الكافرين له ظهور
طليطلة أباح الكفر منها
حسمها إن ذا نبأ كبير
مساجدها كنائس، أي قلب
على هذا يقر ولا يطير
هيا أسفاه، يا أسفاه حزفا
يكرر مما تكررت الدهور
يطول علي ليلى، رب خطب
يطول لهوله الليل القصير
وقيل تجمعوا لفرار شمل
طليطلة تملكها الكمور
ولا تنجح إلى سلم، وهارب
عسى أن يجبر العظم الكسير
ونرجو أن يتيح الله نصرا
عليهم، إنه نعم النصير



منارة الرية قديمة في شنتمرية (سانتا ماريا)



حصار سرقسطة

كان سقوط طليطلة في عام ١٧٨هـ، ثم سقطت بيد الفونسو عدد من اعمال المناطق التابعة لها فدخل "طليطيرة" واعمال "شتمرية" كلها، ثم تحرك إلى "سرقسطة" عاصمة الشمال فحاصرها.



سقوط بلنسية

وفي هذه الفترة تحرك القائد بالله الذي سلم طليطلة إلى الفونسو ليضم "بلنسية" من قبل الفونسو، وتكن من أن يبسط السيطرة عليها، وبدأ يرهق سكانها بالضرائب التي ينبغي عليه أن يدفعها لألفونسو حتى يسكت عنه.

مرتزقة
القنبيطور

أراد المستعين بالله "أحمد بن يوسف" أخو القادر أن يستعين "بالقنبيطور" -زعيم عصابة تشكلت من الفرسان النصاري، قُبَاع وتُشْتَرى خدماته من قبل الأمراء المسلمين أو النصاري سيان للمرتزقة من أين يأتي المال؟ من المسلمين أم من النصاري؟

تحرك "القنبيطور" وجماعته المرتزقة وعددهم أربعة آلاف فارس يدعم المستعين بالله الذي معه ثلاثة آلاف راجل لإعادة حكم بلنسية، لكنه اعتذر فجأة عن المتابعة، إذ راسله القادر بالله سراً وأرسل له أضعاف ما أمده بها أخوه بالتحف والهدايا، محتجاً بأن القادر حليف الفونسو، وأنه لا يريد أن يزعجه! ولم يكتف "القنبيطور" بذلك بل راسل المنذر عم المستعين وخصمه بعقد معه المودة ويتمهد بأن يتحالف معه ضده ولكن أرسل الأموال! ومن ثم أرسل "القنبيطور" إلى الفونسو رسالة يقول فيها: أنا تابع لك بشرط أن تكون أية منطقة أدخلها تحت تصرفي وإدارة حكومي. فوافق الفونسو على ذلك، يلعب على جميع الحبال ويراسل للحصول على المال فقط.

جمع "القنبيطور" سبعة آلاف مرتزقة "مقاتل" قياخذ ما يريد بقوة، ويحصل على ما يريد بالتهديد، ولما تحرك تجاه "بلنسية" أعلن القادر حاكمها أنه تحت تصرف "القنبيطور" وأنه سيرسل إليه الضرائب ويجمع الأموال، وأنه في بداية أمره سيعطيه كل مطالبه.

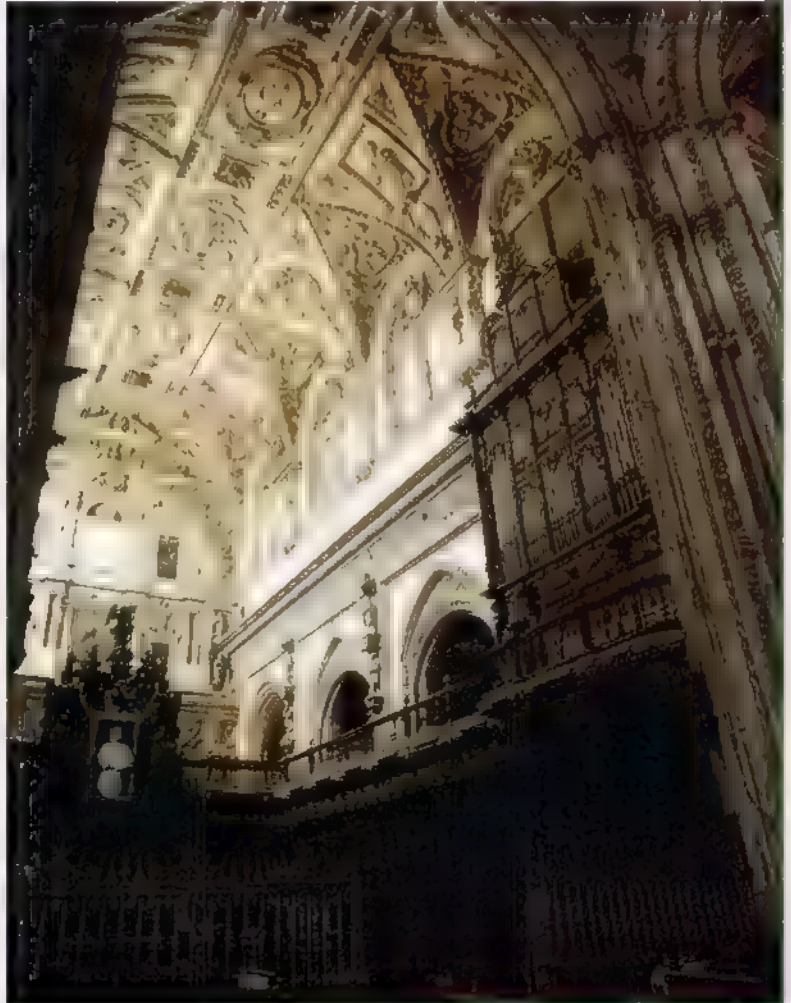
تصور هذا الطاغية أن أمراء الطوائف كافة غدواً رهن إشارته، وأنه سيقضي عليهم الواحد بعد الآخر، فسقطت تحت يده ثمانون منبراً من المدن والقرى لذلك علت منزلته بين النصاري. فلقبوه: بالإمبراطور "الفونسو".

لكن الأمور لم تجر على هواه كما قال الشاعر:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فإنه لما طغى وبغى، ونشر عتوه في الأرجاء الأندلسية دون التزام بعهد، أو حفاظ لخلق، أو مراعاة للإنسان، قدر الله أن يرسل عليه من يطارد، ويثلم سيفه ويكسر من حدته، وحق على الله أنه ما ارتفع شيء من الدنيا إلا وضعه.



منظر لكاتدرائية مسيحية بداخل المسجد

بعد هذه الأحداث المريعة التي جرب أهوالها في الأندلس عام ٤٧٨هـ، وبعد سقوط طليطلة فقد علماء المسلمين الأمل بأن يأتي العز وحماية المسلمين من الحكام والأمراء في دويلات الطوائف، وخشوا أن تضيق الأندلس برمتها، فشككوا وقدماً وذلك للتوجه نحو المغرب الأقصى الشمال الإفريقي حيث المرابطون، وجاءت دعوة المرابطين للتدخل وإنقاذ الأندلس من عدة جهات أهمها.



علماء المسلمين

يستعينون
بالمرابطين في
المغرب

١- علماء الأندلس الذين تجمعوا على رأي الإمام الباجي.

٢- من مراسلات المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين بعد تهديد ألفونسو له.

٣- ومن مبادرة المتوكل (عمر بن محمد) أمير دويلة "بطليوس" الذي كان متأثراً بدعوة الباجي رحمه الله والقائمة على:

١- الدعوة إلى وحدة الأندلس وجمع كلمة أمرائها.

٢- الاستعانة بالقوة الإسلامية في المغرب (المرابطين).

اتجه الوفد الأندلسي عام ٤٧٤هـ أي قبل سقوط طليطلة، يستعطف قلب ابن تاشفين أمير المرابطين للتدخل لإنقاذ أهل الأندلس. وشكوا إليه ما حل بهم من أعدائهم. فوعدهم بمراهم، وبدأ بالاستعدادات اللازمة، وأعد العدة، ولكن لماذا تأخر هو؟ وما السبب الذي أخر المرابطين؟ ومن هم المرابطون؟ ومن هو يوسف بن تاشفين؟



المرابطون

قبيلة من البربر تدعى "لمتونة" ويسمون لذلك باللمتونيين، ولأن البربر يملثمون يقال لهم أحياناً "المثلمون" قاموا بتأسيس دولة إسلامية عظيمة في المغرب كان لها دور عظيم في الأندلس، فبالى مرحلة وعهد المرابطين.

السياق التاريخي

دويلات الطوائف وملوك المغرب



الفصل الثاني

عهد المرابطين

أولاً - يوسف بن تاشفين يعبر إلى الأندلس

ثانياً - معركة الرلافة وحصار حسن لبيط

ثالثاً - انتهاء دويلات الطوائف

رابعاً - علي بن يوسف بن تاشفين

خامساً - نهاية عهد المرابطين

نشأة دولة المرابطين

كان أمير قبيلة "جدالة" (بطن من لتونة) يحيى بن عمر بن إبراهيم قد ذهب إلى الحج عام ٤٤٤هـ مع جماعة من قبيلته، وتوقف قليلاً أثناء عودته في القيروان عاصمة إفريقية في تونس في تلك الفترة، وأخذ يستمع إلى علمائها، واتصل بشيخ المذهب المالكي في تلك الفترة "موسى الفاسي"، وطلب إليه أن يرسل معهم عالماً يفقههم في الدين لأنقطاعهم في الصحراء والبادي، فأرسل معهم موسى عالماً يدعى "عبد الله بن ياسين الجزولي"، فأقام لهم هناك في بلادهم رياطاً (١) (أي مخيماً) يتدرب فيه المتعلمون على أساليب الجهاد والقتال إضافة إلى تلقي العلم، وعلمهم هذا العالم الجليل أن الدين ليس في العبادة فقط، بل إنه منهي يصلح لجوانب حياة الفرد والجماعة كلها، ونظم المتطوعين ورتبهم، فكان أول مجموعة أنشئت للمرابطين عددها ألفاً، وانضم إلى هؤلاء زعيم قبيلة "لتونة" الذي مر ذكره، وكذلك انضم إليهم أخو الزعيم "أبو بكر بن عمر".

موسى في يمينه في
نوق، بفصل
لرخرفه زحاحة من
الخرف لم اكشافها
في قرطبة

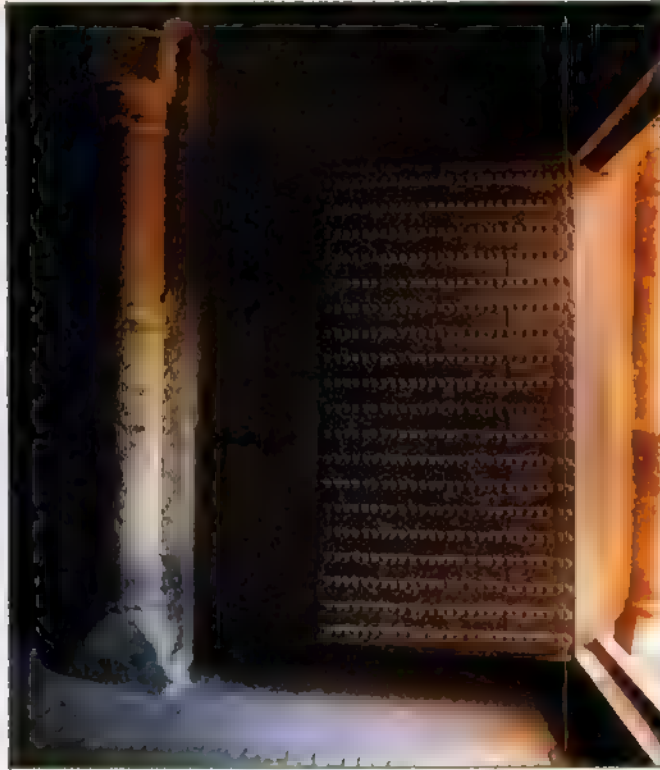
فتعلموا الفقه
والعلم والجهاد،

وكانا مثليين عظيمين في الإخلاص والتضحية.

توفي يحيى بن عمر فخلفه في قيادة هؤلاء المرابطين أخوه أبو بكر عام ٤٤٦هـ، الذي يعتبر أول مؤسس لدولة المرابطين، وبدأت تكبر وتتسع وما أعظمها دولة يحكمها العلماء العاملون المجاهدون.

(١) - رياط الخيل خمساً هما فوقها للاستعداد في
سبيل الله وفي الحديث (رياط يوم في سبيل الله خير
من الدنيا وما عليها) رواه الشيخان





حدث خلاف بسيط بين "صنهاجة" إحدى قبائل البربر، فاستدعي أبو بكر اللمتوني إلى الصحراء موضع الخلاف، لتلافي الأمر، وكل أمر المرابطين إلى ابن عمه يوسف بن تاشفين، ولما عاد أبو بكر بعد إتمام مهمته ولقي يوسف عام ٤٦٥ هـ، ورأى من عظمة سلطانه وقوته، وإدارة الأمور في أثناء غيابه؛ فاقدم على عمل قل نظيره بين الحكام، إذ تنازل ليوسف بإمارة المرابطين وقال: (هذا الفتى أفضل مني في الإدارة)، وهذا العمل يدل على ما كان عليه من فضل ووعي وبعد نظر وتقى رحمه الله تعالى.



يوسف بن تاشفين يتولى الحكم

واجهه بوابة العدالة
وداخل البوابة

أين هذا التنازل؟ وهذا الوعي السياسي مما كان يفعله حكام الدويلات في الأندلس وأماؤها؟ يتنازل الزعيم (اللمتوني) لمن هو أكفأ منه في إدارة الأمور وحسن السياسة في المغرب بينما يحارب الضعيف العاجز في الأندلس من هو أجدر بالإدارة وأكفأ في تنظيم الدولة.

تولى إمارة المرابطين حينما تنازل له ابن عمه عنها !!

كان يتمتع بكثير من الذكاء والفطنة والعزم والشجاعة والحزم.

بنى مدينة مراكش عاصمة للمرابطين.

عبر نحو الأندلس لأول مرة لمساندة أهلها.

بدأ توحيد الأندلس.

توفي في مراكش وقد جاوز المائة سنة.

تأسيس مراكش

كانت عاصمة المرابطين "أغمات" جنوب شرق مراكش، لكن ابن تاشفين أراد بناء مدينة تكون قاعدة لهم، فأسس مدينة "مراكش" الحالية في المغرب، وكانت دولة المرابطين تقوم على الأسس الإسلامية، والحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى، والصالح للدين. وعلى النظام الإداري الذي كان من أرقى الأنظمة الإدارية في ذلك الزمان.

عظمة يوسف

بن تاشفين

توسعت هذه الدولة، فشملت المغرب العربي، ثم امتدت إلى الشرق والجنوب، ويسطت سلطاتها على السودان وغانا ومالي والنيجر.

وكان مسجد مراكش أول ما أسس من البناء، وكان ابن تاشفين يشارك العمال أثناء البناء فيحمل الطين، ويحضر الأساس، ذكروا عنه أنه لم يتأثر طوال حياته بأية نزعة من ترف القصور، ولا عيشها الناعم، ولا مغريات الفساد، وقد كان يتمتع بكثير من الدكاء والفطنة، والعزم والشجاعة والحزم، وكان فضلا عن ذلك كثير التقى والورع، خائفا لربه، كتوما لسره، كثير الدعاء والاستخارة، مقبلا على الصلاة، مديما للاستغفار، ويلحق بذلك كله شغفه للجهاد، فقد كان بطلا مجاهدا حقا، وقد صرف من عمره أعواما طويلة في الجهاد في سبيل

الله، ولم تكن انتصاراته إلى كثرة

العدد ولا إلى قوة

العتاد،

وانما

لبراعته في

تنسيق

الخطط، وتنظيم الجيش وانتهاز الفرص

السانحة، وكان حريصا على

استتباب الأمن وحفظ النظام في

دولته المتراصة الأطراف، دائم

التفقد لشؤون رعيته، كثير الرجوع للعلماء والمقهاء، يصل الفقهاء ويعظم العلماء، ويصرف الأمور إليهم، ويأخذ فيها بأرائهم، ويقضي على نفسه وغيره بفتياتهم، يحض على العدل، ويصدع بالحق، ويعصد الشرع، والله سبحانه وتعالى يقول: «يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم» (محمد ٧).

روح من الساحل من الحديد المصنوع

هذا هو يوسف بن تاشفين، وذلك هو الحاكم التقى الورع، يضاهي صلاح الدين الأيوبي في الشرق وقد وجد في عصره، ولكن لا يكاد يذكره إلا القليل، ولا يعرفه إلا الأقل من أبناء المسلمين، فأين نحن من ذكره؟ وأين نحن من إبرازه كقدوة للحكام والشباب؟

سبب تاشفين العبور إلى الأندلس

بدأ يعد العدة لإنقاذ الأندلس بلاداً وعباداً من طغيان الفونسو السادس، لا لاحتلالها، فجهز جيشاً من قاعدته في المغرب، واتجه نحو سبتة، وهذه المدينة هي المنطلق الوحيد للعبور عبور المضيق إلى ناحية الأندلس. وكان يحكمها رجل يدعى "سقوت بن محمد".

ما السبب لتأخير ابن تاشفين في إنقاذ الأندلس؟

حدث أمر آخر أعجب من الأول، ذلك أن حكام الأندلس في المدن الجنوبية قد اصدروا أمراً إلى أنصارهم أن يمنعوا رسو السفن التي تحمل المرابطين على الشاطئ الأندلسي، مع أن يوسف بن تاشفين قد أعطى لهم المواعيق والعهد بأنه لا يريد غزوهم ولا مملكتهم وإنما يريد أن يحد امتداد نصارى الفونسو، ويقلم أظافره التي استطالت على الأرض الأندلسية، فبقوا مصرين على المنع.

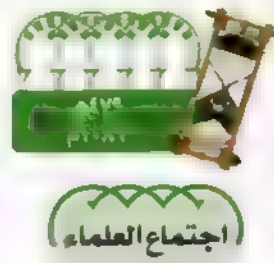
حكام جنوب
الأندلس
يرفضون



حاكم سبتة
يرفض

أرسل يوسف بن تاشفين إلى حاكم سبتة، يستأذنه في عبور مدينته، واستعمال سفنه لاجتياز المضيق، فرفض الأخير رفضاً قاطعاً من السماح له بالعبور أو إعطائه أية سمينة!! فراسله عدة مرات ويرفض في كل مرة، لذلك رأى علماء المغرب بعد سقوط طليطلة عام ٤٧٨هـ قتال هذا الحاكم، وأحلوا دمه بفتوى أصدروها، فقاتله ابن تاشفين وهزمه، وبسط سيطرته على سبتة، وأخذ يعد لعبور المضيق؟

لذلك أقدم المعتمد بن عباد حاكم إشبيلية على مراسلة حاكم "بطليوس" المتوكل، وحاكم غرناطة "عبد الله بن حبوس" وطلب منهما إرسال القضاة إلى إشبيلية، فوصل قاضي بطليوس أبو إسحاق بن مقانا، وقاضي غرناطة القليبي، واجتمعا بقاضي إشبيلية أبي بكر بن أدهم، وشارك معهم الوزير أبو بكر بن زيدون - ابن الشاعر المعروف -.



اجتماع العلماء

وبعد مداوات قرروا إرسال وفد إلى ابن تاشفين ليدرك أهل الأندلس، حتى وإن كان قدومه قد يسبب زوال سلطنة الدويلات الأندلسية، ولما أخبر المعتمد بن عباد بهذا الرأي قال جملة الشهيرة: (رعي الجمال خير لي من رعي الخنازير)، أي أن أرعى لابن تاشفين المسلم جماله أحب إلي من أن أرعى خنازير الفونسو السادس النصراني، فوافق على استدعاء المرابطين، وكذلك وافق المتوكل، وملك غرناطة.

المعتمد بن
عباد يوافق

وجاء وفد الأندلس وجاوزوا الجزيرة الخضراء وعليها الراصي يزيد بن المعتمد، ثم جاوروا البحر واجتمعوا بابن تاشفين مرة بعد مرة، وتفاوضوا في مكان إنزال المرابطين، فأشار ابن زيدون أن ينزل الجنود بجبل طارق.

وفد الأندلس



واجهه بوابة العدالة وداحل البوابة



يوم العبور

وفي اليوم الخامس عشر من شهر ربيع الأول عام ٤٧٩هـ أمر ابن تاشفين بالعبور جيشاً بعد جيش (على دفعات)، وكان أول دفعة للجيش بقيادة "داود بن عائشة" وبلغ تعدادها سبعة آلاف، وعبر هو مع آخر دفعة إذ قرّر وهو ابن الثمانين أن يشارك في الجهاد لينال شرفه. وكان بإمكانه أن يرسل القوات ويديرها من هنا، إلا أنه أراد ألا تموته هذه الفرصة، وأية فرصة؟ الخروج في الجهاد! ولما أراد العبور هبت عاصفة هوجاء على البحر، وعلا الموج وأرغى البحر وأزبد.

التفكير بالعودة

فقام ابن تاشفين يصلي مستخيراً ربه سبحانه وتعالى، ثم يبتهل داعياً؛ اللهم إن كنت تعلم أن في جوازنا (عبورنا) هذا خيرة للمسلمين، فسهّل علينا جواز هذا البحر (عبوره)، وإن كان غير ذلك فصعبه حتى لا أجوره، وما انتهى من دعائه إلا وكان البحر هادئاً ساكناً فعبّر البحر، ونزل في الجزيرة الخضراء. ثم قصد ظاهر إشبيلية، وفي هذا المكان بلغه نبأ وفاة ابنه أبي بكر الذي استخلفه على إدارة الدولة في المغرب، فماذا يقرر؟

- ١- هل يعود إلى المغرب تحسباً لفتن قد تظهر، ويدير أمر الدولة؟
- ٢- أم يستمر على ما هو عليه من متابعة الجهاد في أرض الأندلس؟

فأثر -رحمه الله- أن يتابع طريقه، وأي شيء يعدل الجهاد لدى المسلم الحق؟ وأرسل وزيره "مزدلي" ليقم شؤون الدولة المرابطية في المغرب.

لقاء ابن تاشفين والمعتمد

نزلت دولة العلم والجهاد على أرض الأندلس، فسرت الروح التي كانت للأجداد في نفوس الناس، وخرجوا لملاقاة جند المسلمين، وأقبلت أفواج المتطوعين للمشاركة معهم، وكان ابن تاشفين يكرم كل من يأتيه، ولما اقترب من إشبيلية ركض المعتمد لملاقاته والتقياً منفردين، وتصافحا وتعانقا، وأظهر كل منهما لصاحبه المودة، وتضرعا إلى الله تعالى أن يجعل عملهما خالصاً لوجهه الكريم.

الاجتماع بالمتوكل

وقدم الجيش بعد استراحة قليلة إلى بطليوس، وكان أميرها المتوكل أفضل من حكم من ملوك الطوائف، فاستقبلهم ورحب بهم، وأمدّهم بكل ما يستطيع، وأعلن نفسه جتدياً تحت إمرة ابن تاشفين، ولم يبق من ملوك الطوائف إلا من بادر وأعان وخرج أو أخرج، وأبى أهل الأندلس إلا أن يسيروا مقدمة للمرابطين بقيادة ابن عباد، وسار من بعدهم المرابطون في مؤخرة الجيش.

ابن عباد الشاعر

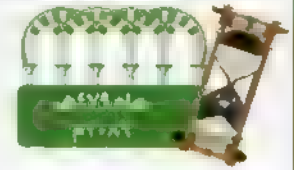
وكان ابن عباد شاعراً، فأنشد لنفسه متماثلاً أثناء مسيرته:

لا بد من فرح قريب يا تيك بالعجب العجيب
غزو عليك مبارك سيعود بالفتح القريب
لله سعادته نكس على دين الصليب
لا بد من يوم يكو ن له أخايوم القليب (١)

(١) يريد بالقلب هنا قلب يد حيث كانت معركة أعز الله فيها المسلمين وقلب يد هو الحب الذي دفن النبي ﷺ فيه قتل المشركين.

بدأ ابن تاشفين ينظم جنوده في الزلافة، فلما بلغ نبأ قدوم المرابطين إلى الزلافة ترك المونسو حصار سرقسطة وتوجه نحو الزلافة، وكتب إلى ملك أرغون "شانجة" يطلب إليه المدد، وإلى ملك فرنسة ما وراء جبال البيرينية يسأله المدد والمعون، وأرسل إلى جيليقية وناقارة، وأعلن البابا (حربه المقدسة) وأرسل كبار الرهبان والقساوسة لحض جيش المونسو على هذه المركة الفاصلة، وأعلنت حرباً صليبية مقدسة، فجاء المتطوعون والجنود من فرنسة وإيطالية، وتجمع حول قائدهم المونسو حوالي ٥٠ ألفاً، بينما لم يكن المسلمون يتجاوزون ٢٥ ألفاً، حتى قال المونسو: سأقاتل الجن والإنس وملائكة السماء! وأرسل إلى ابن عباد وابن تاشفين رسائل يستهزئ بهما، فكان جواب ابن تاشفين:

استعداد الفرنجة



وسار الجيش إلى منطقة تدعى الزلافة. الزلافة: لا تقل مكانة عن حطين وعين جالوت، وهي حدث فاصل في تاريخ المسلمين.



المونسو يترك حصار سرقسطة ليتوجه نحو الزلافة

مراسلات ابن تاشفين والفونسو

بلغنا يا أذفونش (الفونسو) أنك دعوت إلى الاجتماع بنا، وتمنيت أن تكون لك سمن تعبر بها البحر إلينا. فقد عبرنا إليك وقد جمع الله تعالى في هذه الساحة بيننا وبينك، وسترى عاقبة دهالك، «وما دعاء الكافرين إلا في ضلال» (غافر ٥٠).
فما رد الفونسو إلا متوعداً ووصف ما معه من القوة والعُدَّة والعدد، لكن جواب يوسف لم يكن إلا هذه الجملة: الذي سيكون ستره، كتبها على ظهر رسالة الفونسو.
ثم عرض عليه ابن تاشفين آخر الأمر واحدة من ثلاث:
١- إما أن يدخل في الإسلام يكون له أو عليه ما للمسلمين أو عليهم.
٢- أو أن يدفع الجزية صاغراً.
٢- أو الحرب.



التحام القتال في معركة الزلاقة

الاستعداد للمعركة

كان ذلك يدعو للمعجب والتكبر لدى الفونسو، إذ أن جيشه ضعف المسلمين هناك، فحث جنوده واتباعه على الاستعداد للمعركة الفاصلة، فبدؤوا يرفعون الصليبان، ويقرؤون الأناجيل، ويبايعون على الموت. بينما المسلمون يحذر بعضهم بعضاً من التولي يوم الزحف، ويقرؤون سورة الأنفال (سورة القتال)، ويوصي بعضهم بعضاً بالصبر عند اللقاء.

محاولة القدر

أرسل الفونسو يوم الخميس رسالة إلى المسلمين "ابن عباد وابن تاشفين" يقول فيها: لتكن الحرب معلومة بيننا وبينكم ليوم الاثنين مثلاً، أو يوم السبت حيث يقع بين عيد المسلمين الجمعة وعيد النصرى الأحد، إلا أن ابن تاشفين وابن عباد أمرا الجند بالاستعداد الدائم فقد ينشب القتال في أية لحظة! وكان الفونسو يريد أن يأخذهم على غرة.

رؤيا صالحة

استيقظ رجل من المسلمين وقت السحر وهو فقيه المسلمين ابن رميلة. فطلب مقابلة ابن تاشفين فوراً ومن معه من القادة، وأخبرهم بشرى سارة، قال: إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام يبشرني بالفتح والنصر ويبشرني بالشهادة في سبيل الله، وانتشر الخبر (رؤيا النبي ﷺ وبياراته) بين الجند ففرحوا وقويت عزائمهم، واغتسل ابن رميلة وتدهن بالطيب يستعد للشهادة.

وفي الثاني عشر من رجب عام ٤٧٩هـ بدأت الزلافة.

انزلاق الخيل



معركة الزلافة

رحمت جيوش الفونسو، وقاتل المسلمون قتالاً عجبياً بينهم ابن عباد وقد عقرت تحته ثلاثة أفراس، كلما عقر فرس قدم آخر، واشتد النصارى في القتال حتى اختلت صفوف المسلمين، وسالت الدماء الغزيرة فانزلت الخيول والناس ومن هنا جاء اسم المعركة: الزلافة، وبدأت الهزيمة تظهر ملامحها لدى المسلمين، إلا أن ابن تاشفين ذلك الفذ الضريد، كان محتاطاً لمثل هذه الحالة، وكان قد عزل مجموعة من الجند احتياطاً في مكان قرب الساحة، أمر عند ذلك ابن تاشفين هذه القوة باقتحام ساحة المعركة على مجموعتين:

حركة مجموعتي الاحتياط والنصر العظيم

مجموعة هاجمت قلب جيش النصارى، وهي بكامل قوتها وراحتها، ومجموعة التفت التفافاً طويلاً حول جيش الفونسو بقيادة ابن عائشة -أحد قواد ابن تاشفين- لتضرم النار في مؤخرة الجيش، فقامت هاتان المجموعتان بدوريهما خير قيام، هنا بدأ الاضطراب والخلل في صفوف جيش الفونسو، ودب الانهزام في صفوفهم، حيث وقعوا بين قوات المعتمد وبين احتياطي المرابطين، كان ابن تاشفين -وهو ابن الثمانين- يقود بنفسه هذه المجموعة، فكان يتعرض للشهادة، واستمر القتال من الصباح إلى المغرب، واستطاعت المجموعة التي يقودها ابن تاشفين من اختراق قلب المشركين حتى تصل إلى الفونسو وتصيبه بجراح خطيرة في ركبته طل يعرج منها إلى آخر عمره، ففر ولحقه جيشه، وطاردتهم المسلمون حتى حلول الظلام، إلا أن ابن تاشفين أصدر أوامره بالعودة خشية عليهم من أن يقتل واحد منهم، ولم يتوقف الفونسو إلا في عاصمته طليطلة، ولم يكن معه سوى مائة فارس من خمسين ألفاً كانوا في ساحة الزلافة.

جهاد العلماء

وكان العلماء من خيرة من قاموا بالثبات والصبر، وأبلوا بلاءً حسناً، واستشهد فقيه الناس وقاضيه ابن رميلة، واستشهد قاضي مراكش المصمودي، والفقيه أبو رافع الفصل بن حزم: ابن الفقيه المعروف، وقد عصف نفس ابن تاشفين عن أخذ أي شيء من الغنائم، فوزعت على أمراء الأندلس وجندها.

معركة الزلافة





ابن تاشفين يحمل لواء المسلمين

كانت نية ابن تاشفين أن يتابع غزوته لإخضاع طليطلة وإنهاء الفونسو وقوته، لكنه قدر الله، إذ وقعت أحداث خطيرة في المغرب، جعلت ابن تاشفين يعود إلى المغرب، فجمع قبل مغادرته أمراء المسلمين وحكامهم، ونصحهم بالاتفاق والتوحد، والاعتصام بحبل الله، وأنهم ما غلبوا قبل الزلافة إلا لتفككهم وانحذالهم وتنازعهم. فاجابه كل من كان موجوداً، ورجع إلى المغرب عام ٤٧٩هـ بعد شهر واحد من معركة الزلافة، أي في شهر شعبان، وقد ترك في الأندلس قوة من جنده لتابعة الجهاد بقيادة سير بن أبي بكر، عاد إلى المغرب، وحبذا لو قاد الجيوش وأنهى الفونسو وانتصر عليه انتصاراً استراتيجياً فحطم قوة عدوه وعاصمته، ولكن ذاك من قدر الله.



عودة ابن تاشفين إلى المغرب



قاموس لاتيني عربي، يطلق عليه معجم لندني

تهنئة المعتمد بن عباد

رجع المعتمد إلى عاصمته إشبيلية، ورجع كل أمير إلى إمارته، وعاد كل حاكم إلى حكومته، وأقدم الشعراء والخطباء يقدمون ما جادت به قرائحهم، يهنئون المعتمد على هذا الظفر الميمون، وكان من بين الذين وهنوا شاعر يدعى عبد الجليل بن وهبون، الذي يقول: كنت قد نظمت قصيدة لألقيها بين يدي المعتمد، لكن المعتمد أمر القراء بتلاوة القرآن الكريم، فتغنى أولئك بتلاوته، وزينوا أصواتهم بمختلف القراءات بأجمل التراتيل والأصوات، وقرأ أحد هؤلاء قوله تعالى: ﴿إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ (التوبة ٤٠). فأثرت في نفسي تأثيراً بليغاً، وقلت في نفسي أين ما نظمت من القصيدة ومن معانيها من معنى هذه الآية الكريمة؟ فلم أنشد ابن عباد شيئاً، وقلت: بعداً لي ولشعري، والله ما أبقت هذه الآية معنى لي أقوله.

هكذا كان القرآن الكريم يترك أثراً جميلاً في نفس السامع، ولا يزال إن أحسن الاستماع إليه، وأنصت إليه لتدبير معانيه لا للاستمتاع بحسن الأصوات وأنغامها.

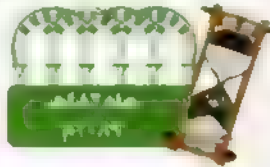
عاد الحكام للزرقه

وزالت نشوة النصر، وهذات المعاني الجليلة المستفادة من معركة الزلاقة، وعادت شهوة الحكم إلى نفوس الأمراء أشد ما تكون من قبل، فأعمت بصائر الحكام، فما توجهوا للتوحد وإزالة التفرق، ولا استعداداً أو أعدوا القوى لمقاومة الجهاد لإنهاء سطوة النصاري، وما انتهزوا هذه الفرصة لإعادة طليطلة إلى الحكم الإسلامي حين لم يبق مع الفونسو إلا قوة ضعيفة لا تتجاوز الخمسين فارساً.



عاد الفونسو للحجوم من حصن ليبيط

عاد الفونسو إلى طليطلة، وجمع المقاتلين الذين تشتتوا في شمال الأندلس بعد الزلاقة، وبدأ يستعد للانقضاض على دويلات الطوائف الواقعة في شرق الأندلس، ففي عام ٤٨٠هـ (أي بعد عام واحد من معركة الزلاقة) بنى حصناً جديداً ليكون منطلقاً وقاعدة لقواته التي سيسقط بها تلك الدول قرب مدينة "مرسية" اسمه حصن "ليبيط"، وحشد فيه المقاتلين حتى بلغ عددهم ثلاثة عشر ألفاً، وهذه قوة كافية لإسقاط دولة إثر دولة من دول الطوائف.



المعتمد يعبر لاستنجد ابن تاشفين في المغرب

ومرة أخرى شعر أهل الأندلس بالخطر "خطر الفونسو"، وأدركوا أنه لا يمكن لهم مجابهته إلا بالاعتماد على قوة ابن تاشفين، لذلك عبر المعتمد بن عباد بنفسه المضيق والتقى بابن تاشفين في المغرب وشرح له الأوضاع وبين له حالتهم المزرية مرة أخرى ورجاه أن يأتي ليصد الخطر عنهم، فوعده ابن تاشفين خيراً، واستجاب له فعبر بقواته المضيق عام ٤٨٢هـ، واجتمع إليه ملوك الطوائف، وتوجه بجيشه إلى حصن "ليبيط" فحاصره حصاراً شديداً، هنا أدرك الفونسو الخطر على مملكته، فجهز جيشاً جراراً توجه لإنقاذ الحصن ومن فيه، رأى ابن تاشفين أنه ليس بإمكانه التصدي لهم وللحصن معاً، فأثر الانسحاب ليراقب عدوه ماذا سيفعل؟ حتى لا يقع بين قوتين معاديتين: قوة الحصن وقوة الفونسو.

رأى الفونسو بعد ذلك أن يخلي هذا الحصن، ثم أمر بهدمه،
وانسحب إلى طليطلة ليدافع عنها، وبذلك زال الخطر عن
دول الطوائف في الشرق الأندلسي.

الفونسو يهدم
حصن لييط



جنود الفونسو ينهون من
تدمير حصن لييط



عودة ابن
تاشفين
للمغرب

عاد ابن تاشفين إلى
المغرب فكانت دولته
الواسعة الأطراف
بحاجة إلى وجوده
هناك وما يزال التوتر
في بعض مناطقها
مشتعلاً، فعاد وترك
حامية في الأندلس.

كان ابن تاشفين مثلاً للمجاهد الصابر، لا يكاد يستريح من معركة حتى يتنقل إلى غيرها، لم يؤثر الراحة والقصور، بل كان
همه أن ترتفع راية الله في البلاد.

وإذا كانت النفوس عظاماً تعبت في مرادها الأجسام

بدأ القونسو يعد العدة، ويجهز الجيوش للانقضاض على دويلات المسلمين المتفرقة، فهل اتعظ حكامها؟ وهل أخذوا درساً من الحوادث الماضية؟ الجواب: كلا بل كانت المناصب والدنيا أحب إليهم.

احتدت الخلافات بين حكام تلك الدول، ونشب القتال بينهم، ودامت النزاعات تتابع بعضها بعضاً وكأنه لا يوجد من يقول لهم:

الام الخلف بينكم الاما وهذي الضجة الكبرى علاما
وفيم يكدى بعضكم لبعض وتبدون العداوة والخصام
لكنها شهوة الحكم، وحب السلطة، وشفق الكرسي! والقونسو شاهد يتصرح وعدو يتربص!

صراع بين
دويلات
الأندلس

ضج الشعب المسلم في الأندلس من حكامهم، وتيقظت أحاسيس الشعور بالخطر منهم ومن أعدائهم، فأرسلوا الكتب إلى أمير المسلمين، وهو لقب أطلق على ابن تاشفين من قبل ملوك الأندلس الذين شهدوا معركة الزلاقة وكانوا ثلاثة عشر ملكاً سلموا عليه "بأمير المسلمين". وقد أكد هذا اللقب من بعد الخليفة العباسي "المقتدي بأمر الله"، وقد اتفقت الروايات على أن ابن تاشفين كان يعترف بطاعته للخليفة العباسي، ويراه هو أمير المؤمنين، وكان يدعو له على المنابر.

الشعب المسلم
يضع



قرطبة، الواجهة الجنوبية للمسجد الكبير واثار الجسر الروماني
والطاحونة المائية



حدائق بارتال - طبيعة أمير الأندلس

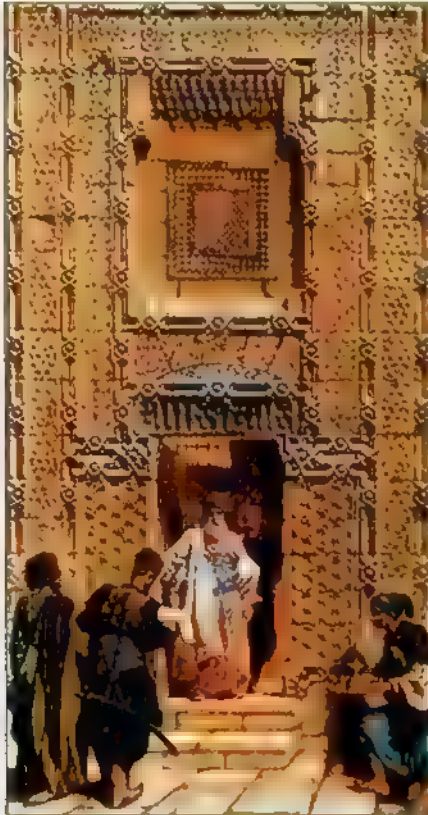
كما وصل خبر سوء الأوضاع الأندلسية إلى المشرق الإسلامي، فاجتمع عالمان جليلان من أعظم علماء المسلمين: أبو حامد الغزالي، وأبو بكر الطرطوشي، مع أجلة من علماء المسلمين. هؤلاء هم العلماء العاملون، يعلمون ما يجري حولهم، يدركون حقيقة الأوضاع وليسوا بغافلين عن الأعداء، يهتمون بأمور المسلمين، يتصرفون ولا يتفرجون! أصدروا فتوى، يأمرهم بحل ملوك الطوائف، وتوحيد الأندلس، ففي بقائهم خطر ماثل على المسلمين وأرض الإسلام. جاءت الفتوى من الشام، وأرسلت الفتوى إلى ابن تاشفين في المغرب، ومن نص هذه الفتوى:

علماء الشرق
يفتتون بعزل
أمراء
الأندلس

إن يوسف على حق في إظهار شعار الإمامة للخليفة المستظهر (هو ابن المقتدي بالله)، وأن هذا هو الواجب على كل ملك استولى على قطر من أقطار المسلمين، وإذا نادى الملك المشمول بشعار الخلافة العباسية، وجبت طاعته على كل الرعايا والرؤساء ومخالفته مخالفة للإمام، وكل من تهرّد واستعصى، فحكمه حكم الباغي، ومن حق الأمير أن يردّه بالسيف، وأن يقاتل الفئة المتمردة على طاعته، لا سيما وقد استجدوا بالنصارى وهم أعداء الله في مقاتلة المسلمين وهم أولياء الله...

كما أن الطرطوشي كتب إلى يوسف بالنصح وأن يحكم بالحق وفقاً لكتاب الله، وأن يكون شقيقاً على رعيته شفقة الرجل على أهله، وأن يعمل لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مصداق قوله تعالى: «الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور» (الحج ٤١).

فحوى
الفتوى



قصور وخدم وحشم فيما بلاد المسلمين تتعرض للسلب والنهب والاعتصاب

جاءت الفتوى، فتأمل ابن تاشفين وفكر ماذا عليه أن يقدم عليه؟ أيبقى في المغرب حيث إن إدارة الدولة هناك بحاجة إليه؟ أم يذهب إلى الأندلس؟ رأى أن أمور المغرب أهون بكثير مما يجري على ساحة الأندلس، فالخطر هناك قائم، لذلك رأى أن الواجب عليه أن يلبي نداءات أهل الأندلس، ويستجيب لأمر الفتوى.

المقارنة بين
الخطر في
الأندلس
والغرب



حصار طليطلة

فعبّر بجيشه مضيق جبل طارق للمرة الثالثة عام ٤٨٣هـ، واجتمع إليه من أحب الجهاد من أهل الأندلس، وانضم إليه أيضاً بعض ملوك الطوائف، وكان ابن تاشفين قد عزم على توحيد الأندلس وتو بالقوة إذا اقتضى الأمر، فتوجه أولاً وقبل أية وجهة أخرى نحو طليطلة ليفتح مدينة الكفر ورأسها "مدينة الفونسو"، وضرب عليها حصاراً شديداً، لكنها صمدت أمامه، فتعجب كثيراً وتساءل كيف سقطت هذه المدينة الحصينة، شديدة الأسوار، بيد الفونسو؟ وكانت من أمنع المدن في ذلك العصر، وما ذاك التهاون من المسلمين الذي أدى إلى سقوط المدينة بيد النصارى؟

فما وجد لسؤاله جواباً، ورأى أن القوة التي يملكها الآن ليست كافية لفتحها، فقرر أن يوحد الأندلس أولاً، ثم يعود بقوة أشد لفتحها ثانياً.

توحيد الأندلس بالقوة



أمير المسلمين يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين

أرسل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين الرسل بالكتب إلى أمراء الأندلس، وكان قد توجه نحو غرناطة، فكان أن لبى دعوته "عبد الله بن بلقين" في رجب عام ٤٨٣هـ، وأعلن أنه جندي تحت إمرته، فسّر أهلها بذلك، كما عم الأندلس فرح أهلها، لأنهم يعلمون أن ابن تاشفين والمرابطين مجاهدون مخلصون لله في أعمالهم لا يريدون جزاء ولا شكوراً من غيره سبحانه وتعالى.

ولقد أجبرت الظروف بعد ذلك ابن تاشفين للعودة إلى المغرب، فعاد وقد ترك قواده ليتابعوا خطواته في توحيد الأندلس، وإنهاء حكم الطوائف وحكم ملوكها. قصد "سير بن أبي بكر" قائد القوة المرابطية التي بقيت في الأندلس عام ٤٨٤هـ متجهاً إلى قرطبة وهي من أهم مدن الجنوب التي تتبع إشبيلية أكبر دويلة في الأندلس، ويحكمها الفتح بن المعتمد بن عباد.

ابن تاشفين يعود إلى المغرب



فتح قرطبة

رفض قائد قرطبة أن يسلم المدينة أو أن ينضم إلى المرابطي، بينما أصر القائد المرابطي على أن يدخل الفتح ضمن دولة التوحيد لجميع ملوك الطوائف، فنشب القتال بين الجيشين، واشتد القتال على حاكم قرطبة ثم فرّ جيشه بعد أن قُتل هو في ساحة المعركة، وفرت زوجته "زائدة" إلى النصارى وإلى ملك قشتالة حيث تنصرت فيما يذكر! وربما أجبرت أو حملت على ذلك، لا ندرى! ولكن كيف تلجئ امرأة مسلمة إلى دولة النصارى؟ هذا هو السؤال!



المسلمون يصدون جيوش التصاري



قتال التصاري

فدخل "سير بن أبي بكر" قرطبة، ثم توجه بعد ذلك إلى إشبيلية (وهي أكبر دولة في الأندلس كما ذكرت).

أدرك الفونسو السادس أن هذه فرصته فليمد جيشاً إلى دحر المرابطين، وليسع في إبقاء الأندلس كما هي ممزقة، فأرسل قوة بقيادة "البرهانش" من أعظم قواده، وجرى أحداث معركة عنيفة شمال إشبيلية، وهزم التصاري واثخن القائد "البرهانش" بجروح عديدة.

ولما وصلت الأنباء بانتصار المسلمين أعلن حاكم دانية، وحاكم الجزر الشرقية "البليار" انضمامهما إلى قيادة المرابطين، ثم تقدم سير بن أبي بكر نحو إشبيلية يريد إخضاعها، فماذا فعل المعتمد؟ هذا الصديق القديم والذي شارك في القتال مع المرابطين في معركة الزلاقة الشهيرة، رفض رفضاً قاطعاً أن ينضم تحت لواء المرابطين، أو أن يرضى بتوحيد دولته مع دولة المرابطين، وأصر على عدم تسليم المدينة، وحرص شعبه لمساعدته في القتال ضد المرابطين، لكن شعبه أبي، ورفض المسلمون هناك مؤازرته، فأسقط في يده، واضطر للاستسلام بعد مقاومة منه ومن أتباعه في رجب عام ٤٨٤هـ.



المعتمد يرفض

الانضمام

ابن عباد..
أفضل ملوك
الطوائف

محرقه
العطر
تستخدم
لتعطير
الهواء



كان المعتمد بن عباد من خيار ملوك الطوائف شأنا وأفسحهم ملكا، وكان يشبه بهارون الرشيد زكاء نفس وغزارة أدب، ملك إشبيلية بين عامي ٤٦١ هـ - ٤٨٤ هـ فرجع شأنها ويكفيه أنه تبنى فكرة الاستعانة بالمرابطين للحفاظ على الأندلس. ومما يدل على عظمة ملكه أن زوجته اعتمد - وكان لا يرد لها طلبا - رأت بدويات يبعن القرب وقد شمرن عن سوقهن يخضن في الطين، فقالت لابن عباد: اشتهي أن أفعل أنا وبناتي كفعل هؤلاء البدويات، فلبى طلبها ولكن بطريقة عجيبة: أمر بالعنبر والمسك والكافور فخلط بماء الورد ليكون في هيئة الطين وأحضر القرب والحيال لاعتماد وبناتها فحملنها ثم رفعن عن سوقهن وخضن في طين العنبر والمسك والكافور!!

هذه صورة من صور عظمة الملك، وهي أيضا صورة من صور البذخ والإسراف بين ملوك الأندلس، ويروى أن اعتماد غضبت منه ذات يوم فقالت له: ما رأيت منك خيرا قط، فقال لها: ولا يوم الطين! - فحسجت وسكت.

لكن يكاد يجمع الرواة على أن ابن عباد - وإن صدرت منه بعض الهنات والأخطاء - كان من أفضل ملوك الطوائف وأزكاهم نفسا وأعظمهم اعتزازا بإسلامه وعرويته.

نفي المعتمد

وأصبحت إشبيلية بعد ذلك مع مدن الجنوب كلها خاضعة لسلطة المرابطين، وما نسي القائد ابن أبي بكر خذلان المعتمد، وموقفه العدائي، وقتاله العنيد ضد توحيد المسلمين، فقرر إخراجه من الأندلس كلها وطرده بعد أن صادر أملاكه وأمواله وأخذ أسيرا إلى أغمات في المغرب، فعاش هقيرا محروما بعد أن كان ذا صولة وجاه وغنى، فدخلت بناته يوما عليه في أطمار بالية (البسة عتيقة خلقة) فثارن نفسه على أحواله وأحوالهن فقال:

فيما مضى كنت بالاعباد مسرورا
تري بناتك في الأطمار جانعة
فساءك العيد في أغمات ماسورا
بغزلن للناس ما يملكن قطميرا
كانها لم تطا مسكا وكافورا
يطان في الطين والاقدام حافية

ثم اتعظ وبكى حاله!

قد كان دهرك إن تامره ممثلا
من بات بعدك في ملك يسربه
فردك الدهر منهيا ومأمورا
فإنما بات بالاحلام مفرورا

ثم من عليه يوسف بن تاشفين فأطلق سراحه، فعاش غريباً، فقيراً لا يكاد يعرفه أحد إلى عام ٤٨٨هـ حيث مات وفودي عليه: الصلاة على الغريب، الصلاة على الغريب، وما اجتمع على صلاته إلا ثلاثة أشخاص، عرفه واحد منهم، ثم انتشر الخبر بأن هذا الميت هو المعتمد بن عباد رحمه الله.

الصلاة على
الغريب



أحد أثار المسلمين، عمود من
المرمر منحوت موجود في
سرقسطة



ويعتبر انتهاء عصر الطوائف بموت المعتمد أو نفيه، وإن بقيت بعض الدويلات في الأندلس متفرقة منفصلة، لكن لم تكن لها مكانة تذكر.

نظرة عامة وموجزة إلى عهد الطوائف:

نهاية عهد
الطوائف

كانت حكومات الطوائف تحكم بالإسلام ولكنها كأشد ما يكون من الفرقة والخلاف، وكانت تنفذ الشريعة لكنها كانت ممزقة لا تتحد، فكانها بل وهي الحقيقة تذهب البركات عن الجهود والأعمال إذا غلبت الشهوات الدنيوية، وتذهب هيبة الحكم عن النفوس إن لم تخلص توجهها إلى رب العباد، فأدت تلك النوارع الدنية إلى ضياع الأندلس، فقد أخذ النصارى ثلث الأندلس في الشمال، ثم زحفوا إلى وسطها وأخذوا أمنع حصن وأقوى مدينة في الوسط هي طليطلة، يقول أحد المؤرخون "ابن الكرديوس": ضاعت الأندلس في فترة دول الطوائف حين زالت من النفوس الأنفة الإسلامية، وهذا مصداق قول الرسول ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت» (رواه أبو داود).

نعم، كان من حكام الطوائف صالحون وكان منهم من أراد إيقاف الضعف في كيان الأندلس لكن في قوله تعالى: «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» (الأنفال ٢٥) عبرة، إذ أصابت الفتن عموم الأندلسيين سبب ظلم بعضهم.

نعم، وقد حذر بعض العلماء ولكن تحذيرهم كان كصيحة في وادٍ من هؤلاء العلماء الأفاضل: ابن حزم، وابن حيان، وابن بسام مثلاً.

لو تأملنا التاريخ لوجدت تناسباً طردياً مستمراً، بين التمسك بالإسلام وبين ازدهار المجتمع في حياته وتطوره، فإذا تمسكنا بالإسلام حق التمسك، ونزعنا من صدورنا الغل والحقد والطمع، لا يأتينا النصر وحده، بل تنزل علينا بركات السماء وتخرج إلينا بركات الأرض.

كما قال تعالى: «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض» (الأعراف ٩٦).

المساحة التاريخية والأثرية

في عام ٢٢ تمزقت الأندلس إلى ٢٢ دولة !!

قام سليمان بن الحكم الأموي بعزل هشام المؤيد بالله .

إعلان سقوط الدولة الأموية في الأندلس .

العالم الجليل أبو الوليد الباجي يدعو إلى توحيد الأندلس .

مأساة بريشتر على يد الفرنسيين والنورمان .

اتحاد سرقطة ودانية وبلنسية .

سقوط طليطلة في يد الفونسو السادس .

سقوط بلنسية .

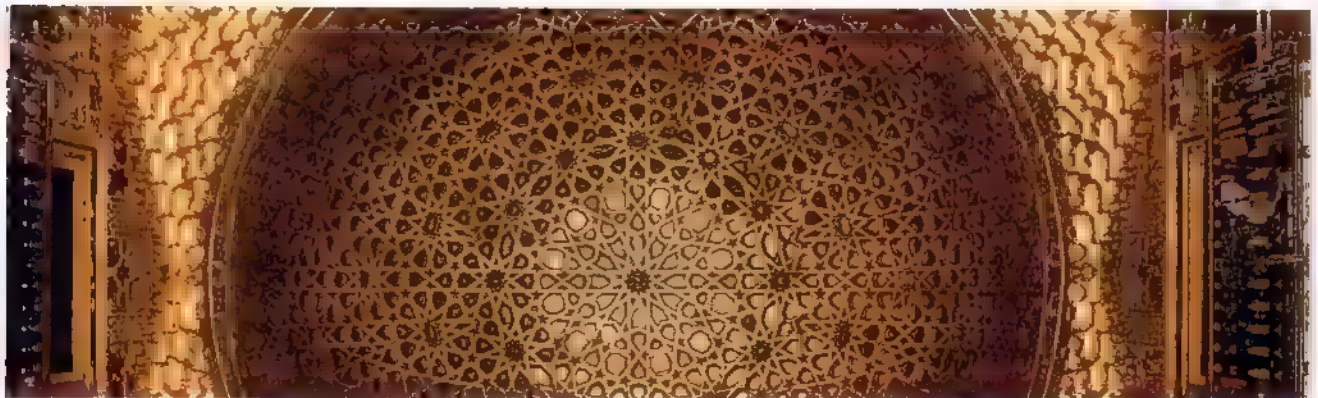
عبور ابن تاشفين إلى الأندلس بعد أن استعان به أهلها .

معركة (الزلاقة) التي كانت فتحاً عظيماً للمسلمين .

ابن تاشفين يبدأ بتوحيد الأندلس .

ابن عباد يرفض الانطواء تحت راية ابن تاشفين فيحاصر وينفي إلى المغرب .

وفاة المعتمد بن عباد .



السقف المغشى بالذهب والفضيفساء والخشب العربي

ملوك الطوائف: قتالهم وفتحهم

شتمت بعد جمع، وتفرق بعد وحدة، وهوان بعد عز.

هذا حال الأندلس بعد سقوط الخلافة وتفرقهم إلى اثنين وعشرين مملكة ودولة كل مدينة مملكة وغدا كل حاكم مدينة خليفة يلقب بالقب عظمة، فاي سخرية اعظم من هذه ١٥... حتى قال فيهم القائل

مما يزهدي في أرض أندلس ألقاب معتمد فيها ومعتمد

القب مملكة في غير موضعها كاهل يحكي انتفاخا صولة الاسد

قال ابن حزم رحمه الله تعالى (فضيحة لم يقع في الدهر مثلها، أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام يسمى كل واحد منهم بأمير المؤمنين، ويخطب لهم في زمن واحد، أحدهم في إشبيلية والثاني بالجزيرة الخضراء والثالث بمالطة والرابع بسببة)

وتفرقوا شيعا فكل محلة فيها أمير المؤمنين ومنبر

أعماهم الطمع وران على قلوبهم حب الرئاسة والمناصب، فلم يعودوا قوة واحدة وأصبحت قلوبهم شتى، وأي عز يرجى مع هذا أم أي نصر ينتظر؟

ولو لم ينجدهم الله بآبى تاشفين لضاعت الأندلس في أيامهم، وما حصل في الأندلس أمر خطير حيث تحالف بعضهم مع النصراني على بعض، وبدل أن تكون القوة موجهة ضد العدو أصبح بأسهم فيهم وقتالهم فيما بينهم - وكان هذا ما دعا العلماء والمصلحين إلى الاستعانة بآبى تاشفين - فقال فيهم القائل

ناد الملوك وقل لهم ماذا الذي أحدثتم؟

أسلمتم الإسلام في أسر العدو وقعدتم

وجب القيام عليكم إذ بالنصارى قمتم

لا تنكروا شق العصا فعصا النبي شققتهم

وانظر إلى حال ملوك الطوائف في الأندلس وحالنا اليوم تجده شبيهاً له مقارياً لحالته، فما هم المسلمون اليوم بعد أن جمعتهم عهود من الخلافة - تضعف أحياناً وتقوى أخرى - ينقسمون إلى اثنين وعشرين دولة تماماً مثل عدد دويلات الأندلس!! وضعنا كما وضعوا وذهبت هيبتنا كما حصل لهم، وطمع أعداؤنا بنا، وعزلنا عن صنع القرار العالمي بل حتى المحلي فأصبح أعداؤنا يتحكمون ويلعبون بنا، وهم في كل يوم يشتطون في مطالبهم وأوامرهم، وغابت عنا عبر التاريخ كأننا لا نتعلم حتى نقع من جديد، ورغم كل ذلك فما ينبغي أن نياس أونستكين فما زال في الوقت متسع لإعادة حساباتنا ولترتيب وضعنا وعلاقاتنا وهي دعوة للحكام وللشعب أن نأخذ العبر من التاريخ وندرك خطورة الوضع الحالي، وما أنا ممن يدعو إلى الإحباط والياس ولكني أدل على مواطن الخلل لعل الله أن يمن علينا بإصلاحها.

.فيما مر قضية خطيرة نذبه إليها وهي خيب اليهود ومكرهم للإسلام وأهله من أي موقع، فهم يسعون إلى التملل في مراكز القوى الكبرى والدول العظمى والتأثير على سياستها تجاه الإسلام، دون أن يكونوا في الواجهة حتى لا يشعلوا حماسة المسلمين في مواجهتهم، ولأن الله ضرب عليهم الذل والمسكنة والهوان، ولعل هذه سياستهم منذ زمن بعيد فانظر كيف كان وزير الفونسو يهودياً (ابن شاليب اليهودي) وكان يفاوض باسمه ويكيد للإسلام تحت حكمه، وكذلك هم اليوم يملكون الثقل الانتخابي الذي يضعه زعماء الغرب في الحساب، فما ينبغي أن تغفل عن عدونا أو نهله وهو يكيد لنا صباح مساء.

البركة في الجهاد

إن البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى بركات في الأشياء، وبركات في النفس، وبركات في المشاعر وبركات في طيبات الحياة، بركات تنمي الحياة وترفعها في ان، وليست مجرد وفرة مع السقوط والتردي والانحلال، فقد ضيع حكام الطوائف البركات، وأضاعوا البلاد وأهلها، وانقطع الخير ولن ينقطع عن أمة محمد ﷺ، إذ قال في الحديث الشريف: عن سلمة بن فضيل الكندي ؓ، قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ، فقال رجل: يا رسول الله، أذال؟ (١) أناس الخيل، ووضعوا السلاح، قالوا: لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها، فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه وقال: كنوبوا، الآن.. الآن جاء القتال، ولا تزال من أمة امتي يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم، حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل مقعود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، (رواه النسائي). فما استطاع الحكام منع الناس عن التوجه للتوحد بطائفة جاءت تنفذ أمر الله سبحانه، فكانت دولة المرابطين، التي بدأت من الجنوب، وإن كان قد بقي شيء من الطوائف في الأندلس، وكانت فترة الضعف عند الطوائف لا تخلو من بروز قوة أو أخرى تضيء جوانب الأندلس بمآثر تبقى شاهدة على أن التمسك بقوة وإن القلة المتمسكة بها سيكون لها شأن وأي شأن، وعهد المرابطين شاهد على ذلك. وماذا حدث بعد ذلك؟



عناصر منبر مسجد الأندلس، مع الزخرفة الرائعة

(١) أذال، أهان.

قاضي بلنسية يستعين بالمرابطين

اتصل القاضي بالمرابطين، فأمدوه بالمال والرجال، وتمكن بمعاونة الشعب من إلقاء القبض على القادر بالله الذي كان متخفياً يريد الهرب من حمام القصر، ويحمل معه صندوقاً من الحلّي والجواهر، وتلك نهاية كل من أعماه حب الدنيا والجاه، فكانت نهائيته، ونيس تلك النهاية!

بلنسية في يد الخونة

كانت بلنسية بيد حاكم يدعى القادر بالله -وقد سبق ذكره- من أسوأ حكام الطوائف، كان قد أعطى ولائه لأفونسو السادس، وكان يدفع له الأموال "الجزية"، بل كان يوالي "القنبيطور" الذي مر ذكره من المرتزقة القتل، ورضي القنبيطور أن تبقى المدينة بيد هذا الحاكم السيء الذكر. ساءت أحوال أهل بلنسية بسوء تدبير القادر بالله إذ لم يكن همه إلا إرضاء نفسه والتمسك لقضاء نزواته، والتمسك الشديد بمركزه ولو تحت حماية أشد الناس عداوة للمسلمين وله، مما جعل الناس يضحجون منه، وسرت فيهم رغبة للتخلص من سيطرته وفساده، كان على رأس المديرين للخلاص قاضي المدينة المعروف "بابن جحاف".

غدر الكمبيادور

فتم الاتفاق على ذلك وفك الحصار، ولكن "القنبيطور" وهو المعروف بارتزاقه وطغيانه وبسوء طويته طلب غير ما اتفق عليه سابقاً، وهو أن تدخل قواته بعض مناطق بلنسية، ففعل. ثم طلب من (القاضي) كل شيء يخص المدينة من مال وأعيان وأن يسلم إليه ابنه وقادة جنده، فرفض ابن جحاف هذه الشروط التعجيزية، وراسل المستعين الذي أبى أن يساعده، كما راسل المرابطين فما استطاعوا لانشفالهم، فقرر القاضي إغلاق أبواب المدينة، وأحكم الطاغية "القنبيطور" الحصار عليها، وطال الحصار عشرين شهراً لم يبق بين يدي الناس ما يأكلون أو يشربون حتى قال المؤرخون: إنهم أكلوا الفئران والقطط والجيف، ولما أقدم بعض المتخاذلين على الهرب من المدينة، قبض عليهم جنود الطاغية، فأمر بقتلهم، أو تقطيع أيدي بعضهم، أو بتر أقدام الآخرين، أو بقتلهم حسبما تشتهي وحشية الذئب.

ماذا يريدون إلا فامؤلفة

في نفس أرحمهم وحشية الذئب

حصار بلنسية

لم يتحمل "القنبيطور" ذهاب صديقه، ولم يرض أن تذهب بلنسية من تحت سيطرته، فقام على الفور وضرب الحصار الشديد حول المدينة، وأفسد ضواحيها وأحرق الأخضر واليابس، وما استطاع المرابطون أن يرسلوا المدد إليها ليمددهم عنها، ولانشفالهم مع بقية حكام الطوائف، وما أعان حاكم "سرقسطة" المستعين بالله أهلها، وكان قد طلب إليه القاضي المساعدة والعون، وطال الحصار الشديد، ولما طلب إلى القنبيطور الصلح اشترط شرطين:

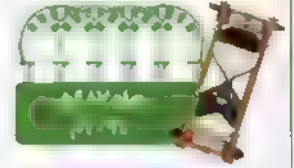
- أن يدفع أهل المدينة أموالاً لا استطاعة لهم بها.
- وأن يخرج من المدينة غير أهلها (المرابطون).



بلنسية
تستسلم

وانتشر الوباء، وابتليت المدينة بأنواع المحن، وأذيقَت بأبشع أنواع الرزايا، فأرسل أهل المدينة وفداً إلى القنبيطور يعرضون عليه استسلام المدينة على أن يبقى جيشه خارج المدينة، وأن يعطي الناس الأمان في النفس والمال والأهل، وألا يمس القاضي بسوء، فأعطى عهداً بذلك، ومتى كان العدو اللدود وفيأ؟

فتحت المدينة أبوابها عام ٤٨٧هـ، فاحتل جنده أبراجها فوراً، ثم أصدر أمراً بالتجمع فقتل كل الشباب الفادرين على القتال، ونفى بل أخرج من لم يستطع القتال منها من الشباب، وأصدر الحكم بالقتل لكل من توجد عنده قطعة حديد، فأخرجت المسامير والإبر والسكاكين، ونكل بالشعب أي تنكيل، وحول المسجد الجامع إلى كنيسة، أما القاضي فقد حفر له حفرة في ميدان أمام الكنيسة الجامع الذي تحول إلى كنيسة، وأدخل نصفه فيها، وأهيل عليه التراب، ثم أمر بإضرام النار حوله والقاضي لا يزيد أن يقول: لا إله إلا الله، بسم الله الرحمن الرحيم، فاحترق شهيداً رحمه الله سنة ٤٨٨م. يذكر جزءاً مما حل ببلنسية الشاعر ابن خفاجة الذي عاصر مأساتها:



الغدر والخيانة

عاشت بساحتك الظل ^(١) يا دار	ومحا محاسنك البلى والنار
فأدا تردد في جنابك ناظر	طال اعنبار فيك واستعبار
أرض تصاذفت الخطوب باهلها	وتمخضت بحرابها الاقدار
كتبت يد الحدثان في عرصاتها	لا انت انت ولا الديار ديار

(١) حد السيف القاطع ومفرده ظبية



مسجد إسلامي حول إلى كازينو لماقرة الزمعة

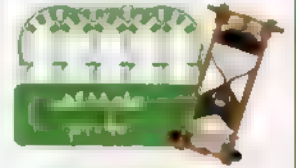
القنبيطور بطل النصارى

وماذا يقول الغرب عن القنبيطور، جعلوه بطلاً! إنه بطل أسطوري اضيقت له الأمجاد والبطولات، ونظمت عنه الأناشيد الوطنية والحماسية والقومية، واعتبره بعض المستشرقين نموذجاً يُحتذى به في معاملة المسلمين، وأعماله قانوناً لا غبار على التعامل به.

وهكذا يفعلون! وهل يحتاج الأمر إلى شيء من المقارنة بمعاملة المسلمين مع أهل البلاد التي فتحوها في الأندلس أو في غيرها؟ أرى أن مجرد المقارنة يسيء إلى العدل، وكأنك تقول:

الم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل أن السيف أمضى من العصا
أما فيه إساءة إلى مكانة السيف؟ فكيف تقارن عدل المسلمين بوحشية وهمجية أعدائهم؟!؟

القنبيطور يواعد
المصاري سرا لخيانة
المسلمين



انضمام دويلات الطوائف للمرابطين

أدى سقوط بلنسية، وفتك الطاغية بأهلها وقاضيتها إلى استعجال بقية حكام الطوائف للانضمام إلى المرابطين خشية أن يصيبهم ما أصابها، فانضمت بطليوس وحكامها بنو الأفلح عام ٤٨٨هـ، كما انضمت أشبونة.

معركة كنشرة



أعد جيشاً عظيماً وجهزه من جنوب الأندلس وسيرته بقيادة أحد قواده "محمد بن الحاج" وأمره بالتوجه نحو طليطلة (عاصمة النصارى ومقر الفونسو)، فبادر الفونسو السادس بنفسه يقود جيشاً لمنع وصدده، والتقى الجيشان في منطقة تدعى "كنشرة" ودارت رحى معركة عنيفة، استطاع في النهاية ابن الحاج أن يقهر أعظم جيش للمعدو ويدحره، ففروا إلى طليطلة للاحتباء بأسوارها المنيعة، فأثر ابن الحاج التوجه إلى بلنسية لإعادة فتحها، ويأتي بعد ذلك إلى طليطلة، إنه قدر الله سبحانه وتعالى.

ولما استتب الأمر للمرابطين في الشمال الإفريقي، أقدم ابن تاشفين على العبور إلى الأندلس لإدارتها، وكانت من قبل بإدارة أمرائه.

وكان هذا العبور هو الرابع لابن تاشفين:

١- الأول في معركة الزلاقة والانتصار الحاسم على الفونسو.

٢- تلاحه الثاني لإزالة خطر حصن "ليبط" عن الشرق الأندلسي.

٣- وكان الثالث استجابة للفتوى الصادرة من العزالي والطرطوشي وغيرهما لتوحيد الأندلس.

٤- هذا العبور الرابع الذي أشير إليه في عام ٤٩٠هـ.

العبور الرابع لابن تاشفين

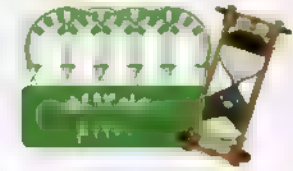


ابن الحاج يحاصر طليطلة



توجه المرابطون عام ٤٩٣هـ نحو بلنسية، وأطبقوا الحصار عليها بعد أن انهزم جيش القنبيطور في عدة معارك جانبية حولها، واستمر الحصار، وأرسل ابن تاشفين قوات مرابطية بقيادة "أبي محمد المزدلي" ابن عم يوسف ابن تاشفين عام ٤٩٥هـ لمساندة المسلمين هناك، وكان القنبيطور قد توفي عام ٤٩٣هـ همّاً وغماً، وتولت زوجته "شيمانة" إدارة المدينة، فحاولت الدفاع عنها، لكنها قررت الانسحاب بعد أن ترك النصارى تلك المدينة أطلالاً خربة، وأخذت معها رفات الطاغية والأموال التي جمعها في فترة طفيلته.

ودخلها المزدلي في رجب عام ٤٩٥هـ وفك أسر هذه المدينة الذي استمر ثماني سنوات.



المرابطون يحاصرون بلنسية



قرر ابن تاشفين - وكان قد تجاوز من العمر خمسا وتسعين سنة - أن يعود إلى المغرب، فأخذ البيعة لابنه علي قبل مغادرته الأندلس، ولم يكن علي أكبر أولاده، ولكنه فضله على إخوته لما رأى فيه من الورع والذكاء والحزم، وأنه أفضل إخوته تقوى وجهاداً ودينياً، وقد قال عنه المؤرخون: كان على سيرة أبيه في الورع والتقوى والدين والجهاد، فبويح بولاية العهد. واشترط على ابنه أن يكون جيشاً يوحده لإدارة الأندلس وحفظها، يوزع أجناده على مختلف الثغور والقواعد، وحدد قوام هذا الجيش بسبعة عشر ألف فارس: يربط منها بإشبيلية سبعة آلاف، وبقرطبة ألف، وبغرناطة ألف، وفي شرق الأندلس أربعة آلاف، وتوزع الأربعة آلاف الباقية على الثغور والحصون المتاخمة لأراضي العدو.



نشر العلم والثقافة رسالة حملها المسلمون معهم أينما حلوا

رجع ابن تاشفين إلى المغرب، ونزل بقصره في مراكش، فمرض واشتد به المرض حتى وافاه الأجل في صبيحة الاثنين في الواحد من محرم الحرام عام ٥٠٠هـ، وقد تجاوز المائة سنة، ودفن في العاصمة المرابطية مراكش، وأقيمت قصائد على قبره، ورثاه جملة من الشعراء، منهم أبو بكر بن سوار، قال على قبره مرثية ومنها هذه الأبيات:



اسمع أمير المؤمنين وناصر الدين الذي ينفض سنانفـديه
جوزيت خيراً عن رعيتك التي لم ترض فيها غير ما يرضيه
وصل الجهاد إلى الجهاد موفقا حتم القضاء بكل ما تقضيه
متواضعاً لله مظهر دينه في كل ما يبديه أو يخفيه

أنشأ - رحمه الله - دولة الجهاد والعلم والإيمان، ووسّع حدودها من السودان ونهر النيجر إلى المحيط الأطلسي، ومن تونس إلى طنجة، وأوقف اعتداءات الأعداء على الأندلس، ثم ضمها إلى دولة واحدة بعد أن كادت تضيق. وكأنه نفخ فيها العزيمة الصادقة للبقاء أكثر من قرن، مثال يحتدى للحاكم المسلم! ونموذج للشباب المسلم في الهمة والعزيمة.

ما أجمل قول الشاعر:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تترددا

وقد قامت بلاد الأندلس في عهده سعيدة حميدة، في رفاهية عيش وأحسن حال.



بعد أن تمزقت الأندلس إلى دويلات وطوائف كان لا بد لها أن تتوحد حتى تقف في وجه الغزو الصليبي الاستعماري... فكان يوسف بن تاشفين القائد البربري المسلم محط الأتظار لتلك المهمة، أهله لذلك صلاحه وقوته، وتعاضف معه العلماء وكافة الشعب ليعلموا ويحققوا المبدأ الإسلامي السامي أنه (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) فكان فضل يوسف ابن تاشفين القائد البربري على ملوك الطوائف وفيهم الكثير من العرب أنه الاتقى والأقوى والأقدر على حمل الأمانة

نعمرك ما الإنسان إلا بدينه فلا تترك التقوى اتكالا على النسب

فقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد اوضع الشرك الشريف أبا لهب

وما النعرات الطائفية سواء القومية منها والعربية أو التي تقوم على تمييز جنسية على أخرى إلا تراكم ضعف جديد على ضعف المسلمين الحالي، وزيادة شتات على تفرقهم وضعف انتمائهم للإسلام، فالإسلام ملة واحدة واتباعه إخوة لا تفرقهم البلاد ولا الحدود، فإن كان حكامنا أو كانت قوانيننا تأبى أن تساوي بيننا كمسلمين فينبغي - وهو أقل ما يجب علينا - أن نزيل الفوارق النمسية والاجتماعية بين بعضنا فنكون كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكونوا عباد الله إخوانا).

يا أخي في الهند أو في المغرب أنا منك. أنت مني. أنت بـي

لا تسل عن عنصري أو نسبي إنه الإسلام أمي وأبي

أخوة نحن به مؤلفون مسلمون مسلمون مسلمون



صندوق بالنسيا الذي

نقش عليه تاريخ ٤٤١

من الهجرة، وهو يمثل

أحدى القطع

التفيسة

• ونقف مع حادثة عجيبة وهي تنازل أبي بكر اللمتوني لابن عمه يوسف بن تاشفين عن حكم المرابطين لما رأى من قوته وحكمته في إدارة شؤون الدولة !! وهل يستطيع أحد أن يثبت عبر التاريخ أن ملكاً تنازل عن ملكه لمثل هذا السبب إلا في ظل الإسلام ؟

وقد سبقه أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين تنازل عن الخلافة، لكن الصحابة رضوان الله تعالى عنهم لم يرصوا باستقالته !!

تلك نفوس صقلها الإيمان فترفعت عن زيف الدنيا وزخرفها ...

تلك نفوس كان همها أن تعلق كلمة الله - سيان بيدها أو بيد غيرها - فالغاية واحدة، لا أن تعلق هي على كلمة الله ...

تلك نفوس وفت بعهدا مع الله فوقى الله بعهدا معها وجعلهم أئمة الدنيا ...

نقرأ تاريخ أولئك الرجال ثم نرى واقعاً أليماً في التكاليف والاستماتة على المناصب من غير أهلية ولا كفاءة فلا نعجب للانحدار الذي بلغناه.

فحينما يتقاتل الإخوة أو يطرد الابن أباه أو يريق الحاكم أنهارا من الدماء لأجل منصب أو حكم فهل نرجو بعد ذلك النصر أو النهضة !!؟

إن مراعاة الأهلية والكفاءة في المناصب - بداية من الرئاسة إلى أصغر منصب في الدولة - أمر واجب وضروري لبناء دولة قوية منتجة وهو مطلب ديني قبل أن يكون قانوناً بشرياً فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من استعمل رجلاً من عصابة (قبيلة أو مجموعة) وفيهم من هو أرضى لله تعالى منه فقد خان الله رسوله والمؤمنين» (رواه الحاكم في المستدرک وصححه السيوطي).

• لا أدري لم لا يعتبر القادة المسلمون اليوم بحوادث التاريخ ؟؟

وما هائدة التاريخ والبحث فيه إن لم نأخذ منه العبرة ونخلص منه إلى حقائق ونتائج ؟

وإذا فاتك التفات إلى الماضي فقد غاب عنك وجه التاسي

لقد أعطى الكمبيادور العهد والمواثيق لأهل بلنسية ثم خان عهده ولم يرع فيهم إلا ولا ذمة، وهذا حال أعداء المسلمين من زمن النبي صلى الله عليه وسلم حين خانته يهود المدينة، ولا تزال الخيانات تتوالى ويستمر نكث العهود بغض النظر عن تصنيفهم أو انتماءاتهم فالكفر ملة واحدة كلهم يريد أن يكيد للإسلام على طريقته.

والغريب أن بعض قادة المسلمين اليوم لم يفهم هذه الحقيقة أولاً يريد أن يفهمها، فتراه يوالي أعداء الله ويطلعهم على سره وجهره، ويستشيرهم في جميع أمره، ويثق بيهودهم كأنه ما قرأ تاريخهم، ويعقد الحلف معهم على أنهم دعاة السلام والخير والحرية، وهم لا يفتون فرصة أو يتركون شفرة إلا ويكيدون للإسلام من خلالها وإن تظاهر بعضهم بالمحبة والصداقة، فما هي إلا أدوار يتقاسمونها ولعبة يحكمونها، والنتيجة واحدة معروفة: كره للإسلام وأهله، وهذه حقيقة قررها الخالق العالم حين قال: «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم» (سورة البقرة آية ١٢٠)

فمتى نصحو من غفلتنا ومنتبه لما يحاك ويدبر لنا ؟؟؟

اختاره أبوه للصفاء التي سبق ذكرها، وعقدت له البيعة في نفس اليوم الذي مات فيه والده قبل أن يوارى جثمانه، وكان في الثالثة والعشرين من العمر لما بوع، وباعه قبل كل الناس أخوه تميم حرمة لوصية والده، وكان كما أراد والده: فاقضى أثر أبيه، وسلك سبيله في تعضيد الحق، وإنصاف المظلوم وتأمين الخائف، وقمع المظالم، وسد الثغور ونكاية العدو، فلم يعدم التوفيق في أعماله، والتسديد في حسن أفعاله، وذكر عنه المؤرخون بأنه كان عالي الهمة، فسيح المعرفة عظيم السياسة، يحب العلماء ويؤثر مجالسهم.

هجاوز المغرب واتى إلى الأندلس لينظم أمورها في عام ٥٠٠هـ، وعين أخاه تميماً قائداً عاماً للجيش المرابطي في الأندلس، وأرشده إلى المبادرة لإتمام المساعدات اللازمة لمتابعة الجهاد، ثم عاد إلى المغرب.



الوضع في
الأندلس



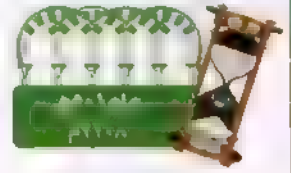
منظر لضاء مسجد قرطبة وقد حول إلى مرار للسياح وأوقفت فيه الصلاة والعبادة منذ خروج المسلمين من الأندلس إلى الآن - هنرا يحن لصوت مؤذن الصلاة وقراءة القرآن وخشوع المصلين ...

وأرسل إلى أخيه تميم في عام ٥٠١ هـ ليستأنف القتال باتجاه شرق الأندلس لتدمير الثغور الباقية لدى النصارى، فاتجه صوب مدينة "أقلش" الواقعة شرق طليطلة وفيها حامية تقدر بعشرة آلاف فارس، لكن هؤلاء فروا منها تحت ضغط الجيش المرباطي، واحتسبوا بحصن منيع لهم قرب المدينة يدعى "أقلش" أيضاً، فأرسل الفونسو مدداً على عجل بقيادة ابنه الوحيد "شانجة"، وكان صغيراً لم يجاوز الأحد عشر عاماً، لكنه أرسله رمزا، يعاونه سبعة أمراء من أمراء دولته، حتى سُميت هذه المعركة بمعركة الأمراء السبعة، وكسر جيش قشتالة، وقتل ولي العهد كما قتل معه أولئك الأمراء، فتأثر الفونسو تأثراً بالغاً لضيق شرق الأندلس من سيطرته ولقتل ولي عهده، ذلك أن الأمير الصبي هجم في قلب المعركة إلى جانب الأمير الذي يشرف عليه، فلم يلبث أن أحاطت به جماعة من فرسان المسلمين وتوالت عليهما الطعان، فسقط شانجة من فوق حصانه، وقد أصابته طعنة قاتلة وسقط فوقه مربيه، ولجأ كثير من القشتاليين إلى الفرار بعد مقتل الأمير ومربيه، وارتد القائد الكبير "البرهانش" صوب طليطلة، كما حاول الفرار الأمراء السبعة (الكوئبات السبعة) الذين كانوا من أهم القادة في ذلك الجيش القشتالي، وتمت الهزيمة المخزية عليهم، وقتلوا كلهم أثناء هزيمتهم، لذلك أطلق على تلك المعركة: معركة الأمراء السبعة، وغنم المسلمون مغانم كثيرة، لكن المعركة سميت باسم المنطقة التي وقع القتال عليها: "معركة أقلش" وتضاهي معركة الزلاقة أهمية بنتائجها وأثارها، فكانت أعظم نصر أحرزه المرباطون على قوات الفونسو السادس، ودعمت مركزهم في المناطق

الشرقية والوسطى من الأندلس.

وقد وقع النبأ الحزن على الفونسو وقع الصاعقة، فاستسلم للتأوه والنحيب بمحضر من أعضاء البلاط الملكي.

وقد استشهد من المسلمين جمع غفير، ذكر منهم الإمام العالم الجزولي رحمه الله.



معركة أقلش

(معركة)

الأمراء

(السبعة)



معركة أقلش



عزم أمير المسلمين علي بن يوسف على عبور المضيق والوصول إلى الأندلس لتابعة الجهاد، فأعد جيشاً توجه نحو طليطلة للضغط عليها حتى تستسلم، وكان الفونسو المحارب قد أعد نفسه، وجهاز قواته لتفادي ضغط المرابطين، والتصمود إن هاجموا.



علي بن يوسف يعبر لبحصار طليطلة

وانقسمت دولة النصارى بعد ممات ألفونسو السادس إلى دولتين:
١- دولة في الشرق والشمال والوسط، وملكها ألفونسو المحارب.
٢- دولة في الغرب "البرتغال" و"جلبقية" شمال الغرب، ويحكمها ألفونسو السابع.



انقسام دولة النصارى



معركة القضاة

فتصدى النصارى للمرابطين على الطريق في منطقة "مجرط" (مديريد) في عام ٥٠٣ هـ، فاقترحها عليهم علي، ثم تابع فلحقهم في "طليطلة" وجرت معركة كبرى عندها، وكانت تدعى معركة القضاة لكثرة ما وجد في الجيش من القضاة، إذ أرسلت كل مدينة أو بلدة قاضيه، وتمكن علي من إلحاق الهزيمة بالنصارى هناك أيضاً.





إنهاء دويلة سرقسطة

ثم توجه المرابطون إلى الشمال حيث سرقسطة ودولتها في عام ٥٠٥ هـ، وكان قد قرر علي أن يضرب طوقاً على طليطلة من أطرافها ثم يقتحمها، لذلك توجه إلى سرقسطة، فأنهوا هناك دويلة سرقسطة وضموها إلى دولتهم.

ألفونسو يستعين بأوروبا

أدرك ألفونسو المحارب أن بقاءه في طليطلة يجعله في خطر إن لم يتدارك بجمع الجيوش وحشد الإمدادات إليها، فأرسل إلى نصارى أوروبا يستعيرهم، ويستعيث بهم أن يرسلوا المدد رجالاً أو عتاداً، فأتته الإمدادات الأوربية من فرنسا وإيطالية بشكل خاص.



المرابطون يتوجهون نحو سرقسطة

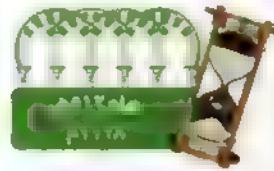
أما في عام ٥٠٨ هـ فقد حدث تحالف ثلاثي بين حكومة برشلونة البحرية الذين كان لهم نفوذ كبير في البحر، وبين بيزا الإيطالية، وانضم إليها جنوة، وهما إمارتان إيطاليتان، شكل هذا الحلف الثلاثي أسطولاً من ثلاث مائة سفينة حربية، وتوجهوا بها نحو الجزر الشرقية (جزر البليار)، واستطاع هذا الحلف الثلاثي إسقاط أولى الجزر وأصغرها، وتدعى جزيرة "يابسة"، ثم تابع هذا الزحف البحري فحاصر الجزيرة التالية الوسطى جزيرة "ميورقة"، فاستنجد حاكمها عبد الله المرتضى مستصرخاً المرابطين، فلبى أمير المسلمين علي بن يوسف نداءه وأرسل على الفور ثلاث مائة سفينة بقيادة أمير البحر "تاقرطاس"، وصل بأسطوله وطوق الحصار على السفن النصرانية التي استطاعت أن تنسحب، إلا أن هبوب العواصف في البحر قد أغرق بعض سفنهم، وأسر المسلمون ثلاثاً منها.



حلف نصراني بحري



اتحاد النصراني في ٣٠٠ سفينة حربية لقتال المسلمين في الأندلس



أوربا تساند
أفونسو
لأسقاط
سرقسطة



فتح قلمرية
عاصمة
البرتغال

لم تبق دويلة من دول
الطوائف إلا وقد ضمها
المرابطون إلى سلطانهم،
كما حاولوا استرداد
الجزيرة الوسطى التي
وقعت بيد الأسطول
الثلاثي المتحالف،
وليجعلوا خطة الحصار
الاستراتيجي على
طليطلة، وكان علي بن
يوسف يتابع الانتقال
من الأندلس إلى المغرب
وبالعكس، فجاء إلى
الأندلس في عام ٥١١هـ
مرة أخرى، ووجه
الجيوش نحو الغرب
وتمكن من إخضاع
مدينة "قلمرية" عاصمة
البرتغال في الغرب.

شعر الأفونسو المحارب ملك النصارى بالخطر يداهم، فأرسل إلى
ملوك أوربة يستنجد بهم، ويطلب إليهم المدد والعون، فجاءته
العُدَد والعُدَد من قرنصة وإيطالية ومن مناطق أوربية أخرى،
واحتشد حوله خمسون ألفاً، وتحرك ليكسر الطوق على مدينته
طليطلة، وتوجه نحو عاصمة الشمال سرقسطة عام ٥١٢هـ وضرب
الحصار عليها، واستمر الحصار تسعة أشهر، فهلك الناس جوعاً،
وما استطاع أمير المسلمين أن يهيء قوة على عجل ليساعد أهل
المدينة، وكذلك ما أحسن الجيش المرابطي الموجود في المدينة
الدفاع عنها، وبعد مفاوضات جرت بين الأفونسو المحارب وحاكم
سرقسطة بعد أن بلغ الهلاك أشده نتيجة الحصار، استسلمت
سرقسطة وفتحت أبوابها في رمضان ٥١٢هـ، ففادها معظم أهلها،
إذ تركهم الأفونسو المحارب يسبغون إلى حيث شاؤوا بأمان، ثم حوّل
الجامع إلى دير للرهبان، وقد استولى بعد ذلك على الثغور
الشمالية للمسلمين في الأندلس.

كان سقوط سرقسطة بعد سقوط طليطلة بثلاثين عاماً، وقد
بقيت بيد المسلمين أربعة قرون، وكان لها دور كبير في ثور شمال
الأندلس، ويسقوطها كسر الطوق الذي كان أمير المسلمين يريد أن
يضره حول القشتاليين.



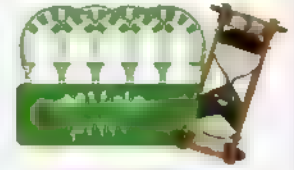
الهندسة المعمارية الجيدة لمسجد في سرقسطة والمشابهة في بنائها لمسجد قرطبة الكبير

اهتم علي بن يوسف لسقوط سرقسطة، فأرسل إلى أخيه إبراهيم بن يوسف والي إشبيلية يأمره بتجهيز الجيوش والميادنة إلى السير لإعادة سرقسطة. ولوضع حد لعدوان الفونسو المحارب، كما أرسل إلى بقية الأمراء أن يتجمعوا ويحتشدوا مع القائد العام للجيش، وكان النصراني قد اجتمعوا بأعداد غفيرة مع الفونسو المحارب، وتصدى جيشهم لجيش المسلمين، حيث التقى الجيشان في قرية قريبة من "درقة" (مدينة تابعة لسرقسطة)، ودارت معركة هائلة شديدة، اقتصت فيها الخصمان اقتتالاً عنيفاً، ولكثرة العدو وقلة المسلمين أو لأمر آخر هزم المسلمون هزيمة منكرة، ودارت الدائرة عليهم، واستحضر القتل فيهم، فقد بلغ عدد القتلى على بعض الروايات عشرين ألفاً، وكان من بين الشهداء عدد من العلماء الأفاضل وعدد من القضاة الأفاضل، منهم العالم الشهيد أبو علي الصديقي الذي ولد عام ٤٥٤هـ واستشهد عام ٥١٤هـ. وهو من أبناء الستين، رحل إلى

المشرق وأخذ من علمائه بالبصرة وبغداد ودمشق وغيرها، ورجع بعلم جم، وبرع في الحديث إسناداً ومتناً مع حسن الخط والضبط وحسن التأليف، والفقه والأدب مع الدين والتواضع، قال القاضي عياض عنه ممن سمع منه: قال له أبو علي الحافظ الصديقي: خذ الصحيح، فاذكر أي متن شئت منه، أذكر لك سنده، أو أي سند أذكر لك متنه.

وقاضي الحريية محمد بن يحيى المعروف بابن الفراء، ويصف أبو بكر بن العربي القاضي المعروف في إشبيلية ومؤلف كتاب "العواصم من القواصم" أنه حضر تلك المعركة وشهد مقتل الآلاف من المسلمين.

يرى بعض المؤرخين أن سبب الانكسار كان لضعف الموارد والمدد وثقله العدد لبعدهم عن أراضي المسلمين، بينما يأتي عدوهم المدد لا من الأندلس (المقاطعات النصرانية) فحسب، بل كانت أوربة تمدهم تباعاً بكل الموارد البشرية والطبيعية، والبايا يحرض ملوكها وأمراءها لمحاربة الكفار (المسلمين).

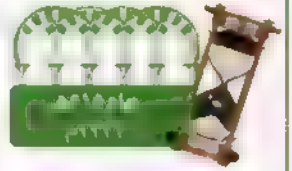


معركة قننودة لإعادة سرقسطة



محراب المسجد في سرقسطة

وارتد الأمير إبراهيم بن يوسف في قلول الجيش المراتبى إلى بلنسية، وكان هذه المعركة قد زحزحت شيئاً من هيبة المراتبين العسكرية.
وراد من زعزعة المراتبين ما حدث من مؤامرة في المغرب عام ٥١٥هـ ضد المراتبين المعروفة بحركة ابن تومرت، سنتعرض لها فيما بعد.



تزعة المراتبين

الوضع العام كما يرى، سقوط مدينة سرقسطة عاصمة الشمال، وانكسار جيش المراتبين في قنطرة، وتربص العدو بباقي المناطق الإسلامية، وحركات داخلية مريبة تجري في المغرب، ولا حول ولا قوة إلا بالله!



درهم ملوك ميورقة وموبشير بن سليمان

رأينا استشهاد عدد من كبار العلماء في المعركة السابقة، واشتراك الآخرين، فأولئك جند الله حقاً، وجند الإسلام والمسلمين، فالعالم الحق في حلقته إمام في العلم والفقه، وفي المجتمع خبير يعرف أحواله، ويتفقد أوضاعه، وفي ساحات المعارك يصول ويجول بالسيف أو الرمح ويصنوف الأسلحة.
يوصف العالم الحق بأنه رجل القلم والكتاب ويطل الحروب، يقوم بكل ما تتطلبه ظروف الحياة من حوله، ويدرك واقع أمة المسلمين، ويستنهض الهمم. وهو المقدم في كل ميادين الحياة، ألا أين العلماء في القرن الحادي والعشرين؟



زخرفة اقواس اسلامية لقصر في سرقسطة

عبر أمير المسلمين علي بن يوسف المضيق إلى الأندلس للمرة الرابعة، لوجود حوادث بين المسلمين أنفسهم، ونزاعات لا تهدأ في قرطبة، ولم تهدأ إلا بمجيء ابن يوسف وذلك بعد أن دامت أربع سنوات إلى عام ٥١٥هـ.



علي بن يوسف يعبر إلى الأندلس

لما سقطت سرقسطة في أيدي القشتاليين، وتوالت انتصارات ملكهم الفونسو المحارب أخذت طوائف المعاهدين -أهل الذمة- في التحفز، وبدأت تعمل في الخفاء أحياناً وريماً جهراً إذا ما سنحت الفرصة لهم وما أكثرها في تلك الفترة، فقد توالت المحن على المسلمين، تحفزت تلك الطوائف لعمل شيء ما لضرب المسلمين وتوحيثهم، وكان أكثر الطوائف النصرانية غلوا ونشاطاً في تدبير المؤامرة بالأندلس هم معاهدو مدينة غرناطة، مع أن المعاهدين جميعاً



غدر أهل
الذمة



مرثية أبو حمادة بن أشاج

قد عاشوا في ظل الحكومات الإسلامية أيّاً كان اسمها متمتعين بكل شيء من تقاليدهم ودينهم وشعائهم، آمنين من كل عنت أو مشقة تجاه أفرادهم أو معابدهم، في حرية تامة، وقد شغل بعضهم مناصب حكومية في الدولة الإسلامية، لكن هؤلاء قد عرفوا طوال التاريخ الأندلسي بنكران النعمة وجحودها، وما والوا إلا أبناء ملتهم النصراني، وما توقفوا عن الكيد لهذا المجتمع المسلم الذي عاشوا فيه منعمين عقيدة واقتصاداً وأخلاقاً وتقاليد.

راسل الفونسو المحارب هؤلاء الخونة من جميع المدن، وأبدوا استعدادهم له بأن ينجده إذا قدم بالرجال، وأن يمدوه بالطعام والمؤن، كما دلّوه على عورات المسلمين -أماكن الضعف لديهم-، وأن كثيراً منهم مهيؤون للقتال جنباً إلى جنب معه، غر الفونسو المحارب تلك المراسلات فخرج من سرقسطة سنة ٥١٩هـ بحملة تحمل الطابع الصليبي تماماً، فاتجه شرقاً وهو ينشر الفساد، ويعبت في الأراضي التي يجاوزها حرقاً وتدميراً، ثم دخل مملكة بلنسية ينسف الزروع ويحرق القرى، ولم تستطع القوات المرابطية القليلة إيقاذه أو التصدي له، إذ كانت جموع المعاهدين تنصم إليه في كل منطقة يمر بها حتى احتشد حوله خمسون ألفاً.



حملة صليبية
لأخذ
الأندلس

ثم اتجه صوب "دانية" ومر بشاطية حتى وصل إلى المرية جنوباً، وما كان يقف في مكان إلا أياماً، وكان المعاهدون الدين انضموا إليه يدلّونه على الطرق والمساكن ويكشفون له أماكن الضعف لدى المسلمين، وتحرك حتى نزل غربي وادي "أش" القريب من غرناطة، فاشتد الخوف على أهل غرناطة، واستعدوا لمنعته ومحاربتها.

تساقط المدن
لألفونسو



حصار غرناطة

ووصل إلى غرناطة عام ٥٢٠هـ وضرب
الحصار حولها، ولله جند لا تقهر، إذ
جاء الجليد ونزلت الأمطار، وانتشر
الوباء في جيشه، كما أن هجمات
المسلمين المتعددة كعصابات متفرقة
أجبرته على أن يفك الحصار لباس
المدافعين عن مدينتهم غرناطة.

القوات الإسلامية تلاحق ألفونسو

هانحدر غرباً،
والقنوات
الإسلامية
تلاحق مؤخرته،
ثم تحول باتجاه
الجنوب الشرقي
ثم انعطف غرباً
حتى وصل قريباً
من مدينة مالقة
على المضيق،
وكان فرسان
المسلمين تضيق
عليه بمناوشات
عديدة.

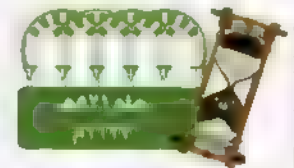


عودة الفونسو
إلى طليطلة

ولما رأى أنه لم يحقق أي شيء يذكر، قرر العودة إلى طليطلة، فأتجه شرقاً إلى مرسية فشاطبة
فبلنسية، وتبعه عشرة آلاف من المعاهدين خشية انتقام المسلمين منهم لخيانتهم ولقتالهم إلى
جانب الفونسو المحارب، وقد ألقى الله عليهم الوباء حتى وصل إلى طليطلة بعد خمسة
عشر شهراً قد حطمه الإعياء والوهن، وفرسان المسلمين يلاحقونه وجنده.

ناقوس نقش على العاج

كشفت هذه المغامرة -مغامرة الفونسو المحارب- أن طريقة الدفاع المراتبي عن الأندلس لم تكن سليمة في تلك الفترة، وأن
الذين يعيشون بين ظهرائي المسلمين من المعاهدين لم يعرفوا -ولن يعرفوا- إلا بالولاء لأبناء ملتهم، وأنهم يمثلون خطراً
حقيقياً إذا ما اتّحت لهم الفرص.



ابن رشد الجدل
يعبر إلى
الأندلس

ولذلك قام القاضي أبو الوليد بن رشد الجد الأكبر بعبور البحر المضيق متوجهاً إلى المغرب وغايته أن
يلتقي بأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، ويشير عليه بأمور ثلاثة:
١- تقريب المعاهدين الذين يخوتون العهد ويخرجون على الدمة، وأفتى بوجوب إخراجهم، وهذا أخف
عقاب لهم، فأصدر الأمير أمراً بذلك، وأجلي الكثيرون إلى المغرب في سنة ٥٢١هـ.
٢- وأشار على الأمير أن يبني سوراً للعاصمة مراكش، فأمر الأمير بإنشاء السور وتم خلال فترة
وجيزة، كذلك أمر ابن يوسف بإنشاء سور لكل مدينة لا سور لها، وتحصينها، وقال له: لا يحل لك أن
تكون هذه المدينة دون سور.
٣- وبين ابن رشد الجد لأمير المسلمين خطورة الأوضاع في الأندلس، وأنها بحاجة إلى رجل قوي،
حازم، عاقل، يعرف المجتمع وأحواله، وضروب السياسة وأخذ الحيطة وجانب الحذر من العدو، وإن
أخا الأمير "تميماً" لا يصلح في هذا الوقت لإدارتها لضعف إمكانياته الشخصية، ونصحه أن يعزله
ويولي رجالاً كفأً، فاستجاب له أمير المسلمين، وعزل أخاه وولى علي الأندلس ابنه تاشفين بن علي بن
يوسف بعد استشارة ابن رشد.

كان اكبرهم لافونسو المحارب ملك اراغون، واعظم اصراره ان يعيد بلنسية ومرسية ويضمهما إلى مملكته، فبادر في عام ٥٢٨هـ وقد أعد جيشاً جراراً من الفرسان نحو بلنسية، وكان يطمح ايضاً ان يسقط ما بقي من الثغور الأندلسية في الشمال ويضمها إلى سلطته، وتمكن أثناء توجهه إلى بلنسية من ان يحتل بعض القرى والثغور، لذلك أسرع والي بلنسية ومرسية للتصدي لهذا الطاغية بجيشه القليل وتقابل الجيشان قرب مدينة صغيرة تدعى "إفراغة" جنوب غرب مدينة "لاردة".



معركة إفراغة



تفرق في دول النصارى

وتقدر بعض الروايات عدد جيش الفونسو المحارب بأثنى عشر ألف فارس، يقابلها من المسلمين ثلاثة آلاف فارس، وجرت بينهما معركة حامية، وقتال شديد، حيث أبدى كل من الجيشين ضروباً من القتال العنيف، فكان المسلمون يقاتلون وهم قلة ولكن سلاح الإيمان أمضى، وقلب يثق بالله لا يمكن ان يتزعزع، وكان النصارى يقاتلون بشجاعة وعناد قاندهم المحارب لشهرته وغلظته.

القلة المسلمة أمام الكثرة الكافرة

وكانت النتيجة -بما جرت سنة الله سبحانه وتعالى- أن ينتصر جند الهداية على جند الضلال، واشتد الأمر على جيش العدو وكثر القتل فيهم، ومزقت صفوفهم فلاذوا بالفرار. واصيبوا بهزيمة منكرة بينما تركوا كبار قادتهم صرعى في الميدان، كما سقط الفونسو المحارب قتيلًا ممزقاً، فصار لهذا النصر المؤزر في إفراغة صدى عميق في الأندلس وغيرها، إذ سر المسلمون بنصر الله، وأعادت هذه المعركة ذكريات الزلاقة وبرايط وأقليش، فأعادت الأمل إلى وجوه الأندلسيين، وعادت سمعة المرباطين القتالية إلى مكانتها، وأثبتوا أنهم أهل السلاح والساحة والميدان، فزال الخطر عن بقية الثغور الأندلسية في الشمال.

كسر الجيش الصغير تكبر الفونسو المحارب، فقد كان من أشد ملوك الفرنج بأساً وأكثرهم تجرداً لحرب المسلمين وأعظمهم صبراً، وكان ينأى على طارقه بغير وطاء، وقد كان يظن أنه لن يَغلب، وأقسم أنه لا يغادر إفراغة إلا منتصراً، وتحقق الوعد الرباني في كتابه الكريم: «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين» (الروم ٤٧).

ولم تلبس المرباطون تقدمهم إلى سرقسطة لما اعترضهم أحد، وما وجدوا مقاومة ولأعادوها إلى سلطة المسلمين، ولكن قدر الله وما شاء فعل.

كانت حكومة النصارى في هذه الفترة منقسمة إلى مملكتين:

١- مملكة أراغون في الشمال والوسط، وملكها الفونسو المحارب.

٢- مملكة ليون وجليقية وتسمى أحياناً قشتالة، وملكها الفونسو السابع.

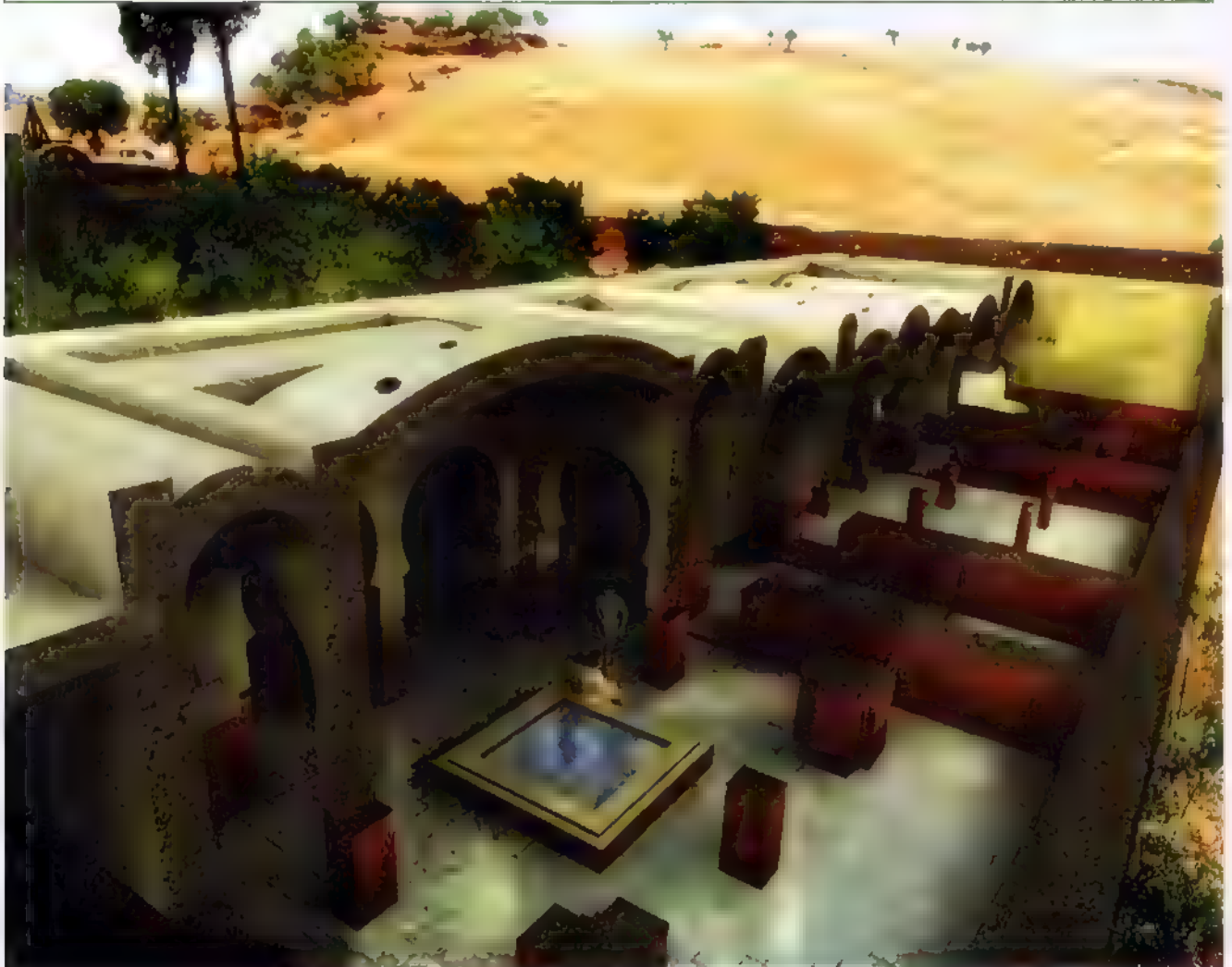
٣- وقام رجل منهم في عام ٥٢٣هـ في منطقة البرتغال يدعى ابن الرنق أو "ابن الرنك" فأعلن استقلاله عن هذه المملكة، وأطلق على حكومته: مملكة البرتغال.



السلطين الفونسو السابع

يستغل الفونسو السابع مقتل الفونسو المحارب ملك ليون وجيليقية، فيضم مملكة أرغون إلى مملكته ويوحدهما، فأصبح الحاكم للأندلس النصرانية ولقب نفسه بالسلطان بينما تذكره الروايات الإسلامية باسم السلطين (الملك الصغير)، أما البرتغال فقد بقيت تحت حكم ابن الرنق "الرنك".

أراد السلطين أن يعزز مكانه، وثبت وجوده فتقدم بجيش مهاجماً صوب بطليوس. فأسرع إليه تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين وصدّه في مكان قرب معركة الزلاقة، وكسره وهزم جيشه كما هزمه في عدة معارك أخرى، وقتل وأسر من جنوده جموعاً كثيرة.



بناء يمثل مستشفى صحي للاستشفاء في مالقة (من معالم الحضارة التي اشتهرت به عموم الأندلس في العهد الإسلامي)



معركة البكار

خرج تاشفين في شهر ذي الحجة عام ٥٢٨هـ بقواته يريد الغزو، وكان امامهم ممر لا بد للمرور فيه، فوضع العدو خطة كمين، وباغتوا المسلمين في جنح الظلام واستطاعوا أن يمزقوا صفوفهم، هذب الخل، وظهر الاضطراب بين المسلمين، عند ذلك فر معظمهم، وعلا الصياح للفرار حتى وصل بعض فرسان العدو إلى خيمة الأمير تاشفين، فنصح به بعضهم أن يقر ويسلم، لكن القائد العظيم أبى ذلك وقال مقالة عظيمة: ((لا اسلم وأسلم الأمة، ولا أبرح حتى تنجلي عما انجلت عليه هذه الكرة، لن أهرب وأترك العامة لتضييع)، وكان معه أربعون فارساً فقط، وفضل الثبات ولو أدى إلى استشهاد، إذ لولا ذلك لضاع المسلمون!



مرثية مقبرية

رباطة جاش

تاشفين بن
علي بن
يوسف

يقول أحدهم في وصفه في ذاك الموقف: لم أر أربط منه جاشاً، ولا أشهم نضاً في مطلع ذلك الهول، وكأنه كما قال الشاعر:

وقفت وما في الموت شك لواقف كانك هي جفن الردى وهو بانم

وطل يقاتل حتى انكسر السيف الذي بيده، وقاتل بالدرع من بعد، فلما وصل الخبر إلى باقي الأفراد بادروا بالتجمع إليه، وأحدق به فرسان المسلمين وأبطال المرابطين واستطاع أحد الجند أن يقضي على قائد النصارى المهاجمين بطعنة قاتلة، وولى بذلك المهاجمون الأدبار، وانكشف الظلام بهزيمة القشتاليين، وقد تركوا مئات القتلى، وانتصر المسلمون بثبات تاشفين، إذ ذكرهم ببطولة جده يوسف بن تاشفين، «ذرية بعضها من بعض» (آل عمران ٣٤)، وهذا الشبل من ذاك الأسد كما يقال.

أي نوع من الرجال هؤلاء؟ «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر» (الأحزاب ٢٣)، بهؤلاء كتب مجد المسلمين، وبهؤلاء فتحت البلدان، وبأماناتهم بلغ الدين، فكان لتاشفين في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، في غزوة حنين.

ونذكر بعض أبيات من قصيدة وجهها إلى تاشفين كاتبه أبو بكر يحيى بن الصيرفي يمدحه، ويصف مشاهد من تلك المعركة ويشيد بثباته ويشير عليه أن يأخذ بالحذر:

يا أيها الملا الذي ينقنع	من منكم البطل الهمام الأورع؟
ومن الذي غدر العدو به دجى	فما نقض كل وهو لا يتزعزع
يا تاشفين اقم لجيشك عدر	بالليل والقدر الذي لا ينفع
هجم العدو دجى فروع مقبلا	ومضى يهينم (*) وهو منك مروع
لا ضيع الرحمن سميك إنه	سمي به الإسلام لا يضيع
نستودع الرحمن منك وديعة	فهو الحفيظ لكل ما يستودع

صراع المسلمين والنصارى

كما ظهرت عدة اشتباكات في الأندلس بين المسلمين والنصارى بعد معادرة تاشفين لها، وكانت سجالات بينهم، وكان قائد الجيوش المرابطية من قبل تاشفين: يحيى بن غانية، وبقي هناك، لكن معظم جهوده كانت لوقف هجوم الموحدين الذين عبروا الأندلس بعد أن تمكنوا في المغرب كما سيأتي.

وكانت قد ظهرت في المغرب تطورات وأحداث عظيمة، من ظهور دعوة المهدي بن تومرت، وتلتها قيام دولة الموحدين، وبدأت هذه التغيرات عام ٥٣٩هـ.



ظهور حركة ابن تومرت

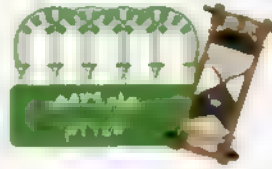


تاشفين بن علي بن يوسف

عاد الأمير تاشفين في عام ٥٣٣هـ إلى المغرب بناء على أوامر أبيه، حيث التقى بأبيه فعينه وئياً للعهد، وكان اهلاً لذلك بعد موت أخيه الأكبر، وأخذ لابنه ولاية العهد في حياته. وتوفي علي بن يوسف بن تاشفين رحمه الله تعالى عام ٥٣٧هـ، وتولى ابنه تاشفين الحكم، وذكر عنه الرواة أنه كان بطلاً شجاعاً، وأنه لم يشرب مسكراً ولا استمع إلى قينة (مغنية) ولا اشتغل بلذة صيد، فكان تقياً ورعاً صالحاً قائماً.

إبراهيم بن تاشفين

وتولى الحكم من بعد الأمير تاشفين ابنه، إذ بويح إبراهيم بن تاشفين، وكان صغيراً بلغ السادسة عشر من عمره وكانت الدولة المرابطية في نزاعها الأخير، لظهور الموحدين بقوة على الساحة في بلاد المغرب، كما ظهر الخطر النصراني واستفحل في الأندلس، فهل يكون إبراهيم الصغير نجماً كعبد الرحمن الناصر؟ أم تضيق الأندلس؟ وتضيق دولة المرابطين في المغرب؟



وفاة تاشفين

لم تدم ولاية تاشفين كثيراً، فقد توفي عام ٥٣٩هـ، وكان في طريقه إلى وهران مع قلة من أصحابه ليلاً، فسقط من فرسه في حافة الوادي، وذلك في ليلة السابع والعشرين من رمضان، وقد تمكن الموحدون من جيشه ففرقوه.

كانت الأندلس في غليان وهياج، وكانت منطقة الشمال الإفريقي، وبالأخص المغرب مضطربة الأوضاع، متشابكة الحوادث في كل بلدة، لتقوم دولة الموحدين، وتجمع قواتها وأنصارها للقضاء على المرابطين، وكانت قد استولت على مدينة فاس، وبسطت سلطانها على معظم المغرب ما عدا مراكش، فكانت الدولة المرابطية تنتظر مصيرها.

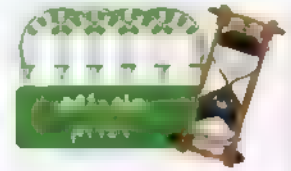
غليان
الأندلس
واضطراب
المغرب



جيش النصارى يستعد للقاء جيش المرابطين

وفي عام ٥٤٠هـ وفي هذا الوضع الخطير، تجمع النصارى في الأندلس بجيش كثيف لإخراج المسلمين والمرابطين من الشرق حيث نشبت معركة عظيمة تسمى أحياناً الوقعة الكبرى على المسلمين في منطقة "البح" والبسيط قرب "جلنجاجة"، وأصيب المسلمون هناك بهزيمة نكراء، وكانت من أولى الإشارات بضعف إبراهيم وتهاوي دولته.

الوقعة
الكبرى



صفحة من الصراع المرير بين هذه الإمارة وبين الموحدين من بعد، فقد لبث أميرها المعروف بابن مردنيش عشرين عاماً.

إمارة محمد
بن سعيد بن
مردنيش في
شرق الأندلس



النصارى
يهاجمون ابن
هود



معركة
البسيط
ونهاية ابن
هود

وكانت معركة البسيط التي دارت رحاها بين سيف الدولة بن هود وبين نصارى الشمال وقتل فيها ابن هود الذي كان العوبة ملك قشتالة، وأثر أن يعيش في حماه، وبكم فرق وشتت بين المسلمين في قرطبة وغرناطة وجيان ومرسية، ولكنه قتل آخر عمره في معركة لم تكن من تدبيره، وسقط دفاعاً عن أمته، وذهب للقاء ربه ليسأله عما جنت يده، وآل الأمر من بعده لقائد جند الثغر في مرسية وبلنسية الذي نجا ببقية الجيش إلى بلنسية وهو: أبو محمد عبد الرحمن بن عياض المعروف بابن عياض.

مد هذا سلطانه على سائر الثغور من بلنسية، واستمر في حكمه عاماً وأشهر إلى أن لقي مصرعه خلال حروبه مع القشتاليين، عام ٥٤٢ هـ وكان قد أوصى من بعده إلى صهره ونائبه في بلنسية "محمد بن سعيد بن مردنيش".

كان من أغرب الشخصيات في الأندلس، جمع خلال العصر وراثته معاً، ويالغ جداً في خدمة النصارى "الفونسو السابع"، وكذلك أمير برشلونة يدفع لكل منهما جزية قدرها خمسون ألف مثقال من الذهب، والراجح أنه كان من المولدين، فقد كان شغوفاً بالتشبه بالنصارى في الزي والملابس، والسلاح والسروج، يؤثر اللغة القشتالية ويجيدها في الحديث بها، جمع حوله كثيراً من مرتزقة النصارى وقد بلغ عددهم اثني عشر ألفاً، ذكر المقرئ شجاعته في نضحه فيقول: إنه كان من أبطال عصره، وأنه كان يدفع في المواقب ويشقها شقاً، يميناً وشمالاً متشدداً:

أغرب
شخصيات
الأندلس

أكر على الكتيبة لا أبالي أحتفي كان فيها أم سواها؟
ومد سيطرته فاستولى على بسطة ووادي آش في الجنوب، وأصبحت حدوده على تخوم الدولة الموحدية، لذلك كان الصراع الحاد بينه وبينها.

ابن مردنيش هذا هو (الذئب) باللقب الذي عرف به بين النصارى في الأندلس، قارع الموحدين، واشتد في الضرائب التي فرضها وفي الإتاوات التي أرقق بها المسلمين الذين رزحوا تحت حكمه فترة من الزمن إرضاء لأسياده ملوك النصارى في الأندلس.

ابن همشك

وجمعت المصلحة وتلك الصفات بين ابن مردنيش وشخص آخر يشبهه يدعى إبراهيم بن محمد بن مفرج المعروف "بابن همشك"، وهو مثله شخصية متميزة، وصار من أهم أعوان ابن مردنيش شجاعة وإقداماً، وتزوج ابن مردنيش ابنته بعد أن توطدت الصلة بينهما. وستأتي بقية أخبارهما فيما بعد.

الموحدون ينهون حكم المرابطين

أما في المغرب فقد قام الموحدون في بداية المحرم عام ٥٤١هـ بضرب الحصار على مراكش العاصمة المرابطية، وسيأتي تفصيل ذلك، وكان الشعور العام بأن مصير الدولة باتت وشيكة السقوط، وبعد حصار طويل دام تسعة أشهر، استولى الموحدون على العاصمة. وأسر الأمير إبراهيم ومن معه فقتلوا جميعاً، وقتل إبراهيم الذي لم يدم حكمه إلا سنتين، وانتهى بذلك آخر من حكم من المرابطين، وانتهت دولتهم التي تأسست عام ٤٦٢هـ في مراكش وذلك في نهاية ٥٤١هـ، أي ما يقرب من ثمانين عاماً.

خلع إبراهيم بن تاشفين

وبعد تولي إبراهيم للحكم بنحو عامين خلع المرابطون لما رأوا من ضعفه وعجزه وبويع عمه إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين.

نظرة عامة إلى دولة المرابطين

تأسست دولة المرابطين وقامت على خط الدعوة الإسلامية، فقد أسسها العلماء وأدارها العلماء، حكمت بالقرآن والسنة، وكان دولتهم دولة خير وجهاد (عافية) كما قال ابن الخطيب، لم ينقطع الجهاد فيها خمسين عاماً، وحدت المغرب أولاً، ثم وحدت الأندلس ففقتضت على الجاهليات الممزقة، وجعلت المسلمين أمة، كما أزال دول الطوائف، ولو لم يكن لهم -للمرابطين- فضيلة ولا خير إلا وقيعة الزلافة لكان ذلك من أعظم فخرهم وأربع تجربهم كما قال ابن العربي. وصف العالم الكبير والقاضي الشهير أبو بكر بن العربي المرابطين بأنهم قاموا بدعوة الحق ونصرة الدين، وكانت دولتهم أكثر الدول جرياً على السنة. ولولا قدوم المرابطين على الأندلس لسقطت قبل أربعة قرون من سقوطها باتفاق المؤرخين على هذه المقولة، إن المرابطين أخرجوا سقوط الأندلس أربعة قرون.



ازدهرت التجارة وساد العدل في عهد المرابطين



أهل بلنسية يثورون بقيادة قاضيها على حاكمهم الخائن .

سقوط بلنسية بعد حصار شديد ثم غدر الكمبيادور المرتزق بأهلها .

تم توحيد الأندلس على يد يوسف ابن تاشفين .

فتح بلنسية بعد حصار طويل .

تعيين علي بن تاشفين وليا للعهد .

وفاة يوسف بن تاشفين رحمه الله تعالى وتولي ابنه علي للحكم .

انتصار المسلمين في معركة أقلش .

استسلام سرقسطة بعد حصار من تحالف ألفونسو وملوك أوروبا .

تزعزع المرابطين بعد هزيمتهم في معركة قتنده .

حملة صليبية لأخذ الأندلس .

انتصار المسلمين في معركة إفراغه وعودة الأمل والعزة للجيش المرابطي .

انتصار المسلمين في معركة البكار .

وفاة علي بن تاشفين وتولي ابنه تاشفين .

وفاة تاشفين بن علي .

انهزام ابن هود في معركة البسيط وموته فيها .

نهاية حكم المرابطين في المغرب .

العلماء في عهد المرابطين

وانتشر فيها العلم والعلماء في جميع ميادين الحياة، وقد سبق ذكر بعضهم، وهؤلاء بعضهم:

الحجاري

أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الحجاري: أديب كبير وشاعر وعالم. مؤلف كتاب "المسهب"، أصله من وادي الحجاره. ولما سقطت بيد النصارى، طاف بالأندلس ثم استقر في قلعة "تحصب" قرب غرناطة. وقع أسيراً بيد النصارى مرة، فافتداه ابن سعيد صاحب يحصب، توفي سنة ٥٥٠هـ.



ابن بشكوال

ابن بشكوال: خلف بن عبد الملك: محدث الأندلس، صاحب "تاريخ الأندلس"، متسع الرواية، شديد العناية بها، ولد عام ٤٩٤هـ، وتوفي ٥٧٨هـ.

كان حجة مقدماً على أهل وقته، حافظاً إخبارياً، تاريخياً، وصفوه بصلاح الدخلة (باطنه) وسلامة البسطة (أمين) وصدق الصبر للطلبة، وطول الاحتمال، ترك خمسين مؤلفاً في شتى أنواع العلوم.

ابن باجة الذي برز في الفلك والرياضيات والفلسفة، فيلسوف الأندلس، كان يضرب به المثل في الذكاء، وراء الأوائل، والطب والموسيقا ودقائق الفلسفة، مات بمدينة فاس عام ٥٢٣هـ.



الخزرجي

وبرز الخزرجي صاحب الفضل العظيم على الطب.

ابن قزمان

وابن قزمان امير الزجل الأندلسي، وهو أول من تكلم بالزجل، كان اديباً بارعاً حلو الكلام مليح النثر مبرزاً في نظم الزجل، والطريقة الزجلية بديعة تتحكم فيها القاب البديع، وتنفسح لكثير مما يضيق على الشاعر سلوكه، وبلغ بها أبو بكر بن قزمان مبلغاً حجرة الله عن سواه، فهو آيتها المعجزة، وحجتها البالغة، وهارسها المعلم، كما قال المقرئ في نفع الطيب عنه.

انتشار العلم والعلماء والمفكرين المسلمين في الأندلس

كما نقلوا العاصمة من طليطلة إلى قرطبة، ثم نقلوها إلى غرناطة، فكانت بداية نهضتها، ثم أعيدت إلى قرطبة.

قرطبة العاصمة
ثم غرناطة

عدل المرابطين

وكان المرابطون في منتهى العدل، لا يأخذون من الناس إلا ما أوجب الشرع عليهم من زكاة الأموال، وعشر الخراج، وقاموا بين الناس بالإنصاف والحق فكل يصل إلى مبتغاه من الطريق الطيب، لذلك فقد قطع الطرق، وفقد السراق في مدن الأندلس وقراها.

يقول مؤلف كتاب "روض القرطاس" عن المرابطين.

كانت لمتونة (القبيلة التي منها المرابطون) أهل ديانة وثية صادقة خالصة، وصحة مذهب، ملكوا الأندلس من بلاد الفرنج إلى البحر الغربي المحيط، ومن مدينة بجاية من بلاد العدوة (المغرب) إلى جبال الذهب من بلاد السودان، لم يجز في عملهم طول أيامهم

رسم مكروه، (ضريبة) ولا خراج في بادية ولا حاضرة، وخطب لهم على أزيد من ألفي منبر، وكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل، وعافية وأمن.. وكثرت الخيرات في دولتهم، وعمرت البلاد، ووقعت الغبطة، ولم يكن في أيامهم سراق ولا قطاع طريق، ولا من يقوم عليهم، وأحبهم الناس إلى أن خرج عليهم محمد بن تومرت مهدي الموحدين سنة ٥١٥هـ.



رأس عمود مدون
عليه، قرطبة

النهضة في عهد المرابطين

بدأت بالرباط في سبيل الله كما تقدم، ونهضت إلى العز بالعلم والجهاد، واهتمت كثيراً بالموارد الزراعية والعمرائية والصناعية، وأنشأت المدارس والصناعات الحربية، وأسست مصانع الأقمشة والحريز، وكذلك آلات النحاس والحديد، كما اهتمت كثيراً بخدمات المصلحة العامة.

القوة العسكرية

وكان السمة البارزة للدولة المرابطية هي الناحية العسكرية، وهذا أمر لا بد منه إذ أن الاستعداد لا بد منه تجاه أعداء لا يزالون يتربصون بها، والله سبحانه وتعالى يقول: «يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم فانظروا ثبات أو انفروا جميعاً» (النساء ٧١).

فأنشئت فرق الصائفة والشاتية، واستمرت السرايا والغزوات طيلة خمسين عاماً في الأندلس في عهدهم، قال عنهم مؤلف "الحلل الموشية": قدم أشياخ المرابطين فيها، وكانوا أقواماً ربتهم الصحراء، نيتهم صالحة. لم تفسدها الحضارة ومخالطة الأسافل.



الإدارة

أما عن الناحية الإدارية فقد كان للأندلس قائد عام يتبعه قواد المدن الأخرى، يقومون بما تتطلب الأوضاع الإدارية والعسكرية والاقتصادية، وكانوا يسمون أحياناً بالولاءة، وهم مسؤولون أمام أمير المسلمين عن أعمالهم، فيحاسبون إن قصروا أو عزلون. وقد كانت الأندلس مقسمة إلى عدة ولايات في زمانهم بلغت أحياناً ستاً.



أحد أبواب مسجد قرطبة



قرطبة، المسجد الكبير. واجهة الحراب يظهر النص في المصيفساء الذهبية فوق قعر أزرق ليات قرآنية واسم الحكم الثاني

القضاء

وكان القضاء مستقلاً لا سلطان لأحد عليه، وكان الأمراء يأخذون بحكم القضاء ويعملون بنصيحهم كما رأينا حين جاء القاضي ابن رشد إلى علي بن يوسف ونصحه بأمور ثلاثة، فأخذ أمير المسلمين بذلك كله.

هذه الدولة القوية العتيدة، دولة العلم والإيمان، دولة الجهاد والغزو، دولة الاستعداد الدائم، ما بالها سقطت؟ وكيف سقطت؟ وما هي أسباب سقوطها؟

أسباب سقوط المرابطين

نرى أن العوامل التي أدت إلى سقوط دولة المرابطين في ثلاثة أسباب:

١- تسليم الحكم أحياناً لمن لا يستحق إذ يسند الأمر إلى غير أهله. فقد رأينا كيف وسد الأمر إلى طفل في السادسة عشرة من عمره، وأوضاع المرابطين كانت في مهبط الرياح، إذ قلّد إبراهيم بن تاشفين. مع أن الحالة تستدعي أن يتولى رجل قوي الإرادة، عالم بشؤون الدولة، مطلع على أحوالها، خبير بمكائده الأعداء، أخذ بالوسائل والاستعدادات لحفظ الدولة ورد خطط المتربصين.

الصراع السياسي الداخلي

٢- الصراع الحاد بين الفئة التي ظهرت في مجتمع المسلمين وقام بها ابن تومرت باسم الإسلام، وبين المرابطين في عقر دولتهم في المغرب. فقد استهلك هذا الصراع قوة المرابطين وأزال هيبتهم. لعل هذا السبب هو من أخطر الأسباب التي أدت إلى انهيار دولة المرابطين، فالقوى الداخلية المعارضة تنخر في كيان الأمة وتمزق صفوفها والله سبحانه وتعالى يقول: «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» (الأنفال ٤٦).

انشغال العلماء

٣- انصراف العلماء من معرفة الواقع ومعايشة الأحوال العامة للناس وعدم مخالطتهم لهم، وبهذا يتركون المجال لأن يتصرف الجهال في واقع الناس وأحوالهم، ترك العلماء إلا أقلهم الساحة التي ينبغي أن يكونوا عليها وخلّوا الميدان الفسيح إلى أشباه العلماء أو من يتزيا بزئهم. وانصرفوا إلى المبالغة في الفروع والشروح في قضايا الفقه المذهبي، وذلك أدى إلى الانقسام بين العلماء والناس، كما أدى إلى ظهور جماعة العلماء إن صح التعبير، يلتصقون على مسائل لا تمت إلى الواقع، وإلى بحث ما سيكون أو يحتمل، وكان بالنتيجة الفراغ الهائل بين الناس وبين ما ينبغي أن يكونوا عليه من علم بأحوالهم وواقعهم في دنياهم، كما حدث ذلك في عصور عدة إذ كان هناك انقسام نكد بين المعاملات الجارية للناس وبين استنباط القضايا الشرعية لتلك المعاملات، وبذلك قد ينشأ النفور من أحكام الدين، أو تذهب الحكمة والأثر للأحكام الشرعية.



المقاتلون المغاربة في الأندلس (لوحة مرسومة في القرن الحادي عشر الميلادي)

الروايات المتفق عليها

دولة تأسست على التقوى فأنجبت رجالاً أعادوا سيرة الفاتحين الأوائل زهداً وتقوى وشجاعة وعلماً .
يكفيهم فخراً أن يكون فيهم أمثال يوسف بن تاشفين.

ويكفيهم عزاً أنهم وحدوا الأندلس بعد الفرقة وأعادوا لها سموها وهيبته.

وقد توقمنا مع واسطة عقدهم يوسف بن تاشفين في الفصل الماضي فلننتقل إلى بعض الأحداث بعده :

● حينما تولى علي بن يوسف بن تاشفين الحكم بعد أبيه كان عمره ثلاثاً وعشرين سنة !! فقام بأعباء الحكم خير قيام وأتم ما بداه أبوه من الجهاد وكان خير خلف لخير سلف، وما كان ليتم له ذلك لولا أنه أعد لمثل هذه المهمة وغرست في نفسه صمادة القيادة منذ الصغر، وأنشئ على تحمل المسؤولية والقيام بأعبائها، وهكذا يخرج الإسلام شباباً طموحاً جلداء على مشاق الحياة قادراً على صنع القرار والتهوض بما يناط به من مسؤولية ومهام

شباب ذلوا سبل المهالي	وما عرفوا سوى الإسلام ديناً
إذا شهدوا الوغى كانوا كماً	يدكون المعازل والحصونا
وان جن الظلام فلاتراهم	من الإشفاق إلا ساجديننا
كذلك أخرج الإسلام قومي	شباباً طاهراً حراً أميناً

فالشباب هم نبض الأمة، ويدها القوة الضاربة، ومستقبلها الذي تبنيه، فيجب أن تتلاقى الجهود لإصلاحهم وغرس روح القيادة والطموح فيهم، كما تتلاقى جهود أعدائنا لإفسادهم وإماتة عزيمتهم في الجهاد، وتعويدهم على التمتع والتخنع، فيبنون لهم بدل كل مسجد ملهى للفساد والرذيلة، وبدل أن يسمعوا صوت القرآن والأذان يسمعونهم أغاني خليعة ماجنة، ويحاولوا طمس تاريخهم البطولي المجيد واستبداله بأخبار نجوم ونجمات مائمين تافهين، ليخرجوا لنا شباباً بلا عزيمة أو طموح، حتى قال فيهم القائل:

لا تلوموني فقد عز الخطاب	وبكى القلب على حال الشباب
بين نشوان يهز الخصر جذلاً	يتتنى مثل ربات الحجاب
اتميلون بانغام السكاري	ويحيط القدس أبناء الكلاب
يا شباب اللهو ابن المجد منكم	وله ان صبح عزم الف باب

الموقف الذي وقفه تاشفين حفيد يوسف بن تاشمين في معركة البكار حيث أبى أن يفر من المعركة حتى بعدما فر جنده!!
لقد رأى مصير الأمة مرتبطاً به ماثلاً أمامه - لأنه القائد والرمز - فيما أن ينهزم فتسقط الأندلس وإما أن يثبت فلعل الله أن يثبت المسلمين وهذا ما كان.

وقال مقالة القائد المخلص المؤتمن (لا أسلم وأسلم الأمة)

سبحان الله !! هذا كلام رجل أحق به الأعداء من كل جانب وفتح له الموت بابه...

سبحان الله !! ما كان همه إلا حال الأمة يخاف أن تضيع من بعده...

وتلاشت معزة الروح والحياة أمام معزة الدين»،

سبحان الله ! لقد عرى موقفه العظيم مواقف قادة القصور والحسابات السرية الذين حسبوا على الأمة قادة، لا يشعرون بهم الأمة ولا يرون في شعوبهم إلا مجموعة عبيد لا تصلح لهم إلا العصا ولا يصلحون إلا للطاعة، هم أحدهم إشباع نزواته وإرضاء غروره ولتمت شعوبهم من بعد ذلك

إنما دنيائي نفسي فإذا تلفت نفسي فلا عاش أحد

مما يؤلم ويحزن القلب أن تنتهي دولة المرابطين بعث الصغار وتفريط الكبار بعد أن اشرقت شمسها وعلا ذكرها. وهذه آفة عامة لا تكاد تقوم دولة مسلمة على الحق والعدل والقوة وتكون محط آمال الناس حتى تبدأ بالذبول، ويفسد الأواخر ما أصلح الأوائل. ويضيع الأحفاد ما بنى الاجداد، وأقرأ ما يقوله الشاعر والمفكر الإسلامي محمد إقبال في ذلك (أنا أحكي لك قصة الفتوح وقصة الحكومات ورجالها في لفظ وجيز: انهم يبدؤون بالسيف والسلاح وينتهون إلى المزمار والعناء، تلك بدايتهم وهذه نهايتهم) صدق والله فهذا حقاً ما ابتليت به امتنا - ولا أقولها إلا لأنما لا مبرراً - فكلما جاء قائد أو مجدد وبني لنا عزاً أو مجداً جاء من بعده عابثون لاهون أضاعوا بفضلة ساعة جهد سنوات طوال. وما أسهل الهدم لكن ما أصعب البناء

إذا كنت بيبه وعيرت يهدم

منى يبلغ البنين يوماً بمامه

فكيف بيان خلفه الف هادم

هلو كان الف خلفهم هادم بكفى



صورة من الحياة الرغيدة في الأندلس



صفحة من القرآن الكريم من العهد الاندلسي



القرآن بالكتابة المغربية، العبر الملون والأصباغ

الباب الثالث

دويلات الطوائف وملوك المغرب



اولا - ابن تومرت ودعوة الموحدين

ثانيا - عبد المؤمن بن علي

ثالثا - يوسف بن عبد المؤمن ومعركة فحص الجلاب

رابعا - يعقوب المنصور بن يوسف ومعركة الارك

خامسا - محمد الناصر بن يعقوب ومعركة العقاب

سادسا - نهاية الموحدين

الفصل الثالث

عهد الموحدين

في فترة انشغال المرابطين بالجهاد في الأندلس، وانشغالهم بإدارة الدولة المرابطية المترامية الأطراف في المغرب حيث كانت دولتهم دولة جهاد ودعوة، وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن تحل وجهة سيرها من التقدم إلى الإدبار والانحلال، إذ وجدت نفسها أمام هزة تقوم على فورة دينية وثورة صغيرة يقوم بها فقيه مغمور وتضطرم هذه الفورة بسرعة مذهلة، فتحرق كل قوى المرابطين لتنتهي بعد صراع عنيف وتصير إلى الزوال.

دعوة الموحدين

هذه الفورة الدينية قام بها رجل، فأنشأ جماعة، تدعو إلى صفاء العقيدة، وتدعو إلى التوحيد الخالص من الشوائب، وترفض المذهبية والركون إلى التعصب المذهبي، وأظهرت شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعت إلى إحياء السنة، وشددت على محاربة البدع والضلالات، وكم يتدخل الشيطان بالداخل، فإن أي داع يرى أن جماعته فقط على الحق، وإن اتباع الحق يستوجب اتباع من يمثله، أي اتباعه هو، مع أنه لا يخلو هو من بعض الانحرافات، فقد ذكر ابن تيمية رحمه الله في عدة مواقع من فتاواه بعض انحرافات ابن تومرت وتخطيه لحدود الشرع في قتل المسلمين وإراقة الدماء وإدعاء العصمة، كما شهد له بطرف من الزهد والعبادة، لاقت دعوة ابن تومرت رواجاً بين الناس، والجماهير تتجمع من أجل مبادئ الدين حول قيادة تدعو إليها، ولقد كان العلماء هم القيادة، فلما غاب العلماء عن ساحة الواقع، وانحسروا في داخل الدروس، أو كمنوا داخل أنفسهم (كما سبق ذكره أثناء البحث عن سقوط الدولة المرابطية) برزت إلى الساحة الأفكار التي فيها الصواب والانحراف، وبرز ابن تومرت: فمن هو؟ وما هي جماعته؟ ومن هم الموحدون؟.



قصور السلاطين في اشبيلية

ابن تومرت

هو أبو عبد الله المهدي محمد بن تومرت: بربري الجنس، ينتسب إلى قبيلة "هرغة" من مصمودة التي تسكن منطقة السوس جنوب المغرب، واختلف في سنة ولادته، فيجعلها ابن خلكان سنة ٤٨٥هـ، بينما يذكرها القرطبي سنة ٤٧٠هـ، ولا نعرف بالتفصيل عن حياته الأولى في نشأته وصباه.

وهذا يدل على ما كان يكتنف الرجل من غموض يقابله غموض آخر في دعوته حيث ادعى في نهاية الأمر أنه المهدي المنتظر!!!.

أساتذة ابن تومرت

الطرطوشي

رحل ابن تومرت سنة ٥٠٠ هـ إلى المشرق الإسلامي لينهل العلم ويتلقى عن علمائه، فأخذ العلم عن عدد من العلماء منهم أبو بكر الطرطوشي: أبو بكر محمد بن الوليد، الأندلسي الطرطوشي، (عالم الإسكندرية، ولد ٤٥١ هـ في طرطوشة، وتوفي بالإسكندرية عام ٥٢٠ هـ قال عنه ابن بشكوال: كان إماماً عالمًا، زاهداً ورعاً، ديناً متواضعاً، متقشفاً متقللاً من الدنيا، راضياً باليسير).

الشاشي

وقرا على أبي بكر الشاشي (أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي) (الشاش: مدينة إسلامية قريبة من سمرقند)، ولد ٤٢٩ هـ ومات في ٥٠٧ هـ، وكان يسمى الجنيد لدينه وورعه وزهده).

ابن الطيوري

ودرس الحديث على المبارك بن عبد الجبار ابن الطيوري (ولد ٤١١ هـ ومات ٥٠٠ هـ، هو ثقة ثبت كثير الأصول، شهد له بالطلب والصدق والأمانة، وكثرة السماع، ولم يشتغل قط بغير الحديث، وحصل ما لم يحصله أحد من كتب التفاسير والقراءات واللغة، والمسانيد، والتواريخ، والعلل والأدبيات والشعر، كلها مسموعة، وكتب الحديث وهو ابن إحدى عشرة سنة).

الغزالي

وتذكر بعض الروايات أنه التقى بالغزالي وأخذ منه، وتنفي الروايات الأخرى لقاءه، كابن الأثير إذ يقول: والصحيح أن ابن تومرت لم يجتمع به (الغزالي) في معرض الحديث عنه، وكذلك ينفي ابن الخطيب اللقاء بالغزالي، ويبدو أنه كان قد تأثر بتماليم الغزالي وعلومه من خلال كتبه، والله أعلم.



مصباح زيتي أندلسي رائع

دعوة ابن تومرت

ولما أتم دراسته، ونال مراده من العلوم عاد إلى المغرب، فبدأ بدعوته في منطقة السوس، إلى التمسك بالدين وتطبيق أصوله من الكتاب والسنة، ورفض كل قول أو عمل لا يرتضيه الإسلام وذلك بتعبير المنكر أو إنكاره، والأمر بالمعروف، ورائده في ذلك قول الله تعالى: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» (آل عمران ١٠٤)، وقوله تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» (آل عمران ١١٠).

وأساس هذه الدعوة هو المبدأ الذي يدعو إلى الإصلاح الاجتماعي بين الناس، فالأصل أن كل إنسان مسؤول في المجتمع المسلم، وأن المسؤول الأول هو الحاكم، يأمر بالإحسان في حياة الفرد والمجتمع، وينكر الفساد بكل صورته وأشكاله.



نشر الدعوة

وانتقل ابن تومرت من بلد إلى آخر بل كان يخرج أحياناً غايباً في الرياسة والظهور، ولما رأى ثمرة دعوته قد نضجت، بدأ يشرح لطلابه واتباعه شأن المهدي المنتظر، ثم أعلن لهم أنه هو المهدي المنتظر، وقد أشار ابن القطان في نظم الجماعة في رسالة وجهها ابن تومرت إلى الفقيه القاضي علي بن أبي الحسن الجذامي يقول فيها بعد البسملة: أنا محمد بن عبد الله بن تومرت، وأنا مهدي آخر الزمان، فصار أتباعه وأنصاره يدعونه بالمهدي والإمام المعصوم، وسمي المهدي وأصحابه وأهل دعوته (بالموحدين)، فربط البربر بادعاء العصمة، وأقدم على الدماء إقدام الخوارج، وسيجد ما قدم أمام الله تعالى.

ابن تومرت يدعي العصمة
ويسمي نفسه بالمهدي

ومن العجيب أنه كتب لجماعته كتاباً باللغة البربرية سماه "المرشدة" تحدث فيه عن التوحيد لكنه انحرف في بعض مسائله عن مذهب أهل السنة، ومن ثم وضع كتاباً بالعربية يفتتحه بقوله: "أعز ما يُطلب"، فأصبحت هذه الجملة عنواناً لكتابه، نقله عنه تلميذه الأول عبد المؤمن بن علي، واتهم من خالف المرشدة بالتجسيم وأباح دمه، ودخل في الدماء لنيل الرياسة المردية.

كتبه

كان عبد المؤمن بن علي من أوائل الرجال الذين دخلوا في طاعة المهدي، واعتنقوا مبادئه والتزموا عقيدته، فلما توفي ابن تومرت عام ٥٢٤هـ أوصى بالأمر من بعده لعبد المؤمن.

وفاة ابن تومرت

ثانيا

عبد المؤمن بن علي

بربري الأصل من قبيلة "كومية" (بطن من بطون زناتة) وادعى أنه عربي النسب من قيس عيلان. ولد عام ٤٨٧هـ في قرية قرب تلمسان، ونشأ محباً للقراءة والدرس، وحضور مجالس القرآن الكريم، توسم فيه الخير شيخه ابن تومرت. ويعتبر هو المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين. إذ عهد إليه ابن تومرت بالأمر قبيل وفاته، أو اتفق عليه الموحدون بعد وفاته.

محرابة
المرابطين

قام لما أسند إليه الأمر بمحرابة المرابطين حوالي عشرة أعوام، وكانت حروبه منحصرة في جنوب المغرب. قرر عبد المؤمن بعد انتصارات له، وهزائم به -والحرب سجال- أن ينقل الصراع إلى قلب الدولة المرابطية. فاستطاع في عام ٥٤٠هـ اقتحام مدينة فاس. وكانت من أعظم مدن المرابطين، وبسط سيطرته عليها، وبعد عام واحد شدد قبضته بحصار مراكش عاصمة المرابطين، في محرم سنة ٥٤١هـ، وبعد حصار دام تسعة أشهر قطع الاتصالات بين المدينة المحاصرة وخارجها، وعانى سكانها الويلات، فنضبت المؤن، ومات العديد من الناس جوعاً، وهلكت الحيوانات. ومع ذلك دافع أهل المدينة عنها دفاعاً مستميتاً ومريراً، ثم تمكن الموحدون من اقتحام المدينة وأخذوا أهلها قتلاً ثلاثة أيام، وأسر كثيرين، وكان إبراهيم أمير المرابطين السابق الفتى الذي لم يجاوز السادسة عشرة من عمره من بين الأسرى، ولما أخذ إلى عبد المؤمن أشفق عليه، ورثا لمحتته وصغر سنه، ومال إلى العفو عنه، والإبقاء عليه بينما كان الأمير الصغير يتضرع إليه، والقائم عليه الوصي يؤنبه في ذلك.

تأثر عبد المؤمن من توسلات إبراهيم، فقال لأحد قواده يدعى أبا الحسن بن (واجاج): اترك هؤلاء الصبيان، ما الذي تعمل بهم؟ فصاح به أبو الحسن: ارتد علينا عبد المؤمن يريد أن يربي علينا فراخ السبوعة (يترك الأشبال ليكبروا ثم يفتكوا بنا) فغضب عبد المؤمن وغادر مكانه، فتابعه زعماء الموحدين إلا أبو الحسن الذي اقتاد الأمير ثم قتله وأثناء ذلك تمكن الوصي على إبراهيم أن يستل خنجراً ويهجم على أبي الحسن فيقتله، وقد كان حرياً بعبد المؤمن أن يمنع انتصاره عملياً من قتل الأمير الصغير، ولكنه قدر الله، وإن الملك لا يعرف الرحم، ولا رحم له.

في هذه الفترة العصيبة حين ترنحت الدولة المرابطية ومالت إلى السقوط، كانت بعض المناطق تابعة لها، وإن سقطت العاصمة فهناك ولاية في الشمال الإفريقي، وفي السودان وفي الأندلس، لكن كل على حاله، إذ لا أمير له من آل تاشفين، وقد سقطت العاصمة.

تفكك دولة
المرابطين

كذلك كان الضعف يسري في دولة الموحدين في بداية نشوئها وتطورها، والعدو في الشمال شمال الأندلس كان المستفيد الوحيد، إذ هزم المسلمين في المعركة الكبيرة: الملح والبسيط عام ٥٤٠هـ كما سبق ذكرها، وكانت ضربة كبيرة شديدة للمسلمين في شرق الأندلس.

الضعف في
الأندلس



التصارى يقتحمون المرية

أما في عام ٥٤٢هـ فقد تقدمت القوات النصرانية من شمال الأندلس يقودها ألفونسو السابع (السلطين) براً، وجاءت البحرية الإيطالية من جنوة والبندقية بحراً، حاصرت مدينة المرية في جنوب الأندلس، وكانت قاعدة بحرية للأسطول الأندلسي، وطال الحصار ولم يبق من المؤن شيء، وما أمدّها أحد بقوة من رجال أو أقوات من الطعام، ودام الحصار ثلاثة أشهر. تمكنت الجيوش المعتدية من اقتحام المدينة وأسرت عشرات الآلاف بعد أن استشهد الآلاف أيضاً، وكان من بين الشهداء القاضي أبو محمد عبد الله الرشاطي: ولد عام ٤٦٦هـ في أوريولة شرقي الأندلس ودرس على أعلام عصره منهم أبو علي الصدهي، ثم انتقل إلى المرية، ونبغ في الحديث والرواية والتاريخ والأنساب وكتب كتابه الشهير: اقتباس الأنوار والتماس الأزهار، في أنساب الصحابة ورواة الآثار.

وأخذت السبايا من النساء وبلغ عدد الأيكار منهن أربعة عشر ألفاً، لم هذا التهاون والضعف؟ لم تهاجم دولة المرابطين؟ كيف هوجمت وكانت من قبل تقلق مضاجع الأعداء؟



البحرية الإيطالية من جنوة والبندقية تحاصر مدينة المرية في جنوب الأندلس

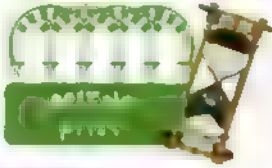
أدت هذه الأحوال المتردية إلى أن اتجهت الأندلس نحو الهاوية، فكان من ذلك أن ابن الرنك الذي كان قد استقل بالبرتغال غرباً أراد أن يوسع حدود مملكته على حساب بلاد المسلمين في الأندلس فرأى أن الحملات الصليبية على بلاد المشرق الإسلامي تتابع، فلم لا يستفيد هو من إحدى هذه الحملات، ولما كانت السفن الإنكليزية والألمانية والهولندية تحمل الرجال والعتاد إلى فلسطين ومساندة النصارى هناك، فانتهاز ابن الرنك هذه الفرصة، فأرسل يستنجد بها أن توجه الأساطيل لمناصرتة في الأندلس وهي أقرب، فطلب إليهم النصرة والممدد.

البرتغال تستعين
بالحملات
الصليبية على
القدس



تساقط المدن
الإسلامية

توجه الأسطولان الإنكليزي والألماني لمساندة ابن الرنك، وحاصروا عاصمة الغرب "لشبونة" واقتحموها، ثم توجهوا إلى مدينة قريبة أخرى هي "شنترين" وذلك في سنة ٥٤٢هـ أي بعد عام واحد من سقوط الدولة المرابطية، تمزقت الأرض الإسلامية في الأندلس، وسقطت مدينة تلو أخرى، وكان عهد الطوائف قد عاد كرة أخرى، حيث سقطت منطقة المرية ومنطقة الغرب، والوسط والشمال في الأندلس ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



سقوط طرطوشة

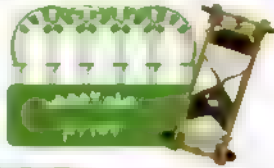
وأثناء هذه الحوادث التي كانت فرصة للنصارى، تمكن القشتاليون من أن يسقطوا طرطوشة في شمال شرق الأندلس، وإن كان أهلها قد دافعوا عنها دفاعاً جيداً، إلا أن الحصار الذي ضرب على المدينة براً وبحراً والذي دام أربعين يوماً أجبرهم على الاستسلام، وذلك في عام ٥٤٣هـ.

الموحدون يخلفون المرابطين

استجاب عبد المؤمن استغاثة الأندلسيين، فأرسل جيشاً قليل العدد إلى الأندلس، ومهمته الأولى بسط سيطرة الموحيدين على ما بقي من مناطق بيد المرابطين، وبعد مناوئات جرت في كل المناطق التي كانت بيد المرابطين بين هؤلاء والموحيدين، تمكن الموحدون من إخضاعها، وأعلن بعضها انضمامها معهم.

وقد الأندلس إلى الموحيدين

حين سقطت دولة المرابطين في المغرب، وألت مراكزهم إلى الضعف في الأندلس، جاءت الوفود الأندلسية إلى عبد المؤمن تسأله العون والمدد، وكان من أعظم الوفود وأجلها وفد كبير يضم مجموعة من علماء إشبيلية يرأسه القاضي أبو بكر بن العربي ليسأل ولاءه لعبيد المؤمن ولبإيعته عام ٥٤٢هـ، ويسأله النجدة، والعون والمدد.



انقسام دولة النصارى

ولما سيطر الموحدون على ما بقي للمسلمين في الأندلس استطاعوا أن يوقفوا المد الذي قام به ملوك النصارى، فقد توفي ألفونسو السابع "السليطين" عام ٥٥٢هـ، وقسم ولداه مملكته إلى شطرين: ١- مملكة ليون شمال غرب الأندلس وحكمها فرناندو. ٢- مملكة قشتالة: الشمال والوسط، وحكمها شانجة ابن ألفونسو السابع، وتوفي بعد عام وخلفه ابنه ألفونسو الثامن.

ضاع ثلثا
الأندلس، ولم
يبق للمسلمين
إلا الثلث الذي
تمكن منه
الموحدون في
هذه الفترة،
حيث تم
دخولهم إلى
الأندلس.



ضياع ثلثي الأندلس

ثم سقطت مدينة "لاردة" في شمال الشرق أيضاً، وبهذا السقوط تم للنصارى استرداد شمال الأندلس كله، وكذلك المغرب، وجزء من الشرق والوسط، ولم يبق للمسلمين إلا مناطق محدودة جداً في الجنوب والجنوب الشرقي.

ولما استقر الامر للموحدين، وكانوا يتوقون إلى استعادة المرية العاصمة البحرية للمسلمين، شعروا أن الفرصة قد سنحت لتحقيق غايتهم، فقاموا بحملات استطلاعية وصلت إلى أسوارها، وقتلت من النصارى، وغنمت وأسرت، وعلمت أن الحالة في المدينة مهيأة لاستعادتها. فقام والي غرناطة الموحيدي السيد أبو سعيد بالتوجه إلى المرية بجيش ضخم من الموحدين، ومعهم قوة أندلسية من البر، بينما قام أسطول الموحدين بضرب الحصار البحري، وشدد الحصار براً وبحراً. ولم تستطع قوة النصارى التي تقدمت بقيادة السليطيين من فك الحصار حيث قدرت باثني عشر ألف فارس، ويساندها حليفها ابن مردنيش أمير شرق الأندلس في ستة آلاف من المسلمين.



معركة المرية

مشاركة هذا الخائن في هذا الموقف ليحارب إلى جانب السليطيين أبناء دينه المسلمين، ووطنه الأندلسيين، من أسوأ ما يذكر في هذا التاريخ ذي الشجون.

واستمر حصار الموحدين سبعة أشهر، مما اضطر النصارى إلى طلب التسليم على الأمان، فدخل الموحدون المرية في أواخر سنة ٥٥٢هـ، وعاد الشعر إلى أهله بعد أن بقي تحت احتلال النصارى عشر سنوات. وبدأت الأمور تبشر بخير، وكان الموحدون يوطدون أركان دولتهم في المغرب وشمال إفريقيا والأندلس إلى عام ٥٥٥هـ.



طلعات استطلاعية على قلعة المرية



جبل الفتح (طارق)

أمر عبد المؤمن في هذا العام ببناء مدينة "جزيرة" في جبل طارق، واستمر العمل شهوراً وبسرعة لإنجاز مشروعه، فبنيت المدينة وبها جامع، وقصر له، ودور لأبنائه وحاشيته، وزينت بالحدائق وجلبت المياه إليها، كما جدد الحصن والأسوار، فسميت بأمر عبد المؤمن "جبل الفتح"، أو مدينة الفتح، ولما كملت المدينة، سار عبد المؤمن من مراكش إلى سبتة في جموع ضخمة، ثم عبر منها إلى شبه الجزيرة الأندلسية في دي القعدة سنة ٥٥٥هـ. وكان في استقباله ابنه وجمع غفير من الناس يتقدمهم القصة والعلماء والشعراء. وكان يوماً مشهوداً أقيمت فيه الكلمات والخطب وأشد الشعراء قصائدهم، وكان من بينهم شاعر هو أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي لم يكن معروفاً من قبل فالتقى قصيدة حين جاء دوره بين يدي عبد المؤمن لمتت الأنظار إليها وإلى الشاعر بروعتها، ومنها:

تكلم فقد أصغى إلى قولك الدهر	وما لسواك اليوم نهي ولا أمر
ورم كل ما قد شنته فهو كائن	وحاول فلا برياض ولا بحر
وحسبك هذا البحر فلا فإنه	يقبل تربا داسه جيشك القمر
وما صوته إلا السلام مردد	عليك وعن بشر بقريك يغتر
بجيش لكي يلقي أمامك من غدا	يعاند أمرا لا يقوم له أمر
أطل على أرض الجزيرة سعداً	وحدد فيها ذلك الخبر الخبر
فما طارقاً (*) إلا لذلك مطرق	ولا بن نصيراً ثم يكن ذلك النصر
هما مهداها كي تحل بأرضها	كما حل عند التم بالهالة البدر

فلقيت إعجاباً من عبد المؤمن والحاضرين، فأسند إلى الشاعر مكانة مهمة في ديوانه، على أن الشاعر شطح في آخر قصيدته فرفع عبد المؤمن فوق طارق بن زياد وموسى بن نصير وجعلهما كالجند عنده.

(♦) طارق بن زياد.



سقوط أبي دانس

وسقطت مدينة "أبي دانس" التي كانت ثغراً مهماً للمسلمين في الغرب بيد "ابن الرنك" ملك البرتغال عام ٥٥٥هـ، ويقع هذا الحصن جنوب شرق مدينة لشبونة.

قرطبة العاصمة

وأمر كذلك بنقل عاصمة الأندلس من إشبيلية إلى قرطبة التي استردت أهميتها ومكانتها وعافيتها القديمة، ثم عاد عبد المؤمن إلى عاصمته مراكش.

تحصين غرناطة

أمضى عبد المؤمن شهرين في مدينة الفتح، وأمر أن يهتم المسلمون بمدينة غرناطة وجعلها قاعدة ومركزاً للدفاع الرئيسي في جنوب الأندلس.

أضى عبد المؤمن سنوات قليلة في مراكش، وعزم على العبور إلى منطقة الأندلس ليدير شؤونها، فخرج من العاصمة بجيش عظيم كثير العدد من الموحدين والبربر والأعراب حتى وصل إلى مدينة "سلا" مدينة رباط الفتح على الطرف الإفريقي من المضيق، فأصابه المرض الذي لازمه أياماً، ولم يدم به إذ توفي عام ٥٥٨هـ بعد أن دام حكمه ثلاثاً وثلاثين سنة وأشهرًا، وتولى من بعده ابنه يوسف إذ كان قد عهد إليه من بين أبنائه العشرة، إذ جاء من قرطبة، ثم حمل جثمانه إلى "يتنمل" فذهن إلى جانب شيخه وإمامه ابن تومرت حسب وصيته.



وفاة عبد المؤمن

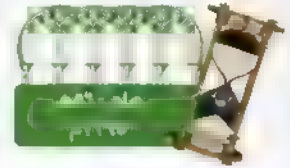
صفات عبد المؤمن

كان عبد المؤمن حازماً سديد الرأي، حسن السياسة، يعالج الأمور بالذكاء والقطنة، فآلف بين القبائل المتناحرة، ووطد أركان دولة الموحدين، وأزال دولة المرابطين، وبقي متمسكاً بعلومه من علوم الدين، كثير التلاوة والخشوع، ومع هذا كان يتسم بالقسوة وسفك الدماء.

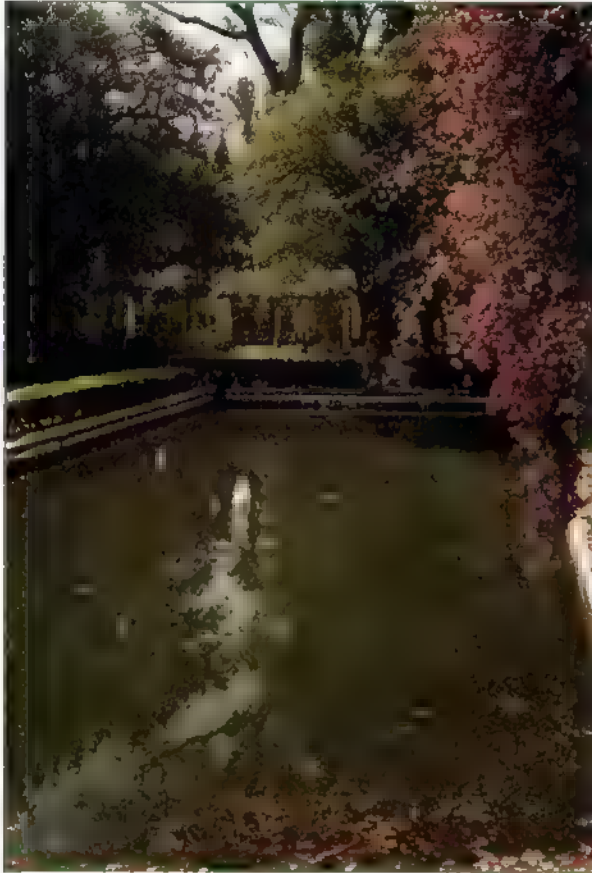
وأثنى عليه المؤرخون فقال عنه الحافظ الذهبي: إنه كان عادلاً سائساً عظيم الهيبة، عالي الهمة، كثير المحاسن، مستين الديانة، قليل المثل، يصوم يوم الاثنين والخميس، ويهتم بالجهاد والنظر في الأمور، كأنما خلق للملك، رحمه الله.



مجمع للمياه داخل أحد القصور يعكس جمال وتناغم الفن الأندلسي



الصراع مع الإخائن ابن مردنيش



بحيرة رائعة داخل أحد القصور

أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بويع له وكان عمره في الخامسة والعشرين، وتلقب بالأمير إلى أن اكتملت له البيعة عام ٥٦٠هـ. فلقب بأمير المؤمنين، صرف الجيوش التي كانت مجتمعة للجهاد مع والده، وعاد إلى مراكش، وكان حاجبه أخوه أبو حمص، وكان أول عمل بادر إليه هو محاربة ابن مردنيش في إمارته، وكان ابن مردنيش يكرر هجماته على بطليوس وقرطبة، فأرسل جيشاً يقوده أخوه أبو حمص بن عبد المؤمن من مراكش، وعبر البحر، ووصل هذا الجيش إلى إشبيلية في ذي القعدة سنة ٥٦٠هـ، وسار من بعد نحو الشمال الشرقي حتى وصل إلى حدود إمارة ابن مردنيش واستولى على عدد من معاقله، ثم اتجه أبو حمص مع جنده حتى وصل مشارف "لورقة" على الطريق إلى مرسية.

معركة فحص الجلاب

كان ابن مردنيش قد حشد قواته وفيهم عدد كبير من مرتزقة النصارى ليصعد الموحدين الذين غيروا وجهتهم قبل "لورقة" ووصلوا إلى فحص مرسية على بعد اثني عشر كيلومتراً جنوب المدينة يعرف باسم (فحص الجلاب). فالتقى الفريقان هناك، وتعاهد الموحدون على الثبات والصبر، والاستشهاد في سبيل الله، ونشبت بين الجيشين معركة هائلة ثم رجحت كفة الموحدين، وهزم ابن مردنيش في فلول قواته إلى مرسية ليلاً، وتحصن بأسوارها، وكانت هذه الهزيمة من أقسى الضربات التي أصابته، وكانت بداية انحسار إمارته وثورته. واتجه اهتمام الموحدين بعد معركة فحص الجلاب لتنظيم حكم الأندلس، وضبط أحوال الناس ونشر العدل ورفع الظلم، وألا يعدم أحد إلا بعد إدانة صريحة وبيان وافٍ، وأن يأخذ القضاء منتهى الحذر من ظلم أحد أو حيف يقع على أحد، وكذلك وضعوا حاميات متعددة في الأماكن التي أخذت من إمارة ابن مردنيش. وبينهم وبين مملكة البرتغال حوادث تكاد تكون متواصلة ولكن دون حسم يذكر لأحد الفرقاء.

نهاية ابن مردنيش

أنشأ ابن مردنيش بعد معركة فحص الجلاب علاقات ودية متينة بينه وبين الفونسو الثامن ملك قشتالة، ولذلك كانت توجد قوة ضخمة العدد من الجند النصراني في بلنسية يعيثون، ويزعجون ويظلمون، مما جعل المسلمين يخرجون منها إلى الأطراف، وزاد شعور الكره على ابن مردنيش في هذه السنوات.

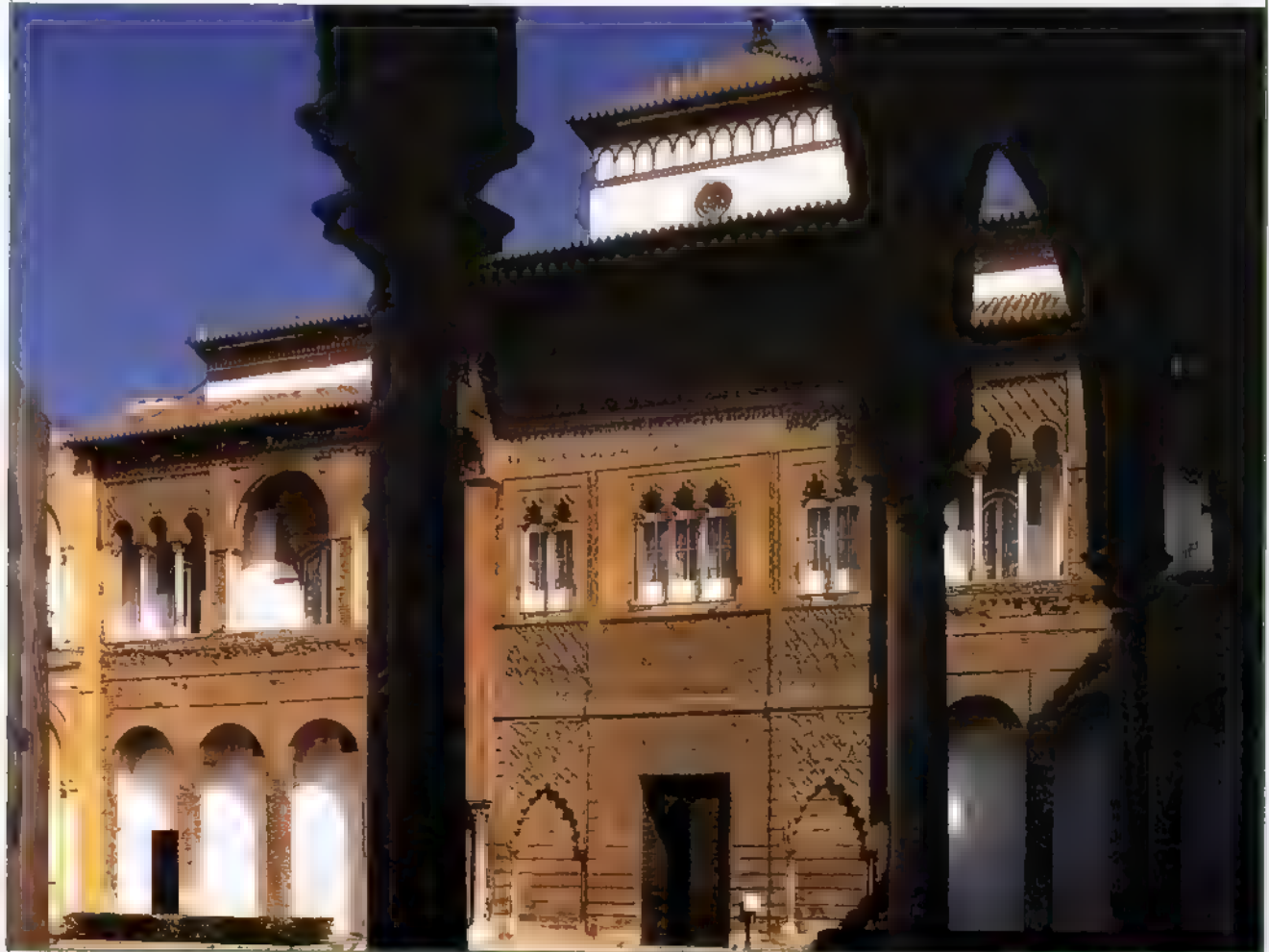
وزاد موقفه ضعفاً خروج بعض قادته عليه والتحاقهم بالموحدين، وكان ممن خرج عليه صهره أبو امراته "ابن همشك"، وكذلك صهره يوسف بن هلال وزوج أخته، وكان ابن مردنيش ينتقم بصورة وحشية إذا تمكن من مخالفيه، فقد فحأ عيني صهره ابن هلال لما أسرته بعض سراياه، ولما غضب على وزيره هدم عليهما الحائط، أما إذا لم يتمكن منهم فينتقم من أقاربه، فقد أمر بقتل أخته وابنته انتقاماً من ابن عم له يدعى محمد بن مردنيش المعروف بصاحب البسيط.

واختل عقل ابن مردنيش وفقد صوابه، ولم تعد ترتاح نفسه إلا برؤية الدماء. وأحس بالظن السيئ لكل إنسان حتى من أقرب المقرين إليه.

ولما قدم يوسف بن عبد المؤمن إلى الأندلس عام ٥٦٦هـ وكان سبب تأخره لهذا العام مرض ألم به، فلما شفي جاء للقيام بأعمال جهادية. ولمقاومة التمدد النصراني من الشمال والغرب، أيقن ابن مردنيش أن نهايته قد اقتربت، وتوقع أن تكون هذه النهاية مرعبة ورهيبة، كما تدين تدان، فرفض أن يفكر بالاستسلام ولو مجرد تفكير إذ يعلم ما قدمت يداها، ثم طار صوابه نهائياً حين انصم أخوه يوسف بن سعيد بن مردنيش إلى الموحدين، جاءه الموت ينقذه من أن يقع بين يدي أعدائه، وكان ذلك في رجب سنة ٥٦٧هـ، فأعلن ابنه هلال الخضوع لأمير المؤمنين أبي يعقوب، وانتهت هذه الإمارة التي دامت أكثر من عشرين عاماً أقضت مضاجع المسلمين في الأندلس.



وفاة ابن مردنيش



قصر مبنى في عصر الموحدين



أقام أبو يعقوب في الأندلس
خمس سنوات، وقام بعدة
محاولات حربية لدعم الوجود
الموحدي لم تثمر بشيء يذكر، كما
هاجمهم ملوك إسبانية
النصرانية عدة مرات، وكان
الموحدون يردونها، وقام بأعمال
عمرانية جليلة منها بناء قنطرة
عظيمة على نهر الوادي الكبير
تصل ما بين إشبيلية وطرطونة،
وكذلك أمر بإنشاء الجامع
الأعظم في إشبيلية إذ استقر
فيها حوالي خمس سنوات، ثم عاد
الخليفة إلى المغرب عام ٥٧١هـ.



أعمال يوسف في الأندلس

كتاب عن طب الاعشاب وقد دونه وعمل به المسلمون في
الأندلس قبل أوروبا بعدة قرون

وقد نقض فرناندو العهد، وأغار على بلاد
المسلمين في الأندلس، مما جعل ابن عبد
المؤمن ينتقل مرة أخرى إلى الأندلس، لمتابعة القتال ليس على جهة حاكم ليون في شمال الغرب فحسب ،
لقد انقلب الوضع إلى أحداث خطيرة، فكان على الموحدين أن يقاتلوا على ثلاث جبهات: جبهة مملكة ليون،
وجبهة مملكة البرتغال، وجبهة مملكة قشتالة. وذلك في عام ٥٨٠هـ، لقد كانت الحرب ضروساً مع كل
الجبهات، وبخاصة على جبهة مملكة قشتالة وملكمهم ألفونسو الثامن.

المواجهة مع التصاري

اتجه أمير المؤمنين بجيشه نحو مدينة شنترين وهي من أهم المدن التي تقع في غرب الأندلس شمال
شرق لشبونة على بعد خمسين كيلومتراً منها، وكانت قد سقطت بيد البرتغاليين سنة ٥٤٢هـ، فأحكم
الموحدون الحصار عليها، وكان البرتغاليون قد أعدوا إعداداً قوياً ومتيناً للدفاع عنها، فجرت عدة
معارك عنيفة بين الموحدين وحاميتها، واستطاع الموحدون أن يحتلوا ريفها ومزارعها، ثم حاولوا
اقتحامها عدة مرات، وقدموا خسائر كثيرة وشهداء، ولكن دفاع البرتغاليين منعهم من تحقيق هدفهم،
واستمر القتال أياماً دون أن يستطيع الموحدون إنهاء المعركة لصالحهم، وإذا بأمر من أمير المؤمنين في
اليوم السادس:



معركة شنترين

المفاجأة

مفاجأة مذهلة، وأمر غريب وشأن عجيب: أمر الخليفة أبو يعقوب بالكف عن القتال وترك الهجوم، ثم تلاه بأمر آخر بتغيير مكان تجمع الجيش وقواته من طرف إلى جهة أخرى من المدينة (وياً للعجب!)

ما الذي حدث؟ ولم ترك الهجوم؟ ولم هذا التحول؟
مع أن هذا الجيش يزيد على مائة ألف كما ذكره المؤرخون، حتى قال أحدهم وكان في الحملة ذاتها: (فتعجب الناس من هذا الرأي في الانتقال والارتحال وتعطلت في النفوس جميع الآمال، وظهر الخلل في جميع الأحوال).

تلك التساؤلات السابقة لم تجد جواباً شافياً! وما تزال من خفايا التاريخ، ولم انسحب هذا الجيش اللجب بعد أن كادت شنترين تسقط.

الانسحاب

وانسحب معظم الجيش ليلاً بالضجيج والهرج، وعلا الصياح حول المدينة وابتعدوا عنها متوجهين نحو الداخل، وابن عبيد المؤمن لا يدري من ذلك شيئاً، فلما أصبح الصباح وجدت حامية شنترين من النصاري الخليفة وحوله قلة من الجيش والحرس، فهجمت هجمة شرسة وبشدة، واستطاعت أن تصل إلى مقره وتجرحه جرحاً بليفاً، إلا أن مؤخرة الجيش الموحد تمكنت من ردها على أديارها.



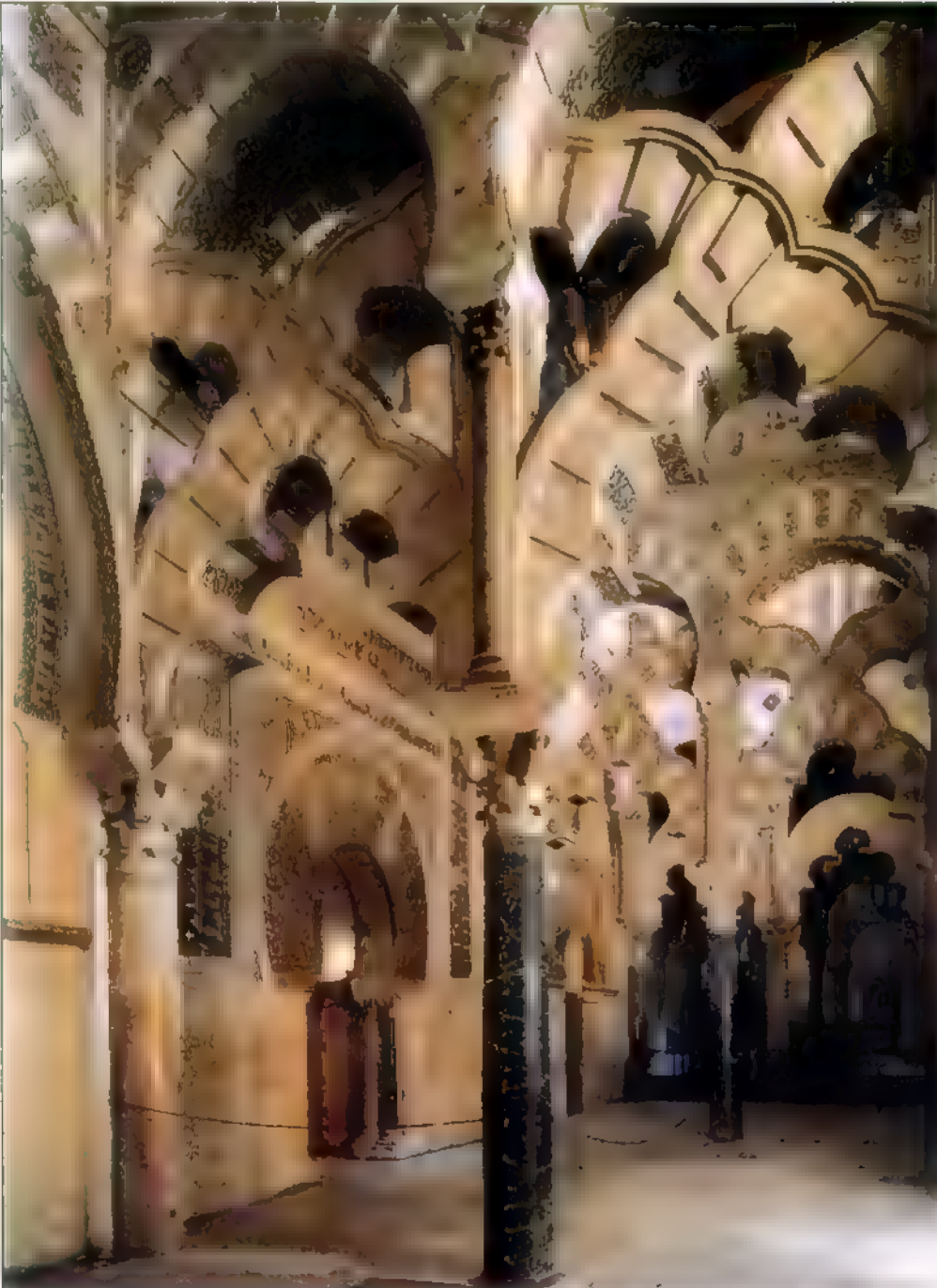
حامية شنترين من النصاري هي هجمة شرسة على مقر الخليفة



وفاة الأمير

حمل أمير المؤمنين على محفة وهو جريح مريض، يشرف عليه الأطباء منهم ابن زهر وابن طفيل، وتم عبور نهر التاج، وبعد مدة وجيزة توفي متأثراً بجراحه في شهر ربيع الآخر عام ٥٨٠هـ، وذكر عنه معاصروه.

كان رحمه الله فاضلاً عادلاً، مستظهيراً للقرآن، عالماً بالحديث، وكان أعرف الناس كيف تكلمت العرب، وأحفظهم بأيامها ومآثرها، وكان يحب العمران ومشاريعه، وكان أجل شيء عرف به هو حبه للجهاد، وقد مات في طريقه.



المسجد الكبير في قرطبة، ويبدو منظر الجدران وأعمدته والأقواس المتشابكة في منظر هندسي رائع ليبدل على مدى الوعي الفني

الفيلسوف
اليهودي العربي
موسى بن ميمون

في هذه الفترة لمع نجم الفيلسوف اليهودي العربي أبو عمران موسى بن ميمون واسمه العبري موشيه بن ميمون وكان لقبه المختصر عند اليهود (رامبام) كما عرف عند الغرب باسم موسى مايونيديس والعلماء يختصرون اسمه (مويسيس).
تأثر فكره بأراء ابن المارابي الفلسفية بل إن البعض يجعله ناقلا لأراء ابن الفارابي.

كما أنه كان بارعا في الطب حيث استفاد الغرب منه كثيرا وكذلك العرب والمسلمون.
ولد ابن ميمون في قرطبة عام ٥٢٩ هـ الموافق ١١٣٥ م وعاش بها في الحي اليهودي هناك حيث استمد كغيره من الحرية والمساواة التي انتشرت في ظل الحكم الإسلامي للأندلس، ونشر آراءه في الفلسفة والطب واشتهر بهما. لكنه تعرض لضغوطات في ظل حكم الموحدين جعلته يفادر الأندلس إلى مدينة فاس المغربية، لكن بعض الروايات تقول إن هجرته إلى المغرب كانت بطلب من أمير الموحدين الذي كان يدني العلماء حتى يكونوا قريبين من دار الخلافة، ثم بعد ذلك توجه إلى مصر حيث أصبح الطبيب الخاص للمقائد العظيم صلاح الدين الأيوبي، وقد توفي ابن ميمون في القاهرة سنة ٦٠٠ هـ الموافق ١٢٠٤ م.



اشتهر ابن ميمون في هذه الفترة التي كانت عصرا ذهبيا بالنسبة لليهود والتي ضمنها لهم العدل الإسلامي ولكن السؤال: كيف كانت معاملة اليهود للمسلمين حين احتلوا فلسطين؟

معرض عن
الفيلسوف ابن
ميمون

أقام المتحف اليهودي في فرانكفورت معرضاً صغيراً عن حياة ابن ميمون وأعماله بمناسبة الذكرى الثمانمائة لوفاته، وذلك في معرض الكتاب في فرانكفورت لعام ٢٠٠٤، وقد أظهرت فيه يهودية ابن ميمون وطُمست استفادته من ذلك العصر الإسلامي، الذي كان نقلة عظيمة في تاريخ الحضارة الغربية خصوصاً والعالمية عموماً.



رسم نقريسي
للفيلسوف العربي
اليهودي موسى بن
ميمون



معبد يهودي في الاندلس في فترة
تواجد المسلمين فيها مما يدل على
سماحة وعدل الاسلام مع الديانات
الآخري

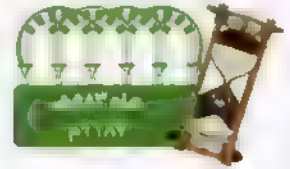


قصر اندلسي في اشبيلية

بعد وفاة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، بويع لولي عهده وأكبر أبنائه أبي يوسف يعقوب الذي لقب بالمنصور في إشبيلية ثم في المغرب إد رحل إلى مراكش، كان في الخامسة والعشرين من عمره لما بويع، فبدأ حياته بعد توليه إمارة المؤمنين بتوزيع المال على المحتاجين، وبسط العدل، ورد المظالم، واتخذ لنفسه مجلساً يجلس فيه للاستماع إلى المتظلمين، وبني ضاحية له ولحاشيته قرب العاصمة مراكش سميت الصالحة.

ويموت في هذه الفترة ٥٨١هـ ابن الرنك ملك البرتغال ويأتي ابنه شانجة من بعده، وكذلك حدثت أمور عظيمة في المشرق الإسلامي حيث تمكن صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ أن يسترد بيت المقدس بالمجاهدين بعد أن رزحت ٩٠ عاماً في الأسر، ونرجو الله سائلين أن يعيد إلى المسلمين فلسطين وبيت المقدس والمسجد الأقصى برجال مثل أولئك ويقاوند مثله في هذا العصر.

صلاح الدين
واسترجاع
بيت المقدس



المسجد الأقصى والقدس الشريف





عبور الأمير

كما وصلت غارات مملكة قشتالة على حدود مدينة إشبيلية، فبدأ يعد الجنود والمؤن، واعتمد على المتطوعة فقط، وحين تجمعت الحشود وهو يتكفل لها بتوفير العتاد والسلاح والمؤن خرج من العاصمة مراكش متوجهاً إلى رباط المضيق على المضيق، وعبر المضيق بقواته في أواخر ٥٨٦هـ، ووصل إلى قرطبة واجتمع بالقوات الموحدية وسائير المتطوعين والمجاهدين من الأندلس.

ووقعت أحداث في المغرب بين الموحدين والثائرين عليهم من بقايا المرابطين في الجزر الشرقية والشاطئ الشمالي المجاور للشمال الإفريقي كآسرة ابن غانية، وكذلك بعض الحكام الذين ادعوا أنهم من قبل الخليفة العباسي في بغداد، وكذلك من بعض أقارب المنصور كعمه وأخيه، آخرت هذه الأحداث اهتمام أمير المؤمنين بالأندلس إلى سنة ٥٨٥هـ، وما كاد المنصور يتقلب على تلك الاضطرابات ويستقر في عاصمة ملكه، وبعد أن اطمأن إلى بسط السيطرة كاملة على أرجاء مملكته حتى بدأ يهتم بأمور الأندلس، كانت الأخبار التي جاءت من الأندلس تدعو أن يبادر المنصور ليهتم بها، وتأخذ من تدبيره حيزاً كاملاً لتفادي وقوع المزيد منها، فقد زاد عدوان البرتغاليين من جهة على مناطق جنوب غرب الأندلس، وانتهى بالاستيلاء على مدينة شلب وذلك بمساعدة السفن الصليبية التي بلغ عددها أربعين سفينة. وضرب على المدينة الحصار، وثبتت بقوة، ولما قطعوا المياه عنها طلب أهلها التسليم، فدخلها البرتغاليون والصليبيون بعد حصار دام ثلاثة أشهر، فخرجوا في أنفسهم فقط مع أن الصليبيين طلبوا إبادتهم.



اضطرابات في حكم

الموحدين

أداتان جراحيتان
طبيبتان تدلان على
التطور العلمي
للمسلمين في الأندلس

حصار شلب

واتجه بها جميعاً نحو مدينة شلب فحاصرها وشدد الحصار عليها وعلى حصن قريب منها يدعى طومار، وقام بأعمال عسكرية، لكنه رأى أن يفك الحصار ويعود إلى إشبيلية ليعيد الكرة، وقد شدد بالأوامر الصارمة على عملية الانسحاب مستفيداً من عملية الانسحاب الفاشل من سنتين زمن والده.

وأثناء وجوده في قرطبة جاءت رسل من ملك قشتالة لعقد الهدنة معه والتحالف على قتال النصارى غيرهم، فرأى في ذلك مصلحة للمسلمين، فعقد الهدنة معهم لمدة خمس سنوات، وكذلك عقد مع ملك ليون الهدنة إذ طلب إليه الأخير ذلك.

الهدنة مع
النصارى

ولما اكتملت استعداداته خرج من إشبيلية سنة ٥٨٧هـ متوجهاً نحو الشمال الغربي للأندلس، وضرب الحصار على قصر أبي دانس، وحاولت قواته اقتحام الأسوار إلا أن البرتغاليين أمطروهم بالنبال والحجارة، لذلك أوقف المنصور القتال ثلاثة أيام للاستعداد بهجوم أقوى، وجاءت سفنه من النهر فحاصرت المدينة، وأمر الخليفة بالهجوم الذي وصل إلى ذروته، فطلب أهلها الأمان، فدخلها الجيش الموحد.



فتح أبي دانس

الاهتمام
بالناس

ونظر في شؤون الناس، وحارب المنكرات، ودقق في سجلات الموقوفين فأطلق سراح من يستحق ذلك، وأعدم من حكم عليه بحق، ولكنه لم ينس تحقيق هدفه وهو استرداد شلب، وضرب قوة البرتغال وإيقاف خطرهما.

ثم سار الموحدون نحو الجنوب تجاه مدينة شلب فحاصروها حصاراً محكماً، ونصبوا المجانيق وأمطروها ببوابل من الحجارة ليلاً ونهاراً، وكان حراسها نائمين فتسلق بعض الجنود الأسوار ونصبوا الرايات وكبروا، فلما أصبح الصباح كانت المدينة مستسلمة، وعادت إلى المسلمين بعد سقوطها بعامين، وبعد أن أمضى المنصور أياماً يستريح فيها عاد إلى إشبيلية، وبقي فيها حوالي شهرين يقف على ما تابع من قبل في إدارة الأندلس. وتنظيم الإدارة والجيش والثغور، ثم عاد إلى المغرب "مراكش العاصمة" في رمضان ٥٨٧هـ.



فتح شلب

لكن قدوم ولاية الأندلس عليه وهو في رباط الفتح عام ٥٩٠هـ، وبيانهم له أن القونسو الثامن ملك قشتالة قد أصبح في حل من عهده، وأنه بدأ يرسل الغارات والسرايا التي تعيث فساداً في بلاد المسلمين حتى إنها وصلت إلى أطراف إشبيلية، شغله عن المتمردين ورأى أنه من الأولى به أن يتوجه إلى الأندلس.



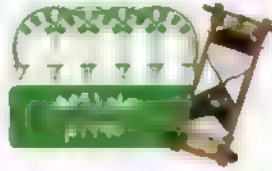
خيانة النصارى

مكث المنصور في مراكش عدة سنوات، مرض وعوفي ثم أخذ البيعة لابنه أبي عبد الله الناصر وكان عمره عشر سنين، واهتم بعمران ضاحية رباط الفتح التي سميت بالمهدية، وكان يحب البناء والعمران، ويستكمل الاستعداد الدائم لمجابهة الحوادث التي ظهرت في إفريقية وفي طرابلس وغيرها تتمرد على حكم الموحدين، فقرر أن يتوجه إليها لتهدئة الأحوال المضطربة، ولإعادة السلام والأمن، ولبسط سيطرة الموحدين.

إقرار الأمور
في المغرب

عبور الأمير

فعبرت قواته
والمطوعون،
ومنهم العلماء
والفقهاء في سنة
٥٩١هـ، ثم عبر هو
المضيق ونزل
"طريف"، ثم إلى
إشبيلية.



معركة الأرك

لما وصلت إلى الفونسو الثامن (ملك قشتالة) أخبار تقدم الجيوش الموحدية نحو إشبيلية فقرطبة حشد الجيوش، وأرسل يطلب إلى النصارى "ليون، والبرتغال" مساعدات ومدداً، وأرسل إلى البابا الذي أعلن الففران ودخول الجنة لكل من يبادر ويتطوع مع الفونسو الثامن، فاجتمع حوله من نصارى أوربة الكثير، وكان واضحاً من نصره على الموحدين، فبادر حيث نزل بحصن أنشأه من قبل في منطقة تدعى "الأرك"، وانتظر لقاء الموحدين هناك على حدود مملكته، وتوجه الموحدون نحو المنطقة، وعندما نزلوا قريباً منها، حدثت اشتباكات بين قوات الاستطلاع من الطرفين، وكان المسلمون هم المنتصرون غالباً، وكان المنصور يأخذ آراء القادة ومشايخ القبائل، وأصحاب الرأي فأشار عليه أبو عبد الله من صناديد قاداته برأيه وخلاصته:

مناوشات معركة الأرك



خطة المعركة

أنه يجب أن تبدأ المعركة باشتباك أهل الأندلس والمطوعين، وكذلك القوات التي أتت من المغرب والمطوعين، وأن يبقى الخليفة في المؤخرة معه جيوش الموحدين في موضع مستور، فإن أسفرت النتيجة عن انتصار المسلمين فيها، وإن أسفرت عن هزيمتهم، فعندئذ يبادر الخليفة في قواته إلى لقاء العدو وليحمي ظهور المسلمين، ويكون العدو عندئذ قد خبت قواه، فيكون النصر للمسلمين، وأعجب الخليفة بهذا الرأي وقرر أن يجري المعركة به.

معركة الأرك لا تقل أهمية عن معركة حطين بنتائجها وحوادثها، يجهلها كثير من المسلمين. فمن ينتصر؟ جيش المنصور مائتا ألف ما بين فارس وراجل.

جيش الفونسو الثامن مائتا ألف راجل وخمسة وعشرون ألف فارس.

هالجيوشان متكافئان ويلتقيان في وسط الأندلس. فلن النصر؟

التجار اليهود

ومن عجيب ما رواه المؤرخون أن تجاراً من اليهود صحبوا ألفونسو الثامن وجيشه وكانوا على يقين أنه هو المنتصر، وجاؤوا بالأموال اللازمة لشراء أسرى المسلمين، ومثلهم كمثّل جوارح الطير، إذ يمدح النافذة ملكاً جاهلياً (عمرو بن حارث الغساني):

إذا ما غزا بالجيش حلق فوقه
عصائب طير تهتدي بعصائب
جوانح قد ايقن أن قبيله
إذا ما التقى الجيشان أول غائب

ثم هو الغرور غرور الطاغية واعوانه كما كان في غزوة الزلاقة.



تاجر يهودي في الاندلس

صورة من داخل الكنيس
اليهودي في الاندلس

دعاء الصالحين

ولما تقابل الجيشان، ساءت بعض النفوس، وظننت بعض الظنون لأنهم يرون للمرة الأولى جيشاً للعدو بهذا العدد الكبير، وكتلته الضخمة:

تجمع فيه كل فن وأمة فما يفهم الحداث إلا التراجع

فاتجه هؤلاء يطلبون ممن يظنون بهم الصلاح، ويتوسمون فيهم الخير أن يدعوا بالنصر للمسلمين، وأن يجاروا إلى الله ليعز جيشه، ويهزم هؤلاء وحده، وكان المنصور يتضرع إلى الله، وقد بلغ القائد أن يقول للجند: إنه يقول لكم اغضروا لأمر المؤمنين فإن هذا موضع غفران وتغافروا فيما بينكم، وطيبوا نفوسكم، وأخلصوا لله نياتكم، هبكي الناس، وأعظموا ما سمعوه من سلطانهم، وما جرى عليه من حسن معاملتهم، وصاحوا من جانبهم يطلبون الغفران من الخليفة، وأنهم بيمن نيته، وصدق طويته، يرجون الخير من الرحمن.

الخطبة

ثم قام القاضي ابن حجاج وألقى خطبة بليغة تفيض حماسة وبياناً في الحث على الجهاد، وفضله ومكانه، وقدره عند الله سبحانه وتعالى، فكان لهذا القول أثره في إنعاش النفوس، وتنبه الضمائر، وإذكاء العزائم.

القائد

أعطى المنصور القيادة العامة للقائد يحيى بن أبي محمد بن أبي حفص، بينما بقي هو ومن معه في موضع يكمن فيه للخروج عند الحاجة.

الضجيج

وتقدم المسلمون ببطء، واندفع النصاري القشتاليون ومن معهم يصدرون أصواتاً مرعبة، وضوضاء وضجيج يريدون إلقاء الرعب والوهن في صفوف المسلمين، فقد كان موقع النصاري أعلى الرتبة بينما موقع المسلمين كان أسفلها.

الهجوم النصرائي

والتحم الجيشان، وبدأ الضغط النصرائي، واشتد زخم الهجوم على ميسرة الجيش الإسلامي، مما جعل المنصور يتجه بنفسه نحو الميسرة ليثبت الصفوف، ويحرض على الصبر والمصابرة، وليذكرهم أن أهل الأندلس أمانة في أعناقهم، وإن كان يعرض نفسه للخطر.

في مثل هذه المواقف تظهر عبقرية القائد، وبها يستطيع أن يترك أثراً طيباً في نفوس المقاتلين، إنها الشهامة وإثبات النجدة! وهو الإقدام.

ثم اشتد الهجوم النصرائي العنيف على قلب الجيش الإسلامي ظاناً أنه مكان تواجد الخليفة، وقد استشهد كثير من المسلمين هنا حتى إن القائد العام وقع شهيداً مع من حوله من الجند.

واشتد القتال بين الفريقين، وسالت الدماء بغزارة، وكثر القتلى في مقدمة جيش النصاري، وما زال المنصور يحث جنده على مزيد من الثبات والهجوم ورد، وقد استشهد الكثير منهم.

اشتداد القتال

وجاء النصر ولاح البشر، إذ بدأت الهزيمة في جيش العدو. وتفهم الجند القشتالي بجموعه نحو الريوة التي عليها القلعة "الأرك" وولوا الأدبار. وولى الفونسو الثامن في نحو عشرين فارساً من أصحابه تحت جناح الليل لا يلوي على شيء، فلم يتوقف إلا في طليطلة.

النصر العظيم

كانت حصيلة القتلى من القشتاليين زهاء ثلاثين ألفاً. واستشهد من المسلمين أقل مما ذكره كثيراً. وأحاط المسلمون بحصن الأرك يظنون أن الفونسو الثامن محتم به، فدخلوه عنوة. وأضرموا النار في أبوابه. وأخذوا كل ما فيه.

قاعة قصر السفراء في أسبيلة



تطوير الأندلس

عاد المنصور إلى
إشبيلية يشرف على
تنظيم أمور
المسلمين، ويدعو كل
من له مظلمة أن
يرفعها لأمرير
المؤمنين، ويقسم
القنائم مما استولى
عليها جنده،
ليستغني الناس
وتتحسن أوضاعهم
المعيشية، وأتم بناء
مسجدها ومندبته
الشهيرة
(لاغيرالدا) الباقية
إلى اليوم، كما بعث
عددا من السرايا
نحو جيوب العدو،
كما بعث جندا
ليخضعوا قلعة
رياح، وقد وصلت
قوة منهم إلى
طليطلة وأقامت بها
أياماً ولم يجربوا
فتحها.



إشبيلية خزلدا، حولت صومعة مسجد الجمعة الموحدى إلى قبة جرس للكاندرانية ولقد حافظ على هيانه الفريدة حتى
هى نواهد المزدوجة.



ثم أثناء مكوثه هناك
وقعت هدنة بين الموحدين
وبين مملكة قشتالة مدتها
عشر سنوات.
كان ذلك عام ٥٩٤هـ، حيث
رأى المنصور أن الحرب معها
تحتاج إلى إعداد أكثر.
وحين استقرت الأحوال في
الأندلس، عاد المنصور عام
٥٩٥هـ إلى المغرب، فمراكش،
وشمة سؤال يجول في
الخاطر: لم لم يقم
باستعادة طليطلة القريبة
منها، ومعه هذا العدد
الهائل من الموحدين
والمتطوعة؟



الهدنة

استفاد التجار الأندلسيون من الهدنة واستقرار الأوضاع في الأندلس

ولما استقر في العاصمة جدّة البيعة لابنه محمد الملقب بالناصر.
ومرض المنصور، ولما شعر بدنو أجله استدعى أكابر الدولة وشيوخها وأكد البيعة السابقة لابنه، ودمعت
عيناه تدرقان، وقال: أوصيكم بتقوى الله تعالى، وبالأيتام واليتيمة، فسأله أحد المشايخ: يا أمير
المؤمنين، من الأيتام واليتيمة؟ قال: اليتيمة جزيرة الأندلس، والأيتام سكانها المسلمون، وإياكم والغفلة
فيما يصلح بها من تشييد أسوارها، وحماية ثغورها.
وتوفي رحمه الله ليلة الجمعة سنة ٥٩٥هـ، ودفن بالصالحية "ضاحية مراكش" ثم نقل رفاتة إلى
"يتملل" حيث قبور المهدي وعبد المؤمن.
كان حاكماً عادلاً، يعمل على إقامة العدل بنفسه، ويراقب العمال ويحاسب المقصرين، ويعنى بإنشاء
العمران من المدن والحصون والجوامع وغيرها، وكان ورعاً تقياً، إدارياً يشرف بنفسه على إدارة شؤون
المغرب والأندلس، مجاهداً رحمه الله.



وفاة المنصور

ببيع له صبيحة اليوم التالي لوفاة والده المنصور، وكانت سنة دون العشرين، ثم جاءت البيعة له من عامة المغرب والأندلس، ومرت البيعة بسلام. ومكث الناصر في مراكش ينظم إدارة المغرب ويدير أمورها، ويسعى لتهدئة الأوضاع والحوادث الخطيرة التي وقعت في الجزر الشرقية، أو في إفريقية (تونس) ويحاول إخضاع الثائرين بإرسال قوات موحدية.

وهي هذه الأثناء وصلته الأخبار بأن الفونسو الثامن قد بدأ بمهاجمة بلاد المسلمين في الأندلس عام ٦٠٦ هـ، كأنه يتوق لياخذ الثار من الهزيمة التي لحقت به، فاستولى على عدة حصون، كما أغار على أرياف المدن يخرب البيوت ويحرق المزارع ويسوق الأنعام، ويقتل ويسبي، ثم يعود إلى طليطلة، ولم تتمكن وحدات الحماية الموحدية الصغيرة من إيقاف عدوانه وغاراته، ثم جاءت الوفود الأندلسية تستنجد بالناصر وخاصة من شرق الأندلس، لأن ملك أرغون هاجمهم هو الآخر يجاري حليفه الفونسو الثامن.



الفونسو
الثامن يهاجم
الأندلس

عزم الناصر على أن يعبر إلى الأندلس بعد أن دعا إلى الاستعداد والتهيئة، ولم يلتفت إلى نصيحة والي إفريقية (تونس) الشيخ محمد بن أبي حفص (وكان أخبر منه بمعرفة العدو وإمكاناته، وكذلك وضع المسلمين وأحوالهم) بأن الوقت غير ملائم، وأن الوضع العام ليس لصالح المسلمين في الوقت الراهن، فعبر الناصر بجيشه الزاخر الذي ازداد بالمتطوعة والمجاهدين سنة ٦٠٧ هـ، وكان قد أرسل إلى جهات المغرب والأندلس لأخذ الأهبة والانطلاق للجهاد، واستقر في إشبيلية بحلول فصل الشتاء، ووصل عدد قواته بعد التحاق أهل الأندلس والمجاهدين إلى مائتي ألف بين فارس وراجل، أما عدوه الفونسو فكان قد أخذ استعداداته من قبل أن يأتي الناصر، فقد تحالف النصارى كلهم في الأندلس وفي أوربة معه، إذ كان على كرسي البابوية "أنوسان الثالث" يفذي بالحقن الصليبي كل أهل ملته، فأرسل موعظه إلى أرجاء أوربة وإلى نصارى الأندلس للمرة الثانية، يحثهم على الالتحاق بالأندلس وبجيش الفونسو والتحالف معه، حتى إنه هدد ملك "نبارة" شانجة إن لم يبادر بنقض العهد مع الموحدين بالحرمان، وما زال به حتى نقض العهد وأمد التحالف بالجنود وهو يقودهم، وقد بلغ عدد هذا الجيش الذي اتسم بالطابع الصليبي على أقل تقدير مائة ألف مقاتل بين راجل وفارس وأعلنوا شعارهم المشهور (كلنا صليبيون).



مقدمات
معركة العقاب

المسلمون يتقدمون في معركة العقاب



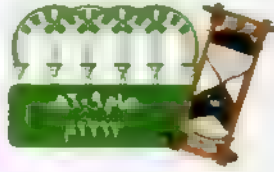
انشقاق بين النصارى بسبب النصر

نزلت جموع النصارى من
طليطلة حتى وصلت إلى
قلعة رباح، وكان المنصور قد
افتتحها كما سبق، فحاصرتها،
ثم استسلمت حاميتها القليلة،
بعد أن أخذت الأمان على
نفسها فتسبب ذلك
بالانشقاق في صفوف
النصارى، فالصليبيون
القادمون من أوربة
متعطشون لدماء
المسلمين، أما الفونسو
الثامن فلا يريد قتلهم، إذ
ينظر إلى الموضوع نظرا حرييا
استراتيجيا، فلو غدر بهذه
الحامية فسوف يمتنع كثير من
الحاميات التسليم من بعدهم وستظل
تقاتل حتى الموت.

فقال الصليبيون لملك قشتالة: إنما جئنا لتفتح بنا البلاد، والآن تمنعنا من قتل المسلمين؟ ما لنا في صحبتك من
حاجة، فأنصرفوا إلى ديارهم في أوربة، وغادروا الصفوف المتجهة نحو الجنوب نحو ديار المسلمين.

التوجه جنوباً

ثم اتجهت جيوش التحالف النصراني (قشتالة، أرغون، نبرة، وفرسان النصارى، ومتطوعون من أوربة) نحو الجنوب، فأشرقت طلائعها على المرتفعات المطلّة على السهل القريب من حصن العقاب.



الناصر يخرج للمواجهة

وخرج الناصر في جيوشه من إشبيلية في العشرين من محرم ٦٠٩ هـ متجهاً صوب جيان إلى الشمال. واحتل موقعاً في موضع السهل الواقع على أحد ممرات جبال الشارات، وكان واقعاً من النصر. مغتراً بضخامة حشوده، وتفوقه العددي؟

المراسلات والصلح

بدأت المراسلات بينه وبين الفونسو الثامن للتشاور في أمر الصلح، ووجد الفونسو أن ذلك خير للفرقيين، وكان الناصر يعلم أنه بحاجة لتوطيد سلطانه في دولته، وتم الصلح ولكن على غدر مبيت من الصليبيين.



الغدر والقتال

إذ بدأ الهجوم المباغت في الصباح الباكر من يوم الاثنين الخامس عشر من صفر سنة ٦٠٩ هـ وبشكل شديد على مجنبتى الجيش الموحدى، فرد المسلمون زخمة الهجوم، ولاح على الأفق ارتداد النصارى للفرار، هنا تدفق القشتاليون بقيادة الفونسو الثامن وكان قد أعد فرقة احتياطية لهذا الهجوم، وارتدت المجنبتان للهجوم بمنتهى العنف والشدة في كل الأطراف، فولى المسلمون بالمجنبتين الفرار، وتركز الهجوم النصراني على قلب الجيش حيث خيمة الناصر، واشتبك الفريقان بقتال عنيف وسقطت عشرات الألوف من القتلى، وثبت الناصر حتى آخر لحظة يحث على الصبر، وثولا ثباته على هذا النحو لاستؤصل الجيش كله، ثم اضطر الناصر أن يمتطي صهوة فرس قدمها اليه أعرابي كان إلى جانبه، وأن يفر مع نفر من خاصته على جناح السرعة جنوباً نحو بياسة ثم إلى جيان، وتمزق الجيش الموحدى إلى كل الجهات، والعدو يطارده حتى دخل الليل.

هزيمة تكراء

فكانت هذه المعركة من أكبر الهزائم التي منى بها المسلمون في الأندلس، وكانت خسائرهـم كثيرة جداً، وفادحة جداً إذ لم تقم للموحدين بعدها قائمة.

استشهاد العلماء

واستشهد جلة من العلماء، وذلك دأب العلماء العاملين إذ لا يتخلفون عن ساحات الجهاد، فهم في ميدان الجوامع، وساحات المصلى، وساحات القتال، ومنهم:

إسحاق بن إبراهيم بن يعمر الجابري،

من مدينة فاس، رحل إلى الأندلس وولي قضاء بلنسية ثم جيان، وفقد في موقعة العقاب في شهر صفر سنة ٦٠٩هـ.

أبو صمر أحمد بن هارون النفزي،

من أهل شاطبة، يغلب عليه الزهد والورع، وكان موصوفاً بالدراية والرواية، وكان آية في الحفظ، فقد يوم العقاب ولم يوجد حياً ولا ميتاً.

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي،

من أهل اليُسَّالة (قرب قرطبة) ولي قضاء بلدته مدة طويلة، مضافاً إلى ذلك الصلاة والخطبة بجامعه، وله تأليف في رجال الموطأ، واستشهد في وقعة العقاب في منتصف صفر سنة

٦٠٩هـ.



أثار منمنمة مسجد موحدي قرب اشبيلية وقد حول المسجد مع منمنته الى كنيسة ورفع عليها الصليب .

السبب في الهزيمة

نعم، أخذ الفونسو ثأراً غالياً من المسلمين، وأخذ النصارى الفنائم الكثيرة ومنها العلم الموحدي الذي ما زال محفوظاً في متحف إسباني (الدير الملكي بمدينة برغش).

وكان السبب في انكسار المسلمين:

- سوء تنظيم الإدارة العسكرية لهذا العدد الكبير.
- عدم وجود قادة أكفاء يقدرّون الموقف حق التقدير.
- سوء التموين وقلة الموارد لبعد القوات عن قاعدتها.
- وجود نفور حصل بين أهل الأندلس، والموحدين لتصرفات طائشة.
- اغترار الناصر بكثرة عدد قواته.
- عقاب من الله تعالى نتيجة التفرق والتخاذل، وللمجون والفسق الذي ساد المجتمع الأندلسي، «وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم» (محمد: ٣٨).



قتال المسلمين والنصارى في معركة العقاب

آثار هزيمة العقاب

وكانت نتائجها أنها كانت كقاصمة الظهر للموحدين أولاً، حيث ضعف شأنهم في الأندلس والمغرب بعد ذلك. وكانت سبب هلاك الأندلس وخرابها، يقول بذلك أبو إسحق إبراهيم بن الدباغ الإشبيلي:

وقائلة أراك تطيل فكرا كانك قد وقفت لدى الحساب
فقلت لها، افكر في عقاب ضد سبب معركة العقاب
فما في أرض أندلس مقام وقد دخل البلا من كل باب

وصل الخليفة بعد ذلك، بعد الهزيمة النكراء إلى إشبيلية، عاصمة الأندلس، ووجه كتابه إلى الجهات بالاعتذار المنمق عن الكارثة، وبقي فيها حتى رمضان، ولم يستعد لشيء بأن يجمع قوائمه أو يحشد لها مرة أخرى.

وكانت العقاب مقدمة لنهاية الدولة الموحدية، المعركة الفاصلة التي كسرت المسلمين وأدت إلى تراكم الأحداث، والكم الهائل من التساقطات في منطقة الأندلس.



فن إسلامي إشبيلي ضائع من أيدي أصحابه

أراد الفونسو الثامن أن يحصل على نتائج أعظم مما أخذها، فأخذ يستولي على الحصون الإسلامية يخرّب ويدمر حتى المساجد فما ترك مسجداً إلا دمره، وما ترك الأسرى حتى النساء والأطفال والشيوخ إلا وأعمل السيف بهم يتفان بالقتل.

التصاري
يخربون
الأندلس

فحاصر "أبدّة" بعد أن مر على مدينة "بياسة" خالية من سكانها، فأحرق الدور وقتل من وجد بها من الجرحى والضعاف والأطفال، فدافع أهله أبدّة دفاعاً مستميتاً ثلاثة عشر يوماً، وصمد المسلمون، لكن جيش الصليبيين كثير العدد يقدر بمائة ألف فهادا عسى أن يفعل أهل أبدّة؟ اتصلوا يعرضون الصلح والأمان على دينهم وأنفسهم مقابل أن يدفعوا ألف ألف دينار "مليوناً"، فوافق ملوك التصاري (الفونسو الثامن، شانجة، بيدرو الثاني)، على ذلك لكن القساوسة والرهبان عارضوا تنفيذ العهد وأصرروا على الاستسلام دون قيد أو شرط. والمسلمون لا يعلمون من ذلك شيئاً، ففتحوا الأبواب لمهد الملوك، وإن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون» (النمل: ٣٤).



القدر باهل
أبدّة

عاد الناصر بعد ذلك إلى المغرب، واستقر في مراكش، وأخذ البيعة لابنه أبي يعقوب الذي لقب بالمستنصر. ثم لزم قصره لا يكلم أحداً ولا يخرج إلى أحد إلى أوائل شهر شعبان سنة ٦١٠هـ، حيث توفي متحرّقاً، همّاً وغمّاً لما أصاب المسلمين في عهده، على الأغلب، وإن كانت هناك روايات تذكر غير هذا السبب، رحمه الله تعالى.



وفاة الناصر

بعض الخدم في
أحدى القصور
وظيفتهم هي
الطرب للسيد
وضيوقه.

مأساة أبدّة

فكان القدر وهذه سمة غالبية على الروح الصليبية، واستباح الجند الصليبي المدينة، وحاول أهلها الدفاع فقتل منهم ستون ألفاً - أكثر مما قتل في معركة العقاب - وأسر منهم ستون ألفاً أرسلوا إلى ممالك أوربة يباعون في كل أرجائها، حتى إن الرواية النصرانية تزيد العدد إلى مائة ألف وخربت المدينة حتى أصبحت قاعاً صفصفاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ببيع أبو يعقوب يوسف المستنصر في اليوم التالي لوفاة والده سنة ٦١٠هـ، وكان فتى في السادسة عشرة من عمره، وكان ميالاً إلى حياة الدعة والبطالة منشغلاً عن تدبير الأمور بما تتطلبه نزعات الشباب، ولا يعنيه شيء من مهام الملك.

حكم
المستنصر

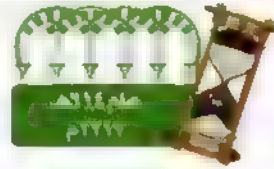


ولكن السلم لم يدم مع بقية الممالك النصرانية في الأندلس، إذ أقدم ملك البرتغال سنة ٦١٤هـ، يريد أن يضم مدينة "قصر أبي دانس" الثغر الإسلامي الذي كان الموحدون قد استعادوه سنة ٥٨٧هـ، فحضر الحصار براً على المدينة، وساعده الأسطول الصليبي- الألماني الذي نزل في مياه لشبونة، وكان متوجهاً إلى فلسطين للمشاركة في الحروب الصليبية، طلب إليه ملك البرتغال مساعدته، فطبق الحصار بحراً.

بقي أهل المدينة صامدين، يدافعون عنها وحدهم، فما من أحد يمد يداً، وما من مدد يأتي! أين الموحدون؟ أقصم العقاب ظهورهم؟ أم أصيبوا بالوهن؟ وكلهم المعجز؟ والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ (آل عمران: ١٣٩).

دام الحصار شهرين ونصفاً، وأيقن أهل المدينة أنهم لا يستطيعون الصمود بعده طويلاً، فاتصلوا بالبرتغاليين يعرضون عليهم الصلح على أن يتركوا المدينة بأموالهم وأنفسهم، ورفض النصارى ترك المدينة بالأموال، وإنما بالأنفس فقط، ومع ذلك رضي المسلمون!

حصار
النصارى
لقلعة أبي
دانس



الهدنة مع
النصارى



وصل إليه سنة ٦١٢هـ رسول من مملكة قشتالة التي بدأ فيها الاضطرابات والصراع على الحكم نتيجة وفاة ألفونسو الثامن سنة ٦١١هـ، تطلب الملكة تجديد العهد مع الموحدين فرضي بذلك المستنصر، وأقر بالهدنة والمسالمة، فمضى للأندلس شيء من الهدوء والأمن.

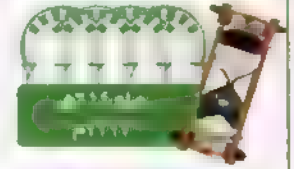
فتحت المدينة أبوابها، ودخل جيش النصارى وتمكنوا من مداخلها وأبراجها فكان ما يعجز عنه الوصف منهم، لم يرقبوا في واحد من المسلمين عهداً، ولم يراعوا قولاً فقتلوا كل من كان موجوداً ضمن المدينة، وبالنضياء المجاورة من المسلمين.

القدر
النصراني
يتكرر



وفي بلاط الحكم الموحيدي فتى مكب على حياة اللهو والمرح، والأشياخ المعاصرون له أناس لا خبرة لهم بالسياسة ولا بالإدارة، أما قال المتنبي:
الناس من يلحق خيراً قاتلون له ما يشتهي ولا م المخطئ الهبل !
تهاون عام، وخور يزداد ضعفاً في كيان الدولة.

الخليفة اللاهي



دولة بني مرين في المغرب

هذا من طرف، ومن طرف آخر ظهرت دولة جديدة في المغرب إذ أعلن بنو مرين دولتهم، وأصبحت الدولة الموحدية بين ضريبتين قويتين: الأولى في الشمال من النصارى في الأندلس، والثانية من بني مرين في الجنوب (في المغرب).

وفجأة، ويقدر من الله، يموت المستنصر بالله سنة ٦٢٠ هـ دون أن يكون له وريث للملك أو ولي عهد معين، فنشب الصراع بين الموحيدين من أجل الحكم في هذه الفترة، إذ ولي بعضهم عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن، وكان شيخاً قد جاوز الستين من العمر، ولم يدم حكمه سوى شهرين، فقد خلعه عبد الله بن يعقوب، لذلك يعرف باسم (عبد الواحد المخلوع) لأنه أول من خلع من الموحيدين، ثم قتل في ظروف غامضة، ووثب عبد الله بن يعقوب على الحكم ولقب نفسه بالعاقل.



وفاة الخليفة المستنصر هجرة



الخليفة الجديد فتى صغير يلهو بلعبة الشطرنج بينما تتوالى هزائم المسلمين وتستباح أراضيهم

اضطراب الخلافة

ولم تمض أشهر حتى صرع العادل، وجلس الضئى يحيى المعتصم على كرسي الخلافة مكانه سنة ٦٢٤هـ. واضطرب أمر الخلافة فكل واحد من بني عبد المؤمن يريد لها لنفسه، حتى قام أبو العلى إدريس بن المنصور بالمطالبة بأحقية في الأندلس. وكانت الأندلس في حالة يرثى لها، تضطرم فيها ثورات. وتموج بها فتن، ويلحقها هجوم إثر هجوم للأعداء، فأحضر أبو العلى هذا معه منداً من جند النصارى القشتاليين أمده بهم ملك قشتالة، واجتاز البحر إلى المغرب ليقاتل ابن أخيه يحيى بن المعتصم، ويصبح هو الخليفة وذلك في أوائل ٦٢٦هـ.



التصارى يهاجمون

أدى هذا الانهيار بين الموحدين للتنازع على الكرسي، وتتابع الثورات والفتن في الأندلس، إلى أن يغتنم النصارى هذه الفرصة، وأن يبادر كل ملك ليقطع ما يتييسر له من ممالك الأندلس وحصونها، وكان يحكم مملكة أرغون في شمال شرق الأندلس في هذه الفترة ملك يدعى "خايمي" (ويسميه المسلمون جاييمش)، الذي كان يطمح أن يحتل الجزر الشرقية المتاخمة لشواطئ الأندلس "جزر البليار" ولا أحد غيره أولى بها! فجهز أسطولاً ضخماً سنة ٦٢٧هـ يساعده الفرنسيون والإيطاليون قدر عدده بمائة وخمس وخمسين سفينة حربية على متنها أعداد ضخمة من المقاتلين الفرسان والمشاة.



استقلال بنو حفص وحكم المامون

واستقل بنو حفص بإدارة إفريقية (تونس). وكان استقلالهم عن الموحدين، قد قام به أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد الواحد (المخلوع) بن أبي حفص عمر بن يحيى من الأصحاب المقربين للمهدي بن تومرت، ولقب نفسه بالأمير في أوائل سنة ٦٢٧هـ، كان أبو العلى المامون شجاعاً صارماً فأصدر سنة ٦٢٧هـ مرسومه إلى البلاد الخاضعة له بإزالة اسم المهدي من الخطبة، ومن العملة.

احتلال الجزر الإسلامية

تمكنت هذه الحملة البحرية أن تحاصر عاصمة الجزيرة الكبرى "ميورقة" وتخرق الأسوار، ولم ينفع دفاع أهلها اليأس أن يوقف تقدم الجيش الأراغوني والإيطاليين والفرنسيين. فدارت رحى معارك طاحنة في الساحات والشوارع وتمزق المسلمون، فقتل في يوم واحد أربعة وعشرون ألفاً، وأسر الوالي أبو يحيى بن أبي عمران، وتفنن ملك أرغون بتعذيبه الذي اشتد عليه خمسة وأربعين يوماً حتى توفي تحت العذاب الشديد. وتلك نتيجة كأنها حتمية للنزاع المستمر المتواصل الذي ألهم الموحدين بدماء المسلمين، ویدماء بعضهم بعضاً، وكأنهم يفرحون بمزيد من دماء المسلمين لا دماء غيرهم، ثم تلوم وتلام! ولحق بالجزر الأخرى ما لحق بهذه، فقد سقطت جزيرة "يابسة" بعد سنوات، أما منورقة فقد سقطت سنة ٦٨٦هـ.



وفاة المأمون

كان المأمون يتصف بصفات أبيه الخليفة يعقوب المنصور. ولو وجد الظروف الملائمة لربما كان قد أعاد الدولة الموحدية إلى عزها. ولكن أشغلته الفتن والانقسامات، فقد كان في حملة في شمال المغرب لتهدئة الأوضاع وثار عليه في العاصمة مراكش ابن أخيه يحيى المعتصم، الذي أخذ منه الخلافة كما سبق، فاضطر أن يتوجه إلى مراكش العاصمة، وفي الطريق في شهر ذي الحجة سنة ٦٢٩هـ مرض وتوفي فجأة (انتهى أجله قدراً)، فاتمق القادة والمشايخ على بيعة ابنه أبي محمد بن عبد الواحد الذي كان فتى في الرابعة عشرة من عمره ولقب بالرشيد.

هذه الحالة المزرية، وهذا التمزق الفاتك في دولة الموحدين، ثم سقوط الجزر الشرقية تبعاً كانت من أهم العوامل التي دعت البابا ليعلمها حرياً صليبية مقدسة لاسترداد بلنسية في الشرق، وهي المدينة التي سقطت بأيديهم مرة ثم أعادها المسلمون كما سبقت الإشارة إليها، فقام ملك أراغون والفرسان الصليبيون بهجوم إثر هجوم بدءاً من عام ٦٣١هـ يخربون القرى، ويدمرون الزروع والمحاصيل، ويحتلون بعض الحصون حتى وصلوا إلى ضواحي بلنسية، ولكن ملك أراغون رأى أن يكتفي بما غنم وبما احتل وعاد إلى بلاده ليدير شؤونها وليستعد لاحقاً لاسترداد هذه المدينة، وكانت هذه المرحلة الأولى لهجماته.



البابا يعلن الحرب الصليبية لاسترداد بلنسية



الرشيد سيطر

سار الرشيد بجنده حتى وصل إلى أسوار مراکش فحرج المعتصم لقتاله، ثم هزم، وباع أهل العاصمة الرشيد الفتي في أول المحرم سنة ٦٣٠هـ، وكانت بيعته آخربيعة للموحدين في المغرب.



بنو زيان يستقلون بالجزائر

وزاد التمزق في دولة الموحدين إذ أعلن بنو زيان استقلالهم في الجزائر عام ٦٣٣هـ، وكانت تونس قد خرجت من أيديهم من قبل، حين استقل بها بنو حفص كما سبق.

مطوعة قرطبة

فرناندو يهاصر قرطبة

بادر فرناندو الثالث بقواته التي تضخمت بمن يصل إليها من مطوعة قشتالة وأراغون، وازدادت عدداً وعُدّة، فأطبق الحصار على المدينة، وعزم أهل قرطبة على الدفاع عنها، فلم يكن بينهم قائد ذو كفاءة لإدارة القتال، وجرت مقاومة شديدة عن المدينة قام بها أهلها فقط، إذ لم يقدروا على إغاثتهم أحد من الموحدين الذي كانوا هم يعانون أضعف حالة مرت عليهم، كذلك لم يبادر ابن هود أحد زعماء الأندلس وأمير إشبيلية في تلك الفترة لإنقاذهم، وكأنه تركهم لمصيرهم المؤلم! شدد فرناندو الثالث الحصار على قرطبة، وقطع كل صلة لها عن جهة البر، وعن جهة الوادي الكبير فلم يستطع أن يدخلها أحد أو يخرج منها.

استطاع الفرسان القشتاليون المجاورون في حصون متاخمة لمنطقة قرطبة اقتحام شرق مدينة قرطبة، إذ كانت مقسمة إلى عدة مناطق في ذلك الحين، لضعف أسوارها، ويطرق المباغمة سحراً، وقد أرشد إلى أماكن الضعف والثغرات متنصر من أهل قرطبة سنة ٦٣٣هـ، فأرسل هؤلاء إلى فرناندو الثالث ملك قشتالة يستنجدون به أولاً، ويحثونه ثانياً على دخول قرطبة واستردادها.



الهجوم على شرق قرطبة

أقر على أن يكون الجلاء التام عن المدينة، خرج أهل قرطبة، وتركوا دورهم ومدينتهم متفرقين في المناطق الأندلسية الباقية بيد المسلمين، وكان ذلك في شوال سنة ٦٣٣هـ.



الجلاء

ودام الحصار القاسي بضعة شهور حتى قلت الموارد وانتهت الأقوات أو كادت، فاتصل أهل قرطبة بالملك القشتالي، وعرضوا عليه تسليم المدينة على أن يخرجوا هم بأنفسهم وأموالهم، فوافق على ذلك، مع أن الأقباط والرهبان والقسيسين الذين كانوا معه قد رفضوا مثل هذا العرض، وكانوا يريدون الدماء ولا يخرج من المدينة أحد حياً، إلا أن الملك وافق على ذلك -لا رحمة بالمسلمين- وإنما خوفاً أن يعتمد المسلمون إذا يسوا إلى تخريب المدينة وهدم دورها وأبنيتها، ثم إنهم قد يقاتلون، وقتال الياثس فيه مشقة وكيد على المهاجمين.

الاتفاق على الاستسلام

تحويل المسجد كنيسة

ودخل النصارى
وحولوا المسجد
الجامع العظيم
إلى كنيسة حالا،
وهكذا.

كان السقوط
سقوط عاصمة
الخلافة بعد أن
بقيت بيد
المسلمين أكثر من
خمسة قرون، وكان
سقوطها إيداعاً
بأن أيام المسلمين
باتت معدودة في
الأندلس وستؤول
المناطق الأخرى
الباقية إلى ما آلت
إليه قرطبة.



المسجد الأعظم في قرطبة حول إلى كنيسة للنصارى وضاعت المندنة مع مسجدتها الخالد ووضعت هيها اجراس الكنيسة وهي
أعلاها تجد تمثال الملك رافائيل

سقوط
العاصمة

سقطت عاصمة الأندلس، وعاصمة الإسلام وحاضرتة التي كانت مركزاً للعلم والعلماء، صدرت الخير والنور والبركة، لا إلى المسلمين فحسب، بل إلى أوربة في العصور الوسطى، فقد جاء إليها علماء كثر من أوربة لتعلم الطب والعلوم والفلك.

سقطت بسهولة، فلا معركة لها دوي، ولا قائد محنك يذكر، مع أنها كانت ثغر جهاد بل أم الثغور، سقطت وكان لهذا السقوط دوي كما لو قيل سقطت عاصمة من عواصم المسلمين اليوم!

واين قرطبة دار العلوم فكم من عالم قد علا فيها له شان

بدون قتال، بدون مساندة، بدون مدد، أما يشير هذا الحدث إلى مدى الضعف المهين الذي أدرك الموحدين أولاً في المغرب، وإلى مدى التمزق الحاصل في الكيان الأندلسي؟
أصبحت طريقة الحصار "حرب الجوع والعطش والحاجة" الوسيلة القوية للأعداء من النصاري في استردادهم المدن الإسلامية في الأندلس الواحدة تلو الأخرى، وإشارة إلى مدى البؤس الذي لحق المسلمين! سقطت قرطبة وهو أمر خطير وجليل، فاهتزت الأندلس.

مخطوط لمعالجة الأرض الجبلية





معركة أنيشة

وقام أبو جميل زيّان أمير إشبيلية من قبل الموحدين. الذي أدرك أن الدورات لمدينته إشبيلية إذ هي أقرب إلى قرطبة من غيرها، ومن ثم رأى الخطر أقرب من جهات بلنسية، فقد كان حصن أنيشة أقوى الحصون بيد قوات أرغون التي تترصد بها وبلنسية، وكانت تقوم فيها غارات نعيث فساداً في أراضي بلنسية، فقرر أن يأخذ هذا الحصن من النصارى، وسار بقواته بعد أن أعلن الجهاد فاحتشد حوله المسلمون من الأندلس فقط إذ إن الموحدين في المغرب منشغلون، وهم في الأندلس مشغولون، ونشب بين المسلمين وبين قوات حصن "أنيشة" معركة طاحنة قتل فيها خلق كثير. وانتهت بهزيمة المسلمين، واستشهد منهم جمع كبير، وكان من بين الشهداء عدد من علماء بلنسية وأشرفها، وفي مقدمتهم محدث الأندلس أبو الربيع سليمان بن موسى بن سائلم الكلاعي، وهو من أهل بلنسية، وكان إماماً في صناعة الحديث، بصيراً، حافظاً، حافلاً عارفاً بالجرح والتعديل مع الاستبحار في الأدب، كاتباً بليغاً، شاعراً مجيداً له عدة مصنفات في الحديث والسير والأدب، وكان جندياً وافر الشجاعة، مقداماً، حمل الراية، وقاتل بشجاعة، وحث على الثبات.

وكان محدث الأندلس الكلاعي يصيح: أعن الجنة تصرون؟ حتى سقط شهيداً، واستشهد معه سبعون رجلاً ممن كانوا يقضون في الصف الأول في المسجد الجامع، نضعهم الله بالشهادة وجمعنا وإياهم في مستقر رحمته.



ميزان مع مقياس الذرة من النحاس والحديد

جيش صغير لا يأتيه المدد، وجيش كبير العدد والعدد، ويأتيه المدد إذ يردفه البابا بالمتطوعة من النصارى من شتى أرجاء أوربة، فغلبت الكثرة الشجاعة، كان ذلك في العشرين من ذي الحجة سنة ٦٣٤هـ.

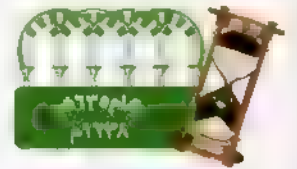
المعركة الأخيرة

فكانت المعركة الفاصلة، والمقاومة الأخيرة، ورثى ابن الأبار تلميذ الكلاعي شيخه والعلماء والشعراء شهداء هذه المعركة بقصيدة معبرة، نختار منها هذه الأبيات:

هم القوم راحوا للشهادة فاعتمدوا	وما لهم في فوزهم من مقاوم
تساقوا كقوس الموت في حومة الوغى	فمالت بهم ميل الفصون النواعم
مضوا في سبيل الله قدما كأنما	يطيرون من أقدامهم بقوادم
يرون جوار الله أكبر مغنم	كذاك جوار الله أسنى المغنم
فلن يبعد الله الذين تقربوا	إليه بإهداء النفوس الكرائم
مواقف أبرار قضوا من جهادهم	حقوقا عليهم كالتروض اللوازم
أصيبوا، وكانوا في العيادة أسوة	شباباً وشيباً بالعواشي القواشم ^(١)
لقد صبروا فيها كراماً وصابروا	فلا غرو أن فازوا بصفو المكارم ^(٢)
مناد إلى دار السلام منادم	بها الحسور، وأها للمنادي المنادم
أتاه الردى مقبلاً غير مدبر	ليحظى بإقبال من الله دائم
إماماً لدين أوقواماً لدولة	تولى، ولم تلحقه لومة لائم
ويا أيها المختوم بالفوز سعيه	ألا إنما الأعمال حسن الخواتم
هنيئاً لك الحسنى من الله إنها	لكل تقي خيمته غير خانم ^(٣)
تبوات جنات النعيم، ولم تزل	نزول الثريا قبلها والنعائم

كانت معركة حصن أنيشة آخر مقاومة حقيقية للمسلمين مع نهايات دولة الموحدين، وبدأت تتطور الأحداث إلى سيء فأسوأ، فلم يعد ينتظر أهل الأندلس حماية من الموحدين، وأيقنوا أن عليهم حماية أنفسهم ومدنهم بأنفسهم، لذلك أعلن بنو الأحمر استقلالهم في غرناطة.

نهاية
الموحدين
وظهور بني
الأحمر



(١) بالعواشي القواشم: يتعبدون في الليالي المظلمة، كالإبل التي ترعى ليلاً.

(٢) لا غرو: لا عجب.

(٣) غير خانم: غير ناكص، غير مدبر.

أحداث عهد الموحدين

وفاة ابن تومرت بعد أن أوصى بالأمر لتلميذه عبد المؤمن بن علي .

قيام دولة الموحدين في المغرب بعد تغلبهم على المرابطين .

اقتحم النصارى المرية وقتلوا أهلها .

الموحدون يخلفون المرابطين في الأندلس .

الموحدون يستعيدون المرية بعد حصار طويل .

بناء مدينة جبل طارق .

وفاة عبد المؤمن بن علي قائد الموحدين .

تولي يوسف بن عبد المؤمن للحكم .

انتصار الموحدين في معركة فحص الجلاب .

انسحاب الموحدين من مدينة شنترين بعد حصارها .

وفاة يوسف وتولي ابنه يعقوب المنصور .

هدنة مع ملك قشتالة وليون .

فتح أبي دانس وشلب .

انتصار عظيم للمسلمين في معركة (الأرك) .

وفاة المنصور وتولي ابنه محمد الناصر .

هزيمة أليمة للمسلمين في معركة (العقاب) .

مذبحة عظيمة في أهل أبدة على يد ألفونسو الثامن بعد غدره بهم .

وفاة الناصر وتولي ابنه يوسف المنتصر .

قيام دولة بني مرين في المغرب .

وفاة المنتصر .

استقلال بني حفص بإفريقيا (تونس)

سقوط قرطبة عاصمة الخلافة .

نهاية حكم الموحدين في الأندلس فعليا .

الموحدين في الجهاد والسياسة

لم يكن فكر الموحدين في نشأته وبدايته لتطمئن له النفس أو يفتح له القلب، فابن تومرت - مؤسس دولة الموحدين - كان صاحب فكر غامض، وإن في القلب شكوكاً أنه كان صاحب دعوة باطنية بدأ ثورته بالدعوة إلى صفاء العقيدة ومحاربة البدع فلما تم له الأمر ووثقت به العامة ادعى أنه المهدي المنتظر!!!

وهذا يدكرنا بحكام قبله وبعده كانت لهم نفس الطريقة في التستر والخداع كالفاطميين في مصر ومصطفى كمال أتاتورك في تركيا. وقد ذمه ابن تيمية رحمه الله وانتقده مرات عدة في كتبه وقال عنه أنه أقام دولته على الكذب والمحال وقتل المسلمين واستحلال الدماء والأموال فعل الخوارج السارقين ولكنه شهد له ببعض الأمور الحسنة وقال: جمع بين خير وشر. (١) ومهما يكن فإن من جاء بعده من الموحدين كانوا على ما يبدو أصحح حالاً منه، ولا نستطيع أن ننكر ما حصل في زمانهم من الجهاد والدفاع عن الأندلس والذب عن حياض الإسلام. وتناول في كلامنا عنهم بعض المواقف:

• ما كان عليه المنصور (أبو يوسف يعقوب) من تضرع لله وتذلل بين يديه في بداية معركة الأرك موقف يرجى معه النصر وينبعث منه الأمل، فحينما يقر القادة بضعفهم ويصلون رجاءهم بقوة العزيز الذي لا يقهر، حينها يحق للمسلم أن يستبشر، فإذا خضع جبار الأرض رحم واستجاب جبار السماء.

وكذلك ينبغي أن يكون حال المسلمين - قادة وجنداً - في كل ملمة دل في كل أمر من أمورهم، يأخذون بأسباب الدنيا ثم يتبرؤون من حولهم وقوتهم إلى حول الله وقوته، ويلتجئون إلى المحرك الحقيقي الذي لا يكون شيء إلا بأمره

والله مالئ غير الله من أحد أرجع لربك في كل لك الله

وموقف المنصور يذكرنا بموقف النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقد انقطع عن أسباب الدنيا ووصل حبله بحبل الله يلتجئ إليه ويتضرع ويتذلل بين يديه (اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض أبداً) حتى كان النصر الذي وعد الله عز وجل. وما أحوجنا اليوم أن نلتجئ إلى الله لجوء المضطرين الذين يرون مأساة إخوانهم في فلسطين فلا يستطيعون حراكاً ولا مساعدة، ما أحوجنا اليوم بدل أن نرفع صور الرؤساء والحكام ونهتف بحياتهم أن ننادي بتضرع وصدق: يا رب يا رب. لعل الله بدمعة صادقة تهطل بسحر، أو عبرة خائفة تسكب بليل أن يفتح لنا باباً من النجاة أو ييسر لنا طريقاً لتصحيح أمورنا وأحوالنا.

• ابن مردنيش الحاكم الخائن الذي كان هواه تبعاً لأعداء الله وأرهب المسلمين بالضرائب والظلم - وبين كل فترة يبتلى المسلمون بمثله ومن على شاكلته - وكان همه أن يتشبه بالنصارى في زيهم ولباسهم وسلاحهم وكان يؤثر لغتهم على لغة المسلمين، وهنا أود أن أركز على نقطة هامة وهي الحفاظ على الهوية الإسلامية وعدم ذوبانها بما يصدره لنا الغرب من عادات وأفكار ونهج. فحينما نرى بعض شبابنا الحائر اليوم - وهذا إشفاق لا تعريض - وهو يلبس آخر صرعات الغرب ويقلدهم في المشية والتسريحة والعادات ويتصيد أخبار مشاهيرهم وحمقاهم فهل نرجو منه أن يكون حاملاً لفكر الأمة أو مدافعاً عنه ؟

أي انتماء للإسلام يحمله أمثال هؤلاء الشباب أم أي إسلام سيقوم على سواعدهم ؟ إنها مسؤولية عظيمة يتحمل الآباء القسم الأكبر منها وهي تربية النشء على الاعتزاز بالإسلام والمحافظة على هويته، وإن استبرادنا لصناعات وتكنولوجيا الغرب لا يعني أن نلغي كياناتنا وهويتنا.

فنحن جند الإسلام وأبنائه وحاملوه رايته نعتز بكل ما فيه ولا يشرفنا إلا الانتماء إليه.

البستان الرابع

نهاية الأندلس

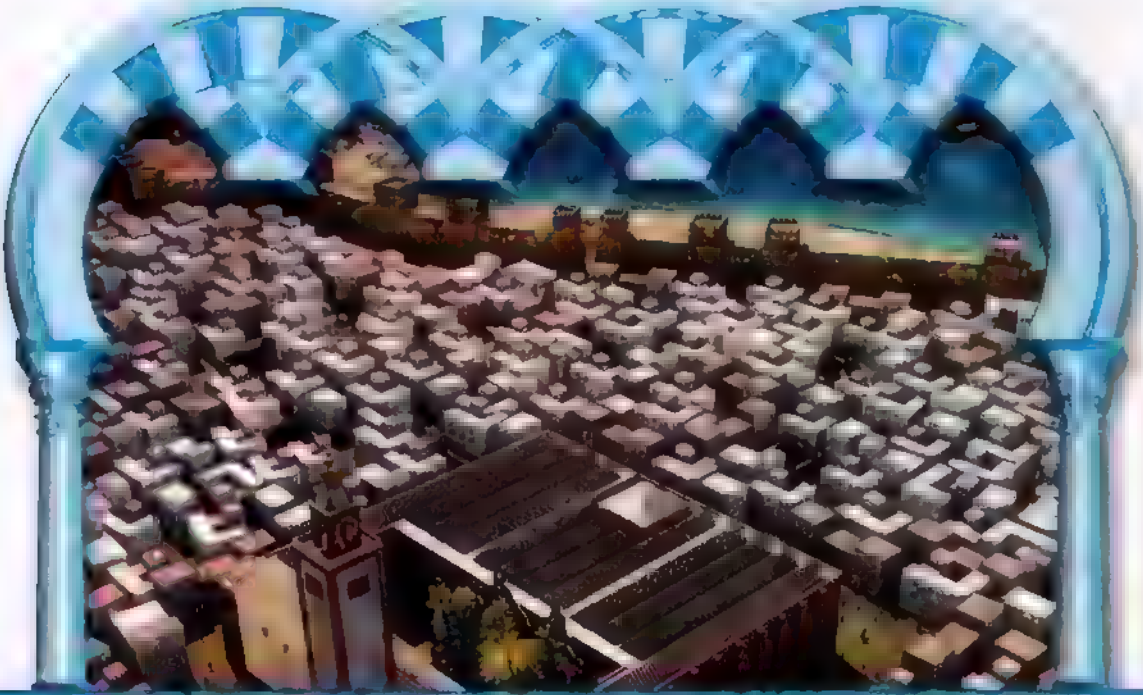


- الملك الناصر
- الملك المنصور
- الملك الناصر
- الملك المنصور
- الملك الناصر
- الملك المنصور
- الملك الناصر
- الملك المنصور



سبيل الترياق

نهاية الأندلس



الفصل الاول

تفكك الأندلس

اولا - تساقط المدن

ثانيا - مملكة غرناطة والمدجنون

ثالثا - نهاية الموحدين

ظهور بني الأحمر

أبو عبد الله، الغالب بالله محمد بن يوسف بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس بن سعد بن عبادة، (والأخير من سادات الخزرج، ومن الذين بايعوا النبي ﷺ) (في بيعة العقبة، وكان أحد النقباء الإثني عشر) كان يقيم في وسط الأندلس في حصن يدعى "أرجونة" على مقربة من الوادي الكبير، وقد عرف بتواضعه، ويكثر من الشجاعة والإقدام، ويتمتع بالرؤية والدهاء وحسن السياسة، وانتقل من حصن أرجونة إلى مدينة جيان، وبدأ يدعو للموحدين ثم لبني حفص ثم للخليفة العباسي المستنصر بالله، واشتهر باسم ابن الأحمر.



كان المسجد مكانا
للعباداة ومجلسا
لإدارة شؤون الأمة

ابن هود في مرسية

في هذه الأثناء ظهر أمر ابن هود، وهو أبو عبد الله محمد بن يوسف (سليل بني هود ملوك مدينة سرقسطة أيام الطوائف) وقد ظهر أمره على مقربة من مدينة مرسية، ثم بسط سيطرته على مرسية، وبويع له سنة ٦٢٢هـ وأرسل إلى الخليفة العباسي المستنصر بالله يقر له، وانضوى اسمياً تحت راية العباسيين، وخلع طاعة الموحدين، ثم امتدت دولته إلى إشبيلية إذ راسله أهلها كما انضمت إليه مدن أخرى، ولقب نفسه (أمير المسلمين) سيف الدولة والمتوكل على الله، ولم يكن ذا صفات تؤهله للقيام بدور حماية الأندلس، فقد هزم في عدة معارك ضد مملكة قشتالة، فقد سقطت قرطبة كما رأينا، ولم يتصر به جيش، ولا وهق له رأي لعبية الخفة عليه، واستعجاله الحركات، ونشاطه إلى لقاء الأعداء من غير كمال استعداد، كما ذكر عنه ابن الخطيب، ولم يكن في وفاق مع بني الأحمر أحياناً، ثم توفي في مدينة المرية سنة ٦٣٥هـ.

وهكذا بدأت الدولة الجديدة
(الأندلس الصغرى) دولة بني
الأحمر في جنوب الأندلس.
 واجتمع في ظلها مجموعات
أهل الأندلس النازحين من
المدن التي تتساقط بيد
النصارى الصليبيين.

دولة بني الأحمر (الأندلس الصغرى)

أرسل أهل غرناطة إلى ابن الأحمر
يستدعونه، وهنا أعلن أنه أمير
يدعو للعباسيين، ويبيع بذلك
أميراً لمملكة غرناطة، وذلك في يوم
الجمعة ٢٦ رمضان سنة ٦٣٥ هـ، ومد
سلطانه على المرية، ودخلت مدينة
مالقة تحت طاعته سنة ٦٣٦ هـ.



توسع حكم بني الأحمر

علم ملك أرغون "خايمي" (أو جاييميس الأول) أن معركة أنيشة قد ثبتت همم المسلمين في بلنسية،
وأن مؤونتهم قلت، ونقصت أعدادهم. وأن حاكم مرسية أو غيره من أمراء المسلمين لن يستطيعون أن
يمدوهم بقوة، وخشي أن يسبقه إليها فرناندو الثالث ملك قشتالة التي ضمت قرطبة قبل عام، كما



سقوط بلنسية



الأدوات الجراحية الطبية التي اخترعها المسلمون

حرض البابا من قبل أن
تكون معركة بلنسية
حرباً صليبية، لذلك كله
بدأ بإتمام المرحلة الأخيرة
لإسقاط بلنسية، ولم يكن قد
بقي سواها للمسلمين
في شرق الأندلس،
فأقسم خايمي أنه لن يرجع
قبل أن تسقط، ولذلك
سيصحب معه زوجته
الملكة وابنته الأميرة.

فسار بقواته قاصدا إياها، ودانت الحصون والقرى الإسلامية في الطريق إليها، وتوالت الإمدادات والأعداد
وهو يقترب منها حتى بلغ عدد جنده من الممرسان عشرة آلاف، ومن المشاة ستين ألفاً. فأحكم الحصار على
المدينة، وكان أهلها قد عزموا للدفاع عنها حتى آخر رمق بالرغم من قلة عددهم وضعف مؤونتهم، ووجه
أميرها رسله إلى المواقع الإسلامية القريبة في طلب النجدة والممدد، كذلك أرسل كاتبه ووزيره أبو بكر بن الأنار
إلى إفريقية إلى بني حفص، وأميرهم أبو زكريا الحفصي" هالقي في مجلسه قصيدة تعد من أزوع القصائد
الأندلسية تستثير الهمم، وتحرك الشجون:

خايمي يحاصر بلنسية

استنهاض بني
حفص في
المغرب

ادرك بخيلك خيل الله أندلسا
يا للجزيرة أضحي أهلها جزرا
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم
وفي بلنسية منها وقرطبة
مدائن حلها الأشراك مبتسما
يا للمساجد عادت للعدا بيما
صل حبلا أيها المولى الرحيم فما
هذي رسائلها تدعوك من كثر
واضرب لها موعدا بالفتح ترقبه

إن السبيل إلى منجاتها درسا
للنائبات، وامسى جدها تعسا
إلا عقائلها المحجوبة الانسا
ما ينسف النفس أو ما يتزف النفسا
جدلان، وارتحل الايمان مبتنسا
وللنداء غدا أثناءها جرسا
أبقى المراس لها حبلا ولا مرسا
وأنت افضل مرجو لمن ينسا
لعل يوم الأعادي قد اتى وعسا

الحفصي
يرسل
الإمدادات

هذه بعض أبيات من قصيدة طويلة تصف حال الأندلس في تلك الفترة العصيبة، فتأثر الأمير الحفصي وجهاز أسطولا من ثماني عشرة سفينة محملة بالإمدادات، ولكن حال الحصار الشديد من وصولها إلى أهل المدينة، وقد أزهق الحصار أهل المدينة، واشتد البلاء، فراسلوا ملك أراغون، واتفقوا على أن تسلم المدينة بعد خمسة أيام صلحا، وينتقل أهلها إلى مدينة دانية.



الأدوات الجراحية الطبية التي استعملها المسلمون

هجرة أهل
بلنسية

وانتقل أهلها
(خمسون ألفاً من
المهاجرين) يأخذون
المدد والقوت في
دانية من السفن
التي وصلت إليها
والتي بعث بها بنو
حفص.

احتلال
بلنسية

وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر سنة ٦٣٦هـ، دخل الملك الأراغوني وحاشيته وجنده المدينة، فحولت المساجد في الحال إلى كنائس بعد أن بقيت بيد المسلمين خمسة قرون أو أكثر. وكانت مصيبة كبيرة فادحة نزلت بأهلها أولاً ثم بالأندلس، وبسقوطها لم يعد من قواعد الشرق شيء بيد المسلمين، إذ توالى سقوط المدن الإسلامية وكأنه قد فرط العقد الضام لها.

وفي سنة ٦٤٠هـ مات الرشيد آخر حاكم من حكام الموحدين، فبقيت الأندلس بدون قيادة ولو اسماً، فلا الموحدون باقون، ولا بنو مريم في طور نشوئهم يستطيعون، ولا بنو حفص في إفريقية يتمكنون، ولا بنو زيان قادرون.

وبا لها من فرصة، فترة كفنية باردة أو لقمة سائغة للنصارى القشتاليين أولاً (وهي أقوى مملكة للنصارى في الأندلس)، وللنصارى الأراغونيين ثانياً: (وهي المملكة التي تلي قشتالة قوة)، وكلتاها تنهشان الجسد الذي بدا عليه الضعف والخور.



انقراض أمر الأندلس

سقوط جزيرة شقر

فسقطت جزيرة شقر سنة ٦٣٩هـ الواقعة جنوب بلنسية.

سقطت دانية سنة ٦٤١هـ.

وتلتها مدينة جيان فسقطت سنة ٦٤٣هـ من أهم مدن الأندلس الشرقية. فشاطبة التي سقطت بعدها في سنة ٦٤٤هـ.

توالي التساقط



كان المسلمون في مرسية سنة ٦٣٦هـ يدفعون الجزيرة للقشتاليين ليحموهم، واستمر ذلك إلى أن تم الاتفاق بين مملكة أراغون وملك قشتالة على أن يأخذوها ويفتحوها. يقول ابن عذارى: بدأ الضمط الأراغوني، واشتد على أهل مرسية حصار العدو وتآلبه، فأعطوا مرسية للنصارى سنة ٦٤٤هـ وتركوها وخرجوا منها بالأمان إلى "الرشاقة"، إلى أن أخرجهم بالأمان بعد عشرة سنوات، ولكنهم غدروا بهم بموضع يعرف "ببوركال"، فقتلوا الرجال، وسبوا النساء والأطفال، وتحكموا فيهم كيف شاؤوا بالسيف وبالرمح. ضاع الشرق الأندلسي، وتوالت التساقطات، وماذا عسى أن يفعل أهل الأندلس، فانتتهت سيادة الإسلام في تلك البقعة الكبيرة.



سقوط مرسية



حصار اشبيلية

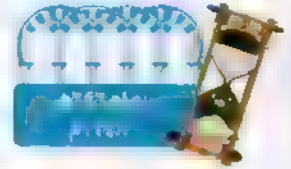
كانت إشبيلية تجلب انظار ملك قشتالة فرناندو الثالث، وكذلك أطماع الرهبان والقسيسين والفرسان من متطوعة النصرى، فقد كانت عاصمة الموحدين، وكانت تتمتع بنوع من الاستقلال الخاص بها، فبدأ فرناندو الثالث بحصار إشبيلية سنة ٦٤٥هـ، وكانت قد فقدت معظم أعمالها وحصونها، وكذلك خطوطها الدفاعية الأولى من الحصون الأمامية منذ سنة ٦٤٤هـ.

بدأ القشتاليون بحصار إشبيلية، ولم يكن حصارها سهلاً إذ لا بد لحصارها من القوات البحرية والبرية، كما أن أهل إشبيلية قد تهيؤوا للدفاع عنها وقد جهزوا الطعام والمؤن، وقد سجل التاريخ دفاعهم المستميت عن المدينة.



إشبيلية. الأسوار، جهات السور الغربي بجدرانها المسننة ويروجه ومقدم دارد مبنية بالاجر الذي ظل حاله محفوظا بشكل مذهل

كانت تقع بعض المناورات بين أهل إشبيلية والمهاجرين، مرة لهؤلاء ومرة لأولئك، ولكن أين من يأتيه المدد ممن لا يأتيه مدد، فقد كانت جحافل النصارى من الأندلس، وجماعات المتطوعة من الفرسان تزد إلى القشتاليين من بقية الممالك النصرانية، ومع ذلك بقيت إشبيلية صامدة طوال تسعة أشهر، حتى بدأت تدب إليها ويلات الجوع، وشحت الموارد، وقلت المؤن، فراسل أهلها فرناندو الثالث على أن يخرجوا أمنين فرضي بذلك، وأعطاهم الأمان فخرج منها أهلها (ما يقدر بأربعمائة ألفاً)، فتصرقوا اشتاتاً إلى الأندلس أو إلى المغرب، يقول ابن عذارى: تجرع أهل إشبيلية كثيراً من الأذى. ونالهم الأسى أشد منه، وأدى رحيلهم عنها وقلوبهم حزنى، يجللهم النكد، ويضربهم (يقطعهم) فراق البلد، وذلك في السابع والعشرين من رمضان سنة ٦٤٦هـ. حيث جرع أهلها كأس الحمام من كثرة المجاعة. وعدم الطعام، فكل منهم في بحر المنايا غائص وعام، مما حل بهم من الأوجاع والآلام.



جلاء أهل إشبيلية



رسم نديكاري برثي لنا إشبيلية بعد ضياعها من أيدي المسلمين



بعض الابراج الإسلامية في إشبيلية الباقية حتى اليوم

ضاعت إشبيلية لضياح أهل الأندلس، وإنما البلاد بالرجال، فإذا ولوا ولت، أو ليس من الأحداث المؤلة التي تنفطر لها النفس، أن يكون أمير غرناطة المسلم على رأس قوة من فرسانه يقاتل إلى جانب القوات النصرانية المحاصرة؟

ضاعت إشبيلية

ضاعت إشبيلية ذات التاريخ العظيم، موطن العلم والعلماء، وسقطت عروس الأندلس تبيكي على فرقة المسلمين وتمزقهم وتشكو قلوباً ميتة لم تعد تصحو من غفلتها.
بقيت إشبيلية بيد المسلمين أكثر من خمسة قرون، وتلا سقوطها سقوط الحصون التابعة لها، فلم يعد للأندلس من يحميها أو يدافع عنها!

ثانياً

سلطة غرناطة والاندلس



ولم تبق إلا مدينة غرناطة عاصمة الجنوب الشرقي التي أنشأها وزاد من أهميتها ابن الأحمر كما مر سابقاً، فما الذي جعل غرناطة تمتنع؟

١- قريتها من جبل طارق إذ يمكن نجدتها بسرعة حين الطلب.

٢- بعد المناطق النصرانية عنها.

٣- انحياز كثير من أهل الأندلس ممن لهم الفضل والعلوم إلى غرناطة بعد سقوط المدن، فكان منهم الطبيب والمهندس والبحار وقارئ القرآن العالم.

٤- لكن السبب الأخير وهو الأهم هو الحمية الإسلامية التي أثارها العلماء فتحرك الناس مع العلماء وبالنخوة الشرعية وحماية الأعراس حفظوا ما بقي من الأندلس. ولم يكن قد بقي في أقصى الجنوب الأندلسي إلا غرناطة، الحرة، مألقة.

رسم لغرناطة تظهر فيه الحمراء بأسوارها

أوقف النصارى هجومهم بعد دخول إشبيلية تحت سيطرتهم، حيث أرادوا أن يوطدوا المناطق التي استردوها، وكان ابن الأحمر في تلك الفترة يؤسس مملكته ويريد أن ينهض بها، ومات فرناندو الثالث سنة ٦٥٠هـ، (هذا الملك الذي تعدد الروايات النصرانية من القديسين)، ويعتبر أكبر ملك استطاع أن ينتزع من المسلمين مناطق وحصوناً ومدناً عديدة، وأنه قد بلغ في حروب الاسترداد هذه التي يطلقها النصارى على معاركهم، دروتها حين أسقط قرطبة ثم أخضع إشبيلية، ووضع حداً نهائياً لوجود المسلمين في وسط الأندلس وغربها.



وفاة فرناندو
الثالث

الممالك النصرانية

وكانت الممالك
النصرانية في
تلك الفترة:

- مملكة ليون
وأرغون.
- مملكة قشتالة.
- والبرتغال في
الغرب.

وتشكلت فيما بعد
إسبانية الحالية
من اتحاد مملكتي
ليون وقشتالة، أما
البرتغال فقد
بقيت منفصلة
عنهما إلى اليوم.

جندى نصراني مدجج بالسلاح الذي أصبح
يمتلكه بسهولة وكثرة



المدجنون

كانت المدن الإسلامية التي سقطت بيد الممالك النصرانية قد خلت من سكانها لهجرة الكثيرين من المسلمين
إلى شتى أرجاء المغرب أو إلى المناطق التي ما زالت باقية بيد المسلمين. أما المسلمون الذين بقوا تحت حكم
النصارى فقد أطلق عليهم اسم المدجنين، ويا له من اسم غريب عجيب! له علاقة بالدواجن والتدجين.

مخطوطة لصفحة من
القرآن، بخط عربي
شرقي



ثورة المدجنين في بلنسية

المدجنون، اسم أطلق على المسلمين الذين آثروا البقاء باوطانهم القديمة، واستسلموا إلى العيش في ظل حكم النصارى، تعصف بهم إرادة حكام النصارى وقساوستهم، فتسلب منهم الحقوق. وكانت بلنسية مئوى لكثير من هؤلاء الذين أتوا من البلدان الأخرى، حيث تجمع فيها ما يقرب من ثلاثين ألفاً، وأما أن يقوموا بثورة لاكتساب بعض الحقوق الإنسانية لهم، كحق الحرية، أو حرية العقيدة، واحتلوا بعض الحصون من منطقة بلنسية، وتقدموا نحوها حتى كادوا يدخلونها وذلك عام ٦٥٢هـ بعد أن شكلوا جيشاً، وكانت منطقة بلنسية تابعة لمملكة أراغون وليون ويحكمها ملك يدعى "جقوم" (جايميش)، فأمر هذا الملك أن يخرج كل (مدجن) من مملكته، فخرج الجميع نحو غرناطة تاركين ديارهم وأموالهم.

تقدم المدجنين

لكن الثوار استمروا في التقدم، ووقع الرعب في قلب جقوم والنصارى، الذين ظنوا أن المسلمين قد انتهوا وإذا بالثورة الكبيرة بينهم، وإذا هم قريبون، فأصيب جقوم الطاغية بغم وهم شديدين أدباً إلى وفاته.

القضاء على ثورة المدجنين بالغدر والكذب

وجاء من بعده ابنه بطره (مدرو)، الذي اتصل بالمسلمين وفأوضحهم ومناهم وقطع لهم العهود، حتى عقد هدنة أمان معهم، ورفع عنهم الظلم، حتى إذا تفرقوا، نقض العهود والمواثيق وضربهم قبل أن يتجمعوا، فولى المسلمون الأدبار، وفروا إلى مدينة "مونتزية"، فحاصروهم حتى استسلموا له، وأسرههم جميعاً، ووزعهم عبيداً إلى قرى مدينة بلنسية، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أوقف النصارى هجومهم بعد دخول إشبيلية تحت سيطرتهم، حيث أرادوا أن يوطدوا المناطق التي استردوها، وكان ابن الأحمر في تلك الفترة يؤسس مملكته ويريد أن ينهض بها، ومات فرناندو الثالث سنة ٦٥٠هـ، (هذا الملك الذي تعدد الروايات النصرانية من القديسين)، ويعتبر أكبر ملك استطاع أن ينتزع من المسلمين مناطق وحصوناً ومدناً عديدة، وأنه قد بلغ في حروب الاسترداد هذه التي يطلقها النصارى على معاركهم، ذروتها حين أسقط قرطبة ثم أخضع إشبيلية، ووضع حداً نهائياً لوجود المسلمين في وسط الأندلس وغربها.



وفاة فرناندو الثالث



من أجمل القاعات في قصر الزهراء

كان قد خلف فرناندو الثالث بعد موته ابنه ألفونسو العاشر على مملكة قشتالة، وكان ابن الأحمر يعاصره، ففي سنة ٦٦٠هـ قام ألفونسو بغارات وحملات على المناطق الخاضعة لحكم غرناطة، حتى وصل في هجومه قريبا منها، مما جعل ابن الأحمر يطلب المدد من الشمال الإفريقي فجاء المتطوعون المجاهدون الذين عبروا المضيق، واستطاعوا مع جند ابن الأحمر درء الخطر، ثم كرر المحاولة سنة ٦٦١هـ.



ألفونسو العاشر يهاجم غرناطة

دولة صغيرة مثل غرناطة مهددة دوماً من قبل دولة كبيرة هي قشتالة! فلا بد أن يطلب ابن الأحمر الصلح والمهادنة من ألفونسو العاشر الذي وافق على أن تسلم له عدة حصون سماها، ومدن أرادها، وتم الصلح وتنازل ابن الأحمر عن عدد كبير من الحصون والمناطق منها "شريس" ومدينة "شدونة" سنة ٦٦٤هـ.



تنازل غرناطة عن شدونة

تتابعت هذه الأحوال المزرية، وساءت الظروف والأخطار على الأندلس، ففقدت خلال ربع قرن من الزمان تقريباً (ما بين ٦٤٠ إلى ٦٦٤ هـ)، كثيراً من المدن، وسقطت أشهر العواصم الأندلسية في الشرق والوسط والغرب، مما جعل الشاعر صالح بن شريف الرندي يقول مرثيته التي تفيض أسى وحزناً، مطلعها:

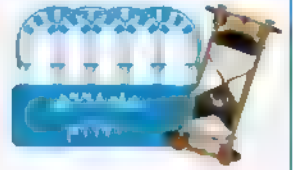
لكل شيء إذا
ما تم نقصان

لكل شيء إذا ما تم نقصان	فلا يغرب طيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول	من سره زمن ساءت له أزمان
يارا تعين وراء البحار في دعة	لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل أندلس	فقد سرى بحديث القوم ركبان
دهى الجزيرة أمراً لا مرد له	هوى له أحد وانهد ثهلان (*)
فاسأل بلنسية ما شأن مرسية	أم أين شاطبة بل أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم فكم	من عالم قد علا له فيها شان
حتى المحارب تبكي وهي جامدة	حتى المنابر تبكي وهي عيدان
كم يستغيث صناديد الرجال وهم	قتلى وأسرى فما يهتز إنسان
ألا نفوس أبيات لها همم	أما على الحق أنصارت وأعوان

(*) أحد وثهلان جلال في جزيرة العرب



وفي سنة ٦٦٨هـ أعلن بنو مرين رسمياً إنهاء دولة الموحدين في المغرب وقوضوا أركانها وأزالوها، وكان بنو مرين قد ظهرُوا في قرى فاس ٦١٣هـ، وهم بطن من بطون زناتة، يدعون أنهم من العرب أيضاً، قبائل من البدو الرحل، وكان أول من قام بشأنهم أبو محمد عبد الحق بن محيو الذي أصيب في معركة الأرك ثم يزغ نجمهم، وأصبحوا قوة في عهد أبي سعيد عثمان بن عبد الحق، وكان بينهم وبين الموحدين مواقع وأيام من قبل، وتم استيلاؤهم على مراكش عام ٦٦٨هـ، وانتهى هذا الصراع المؤلم.



الحراب، مميّز خارقه الدقيقة على الجدران

نظرة عامة

إلى دولة

الموحدين

بدأت دولة الموحدين في رمضان سنة ٥١٥هـ حين أعلن ابن تومرت قيامها في المغرب، وسقطت عاصمتها في يد أبي يوسف يعقوب المريني في محرم ٦٦٨هـ. ونذكر جملاً كنظرة عامة لهذه الدولة التي استمرت حوالي قرنين ونصف كان معظمها في الجهاد والاضطرابات، ولم تهدأ إلا أيام خلفائها الأقوياء، وتهمنا الفترة التي كانت الاندلس تحت حكمها.



البيئة الطبيعية. كان هناك تنوع بشكل ملحوظ في الحدائق وكانت مصدر إلهام لشعراء الاندلس

التجارة الإسلامية تزدهر في عهد الموحدين

الموحدون عسكرياً

- فمن الناحية العسكرية: كانت الأندلس تابعة للأمراء الذين يعينهم الخليفة الموحد المستقر في مراكش، وكان على هؤلاء تثبيت دعائم الحكم الموحد، وتنظيم إدارة الأندلس والحفاظ بشكل مستمر على وحدة الأندلس تجاه الخطر النصراني الذي كان يترصص بها من ثلاثة محاور كما مر، ولم يكن الواقع (أو الجو العام كما يقولون) دائماً يسمح بحفظ النظام والأمن والرخاء، أو بالدهاع عن مختلف أقطار الأندلس، فقد تمددت مملكتا قشتالة وأراغون في الشمال والشرق، وكذلك مملكة البرتغال في الغرب، وما استطاعت القوات الموحدية التي قدمت من المغرب ولا الحاميات الموجودة في الأندلس إيقاف العدوان المستمر، ولم تكن للموحدين إلا غزوة واحدة هي الأرك، وما استطاعوا الاستفادة منها على الوجه الأكمل، إذ تلتها معركة العقاب، فكانت النذير الأول لانحلال قوى الأندلس والموحدين.



بوابة النصر في قلعة الحمراء

العلم في دولة الموحدين

من الناحية العلمية: نشط العلم والعلماء في عصر الموحدين، وازدهرت الأندلس بشتى أنواع العلوم والمعارف، فقد كانت مدن الأندلس مركزاً للمعاهد العلمية: إشبيلية، وقربطبة وبلنسية، وكان العلماء يلاقون بالترحيب والتشجيع، لوجود النزعة العلمية لدى الموحدين، وكان من بين الخلفاء علماء أيضاً، في علوم الدين كالحديث والاصول والتفسير والفقه، وقد مرّ خروج كثير من العلماء للجهاد واستشهاد عدد منهم في معارك عديدة من المعارك التي دارت أيام الموحدين، وظهر عدد كبير من العلماء في فروع اللغة والأدب والنحو، كما برز عدد من الشعراء في رثاء المدن والممالك كابي البقاء الرندي، وابن خفاجة وابن الأبار الذي يعد مؤرخاً أيضاً، ومن المؤرخين ابن عذارى الذي أرخ لهذه الفترة في كتابه البيان المغرب، ومحمد بن عبد الملك صاحب الموسوعة الكبيرة الذيل والتكملة لكتابي الموصول (لابن الفرضي) والصلة (لابن بشكوال)، وكذلك أبو مروان عبد الملك بن محمد بن صاحب الصلاة مؤلف كتاب المن بالإمامة.

وبرع ابن زهر في الطب، وكذلك ابن الطمیل، وابن رشد (الحفيد)، والأخيران قد برعا في الطب والفلسفة، فابن الطمیل برع في كتابه (حي بن يقظان)، وابن رشد في كتابه (تهافت التهافت).

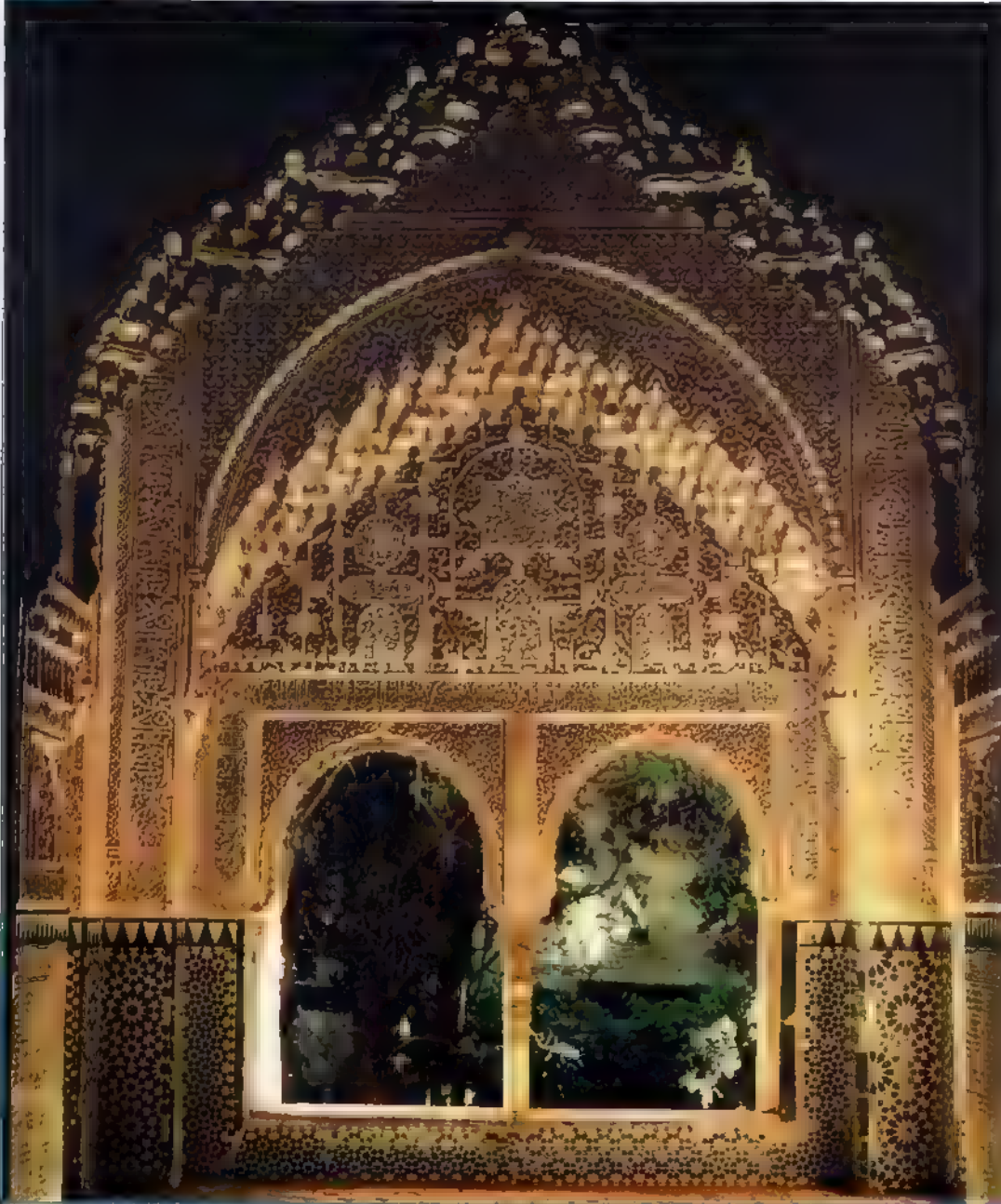
ويذكر أيضاً هنا الرحالة الأندلسي الشهير ابن جبير وهو من أهل بلنسية.

سماء الكون: كما صورها عالم مسلم



ومن الناحية الحضارية والعمران: فقد اهتم الموحدون بإنشاء المساجد والقناطر وشق الترع (السواقي)، وإرساء المدن، وإنشاء الحدائق العامة والخاصة. ولا تزال أطلال مدنها وحصونهم شاهدة، بل بعضها قائمة كالمئذنة الشهيرة - وإن تغير شكلها - في إشبيلية.

العمران لدى
الموحدين



الاهتمام العمراني من قبل الامراء المسلمين في الاندلس

الاقتصاد في دولة الموحدين

من الناحية الاقتصادية: وهي تابعة للجو العام لسيادة الدولة ففي ظلال الأمن والرخاء تنشط، والصيق والصوضى تضعف فتقلو الأسعار وتندعم الثقة. ويسود الضيق ومشقة العيش على الحياة العامة، فكانت كما كانت حياة الموحدين تختلف بحسب قوة الشخصية الحاكمة هي الأندلس.



قصر تم بناؤه في عصر الموحدين ما بين ١٣٦٣-١٣٦٦م

التمسك بالشريعة

وكانت تستمد وجودها من الإسلام رغم بعض الأخطاء، وقد أكد الخلفاء والولاة إقامة العدل والضرب على العيث (المصاد) والتمسك بشريعة الإسلام، ووجوب التزام الدقة في تطبيق أحكام الشريعة، ووجوب الكف عن تحصيل أية مغارم أو مكوس (ضرائب) لا تبيحها الشريعة ولا تتفق مع قواعد العدل... وأنه يجب تحريم الخمر، ومطاردتها في سائر أنحاء الدولة، ويجب صيانة بيت المال.

أحداث القرن العاشر الهجري

استقلال بني الأحمر في غرناطة ثم امتداد سلطانهم للمرية ومالقة .

وفاة ابن هود في المرية .

سقوط بلنسية على يد ملك أرغون .

سقوط دانية .

سقوط جيان .

سقوط شاطبة ومرسية .

سقوط إشبيلية بعد الحصار .

ثورة المدجنين في بلنسية والقضاء عليها .

وفاة فرناندو الثالث .

ابن الأحمر يهادن ملك قشتالة ويتنازل عن شذونة .

إعلان إنهاء دولة الموحدين رسميا في المغرب .



نقش جيبانزي على الصخر يعود لعام ١٣ هـ



ملخص عمل شعري لابن ليون، كتابه مغربية أندلسية

نهـاية الأندلس



الفصل الثاني

بنو مـرين

أولاً - بنو مـرين هي الأندلس

ثانياً - الخيانات تعصف بالأندلس

ثالثاً - أبو يعقوب يوسف المـريني في الأندلس

رابعاً - تقلص الأندلس الإسلامية

ورث ابن الأحمر ابنه محمد بن محمد بن الأحمر المعروف بالفقيه، لأنه كان قد تلقى العلوم من كبار علماء عصره.

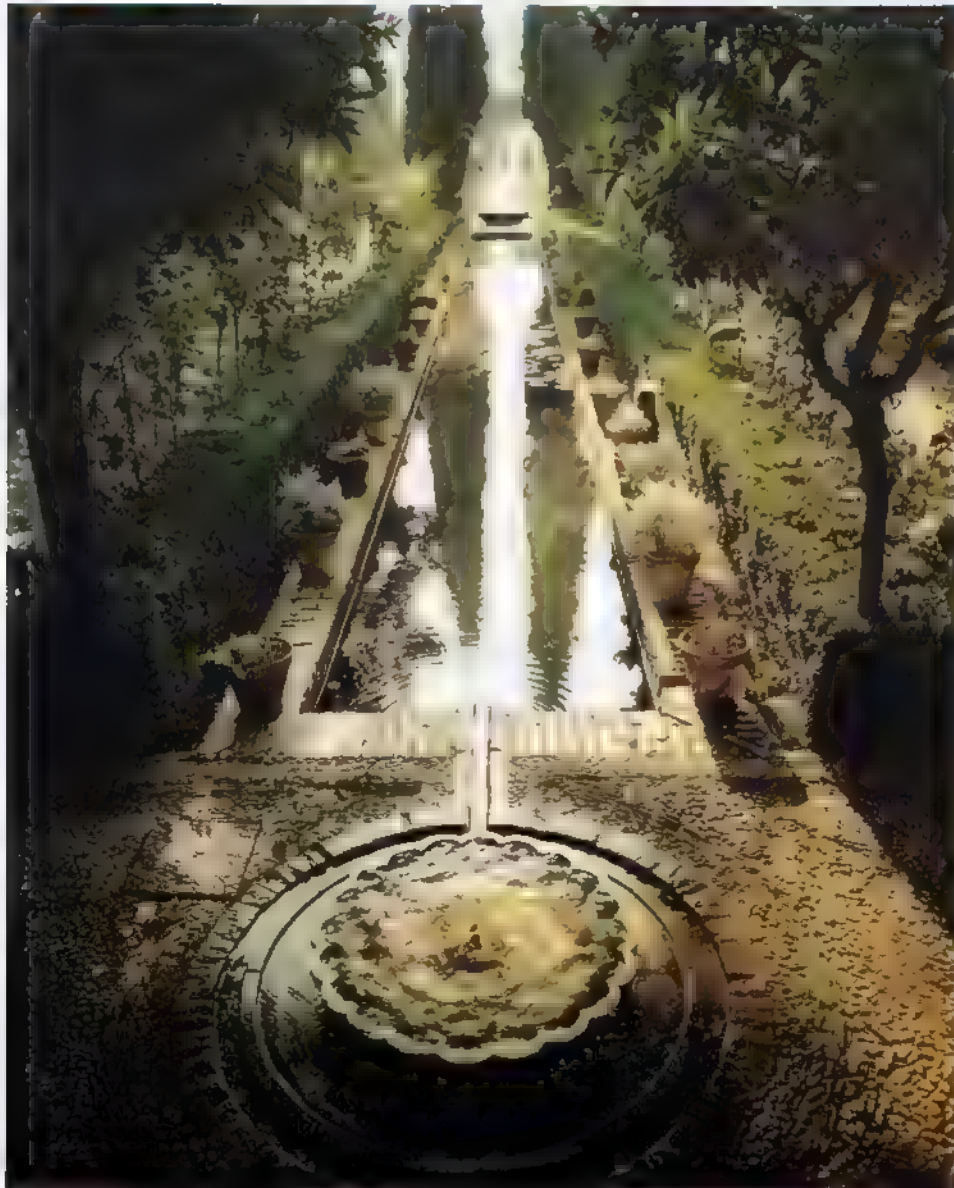
محمد الفقيه
يتولى الحكم



وفاة ابن
الأحمر

وفي ٦٧١هـ جدد الفونسو العاشر هجومه على مناطق تابعة لفرناطة، ونسي اليهود والمواثيق والحصون التي ابتلعها نتيجة رضائه بإجراء المهادنة والسلام، فأرسل ابن الأحمر يستنجد بسليمان بن مرين (يعقوب بن عبد الحق) الملقب بالنصـور، يستعجله المدد والنصرة، فلبى، وتمكن العرناطيون (بنو الأحمر) مع قوة بني مرين صد الهجوم، إلا أن ابن الأحمر توفي في نفس العام ٦٧١هـ.

أحدى حدائق
قصور الأمراء
المدهشة



ولما توالى تهديد النصارى على غرناطة طلب المقيه من بنى مرين وأميرهم أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق الملقب بالمنصور (يطابق اسمه ولقبه الخليفة الموحدى بطل معركة الأرك) النجدة والمدد، فأرسل هذا جيشاً بقيادة ابنه يوسف تعدده خمسة آلاف سنة ٦٧٣هـ، وبعد شهرين لحق به بعد أن هدأت الأحوال في المغرب، وتوحد جيش ابن الأحمر والمدد وجيش المنصور، وتقدمت هذه القوة من جبل طارق باتجاه الشمال، تتوجه نحو قرطبة عاصمة مملكة قشتالة في تلك الفترة، حيث خرجت قواتها بقيادة أشهر قوادها الدون (نونيو دي لارا). وكان عدد جيش النصارى تسعين ألفاً، ضخم العدد والعدد، متمكناً من القوة، كثير التجربة في خطط الحرب، ولم يكن عدد المسلمين يزيد عن عشرة آلاف. فوقع معركة هائلة بينهما قريباً من مدينة أستجة تعرف باسم:



المقيه
يستنجد
بالمغرب

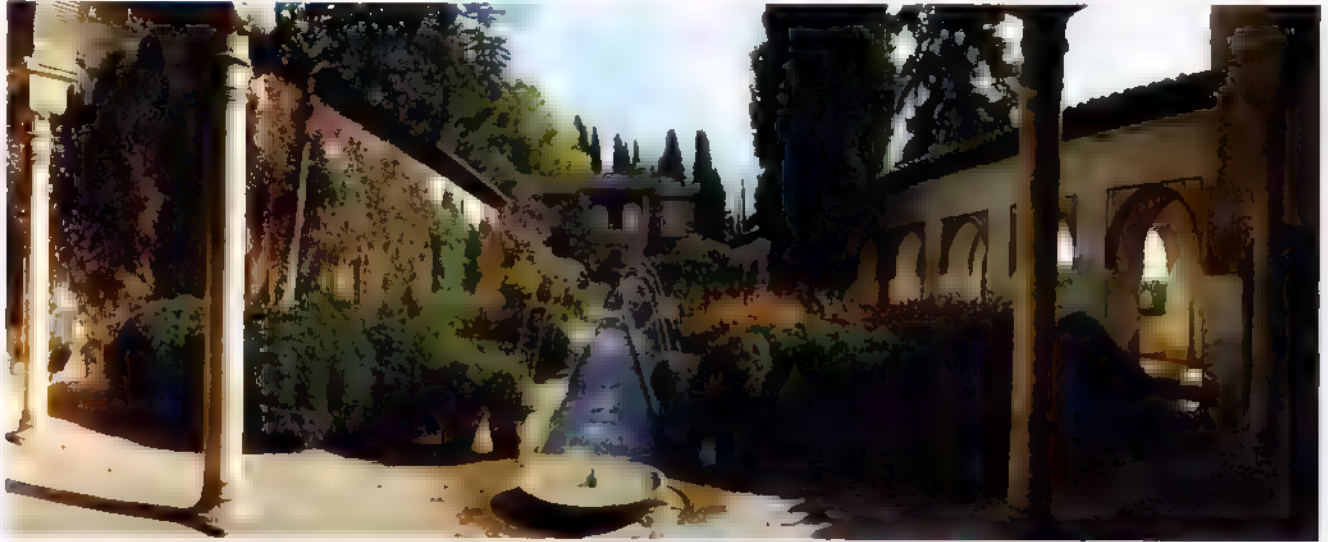


قناء مسجد المهدي القديم في اسبيليه مزروع بشجر البرتقال ومرين بإفورد يعتبر من الأماكن الرائعة الماسية

الغزوة الدونونية (نسبة إلى قائد القشتاليين)، وذلك في الخامس عشر من شهر ربيع الأول سنة ٦٧٤هـ، كانت غزوة خطيرة سيتحدد بها مصير المسلمين، ومصير مملكة غرناطة.

الغزوة الدونونية





أحد القصور الذي زين داخله الجنة من الطبيعة الباهرة

المنصور قائد الجيش يخطب

قاد أبو يوسف المنصور الجيش بنفسه وأدار المعركة، فجعل على مقدمته ابنه، كذلك حدد لابن الأحمر وجيش غرناطة مكانا، أما هو فقد أقدم قبل أن يلتحم الجيشان، فترجل عن حصانه، وتوضأ، ثم صلى ركعتين، ورفع يديه إلى السماء يدعو. والمسلمون يؤمنون على دعائه، وكان من دعائه آخر ما دعا به النبي ﷺ يوم بدر: اللهم انصر هذه العصابة (جيشه وجيش ابن الأحمر) وأيدها وأعنها على جهاد عدوك وعدوها، ثم قام فاستوى على جواده، واستعد للقتال، ونادى على المسلمين فقال: يا معشر المسلمين، وعصابة المجاهدين، أنتم أنصار الدين، الذابون عن حماه، والمقاتلون عداه، وهذا يوم عظيم، ومشهد جسيم، له ما بعده، ألا وإن الجنة قد فتحت لكم أبوابها وزينت حورها وأترابها كأنه يتذكر قول الشاعر

لهذا إلى حورية نزلت في قصرها المؤمن تهفو
وتقول هل من خاطب فطن يأتي سليم القلب يصفو

فبادروا إليها، وجذوا في طلائها، وابذلوا ما بذل أسلافكم في أثمانها، وكأنه يتمثل المعنى:
المهر دمع أودم سكباً لله حقاً، يرفض الزيف

ألا وإن الجنة تحت ظلال السيوف! وإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة (التوبة: ١١١) فاغتنموا هذه التجارة الرباحة، وسارعوا إلى الجنة بالأعمال الصالحة، وشمروا عن ساعد الجد في جهاد أعداء الله الكفرة، وقتل المشركين المجررة، فمن مات منكم مات شهيداً، ومن عاش رجع إلى أهله سالماً غانماً ما جوراً حميداً، ف«اصبروا وصابروا ورباطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون» (آل عمران: ٢٠٠).

النصر العظيم

حركت هذه المفالة نفوسهم، واثارت فيها حب القتال والإقدام، فاسترخصوها في سبيل الله، وعانق بعضهم بعضاً، وارتفعت أصواتهم بالشهادة وبالتكبير، وكلهم يقول لبعضهم: إياكم والتقصير، وتسابق أبطال المسلمين نحو جيش الروم (القشتاليين) معتمدين على الحي القيوم، ودارت رحى المعركة، وأنشبت أظفارها الضروس، وكانت هائلة شديدة وثبت الله قلوب المؤمنين، وألقى الرعب في قلوب النصارى فوثوا مدبرين، ينهزمون لا يلوون على شيء، بعد أن قتل منهم ستة آلاف، وقتل قائدهم، وأسر منهم سبعة آلاف وثمانمائة.

كان قتلى القشتاليين وأسراهم أكثر من عدد الجيش الاسلامي كله. وكثرت الغنائم حتى بيعت الشاة بدرهم واحد، وكان نصراً مؤزراً أعاد ذكرى الأرك، إذ ما كان المسلمون قد انتصروا بعد العقاب مثله، وحفظ المسلمين في الأندلس إلى زمن، فقد كادوا يسقطون غداً، لأن الانحسار كان قد بدأ منذ زمن على الأندلس.

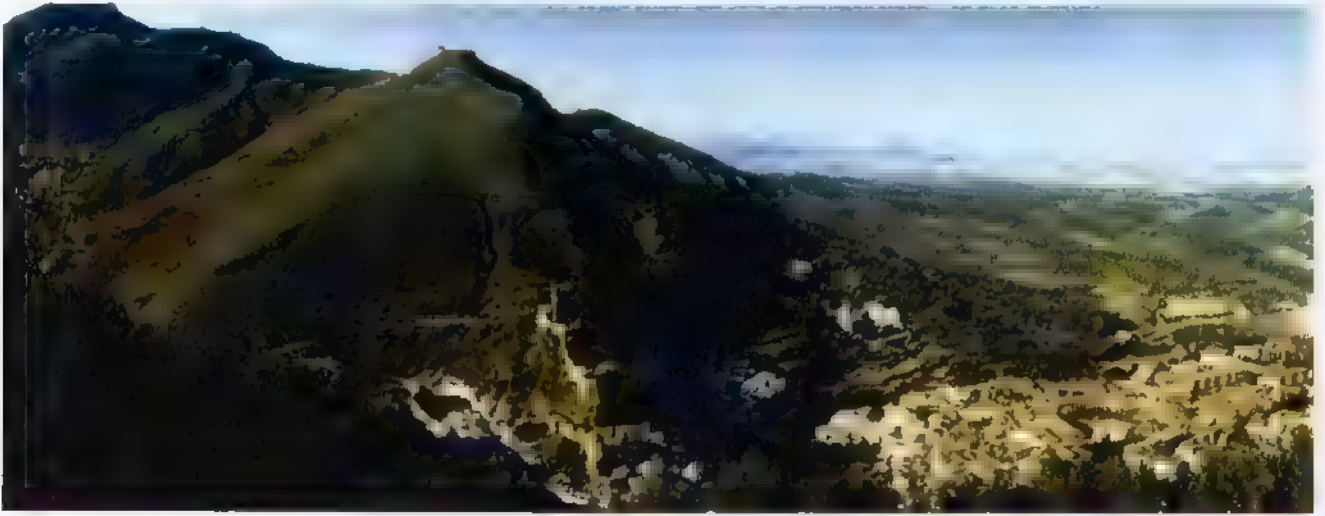
وانقسم المسلمون بعد هذه المعركة إلى قسمين:



حصن بانوس في (جيان)، عند سلاسل جبال مورينا

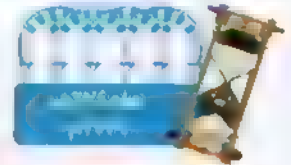


إحدى القلاع القديمة في مدينة جيان



جبل وسهل في جيان

القسم الأول توجه به ابن الاحمر نحو مدينة جيان ليحاصرها، وقد سيطرته على بعض المناطق القريبة منها، فخرج ابن الملك للتصدي، وايقاف هجوم الجيش الفرناطي، لكن كانت الغلبة للمسلمين، وانتصر المسلمون في جيان، وقتل "بطره بن جشوم"، ثم وقعت معركة ثانية في اليوم التالي، إذ قاد جيش اراغون "دون لوك" الذي أدركه الخوف فراسل المسلمين ليعقدوا بينهم معاهدة سلم وأمان، ورجوهم ان يرسلوا جثة المقتول مقابل اقتداء الأسرى من المسلمين، فاتفق الطرفان على هذا الشرط، فأخذوا جثته ودفنوها في وسط مسجد طليطلة الذي كان قد حول إلى كنيسة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



معركة جيان

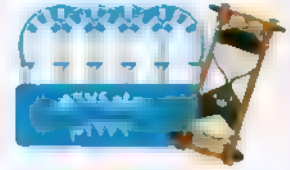


جيش النصاري بقيادة ابن الملك يحاولون صد هجوم الجيش الفرناطي بقيادة ابن الاحمر

أما القسم الثاني من الجيش فقد توجه به المنصور نحو مدينة إشبيلية، فحضر الحصار، فطلب أهلها الصلح على أن يدفعوا له الجزية فرضي بذلك أبو يوسف المريني.

وتجددت آمال المسلمين فقد أصبح لهم شار، حين نزل بنو مرين إلى الجهاد يتابعون خطى المرابطين والموحدين الأوائل، ولكن قد صاع الوقت، وفات الكثير إذ سقطت أمهات المدن في الأندلس، وقلت مواردها، ومع هذا فإن مناصرة بني مرين لملكة غرناطة أخرت سقوطها قرنين من الزمان.

امضى المنصور المريني خمسة أشهر في الأندلس، ثم عاد إلى المغرب بعد أن ترك حامية من بني مرين عددها ثلاثة آلاف فارس في الجزيرة الخضراء، تحسباً لمساعدة الأندلسيين إذا وقع العدوان الصليبي عليهم.



حصار إشبيلية



قصر في إشبيلية ويبدو ملامح الفن الإسلامي ظاهرة

رجع المنصور وابن الأحمر الفقيه معاً إلى غرناطة. وهذه أول مرة يدخل فيها المنصور هذه المدينة، فاستقبل استقبالاً حافلاً، والألسنة تلهج بالدعاء له وبالنصر. ترك المنصور المريني الغنائم كلها لأهل الأندلس، فليس له إلا الأجر من الله، وما يريد من جهاده سوى رضا ربه، فأحبه أهل الأندلس. وبالفوا في إكرامه.

المنصور المريني في غرناطة



حصار قرطبة

وعاد مرة أخرى إلى الأندلس عام ٦٧٧هـ والتقى بابن الأحمر الفقيه، وانضم جيشاهما معاً إلى حصار إشبيلية التي نقضت العهد، ففتحا عدة حصون للنصارى، ثم أرسل المنصور ابنه بجيش لحصار قرطبة التي اتخذها القشتاليون عاصمة بعد سقوطها فحاصرها، ثم جاء أبو يوسف بجيش معه.

أرسل ملك النصارى يعرض صلحاً، فأخذ المنصور برأي ابن الأحمر الذي يرى أن الصلح أحسن له، إذ خاف على جنده من الهلاك لتعبهم، وقتلهم، فرفض بذلك على أن يدفع النصارى جزية له.





مالقة تنضم لبني مرين

وفي هذه الفترة مات حاكم مالقة التي كانت مستقلة، وكانت تعد من مملكة غرناطة اسماً، فتنازل ابن الحاكم لبني مرين، وأرسل إلى أبي يوسف يعلن ولاءه له، فعين المنصور ابنه أبا زيان أميراً على مدينة مالقة، وأصبح لبني مرين قاعدة في الأندلس بذلك.

جعلت هذه الأحداث الفقيه ابن الأحمر يتوجس خيفة من أبي يوسف، فخاف أن يسلبه ملكه، وهو فقيه مطلع يتذكر قصة المعتمد بن عباد مع يوسف بن تاشفين (حين استعان به ضد النصاري، ثم استولى على الأندلس، ولكنه نسي أن ابن تاشفين ما طلب حكم الأندلس إلا برضاء من أهلها) فقال ابن الأحمر كلمة ليست في موضعها: (إن في التاريخ لعبراً). والعلم دون تقوى من الله لا ينفع صاحبه، وربما يرديه، وهكذا كان شأن الفقيه ابن الأحمر.



رسم يظهر فيه اسوار مالقة ومسجد مالقة الكبير

خيانة ابن الأحمر

فكر ماذا يفعل؟ ومن سينصره ضد بني مرين؟ ليس من المسلمين أحد يتجده؟
ليس دون النصاري من أحد؟ وبئس ما قاده إليه تفكيره!
يتحالف مع الشيطان من أجل كرسیه!
تحالف مع قشتالة، ليستعين بالنصاري على إخراج بني مرين من الأندلس، كان يوجد في منطقة الجزيرة الخضراء ثلاثة آلاف فارس سبق ذكرهم، فتقدم الحلف الفرناطي القشتالي لإخراج الجند المريني، واستنجد هؤلاء بالمغرب واتصلوا بابي يوسف فأرسل ابنه مباشرة على أسطول ضخم كان عداؤه أريممائه سفينة، ولما علم النصاري بذلك أرسلوا أسطولهم القشتالي ليصد أسطول

المسلمين في بحر المضيق، ودارت رحى معركة بحرية هائلة عند جبل طارق، ثم ولت سفن

ستار من قصر ابن الأحمر في غرناطة يدل على تطور صناعة الحرير

النصاري الأديار، وتبعها جند البر يتسابقون في الهزيمة، وترك النصاري ابن الأحمر وحده ليواجه الموقف، فأسقط في يده، وندم على ما فعلته يده، وأظهر الندم الشديد، والاعتذار تلو الاعتذار عن فعلته النكراء، فقبل منه المنصور الذي عاد إلى المغرب، بينما أبقى ابنه يوسف والياً على الجزيرة الخضراء. وفي مالمقة فكر يوسف بن المنصور كيف يحاسب ابن الأحمر على خيانتة هذه؟ وكيف يؤاخذة على جريمته حين استعان بالنصاري لطعن المسلمين الذين اشتركوا معهم في مناصرتهم سابقاً؟ وبينما كان المنصور منشغلاً بإخماد ثورة قامت ضد بني مرين في منطقة تلمسان بالجزائر، قرر يوسف بن المنصور أن يستعين بالقشتاليين (وهذا يدل على قلة الوعي والدين).



عجبا يستعين بالنصارى على من سبق أن استعان بهم، ويرتكب السوء ذاته؟ فأرسل إليه الفونسو رهباناً وأخباراً للتفاوض معه، لكن يوسف خشي من غضب أبيه فتردد وأخبرهم بضرورة استئذان أبيه. فاتفق الطرفان أن يأتي الاحبار والرهبان إلى المنصور ليأخذوا رايه في مهاجمة غرناطة، إذ خاف يوسف من والده في هذا الاجتهاد الخاطئ، فما كان من المنصور إلا أن أرسل الى ابنه يعاقبه عتاباً شديداً كأنه يقول له:

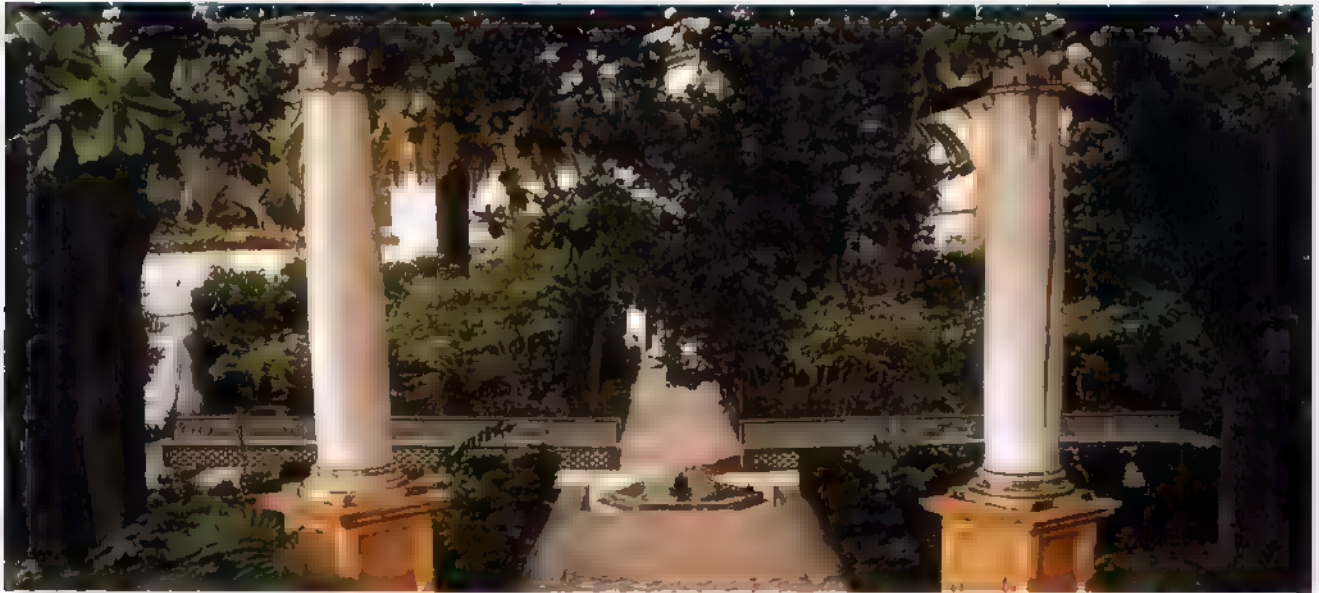
أتعالج خيانة بخيانة؟ أتريد جريمة تمحو جريمة؟ وكان تأنيبه لولده تأنيباً شديداً، واستطاع إخماد هذه الفتنة بحكمته، وكأنه يقول:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وهذات الاحوال، وساد الأمن وعم السلام فترة على مملكة غرناطة، وتم التماهم، وصفا الجو بين بني الأحمر وبين بني مريـن.



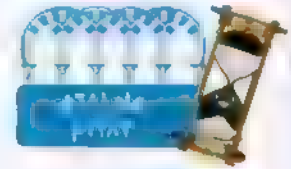
خيانة مقابل
خيانة



حديقة داخل أحد القصور الأندلسية

وقد حدث في تلك الفترة في مملكة النصارى، أن ثار في قشتالة -أعظم دولة نصرانية- شائجة على والده الفونسو العاشر، يريد مملكة أبيه سنة ٦٨١هـ، فاستولى الابن على المملكة وطرد أباه.

توجه الفونسو العاشر نحو أوربة، وقصد ملوكها وأمراءها، ليعيد مملكته التي اغتصبها منه ابنه، فلم يرض أحد منهم أن يمد له يد العون والمساعدة، فذهب إلى البابا يستنصره، فأبى أن يتدخل في قضية رآها داخلية، ولو كان الصراع بين المسلمين والنصارى لما توانى لحظة!



ابن يطرد أباه

رجع الفونسو خائباً إلى الأندلس، يتحرق حسرة على ملكه الذي سلب منه، فقام وقد اهتدى إلى أن يعبر البحر المضيق إلى المغرب، ويتوجه إلى أبي يوسف المنصور ملك بني مرين وقبل يده غسل السلطان يده من تقبيله بالماء، وكأنه يتمثل رأي المذهب الظاهري في قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ» (التوبة: ٢٨). ومن أنجس من هذا الملك الطاغية؟ ورجاه مساعدته لاستعادة ملكه بمدد منه، وأعطى تاجه رهينة لديه، فاستجاب له المنصور وأمدّه بجيش، فعبر بنو مرين البحر، واجتمع حولهم أنصار الملك في الأندلس، وتوجهوا جميعاً نحو مناطق إشبيلية وقرطبة، فأثخنوا فيها واحتلوا بعض المناطق والحصون، وغنموا غنائم كثيرة.

الأب يستعين بالمنصور

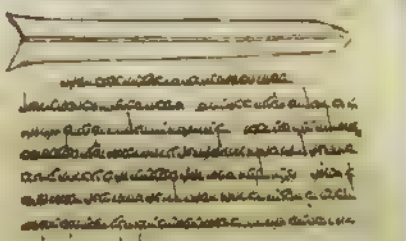
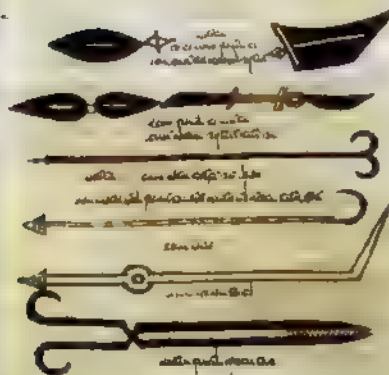


وفاة الفونسو

ودام الهجوم والغارات سنتين كاملتين على مملكة قشتالة، وشاء القدر أن يموت الفونسو العاشر طريداً سنة ٦٨٣هـ، فأنقذ ابنه الغاصب بحكم قشتالة، وعاد المنصور إلى المغرب، وتفرق جيش الفونسو بعد وفاته، إذ لم يعد هناك طالب للحكم من غاصبه.

في سنة ٦٨٣هـ مات الفونسو العاشر ملك قشتالة طريداً، فأنقذ ابنه الغاصب بحكم قشتالة، وعاد المنصور إلى المغرب، وتفرق جيش الفونسو بعد وفاته، إذ لم يعد هناك طالب للحكم من غاصبه.

في سنة ٦٨٣هـ مات الفونسو العاشر ملك قشتالة طريداً، فأنقذ ابنه الغاصب بحكم قشتالة، وعاد المنصور إلى المغرب، وتفرق جيش الفونسو بعد وفاته، إذ لم يعد هناك طالب للحكم من غاصبه.



عبر أبو يعقوب المنصور إلى الأندلس بعد عام واحد، أي سنة ٦٨٤هـ ليوقف تجاوزات مملكة قشتالة بإثارة الاضطرابات والإخلال بالأمن على حدود مملكة غرناطة، ودام القتال براً وبحراً، وكانت دوائر القتال الرهيب تقع على القشتاليين، حتى اضطر ملكهم شانجة لطلب الصلح، وأرسل وفداً من القساوسة والأخبار يطلب المهادنة فرضي المنصور بذلك على شروط أهمها:

- ١ أن يتعهد ملك النصارى شانجة بعدم الاعتداء على المسلمين المقيمين في الأندلس أينما كانوا، وأن يعيش أولئك في أمان بأموالهم وأنفسهم ودينهم.
- ٢ وأن يرسل شانجة الكتب العلمية التي بقيت في المدن التي سقطت بيده كطليطلة وإشبيلية وسائر المدن، والتي تركها المسلمون أثناء محنتهم وهجرتهم إلى بلاد المغرب.



النصارى يطلبون الصلح

رضي شانجة بذلك، فما في المغرب اليوم من تراث المسلمين معظمه من تراث الأندلس.



وفاة المنصور المريني

توفي أبو يوسف المنصور سنة ٦٨٥هـ بعد أن اشترك في الجهاد وقضى معظم حياته بالانتقال من المغرب إلى الأندلس، ومن الأندلس إلى المغرب ليعز الإسلام والمسلمين، وبعد حياة حافلة بالفتوح في المغرب حيث أنهى الدولة الموحدية، ثم قام بأعمال الجهاد الجليلة في الأندلس.



مخطوطة كتاب معالجة فن استخدام الاسطرلاب لابن الصفار بخط يد غير مؤرخ، مكتوب بالعربية المغربية

وورث من بعد المنصور ابنه أبو يعقوب يوسف، وكان له شأن في جهاد الأندلس، لكنه كان يسلك مسلكاً شائئاً شاداً عندما يستنصر بالنصارى على المسلمين، ورأيناه قد عاد إلى الصواب بعد تأنيب والده له.

الثقة تعود

بين الأحمر
وبني مرين

عبر ابن الأحمر
الفضي بنمسه إلى
المغرب ليهنئه، وعلن
له توبته وندمه، على
ما بدر منه سابقاً
بحقه، وعرض له ما
يشاء من أرض
مملكة غرناطة.

صمغ عنه يوسف،
واستأذنه أن يجعل
له مدينة طريف
على الخليج قرب
جبل طارق قاعدة
لحشود بني مرين
في طرف الأندلس،
فأذن له، وعادت
الثقة من جديد بين
الزعيمين وتحسنت
الأحوال، وانعدمت
الفتاقل، إلى عام
٦٩٠هـ.





حصار اشبيلية

عبر أبو يعقوب البحر ونزل بالجزيرة الخضراء، ثم تقدم نحو إشبيلية لحصارها وإعادة فتحها، إلا أن الشتاء القارس والبرد الشديد، جعله يعود بجنوده إلى الجزيرة الخضراء وبفك الحصار عن إشبيلية. علم القشتاليون أن هذا الحاكم أبا يعقوب ليس كمن سبقه من الضعاف، وليس كابن الأحمر في الخيانة، وأنهم يواجهون قوة غير عادية من قوات المسلمين.



راس عمود في إشبيلية

المعركة البحرية



نقض النصارى ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود ومواثيق، وذلك بعد أن استفادوا من فترة الهدنة فأعادوا نشاطهم وقوتهم، فأراد أبو يعقوب يوسف أن يعبر إلى الأندلس، وكانت القوات القشتالية في البر قد استعدت لمنعه، وكذلك كان أسطول القشتاليين مستعداً لصدده، ومنعه من العبور إلى جهة الأندلس، فتشبت معركة بحرية قرب مضيق جبل طارق، وبدا الانكسار والضعف على السفن الإسلامية التي بدأت بالهروب من ساحة القتال، إلا أن يوسف رفض أن يولي الأدبار «ومن يولهم يومئذ دبره فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير» (الأنفال: ١٦)، بل اقتحم بسفينة، يريد الانقضاض على سفن النصارى فلما رآه جند السفن الأخرى وراوا إقدامه خجلوا من أنفسهم وبادروا إلى مؤازرته والعودة إليه، وما هي إلا ساعات وانقلبت النتيجة لصالح المسلمين، وفرت سفن النصارى، وولت الأدبار.



الاسطرلاب، جهاز قياس مواقع النجوم وحركتها، من روائع اختراعات المسلمين في الأندلس في القرنين العاشر والحادي عشر

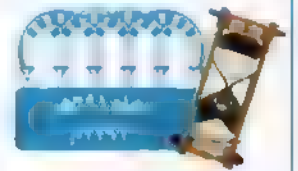


أسطول القشتاليين يتجمع لصد أبي يعقوب يوسف



الكاتدرائية هي اشبهيلية ثالث اكبر بناء مسيحي في العالم. والمدينة الاسلامية حلفها شاهد على انها كانت مسجداً اسلامياً قد أسسه المسلمون في الأندلس

عاد الفقيه إلى خيافته، وظن ببني مرين الظنون، وخاف على عرشه، وبس العرش إن كان من أجله السعي لتفريق المسلمين، وإيقاد نار العداوة والشحناء بين أهل الأندلس. فأرسل إلى النصاري يتحالف معهم، «قل كل يعمل على شاكلته» (الإسراء: ٥٨). وقام جيش التحالف الفرناطي القشتالي بالهجوم نحو مدينة طريف التي كانت ثعراً بيد بني مرين، وفيها جيشهم وحاميتهم، لكن بنو مرين رغم أنهم كانوا مشغولين بحوادث المغرب ومع ذلك أرسل أبو يعقوب أسطوله مصراً على مساعدة أهل طريف.



خيانة الفقيه

سد النصاري مداخل البحر بأسطولهم الذي كانوا قد هيؤوه، ودارت معارك هائلة بين جيش غرناطة والنصاري من طرف، وبين قوات المرينيين برأ وبحراً إلى أن استطاع القشتاليون ومن يساندتهم من ابن الأحمر وأضرابه أن يسقطوا مدينة طريف بعد حصار مرير دام أربعة أشهر. وكان الاتفاق بين الفقيه والنصاري أن يعطي هؤلاء الأماكن التي أسقطوها إلى بني الأحمر (أرفض هؤلاء إعطاء أي شيء لابن الأحمر، وهذا جزاء الخيانة السريع.

سقوط مدينة طريف

ندم أين
الأحمر

ندم ابن الأحمر (الفقيه) أشد الندم، فعبّر إلى المغرب من الأندلس واتصل بابي يعقوب يستعطفه ويقر بذنبه، ويستغفر عن فعلته، فصمخ عنه أبو يعقوب صفحاً جميلاً. وذلك من الخلق الإسلامي الرفيع. وأهداه مصححاً يقال إنه أحد مصاحف عثمان بن عفان (الذي كان قد أرسله بعد نسخ المصاحف، وتنازل ابن الأحمر الفقيه عن كل الحصون الموجودة في الجزيرة الخضراء. وتنازل أيضاً عن مدينة رنده.

حصار طریف

ثم قام الحليفان بجيشيهما العرناطي والمريتي لاسترجاع طريف، وذلك بعد أن تضاعفت قوات النصاري وحصنت المدينة. ولولا خيانة ابن الأحمر لما استعاد النصاري شيئاً، ولما استطاعوا أن يسقطوا مدينة طريف، ولكن النصاري صمدوا وبقيت طريف بيد النصاري، وهذا من جزاء الخيانة العاجل، وكان قائد جيش ابن الأحمر وزيره عمر بن السعود الجشمي.





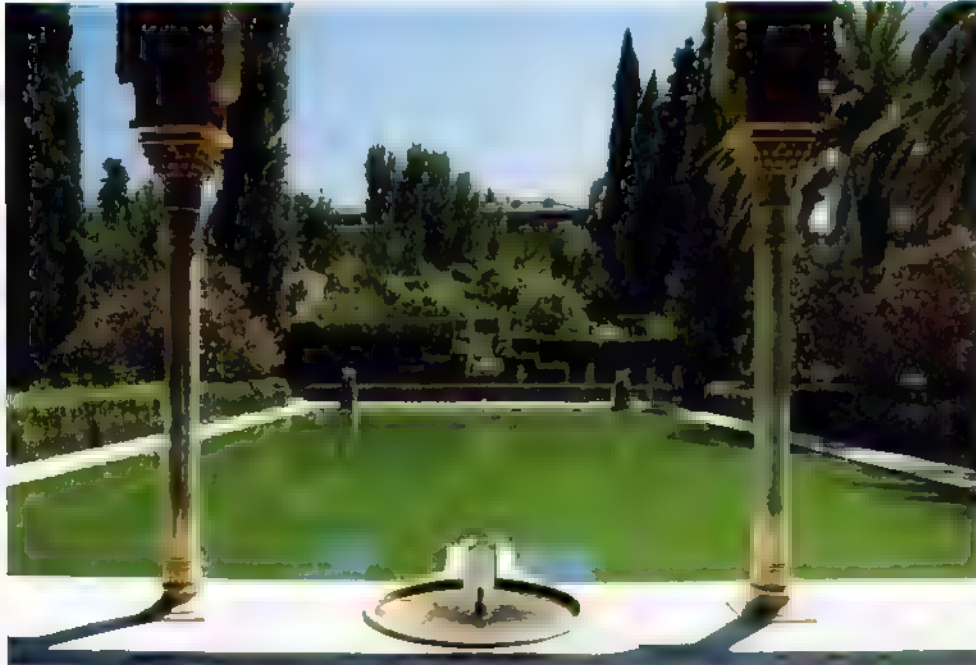
وفاة الفقيه

وحكم
الأعمش

توفي الفقيه محمد الثاني سنة ٧٠١هـ، فخلفه ابنه أبو عبد الله محمد الثالث بن محمد بن محمد بن الأحمـر، وكان يلقب بالأعمش، وكان ضعيف الشخصية مهلهلاً لا يصلح للحكم، فقد تسلط عليه وزيره أبو عبد الله الحكيم، وأصبح يدير هو شؤون المملكة، وليس للأعمش إلا صورة الحكم.

خيانة الوزير

وسعى هذا الوزير للإيقاع بين بني الأحمر وبين بني مرين، فراسل النصارى وقد ظهرت خيانة جديدة في سماء غرناطة، أما يقول الشاعر؟
لا يلام الذئب في عدوانه إن يك الراعي عدو الغنم
ثم ازداد سوءاً إلى سوء خيانتـه التي سبقت حين انتـهز انشغال بني مرين بإخماد الثورة التي قامت عليهم في الجزائر بمنطقة تلمسان، فأرسل جيشاً من الأندلس بقيادة ابن عمه فرج بن أبي الوليد إسماعيل، وصل هذا الجيش إلى المغرب وسيطر على مدينة سبتة، والمسلمون يتقاتلون (بنو الأحمر وبنو مرين)، والنصارى يتحدون (قشتالة، وأراغون، والبرتغال).



حدائق قصر أندلسي

الوزير يشعل الفتنة

ثم أقدم هذا الوزير على ما هو أسوأ في عصره حين أعلن الثورة على بني مرين، وفرق شأنهم بينهم، إذ جعل الحكم لواحد من بني مرين يدعى عثمان بن أبي العلاء، حيث بدأت نار الفتنة تشب بين بني مرين في المغرب، أشعلها أهل الأندلس واحترق بنارها طالـبو الحكم من بني مرين، فاغتم لذلك السلطان المريني ومات مهموماً، وتولى من بعده أبو ثابت بن أبي عامر من بني مرين، لكن عم هذا الأخير رفض الاعتراف به، بل ثار عليه فانقسم بنو مرين إلى ثلاث فرق متناحرة:

انقسام بني مرين

١- عثمان بن أبي العلاء وانصاره. ٢- أبو ثابت بن أبي عامر وجنده. ٣- أبو سالم (عم أبي ثابت بن أبي عامر) ومؤيدوه. وجرت منازعات تمكن من بعدها أبو ثابت أن يخضع عمه، ثم توجه يحاصر مدينة سبتة وتوفي أثناء حصاره لها، واستلم من بعده السلطان أبو الربيع، وشدد الحصار على المدينة حتى اضطر عثمان إلى الهرب نحو الأندلس، وترك سبتة.

أهذا الزمن زمن الصراع على الحكم؟ وما هذا التنازع الممقوت من أجل السلطة؟ لكنه الطمع، وقلة الوعي والأناية المضربة.



حصار المرية وجبل طارق

استقرت أوضاع النصارى في تلك الفترة، وكانوا قد سيطروا على معظم أراضي الأندلس ومدنها، كما أنهم كانوا قد سيطروا على مدينة طريف همزة الوصل بينها وبين المغرب. توجه فرناندو الرابع عام ١٢١٢هـ بجيشه الكثيف نحو مدينة المرية، وهي من أهم المدن الخاضعة لملكة غرناطة، وهي المدينة البحرية العسكرية، كما زحف جيش آخر يقوده جايمن الثاني (جيمز) ملك أراغون لحاصرة مدينة جبل طارق، من جهة أخرى. كانت هناك معاهدات ومتى احترمت المعاهدات حين يكون شأن المسلمين في ضعف؟ وبدأ الحصار على المرية، وعلى جبل طارق معاً بأن واحد.

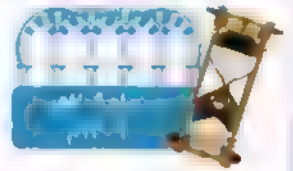
أبو الجيوش يستعين ببني مرين

رأى أبو الجيوش أن ملكه إلى زوال، فقد ضاع جبل طارق، والحصار مستمر على المرية منذ سنة، فأرسل إلى سلطان بني مرين في إفريقيا يستصرخه مستغيثاً ويستعطفه راجياً أن يقبل من بني الأحمر أعذارهم حتى تم الصلح بين بني الأحمر وبين بني مرين، فأمدّه بالمال والرجال.



إحدى القلاع في المرية

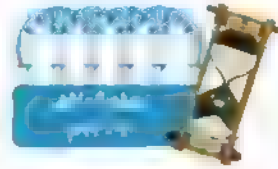
سقوط مدينة طارق



كان ملك غرناطة في تلك الفترة محمد بن محمد بن محمد بن الأحمر، وكان يلقب بالأعمش كما مر ذكره، ولا عجب أن يقوم صراع بين بني الأحمر أنفسهم حتى أثناء الصراع النصراني معهم، فقام أخوه نصر بن محمد بن محمد بن الأحمر بثورة على أخيه، وخلعه عن المملكة لذلك لقب أحياناً محمد الثاني المخلوع، وتلقب نصر بأبي الجيوش. ولهذا الخلاف ما استطاعت غرناطة أن تساعد المرية، ولا جبل طارق، حتى سقطت مدينة طارق بيد النصارى عام ١٢١٢هـ.



النصارى
يشبون
هجوم
ياسا



معركة المرية

حصار المرية ومعركة تحت الأرض

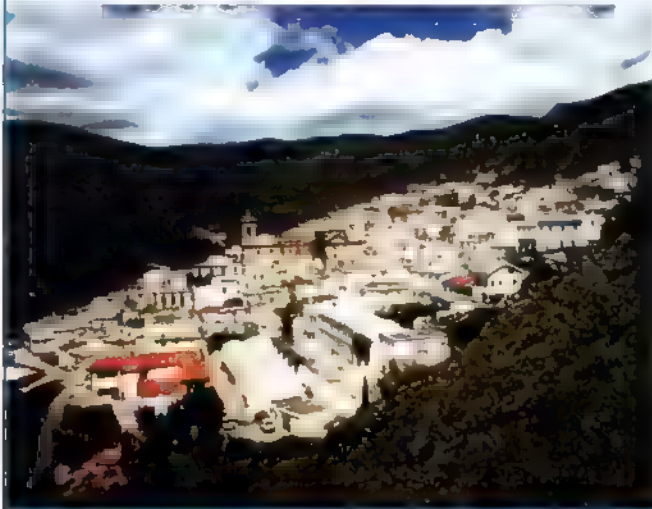
واشتد الحصار على
المرية وطال، برأ
وبحرأ، وما استطاع
النصارى أن
يقتحموا المدينة،
وما استطاع أهل
غرناطة ردهم.

وبدأت معركة الألفية
إن صح التعبير
فقد حضر النصارى
ألفية تحت الأرض
ليدخلوا بها إلى
المدينة من تحت
الأسوار، وقد كانت
القناة الواحدة تسع
عشرين رجلاً، ولما
شعر أهل المرية
بذلك بدؤوا أيضاً
بحفرها من
جهتهم، والتقوا
الفریقان تحت
الأرض ودارت الحرب
الضروس في الألفية
شبيهة بحرب
الخنادق.

أدرك عثمان بن أبي العلاء ذلك الذي فر من سبتة إلى الأندلس أن الوصع خطير فجهز جيشاً على
وجه السرعة، وعجل به لينجد أهل المرية، واحتدمت المعارك حول المرية وفي داخل أرضها لما وصل
سعيد بجيشه، وكانت النتيجة أن هزم النصارى هزيمة شعواء، ورد الله كيدهم عليهم، ورفع الحصار
عن المرية، وغنم المسلمون الغنائم الكثيرة.

عندما تفرق وتتنازع نضيع، وتضيع مدينة طريف وجبل طارق.
وعندما نتحد ونتفق ننقذ أنفسنا وننقذ المرية ونفك الحصار عنها.
ولكن أين أولو التقى والألياب؟
هل استمرت هذه الانتصارات؟
وهل أعاد المسلمون ما قد ضاع من المدن؟

لم تبق إلا غرناطة (دولة صغيرة في أقصى جنوب الأندلس، وقد ضاع منها نتيجة الخيانات التي
سبق ذكرها كثير من حصونها وأطرافها، فسلخ منها مدينة طريف، كما سقطت قاعدة جبل طارق).



مظهر لمدينة المرية
الحديثة



حصن من حصون المرية

استعادة جبل طارق

استعادة جبل طارق

اتفق هذان الحاكمان على توحيد جهودهما لمجابهة خطر النصارى، إذ كانوا من الحكماء الأقياء، كما تعهدا على بذل الجهود لاسترجاع ما يمكن استرجاعه من ثغور الأندلس أو حصونها، وقاما فعلاً بعملية عسكرية جهادية استعادا بها قاعدة جبل طارق.



تعاون المغرب وغرناطة

في ٧٤١هـ، حكم في هذه الفترة في المغرب السلطان أبو الحسن المريني، وكان من عظماء الحكام الذين ظهروا في بني مرين، كما ظهر في تلك الفترة ملك اسمه أبو الحجاج حكم غرناطة.



مخطوطة كتاب الاسرار للمراضي

الجيش النصرانية تتحد

عبر أبو الحسن المريني بنفسه البحر (مضيق جبل طارق) يقود جيشاً محاولاً استعادة مدينة طريف، وساعده أبو الحجاج حاكم غرناطة بالجنود والأموال، لكن النصارى تحالفوا جميعاً وجاء المدد من الإنكليز بأمر البابا الذي يعلنها صليبية دائماً، حيث وصل الأسطول الإنكليزي حاملاً المتطوعين إلى المضيق، وحال دون وصول الإمدادات من المغرب إلى جيش بني مرين في الأندلس، فاضطربت أوضاع المسلمين، فلا مدد من الجنوب، والعدو يهاجم من الشمال قتل الطعام، ونفدت المؤن، وبالرغم من ذلك فقد صمد المسلمون بقيادة أبي الحسن وأبي الحجاج، إلى أن فاجأهم قدوم الجيش البرتغالي وكان البابا قد أصدر أوامره بوجوب إنباد النصارى، فكان على المسلمين أن يجابهوا ثلاثة جيوش نصرانية بالرغم من تردّي أوضاعهم.



جانب من معركة طريف

نجا السلطان

وتمكن البرتغاليون من أن يقتحموا صفوف المسلمين من الغرب حتى وصلوا إلى خيمة أبي الحسن، ودافع الحراس عنه دفاعاً مميتاً أذ أصبح الوضع يتطلب الدفاع عن السلطان، وتمكن الهجوم البرتغالي من قتل حراس كثر، ومن أسر ابن أبي الحسن، ونجا السلطان بأعجوبة إذ انحاز إلى مجموعة من الأبطال، فنجوا به إلى الجزيرة الخضراء فإلى جبل طارق ثم إلى سبتة في المغرب، كذلك نجا أبو الحجاج ملك غرناطة، واستحر القتلى بين المسلمين، ومن بينهم العلماء الأجلاء، نذكر منهم:

العلماء والشهداء

- أبو محمد عبد الله بن سعيد السلماني والد لسان الدين بن الخطيب وأخوه.
- القاضي أبو عبد الله محمد بن بكر المالقى أحد أشياخ ابن الخطيب، ولي القضاء والخطابة بغرناطة، لم يرد أن يولي هارباً من المعركة وقال لمن أراد أن يهزم: انصرف هذا يوم الفرح إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ (آل عمران: ١٧٠).
- محمد بن جزي مؤلف كتاب التسهيل في التفسير، وكان يحرض الناس على الثبات.
- وعدد غيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى. وأسرت عائلة أبي الحسن، وذبحوا جميعاً بوحشية مروعة.

وكانت هزيمة كبيرة للمسلمين، ذكرتهم بهزيمة العقاب، ثم تقدم الأسطول النصراني فحاصر عدداً من القلاع والحصون منها قلعة أبي سعيد، فلما رجع الملك أبو الحجاج إلى غرناطة حرك أسطولته لحماية مدن الجزيرة الخضراء. إلا أنه هزم أيضاً لأنه قد أعد على عجل. وضرب الأسطول المعادي حصاراً على مدن الجزيرة كلها من البحر، وكان البابا قد أصدر أمراً إلى الإنكليز لإرسال أسطولهم ليشتبك مع أسطول النصراني هناك، ودام الحصار ثلاث سنوات ونصف، وما استطاع الجيش الذي جاء من غرناطة فك الحصار عنها، فطلب أهلها الأمان عام ٧٤٣هـ، وخرجوا مشتين إلى غرناطة والمغرب، ولم يبق للمسلمين إلا مدينة غرناطة (منطقة صغيرة جنوب شرق الأندلس) وكذلك بقي جبل طارق لمملكة غرناطة.



سقوط الجزيرة الخضراء

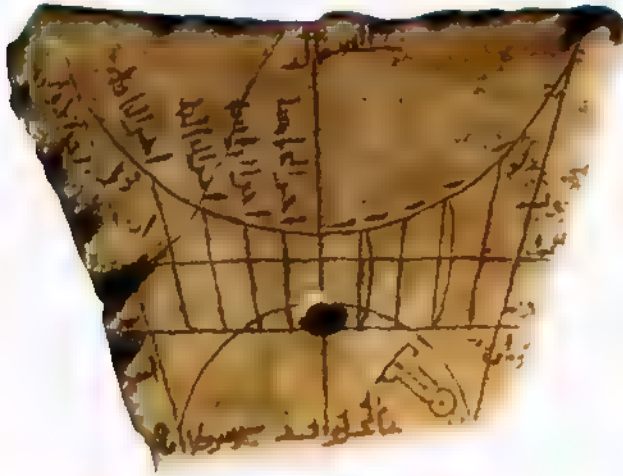
ثم جاء من بعد ابنه بطره (يدرو) الذي لقب بالقاسي أو العاتي لجبروته، وكان في السادسة عشرة من عمره، وزوجة أبيه كانت المتسلطة على الحكم فقتلها، وثار عليه شعبه فبطش بهم.

ثورة لدى النصارى



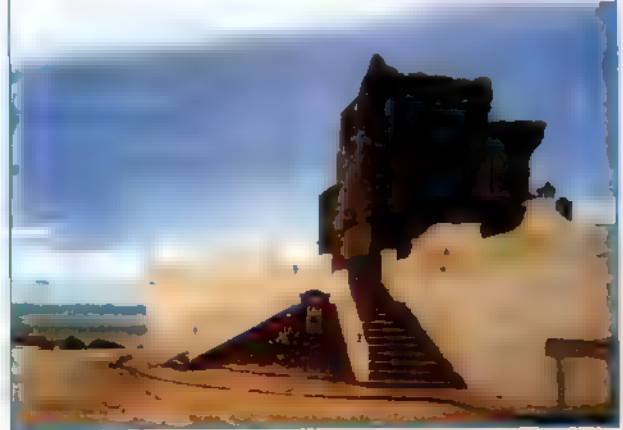
الحصار على جبل طارق

توجه حاكم قشتالة ألفونسو الحادي عشر عام ٧٥٠هـ نحو جبل طارق، وتحصن المسلمون إذ أن وضعهم لا يسمح لهم بالقتال خارج الحصن، وكان الطاعون ذلك الوباء العجيب قد انتشر في أوربة وعلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط، وقتل الملايين، وقدر الله سبحانه وتعالى أن يتفشى في جيش الصليبيين فموت معظم هذا الجيش، ومات ألفونسو الحادي عشر نفسه، لذلك فك الحصار عن جبل طارق، وعاد بقية الجيش القشتالي إلى قرطبة بعد حصار دام سنة واحدة.



حجروجد في الأندلس وقد دون عليه رسم في علم الرياضيات

فهذه الثورة وأمثالها التي حدثت في بلاد النصارى هي التي أعطت فرصة ما للمسلمين أن يحسنوا أوضاعهم، ويطمئنوا شيئاً ما على مناطقهم؛ أو أن يأخذوا شيئاً من الاستعداد للحفاظ على أموالهم وأنفسهم.



منظر عند جبل طارق

ملخص أحداث عهد بنو مرين في الأندلس

وفاة ابن الأحمر وتولي ابنه محمد الفقيه .

انتصار المسلمين في الغزوة الدنونية .

انتصار المسلمين في جيان واشبيلية .

تحالف غرناطة والمغرب يحاصر قرطبة ويصالح أهلها .

محمد الفقيه يستعين بالقشتاليين على المنصور المريني .

شأنجه يطرد والده ألفونسو العاشر ملك قشتالة .

وفاة ألفونسو العاشر .

وفاة المنصور المريني وتولي ابنه يوسف مكانه .

الفقيه يعود إلى الخيانة مع النصارى وتسقط مدينة طريف بسببه .

وفاة الفقيه وتولي ابنه أبو عبد الله الأعمش مكانه .

الوزير أبو عبد الله الحكيم يشعل الفتنة بين بني الأحمر وبني مرين .

سقوط جبل طارق بعد الحصار .

انتصار المسلمين في معركة المرية .

تحالف غرناطة والمغرب يستعيدون جبل طارق .

تحالف غرناطة والمغرب يحاصر مدينة طريف لكنهم يمتنعون بهزيمة نكراء .





الفصل الثالث

مملكة غرناطة

أولا - الصراعات الداخلية في الأندلس

ثانيا - أحوال المسلمين في الدولة النصرية

ثالثا - انقسام غرناطة وتمزقها

رابعا - ضياع نصف غرناطة



حكم محمد السادس

تم عام ٧٦١هـ اغتيال إسماعيل الثاني، فتولى الأمر محمد السادس رسمياً.

مؤامرة ضد محمد الخامس



تولى الحكم بعده محمد الخامس الملقب بالغني بالله، وبعد خمس سنين، يشترك عام ٧٦٠هـ إسماعيل الثاني بن يوسف، مع زوج اخته محمد السادس وهما من بني الأحمر، في مؤامرة، حيث قادا مائة رجل من أنصارهما واحتلا قصر غرناطة، وسيطرا على حكم غرناطة، وفر محمد الخامس على حصانه إلى مدينة في وادي أش.



اغتيال أبي الحجاج

مات الغالب بالله أبو الحجاج غيلة، اغتاله مجنون أثناء صلاة عيد المصطر. وذلك عام ٧٥٥هـ، وكان من أعظم ملوك بني الأحمر، فرثاه أهل غرناطة تأثراً بفقده.



في ٧٦٣هـ بعد عامين من تولي محمد السادس استطاع محمد الخامس الذي كان قد فر من قبل أن يسترد ملك غرناطة، عاونه سلطان المغرب بقوة أمدّه بها، فدخل غرناطة، وفر السادس ومعه سبعة وثلاثون فارساً إلى النصرى في (مملكة قشتالة) إلى من؟ إلى بطر (بدرو) العالي إنه شيء عجيب في شؤون الراغبين في الحكم، فيمن أعت بصائرهم شهوة الحكم، فماداً فعل بطره به ويفرسانه؟ قتله بيده وقتلهم جميعاً، وأرسل رؤوسهم إلى الخامس كأنه يستميل بهذه الضعة الشنيعة جانبه، ألك خيانة؟ أم شهوة عمياء ورغبة دنيئة للحكم؟ أن يفر طالب حكم إلى الظالم الذي يديق شعبه صنوف العذاب! فهل يظن أنه سيتلقاه بالترحيب؟

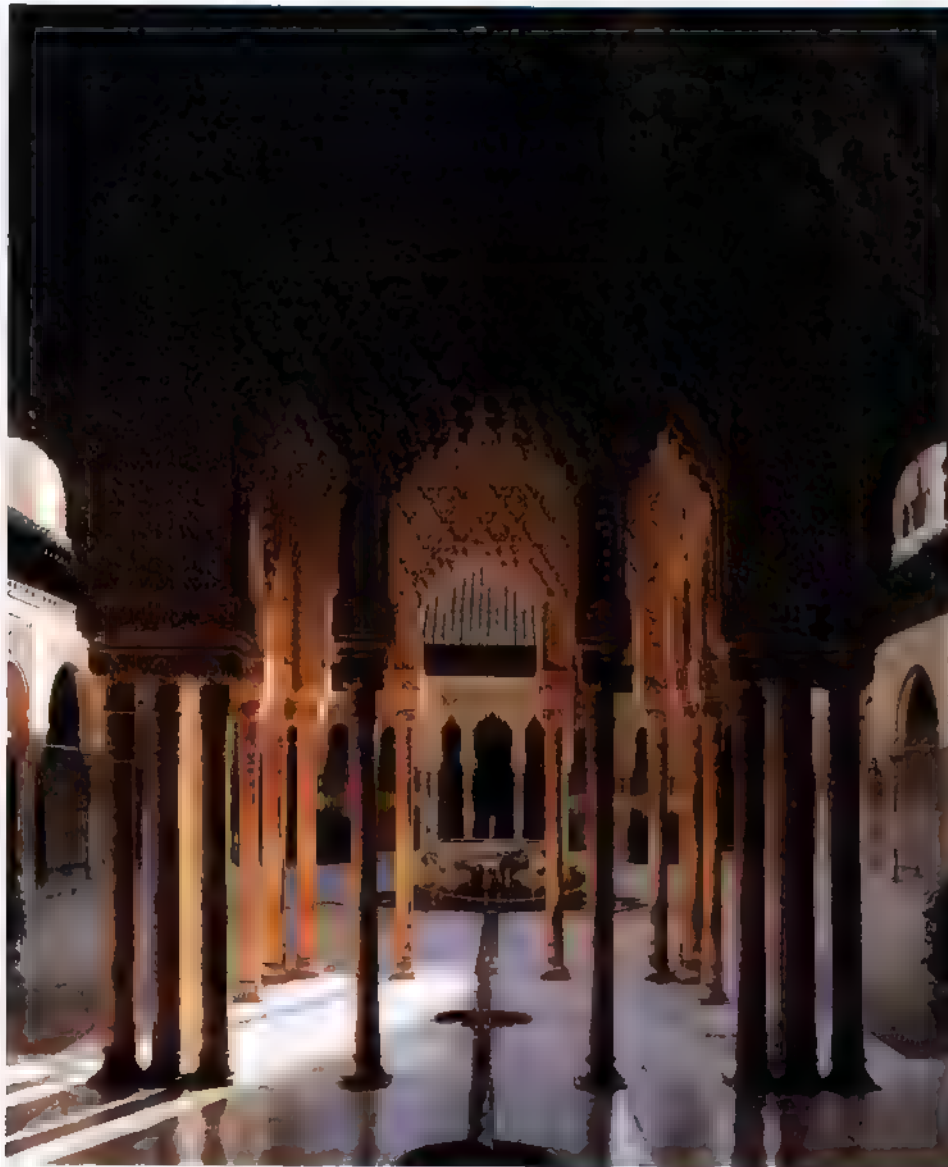
أمثال هذا السادس والخامس... أضاعوا المسلمين وضيعوا الأندلس.



عودة محمد
الخامس



محمد الخامس يدخل غرناطة بعد استردادها



هنري الثاني يسيطر

تطورت الأحداث في هذه المملكة، فقد ثار في سنة ٧٦٩هـ هنري الثاني (أخو بطره) على أخيه الملك بطره، وحشد حوله الانصار، وأعانه ملك فرنسا بمدد من الفرسان.

غرناطة الحمراء، ساحة الاسود، أسسها محمد الخامس في النصف الثاني من القرن الرابع عشر، حيث أن بناء هذا القصر نتاج تفكير محكم يعطي لمسح القصر مظهره الضخم والمنسجم

بطره يستعين بجيلية

وفر بطره إلى البرتغال، يرجو من الملك المساعدة، فرفض مساندته، وطرده، والتجأ بعد ذلك إلى جيلية، وكان بينها وبين قشتالة تنافس وصراع، فأمدّه مطران جيلية بجيش صغير من ألف ومائتي فارس، لكن قبل أن يتحرك هذا المدد معه غدر بطره بالمطران وأخذ أمواله الكثيرة، وفر إلى جزيرة تابعة للإنكليز تدعى (بيون) واستطاع أن يسيطر عليها.



بطره يعود

ثم استعان بأحد المتنفذين في أوربية ويدعى "البرنس دوغال" الذي أمده بقوة، تمكن بها أن يدخل مملكة قشتالة منتصراً، وفر أخوه هنري الثاني إلى فرنسا، وعاد بطره إلى طبيعته الظالمة فبغى وتجبهر، واشتد طغياناً على أهل مملكته، فقتل أعيان قشتالة، وأراد أن يقتل الأسرى، فمتمعه البرنس دوغال، ثم تركه غاضباً وانصرف إلى منطقته.

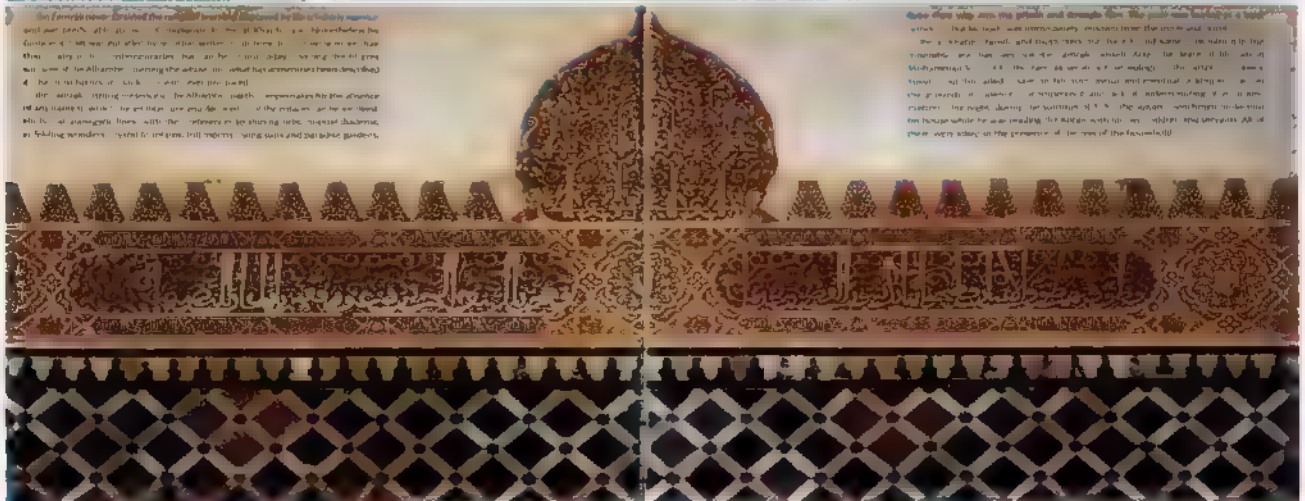
معركة بين الأخوين

استمر الصراع في قشتالة، فمرة لهنري الغلبة، وأخرى لبطره، وفي الرابع عشر من نيسان سنة ٧٦٩هـ، نشبت معركة عظيمة قرب العاصمة بين الأخوين، وفر بطره ثم قتل في قصة صراع طويلة، واستتب الأمر لهنري الثاني.

هنري الثاني يعود

عاد هنري الثاني إلى مملكة قشتالة وقد أصابته الفرنسيون بالمال والرجال، حتى حاصر مدينة قرطبة، وأعان ابن الأحمر ملك غرناطة أيضاً بمدد، وحدث الصراع بين أهل قشتالة، يؤيد قسم منهم هنري، والآخر بطره، كانت أمثال هذه الحوادث من الصراعات بين النصاري هي التي تؤخر سقوط غرناطة، وتمد في عمرها شيئاً من البقاء، لم يكن أهل غرناطة من القوة بمكان وما كانوا متمسكين بالدين بل إنهم كانوا في خلاف وانحلال!

- هل بقي النصاري في صراع أم اتحدوا؟
 - هل استفاد الغرناطيون - ولبس لمملكة غرناطة الاقل من عشرة بالمائة من ارض الاندلس -؟
 - هل ادركوا الخطر المحدق بهم؟ أم بقوا متفرقين يكيد بعضهم لبعض؟
- لقد ضاعت طليطلة، إشبيلية، بلنسية، سرقسطة، وسقطت ماردة، وكثير من المدن الأخرى التي سقطت نتيجة البعد عن قيم الدين الإسلامي، ونتيجة الفرقة والاختلاف.



قصيدة لابن زمرك بمدح فيها الخليفة محمد الخامس لانسارده في معركة الجرمرة القصيدة منقوشة على الجانط الشمالي من قصر الشهداء



ملك البرتغال يتدخل

طمع ملك البرتغال بالتدخل في شؤون قشتالة، فنتيجة لهذا الصراع الذي نشب بين أهلها، أعلن أن هنري الثاني ملك غير شرعي وذلك سنة ٧٧٠هـ، وأنه هو - أي ملك البرتغال - الوريث الشرعي لحكم قشتالة، فنشبت الحرب بين المملكتين النصرانيتين، تمكن هنري من الانتصار على عدوه، وكاد أن يستولي على البرتغال، ثم عاد إلى مملكته.

انقسام النصارى

في هذه الفترة من الصراع بين النصارى لم يحدث أي هجوم على المسلمين لانتشغال النصارى بأوضاعهم، وكانت فترة هدوء، وكانت دول النصارى حين ذاك ثلاثاً:

- ١- مملكة قشتالة: في شمال الأندلس ووسطها وشرقها، وعاصمتها قرطبة.
- ٢- مملكة أراغون: في الشمال الغربي من الأندلس ووسطها، وعاصمتها ليون.
- ٣- مملكة البرتغال: في غرب الأندلس وعاصمتها لشبونة.



الناسك يحرك النصارى

-كانت الأحوال هادئة على حدود غرناطة إلى سنة ٧٩٣هـ حين ظهر رجل يدعى "سيو"، ولقب بالناسك، فادعى النبوة، وأنه يخبر عما سيكون، وقد وقعت بعض تنبؤاته، وأظهر الناسك والرهبانية، وعاش متقشفاً يرضى باليسير من الزاد والملبس والمأوى، فتبعه خلق كثير، وتعلقوا به وأحبوه. واتبعوه، ذكر هذا الناسك من تنبؤاته أن النصارى سيفتحون غرناطة، كما فتحوا بلنسية من قبل، وقابل أمير مدينة القنطرة وهي مدينة في الجنوب، فأرسل أميرها تهديدات إلى أهل غرناطة يقول لهم استسلموا فالأمر متعلق بتنبؤ يقيني عندنا، فلم يأخذ أهل غرناطة الأمر على محمل الجد، لذلك قام سيو "وأمير القنطرة بتحريك نحو غرناطة ويتجمع ضم خمسة آلاف رجل، مع أن هنري منعهم (اسماً) من هذا التصرف مدعياً بوجود معاهدة بينه وبين غرناطة.

مقتل الناسك

فأصر "سيو" وجماعته على الهجوم فتركهم هنري الثاني وشأنهم ونقض عهده، وكان سيو يدعي أنه لن يقتل نصراني واحد في هذه المعركة لتنبئه وتوقعاته فوصلت العامة إلى أسوار غرناطة، ولما قتل بعض أنصار "سيو" جاؤوا إليه قائلين: لقد قلت أنه لن يقتل أحداً فقال: لم أقل في الحصار، بل في المعركة، فاستمروا عند ذلك هجم المسلمون على تلك الجماعة، وكادوا أن يبيدوهم فقتل منهم ثلاث آلاف وخمسمائة رجل، وقتل "سيو" أيضاً ولاذ الباقون بالفرار.

كان هجوم "سيو" وجماعته هو الحدث الوحيد في تلك الفترة على غرناطة.

هدأت الأمور عامة، وجددت المعاهدات بين غرناطة ونصارى "قشتالة" مرة أخرى بعد تلك الحادثة.

توفي أبو الحجاج يوسف الثاني الذي تولى بعد وفاة والده محمد الخامس. وجاء من بعده محمد السابع عام ٧٩٧هـ. ولم يكن الابن الأكبر لوالده، فسجن أخاه الكبير يوسف إذ نشب الصراع بين الإخوة. وكان هذا مما أدى إلى نشوب النزاع مرة أخرى مع مملكة قشتالة. تردت أحوال غرناطة إلى الأسوأ، وقد حدث عام ٨١١هـ أن ثارت الهواجس لدى محمد السابع الذي كان يخشى على ملكه الذي يفكر فيه أكثر من اهتمامه بأحوال المسلمين وبأهل مملكته، خشي على ملكه من أخيه الذي كان قد أودعه السجن، فأرسل كتاباً إلى قائد السجن: أن إذا جاءه الكتاب فليبادر إلى قتل أخيه يوسف.



صراع بين بني الأحمر



انتشار مظاهر التدين الخاطيء واقتتان الناس بها

أكمل لعبة الشطرنج

وكان قائد السجن يلعب الشطرنج مع يوسف لما جاءه الكتاب، وتغير وجهه لما اطلع على مضمونه، فادرك يوسف أن في الكتاب أمراً غير سار، فخطف الكتاب من يد قائد السجن وقراه، ثم قال له (أي للقائد): أتم اللعب، تعجب قائد السجن منه، وسأله: أقرأت ما في الكتاب؟ إنه الأمر بقتلك! فطلب إليه يوسف قائلاً: أكمل اللعب، أكمل اللعب.

فتابعاً معاً يتمان لعبة الشطرنج تلك، فإذا بالخبر يأتي وهما يلعبان: مات محمد السابع (امر مقدر عحيب): إن إصرار يوسف أن يتابع مع قائد السجن لعب الشطرنج، يذكر معنى قول القائل:

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبيتن إلا خالي البال
ما بين طرفه عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

خرج يوسف من السجن، وتولى ملك غرناطة وعرف بالثالث، وكانت أيامه أيام خير ورخاء كما ذكر عنه المؤرخون.



ثورة محمد التاسع على أبيه

وبعد حكم استمر عشر سنوات تقريباً ثار عليه ابنه "محمد التاسع" لضعفه وخوره تجاه الأعداء، فرّ الأيسر إلى تونس لاجئاً، فأمده حاكم تونس بألف وخمسمائة مقاتل، ورجع بهم إلى غرناطة، حيث نشب القتال بين الأب وابنه، ولكل منهما جنود وأنصار، صراع بين الأب وابنه، والدماء تنزف في بني الأحمر، والنذر تتلاحق على غرناطة، لماذا؟ ولماذا هذا النزاع؟



محمد الثامن الأيسر حاكم غرناطة

جاء إلى حكم غرناطة محمد الثامن الملقب بالأيسر، وهو ابن يوسف الثالث، ولتحفظ اسمه، فني عصره بدأ الهبوط إلى الدركات، ويدات دركات السقوط، ففسد ثارت الاضطرابات، وذلك في عام ٨٢٠هـ.



سقوط النقيرة

فهجم على بلدة "النقيرة"، فتصدى له يوسف الثالث بجيشه، لكن الغلبة كانت للنصارى، وسقطت "النقيرة" بأيديهم. لقد كانت أحوال الجميع في الأندلس تتخللها القلاقل، ويظهر فيها الصراع من أجل الحكم، إلا أن وضع المسلمين كان دائماً ينحدر إلى الضعف.



كاترينا تحرك زوجها

في عام ٨١٥هـ استمر يوحنا الثاني وكان قد أخذ من أبيه هنري الثالث مملكة قشتالة، وكانت زوجته "كاترينا" ذات حقد وضغينة على المسلمين، ويسيرها حقد أسود، وعصبية هوجاء، وما زالت بزوجه تحرضه على مملكة غرناطة وتزين له، حتى أمر الملك بنقض العهد، فأرسل الفارات في حكمه الطويل على أراضي غرناطة، يعيث فيها القساد، وينشر الدمار.



عودة الأيسر إلى الحكم

- في سنة ٨٣٦هـ بعد عام فقط، مات يوسف الرابع بن المولى.
- فعاد محمد الأيسر إلى الحكم للمرة الثالثة، وتم حكمه، والناس في ظنون من قدرته وإدارته.



يوسف الرابع يثور

لم يصف له الحكم، فثار عليه يوسف الرابع بن المولى، يريد انتزاع الملك منه، فقام ملك قشتالة ينتهز هذه الفرصة (صراع بني الأحمر من أجل الملك) وناصر يوسف الرابع في ثورته طمعا في مزيد من الضعف بين المسلمين، واستطاع يوسف الرابع أن ينهي الصراع لصالحه، ويعزل الأيسر عن الحكم عام ٨٣٥هـ.



الأيسر إلى الحكم من جديد

إلى عام ٨٣٥هـ حيث استطاع الأيسر أن ينهي الصراع لصالحه بعد أن انحاز جيش محمد التاسع إليه، فهزم، ورجع الأيسر إلى حكمه مرة ثانية.



مدينة ماردة ويظهر السور القديم للحرس



المصلى هي قاعة ميكسوار الذي حول الى كنيسة وبظهر شعار بني الاحمر (لا عالب الا الله)

اجتمع اولو الراي في غرناطة، واجتمعت قيادات المملكة في مجلس، وقرروا بعد البحث والبيان: أن يخلعوا الأيسر، فخلعوه.

وتولى ملك غرناطة محمد الأحنف (الأعرج) العاشر، وأراد أن يعيد شيئاً من المجد الذي ولي في الفترة التي سبقت عهده لعله يفيد مملكته، فأغار سنة ٨٤٨هـ على عدة مواقع من مملكة قشتالة، ولكنه كان يهزم في كل غارة يقوم بها، وكلما أراد الإيقاع بالعدو يوقع به هو، فأرسل سرية عام ٨٤٩هـ تغيير على مملكة قشتالة، فهزمت أيضاً.



خلع الأيسر وحكم محمد العاشر الأعرج

إلى عام ٨٤٥هـ، إذ حدث صراع شديد بين ملوك النصراري بل تقاتلوا من أجل الحكم، وكانت للمسلمين فرصة، فلم يستغل الأيسر الموقف لضعفه وقلة تدبيره، وسوء تقديره للمواقف، فلم يحرك ساكناً، في وقت كان يمكنه فيه أن يعيد قوة غرناطة، أو أن يستعيد ما قد سقط من قبل بيد النصراري.



صراع بين النصراري





مصور السلطان في الشبيكة



غرناطة الحمراء، حولت قاعة المجلس للملك العربي الى كنيسة

وكذلك في عام ٨٤٩ هـ استطاع الأعرج أن يقوم بثورة ضد يوسف الخامس وللمرة الثانية، كانت للمسلمين فرص عديدة في تلك الفترة لاستعادة عدد من المدن التي سقطت بيد ممالك النصارى، لأن الوضع العام كان لصالحهم، وكان النصارى في فرقة ونزاع وقتال، أو أن يعينوا المسلمين الذين كانوا يرزحون تحت حكم النصارى ولكنهم انشغلوا بصراعاتهم الداخلية فضيعوا المسلمين.



الأعرج يعود



يوسف الخامس

في أوائل العام ٨٤٩ هـ عين يوسف الخامس وهو ابن عم محمد الأيسر وبقي حكمه بضعة أشهر فقط.

خلع الأعرج

غضب أولو الرأي وخواص المملكة من هذا الملك الذي يهزم، ولم يظهر مرة واحدة على العبد ولا بقيادته ولا بقيادة قواده، فقرروا خلعهم، وخلعوه.

انقسام النصارى رحمة للمسلمين

كانت الممالك النصرانية في الأندلس تعامل بلا استثناء من بقي من المسلمين في ممالكها وأراضيها بروح العداء السافر، وإعلان الحرب الدينية عليهم، حرب الإفناء الجسدي وحرب الإفناء في العقيدة، وحرب وجود الحياة للمسلم على أراضيها. ولولا انشغالها ببعضها بعضاً، لكانت انتهت وجود المسلمين قاطبة على أرض الأندلس الباقية لمملكة غرناطة في الجزء الجنوبي الشرقي. وكان على مملكة غرناطة أن تقاتل على جبهات ثلاثة: جبهة القشتاليين، وجبهة الأراغونيين، وجبهة البرتغاليين، بالرغم من ضعفها.



واجهة القصر
الاسلامي الذي
سمي مكسوار

سقف الساء
الاسلامي في
قصور المسلمين



انشغال بني الأحمر بصراعاتهم

مرت على غرناطة في تلك الفترة ملوك لهم الاسم فقط، يشغل بعضهم بعضاً، ويأس بعضهم بين بعض، لا يخرج من حدود بني الأحمر، همهم القصر الملكي في غرناطة، يصف أحد الشعراء بعض القادة في هذا العصر وينطبق وصفه على ملوك بني الأحمر أيضاً وكأنه يخاطب امرأة:

حتى النجوم على كتفيه قد صدت وما يؤرقه هم ولا وطرد
قد جاء يختال مزهواً بيزته قومي أسأليه، أنثى أنت أم ذكر؟

فلا يهتم أحد منهم باسترداد قرية سلخت، أو مدينة سقطت، بل ولا يفكر أن يمد يد عون للمسلمين المستضعفين في تلك الممالك النصرانية المتشعبة بالروح الصليبية، فما عسى أن يكون حال المسلمين هناك؟

ازدياد الظلم على المسلمين

زاد الظلم بكل صوره واشكاله، ولم يعرف المسلمون شيئاً سوى الظلم الذي يقع عليهم، بل أصدر المشرع الصليبي هنالك (ملوكهم) القوانين والأوامر التي تعطي الظلم حقاً مكتسباً! وتجعل الحيف والخور عدلاً! وليس من المنطق ان يقارن عمل المسلمين في البلاد المفتوحة في الأندلس أو غيرها تحاء غير المسلمين، وبين عمل النصارى في الأندلس أو غيرها تجاه المسلمين.

إن السيف أمضى من العصا؟

ألم تر أن السيف ينقص قدره

فكيف تقارن الرحمة بالبطش والعدل بالظلم

ولما ملكتم سال بالدم أبطح

ملكنا فكان العفو منا سجية

وكل إناء بالذي فيه ينضح

فحسبك من هذا التفاوت بيننا

إذ كانت ردة الفعل النصراني عكساً لما كانوا يعاملون به، أما كانوا في أمن وأمان في انفسهم وأموالهم وأعراضهم؟ أما كانت لهم الحقوق الإنسانية التي أقرتها الشرائع السماوية، وتدعو إليها القوانين البشرية؟ ولكن من يجترئ على الله ويخونه في شرعه، سهل عليه الاجترأ على خلق الله، وهان عليه أن يصب جام غضبه على المخالفين، وإن كانوا مسالمين إذا كان له العلو في الأرض .



ازدياد الظلم مما أجبر العديد من سكان الأندلس المسلمين إلى الرحيل إلى المغرب العربي

القوانين
لاذلال
المسلمين

فقد أصدرت ممالك النصارى القرارات والقوانين لإيقاع الظلم على المسلمين، وهذه بعضها:

- ١- يجوز لأي نصراني أن يؤذّب المسلم بالسياط بسبب أو بلا سبب، ولا يُسأل: ثم؟
- ٢- لا يحق لأي مسلم أن يدخل بيت نصراني بأية حال من الأحوال، إلا الطبيب، والأطباء في ذلك الزمان مسلمون كلهم، لعلة الجهل على النصارى بشكل عام.
- ٣- يلتزم المسلم بدفع غرامة نقدية هوراً إذا خالط النصارى سكناً أو عملاً، وعليه أن يسكن المناطق الخاصة بالمسلمين.
- ٤- تلغى كل محكمة كانت تحكم بين المسلمين، وعليهم التحاكم بالمحاكم النصرانية.
- ٥- إذا قبض على مسلم في طريق الهجرة إلى غرناطة أو غيرها يصبح عبداً يباع ويشترى ويمقد حرّيته.
- ٦- لا يحق لمسلم أن يعارض أولاده إذا تنصروا، ويعذب عذاباً شديداً إذا مانع في ذلك.
- ٧- تلغى جميع ديون المسلمين المستحقة على النصارى دون استثناء، ولو استحق الدين في البيع.
- ٨- يقتل كل مسلم يجهر بالشهادتين أو ينطق بها بين الناس.
- ٩- يجب على المسلمين أن يتحدثوا بلغة (الخميدو) وهي الإسبانية مكتوبة بالأحرف العربية، ولا يجوز التكلم باللغة العربية.
- ١٠- لا يُسمون المسلمين وإنما بالمدجنين.



غرناطة الحمراء، قصر محمد الثالث أقدم قصر محفوظ في غرناطة الحمراء

العلماء يفتون بالهجرة

ولهذه الأسباب وغيرها أصدر العلماء الذين عاصروا تلك الفترة الفتاوى التي تحث أولئك المسلمين على الهجرة، إذ إنها تجب على المسلم الذي يعيش في حالة لا يستطيع معها القيام بدينه وأوامره.

وهذا مدلول الآية الكريمة «إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا» (النساء: ٩٧-٩٩).

فاللذين تمسك بهم أموالهم ومصالحهم، أو يمسك بهم



قوافل مسلمين تخرج من الأندلس

تهاونهم عن الرحيل من بلاد لا يتمكنون من عبادة الله فيها، وهم قادرون -لو أرادوا واعتزموا التضحية- أن يهاجروا. تتحدث الآيات عنهم وتصورهم بصورة مزرية منكرة، تستنهض كل قاعد منهم للقرار بدينه وعقيدته، وتخبر عن مصيره إن لم يهاجر. لذلك أصدر أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني في كتابه: أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصراني ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر، فكان قسم ممن يستطيع الهجرة يهاجرون سراً، لأن من يقبض عليه كان يباع عبداً. ولم تكن غرناطة مهتمة بالأمر بل كان رجالها مشغولين بالصراع للوصول إلى السلطة والملك!



القاعة الرئيسية ليكسور، تم بنائها خلال القرن السابع عشر إلى الكنيسة المسيحية

لماذا لم
يطردهم
النصارى؟

وهنا يخطر على البال سؤال ملح، لم لم تعتمد السلطات النصرانية لإخراج هؤلاء المدجنين من مناطقها؟ فيكون الجواب: لعل تمتع هؤلاء بمهارات وخبرات في أمور الحياة الاقتصادية (الزراعية، والإدارية، والعمرانية، والصناعية، والتجارية) والمجموعات النصرانية محرومة منها، لذلك أبقى هؤلاء للاستفادة منهم، ولما همت السلطات الملكية يوماً بإخراجهم، قامت جماعات من النصارى بمعارضة ذلك، لا حباً بأولئك المدجنين، وإنما حرصاً على مصالحهم وأحوالهم، فعدلت الممالك النصرانية عن إخراجهم عند ذلك.



الجنود النصارى يحافظون على بعض المسلمين المدجنين أصحاب الخبرة ويمروون عليهم حقوقهم

وهل من فرصة أجمل من هذه الصخرة للنصارى؟ استفاد النصارى منها وبخاصة تلك الصراعات المتتالية التي كانت لها أسوأ الأثر على أوضاع غرناطة، فعند احتدامها، قام القشتاليون بهجوم مباغت على حصن جبل طارق، وهو من أقوى الحصون الأندلسية، وبسطوا سيطرتهم عليه في عام ٨٦٧هـ.

سقط هذا الحصن بسهولة نتيجة الفرقة والتنازع المستمر كما ذكر.

فكانت ضربة مؤلة، لقد انقطع الطريق بين الأندلس وبين المغرب، ولم يعد بالإمكان وصول أي مدد إلى مملكة غرناطة! هذا إذا جاء المدد وأصبح التهديد النصارى لمدينة غرناطة مباشراً!

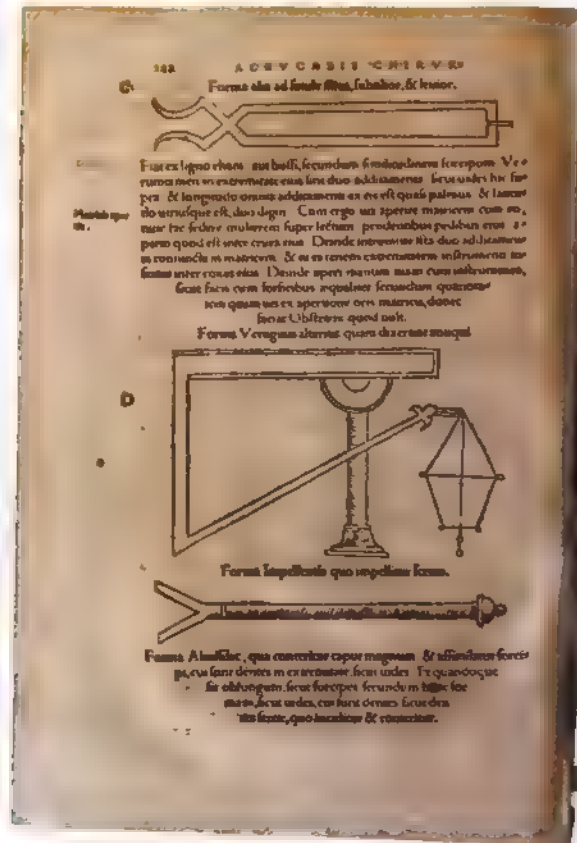


النصارى
يتوسعون



خلع الأعرج

خلع الأعرج في عام ٨٦٣هـ،
وسيطر على الحكم سعد
بن محمد بن يوسف
الثاني، واستمر على الملك
أربع سنوات.



وبعد عام واحد أي في أواخر
سنة ٨٦٨هـ استطاع سعد بن
محمد أن يخلع يوسف
الخامس ويعود للحكم مرة
ثانية.
يذهب واحد ويأتي آخر، ثم
يأتي الذي ذهب، ويعود الآخر
وهكذا...



سعد يعود

وفي عام ٨٦٧هـ
ثار يوسف
الخامس على
سعد بن محمد
ويستلم الملك
منه بعد أن
خلعه.



خلع سعد بن
محمد

وكان من قدر الله سبحانه أن جرى صراع حاد بين أبناء الأسرة المالكة أنفسهم في مملكة قشتالة، فتفرق
شملهم فترة ما، لكنه يعود فيجتمع على المسلمين، فاستفادت غرناطة من هذا التنازع، فقد بقيت على
الوجود فترة ما إذ نسيها المتصارعون النصارى.

صراع بين
النصارى



نار الفتنة تشعل بين النصارى



الفونسويثور على أخيه

ثار في عام ٨٦٨هـ
الفونسو على أخيه
هنري الرابع (ابن
ليوحنا الثاني)،
هجم هذا أتباعه
وذاك جنوده، ونشبت
المعركة الطاحنة
بينهما، ثم افترقا دون
أن يتمكن أحدهما من
إنهاء النزاع لصالحه.



قصيدة رثاء لسلطان جابرول

ثم كان قدر الله سبحانه أيضاً أن ينتهي الصراع بين الأخوين بموت الفونسو الناصر على أخيه، ويأتي أتباعه يناصرون أخته «إيزابيلا» وحفظوا هذا الاسم، ويحثونها على الاستمرار بالثورة، لكن هذه المرأة أبت أن تستمر على القتال، ورهضت الثورة على أخيها الملك هنري الرابع، الذي يعرف في المصادر الأجنبية بالملك هنري العاشر، بل أجرت معه صلحاً واتفقا على أن تكون هي ولية العهد، وتتولى الملك بعد وفاته.

إيزابيلا تعيد هنري الثاني

تهدا الأمور عندهم وتخمد الثورات، وتسكن النار التي اشتعلت بينهم، وكان الأمل يدب في نفوسهم ويحثهم على أن يأخذوا وجهة معينة من إخفاء العداوة الكامنة في نفوسهم تجاه بعضهم بعضاً، أما يقول ربنا: «ومن الذين قالوا إنا نصاري أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة» (المائدة: ١٤)، بلى وإن هذه الحقيقة قد سجلها التاريخ، ولكن تفرق شملهم إلا علينا! تنور الاضطرابات، وتحتدم الخلافات لدى المسلمين في زمن الضعف المزري في مملكة غرناطة، وفي الأندلس قبلها حتى حل بهم ما حل، فقد تركوا معنى الآية الكريمة: «أدلة على المؤمنين أعززة على الكافرين» (المائدة: ٥٤)، وجعلوا بأسهم بينهم شديداً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هدوء الثورات



سقوط دولة بني مرين

ثم جاءت ضربة أخرى لحال المسلمين في غرناطة، فقد سقطت دولة بني مرين عام ٨٦٩هـ، وتلتها دولة وطاس التي لم تكن كالذول السابقة تجاه الأندلس، كان التمزق لم يكتف بما حدث بالأندلس، فسرى عدواه إلى المغرب.

سقطت دولة بني مرين التي كانت لها يد في الدفاع عن الأندلس، وجهاد مضى أبقى نوره رديحاً من الزمن على سماء الأندلس.



فرديناند وايزابيلا يوحنا النصراني

وفي عام ٨٧٤هـ تزوج ولي عهد أراغون فرديناند الذي عرف بفرديناند الخامس من ابنة عمه ولية عهد قشتالة إيزابيلا، فقد كان هذا الزواج ابتداء توحيد المملكتين، وبعد خمس سنوات في عام ٨٧٩هـ توفي هنري الرابع، وأصبحت ولية العهد إيزابيلا ملكة على قشتالة. وبعد عشر سنوات في سنة ٨٨٤هـ تنازل يوحنا الثاني الحكيم ملك أراغون لابنه فرديناند فأصبح ملكاً على أراغون. ثم أعلنت الوحدة بين المملكتين القشتالية والأراغونية بهذا الزواج الميمون للنصارى، والمشؤوم على مملكة غرناطة. فأصبحت الأندلس مقسمة على:

- ١- مملكة إشبانية: من اتحاد قشتالة وأراغون، وتضم أكثر الأندلس.
- ٢- مملكة البرتغال: وتضم معظم غرب الأندلس.
- ٣- مملكة غرناطة: منطقة في أقصى الجنوب الغربي لا تتجاوز عشرة بالمائة من أرض الأندلس.

فوطد هذان الملكان شؤون مملكة إشبانية، فساد الأمن وعم الرخاء، وقضي على قطاع الطرق واللصوص، وتوسعت حيث انضمت إليها الجزر الشرقية، وبعض الجزر الأخرى كصقلية.

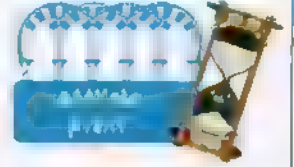
فتنوت،
واردات
قواتها
العسكرية
وقدراتها.





النصارى يستعدون للقتال

قام هذان الملكان معاً بهجوم سريع وشديد عام ٨٨٧هـ على مدينة الحامة، وهي ذات حصن عظيم قوي للمسلمين، تقع جنوب غرب غرناطة وقد قام أهلها بالدفاع عنها لكنهم لم يستطيعوا حمايتها من تلك القوة الطاغية، فاستولت عليها جيوشهما، وأمعنوا في أهلها قتلاً وذبحاً وتلك عاداتهم، فالمجازر طبيعتهم، والدماء تروي أحقادهم.



سقوط مدينة الحامة

حصار حصن لوشة

ثم زحف ملك إسبانية على حصن قوي مهم للمسلمين يدعى "لوشة" شمال مدينة الحامة، وغرب غرناطة، وكان فيه حامية قوية يقودها أميرها الشيخ علي العطار، الذي دافع دفاع المستميت، وأبلى بلاء حسناً وهو ابن الثمانين، وقد تمكنت الحامية من رد الهجوم النصراني على أعقابها، فحفظ الله الحصن، وغرناطة من بعده.

وما يزال سيف الشيخ علي العطار ابن الثمانين محفوظاً في المتحف الحربي بمديريد.



الزخرفة والنحت والنجوم وكتابات الجعد الاسلامي تراها خالدة في القصور الاندلسية

وفي نفس العام أي في سنة ٨٨٧هـ الموافق ١٤٨٢م خلع ابن حاكم غرناطة أباه الحسن علي، وتولى من بعده إدارة المملكة، وهذا الابن يعرف باسم الملك الصغير محمد الحادي عشر بن علي، أبي عبد الله الصغير، الغالب بالله، كل هذه الألقاب له، ويعرف بها، أو بابي لقب منها.

احفظوا الملك الصغير: هو محمد الحادي عشر بن علي بن سعد الملقب بالغالب بالله، وكان شعار بني الأحمر: لا غالب إلا الله، وهذا الشعار منحوت على قصورهم في غرناطة، تولى الحكم سنة ٨٨٧هـ، وبه تبدأ النهاية.



الملك الصغير

يحكم
غرناطة

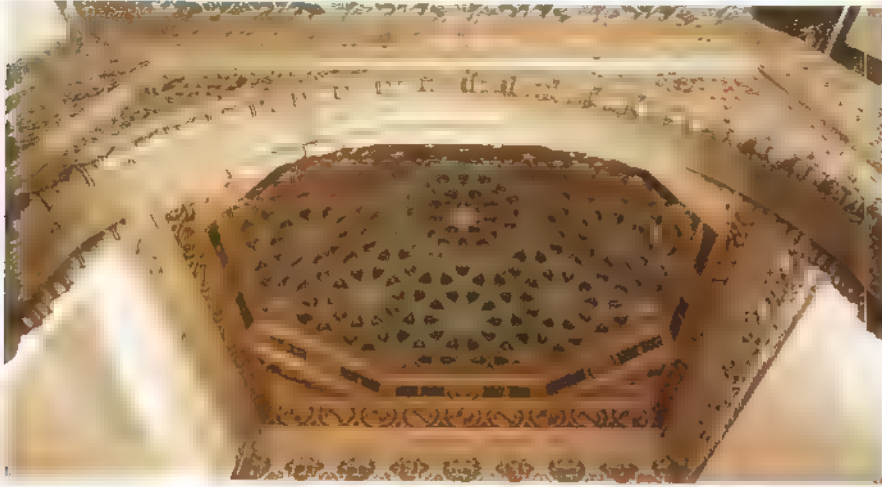


عبدالله الصغير آخر لحماة
المسلمين في الاندلس
انك ك لساء منك مصدا
لم يحافظ عليه ميل الرجال



الملك يقع في
الأسر

أخذته القوة والحمية بداية
ملكه واعتلائه للحكم.
فخاض في السنة التالية
٨٨٨هـ معركة يقود جيشا
نحو قلعة اللسانة جنوب
شرق قرطبة، واستطاع أن
ينتصر في بعض المواقع
قبلها، لكن الجيوش التي
أرسلها ملك إسبانية أسرته
عند اللسانة.



قوس مع قبة في ابهر ألوان الفن الإسلامي في إشبيلية

محمد الزغل يتولى الحكم

أصبحت غرناطة بدون ملك، فقد
أسر الملك الصغير لدى النصارى،
فقام بالحكم عمه محمد بن سعد
الملقب بالزغل (الشجاع الباسل)
واحفظوا اسمه أيضاً، لأنه شارك
في النهاية مثل ابن أخيه.

أحب النصارى أن يصتوا في عضد المسلمين بمؤامرة حاكوها بإتقان للإيقاع بين الأسرة الحاكمة في
غرناطة، ففاوضوا الملك الذي هو أسير عندهم، فقال له فرديناند الخامس: إذا أطلقنا سراحك،
وساعدناك للوصول إلى ملكك هل تعترف بسلطان النصارى؟ وتطلق أسراهم؟ وتعطي بعض الحصون
التابعة لغرناطة لنا؟

نعم، طمع في الملك فوافق على كل الشروط والعروض، وانحنى وقبل يد فرديناند
ونسى أنفة الشاعر المسلم الذي أوقف بين يدي طاغية والناس يتبادرون لتقبيل يده، فأنشده قصيدة
قال فيها:

أنا لا أختار تقبيل يد قطعها أجمل من تلك القبل



إطلاق الملك الصغير

فأطلق النصارى سراحه، وساعدوه للوصول إلى غرناطة، رفض عمه أن يستقبله قائلاً: أنا الملك،
واحتدم الصراع بين العم وابن أخيه، وهذا ما كان ينتظره حكام إسبانية، فتقدموا بقواتهم عام ٨٩١هـ.
نحو حصن لوشة الذي استعصى عليهم من قبل أيام الشيخ علي العطار، واستعان النصارى بالإنكليز
مع أن عدد جيشهم كان اثني عشر ألفاً من الفرسان وأربعين ألفاً من المشاة، فخرج أهل لوشة
يقاتلونهم، وفي مقدمتهم ابن الثمانين العطار، وقد فوجئ المسلمون بالأسلوب الجديد الذي قاتلهم
الإنكليز به، فالتقتال كان بالسيف والقوس والرمح والترس سابقاً، لكن الإنكليز كانوا يستخدمون
الفؤوس هي قاتلهم هذه المرة معهم، وتمكنوا من أن يضربوا الشيخ علي العطار بمأس أرداه شهيداً،
وعلى إثر ذلك فاوض أهل لوشة النصارى على أن يخرجوا منها آمنين.



سقوط حصن لوشة

فهل أدرك الزغل وابن أخيه الصغير أن العصي تنكسر أحاداً، وأن في الفرقة والتنازع ضعفاً ما بعده ضعف؟! الجواب كلا!



بقايا واثار القنوات السفوية عن نقل المياه الى مدينة الزهراء

تقدم في عام ٨٩٢هـ الملك الصغير نحو غرناطة، يقاتل عمه المتشبه بملكه، وهنا أسرع النصارى بالتوجه نحو غرناطة، فلما وصلت أنباء الهجوم النصراني وتوجهه نحو المدينة سارع أولو الأمر في غرناطة وخواصها، وتوسطوا بين العم وابن أخيه على أن يعقدا صلحاً ويتفقا على أمر ما، ويتركا القتال على الأقل بينهما، نعم وصلا إلى اتفاق، لكن على تقسيم غرناطة إلى قسمين!



انقسام
غرناطة بين
الصغير
والزغل

القسم الأول: عاصمته غرناطة وما يتبعها من تلك الجهة من أراض وحصون.

والقسم الثاني: عاصمته مدينة بسطة وما يتبعها في جهتها من المناطق.

العجيب أن النصارى توحدا بزواج فرديناند وإيزابيلا، بينما أهل غرناطة ينقسمون إلى قسمين.

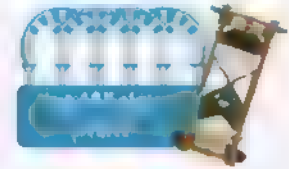
رجع النصارى يتأملون ما قد يحدث بين هاتين المنطقتين المنفصلتين من مدينة غرناطة وضواحيها، لقد ازداد النزاع ونشب القتال، واحتدم الصراع مرة أخرى بين الزغل والصغير.

فانتهاز فرديناند الخامس هذه الفرصة، عودة القتال بين طرقي مملكة غرناطة، فتقدم بجيش قوامه خمسة وعشرون ألفاً من الفرسان، وخمسون ألفاً من المشاة نحو حصن مدينة "بلش" وهي من المناطق التابعة للزغل، وكان جيش النصارى يتعرض للهجوم والغارات من المسلمين لدى مسيرهم نحو حصن بلش، ويعنمون منهم الفنائم الكثيرة، ومن جعلتها قافلة السلاح التي كانت مدداً لهم خلفهم، ومع هذا استمر فرديناند الخامس في تقدمه، فلما رأى الزغل ذلك خرج ليلاً من مملكته بألف فارس وعشرين ألفاً من المشاة يبادر إلى الدفاع عن حصن بلش. وكان قد ترك حامية له في غرناطة (القسم الذي تحت إدارته)، وأرسل الزغل كتاباً إلى قائد بلش يبين خطته بأن يهجم في ساعة معينة هو وقائد الحصن. إلا أن الكتاب وقع بين يدي فرديناند، فاستعد له، ولما حان موعد الهجوم هجم الزغل بجنده، دون أن يهجم أهل الحصن، فتولى الزغل وجيشه منهزماً نحو وادي آش.

وصلت أنباء هزيمته إلى أهل غرناطة، فسيطر الصغير على الجزء الآخر من المدينة وبدأ يفتك بأنصار عمه، وفي خضم هذا الصراع تمكن النصارى من إسقاط حصن بلش والمدينة بيد فرديناند، كما استسلمت للنصارى القرى الصغيرة المحيطة بمدينة بلش، بشرط أن يخرجوا منها سالمين.

ولم يبق للمسلمين إلا مدينة غرناطة، ومدينتان في الجنوب على البحر هما مالقة وبسطة.

فما هي الأحوال؟ والام صارت؟



سقوط حصن
بلش

ثم تقدم فرديناند ليحاصر مدينة مالقة في أقصى الجنوب على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وتعد من أهم المدن الجنوبية، وذلك في عام ١٤٩٢هـ، وضيق على أهلها، واشتد الحصار عليهم، فتشاور القوم وفي مقدمتهم قائد الحصن وكبير التجار واسمه علي دردوق ووصلوا إلى اتفاق على تسليم المدينة، حين ايقنوا أنه لا جدوى من المقاومة، حيث طوقت المدينة من البر والبحر بقوات النصارى الكثيرة، ومنعت عنها المؤن والطعام والماء، فذهب كبير التجار واتفق على تسليم المدينة، هنا يظهر قائد من عامة الشعب من المدافعين عن المدينة وهو غير معروف لدى الغالبية العظمى من المسلمين في التاريخ، وينبغي أن يخلد اسمه في التاريخ، وأن تسمى باسمه الأماكن العامة من المدارس والمستشفيات والشوارع والثكنات، أتعرفونه؟



حصار مالقة

سجلت حدود الحصار على المدن
الاسلاميه





أحد حصون مائة

إنه حامد الزغبى المعروف بحامد الشعري، من المقاتلين الذين دافعوا عن مدينة مائة، رهص أن يستسلم هو أو أن تستسلم المدينة للقشتاليين، فأعلن مقاومته واستجاب له فرسان كثيرون ورجال أبدو استعدادهم للمقاومة، فأرسل المفاوضون إليه تاجراً ليُفْرِيه ويقبل كما قبل القوم والتجار بالاستسلام، مقابل أن يدفعوا له أربعة آلاف دينار، فقال جملته وهكذا ينبغي أن تكون نفسية المقاتل.

حامد الزغبى
يصمد

إني تسلّمت المدينة لأحميها لا لأسلمها. هكذا ثبات البطل حامد الزغبى

ودانت له أسباب المقاومة وسيطر على الموقف، وبدأ العدو بإرسال القذائف بواسطة النيران، وكانت تسمى الأنقاط (قطع الصخر النفطية).

ما هي الأنقاط. ذكر مؤرخ أندلسي يصفها. وكان له (اي ملك قشتالة فرديناند الخامس) أنقاط يرمي بها صخوراً من نار، فتصعد في الهواء، وتنزل على الموضع، وهي تشتعل ناراً، فتهلك من نزلت عليه وتحرقه، ولم يكن هو أول من استخدمها، فقد ورد أن المسلمين استخدموها في تلك الفترة -قبل معركة مالقة- في معركة طريف مثلاً. وكانت تشبه المدافع، أو تشبه إلى حد ما الصورة البدائية لظهور المدافع فيما بعد.



سور مالقة الحصين حيث شقت على أطرافه الممرات والشوارع

معركة البرج

واشتد هجوم القشتاليين على أبراج المدينة. فصدهم المسلمون. واستطاعوا في النهاية أن يحتلوا برجاً. فحضر المسلمون تحته وأشعلوا النيران، فسقط البرج، وبدأ شيء من اختلال الأمور من مكان البرج المنهدم، وقيادة غرناطة ترسل إليهم وإلى حامد أن استسلموا.

فرفض حامد الاستسلام. وظل يقاوم ويفاتل. وكان الجيش القشتالي قد صنعوا أبراجاً يقربونها ليعتلاوا السور. فيمنعهم المسلمون. فيحفرون الخنادق فيمنعونها. ووقع قتل كثير في صفوف النصاري. ولكن قلت المؤن. ونفد الطعام. واشتد الجوع بالمسلمين المحاصرين. فأرسل كبير التجار (يغت في عضد المسلمين) رسولاً إلى فرديناند. فأعلن أن الأمان لهم إذا سلموا المدينة. فمنع المقاومون الرسول الذي جاء بهذا الأمر من دخول المدينة. وأرسل الزغل يحضهم على الثبات وأخبرهم أنه قادم مع جيشه مددا لأهل مالقة.



منظر للقصبة من الميناء (قصبة الناصر) في مالقة

الخيانة الكبرى

فحدثت الخيانة الكبرى حين شعر الصغير بأن انتصار مالقة خطر عليه، وأن شأن خصمه عمه الزغل سيعلو. وسيهدد ملكه. بثست النية هذه، وبثست التصرف الذي أقدم عليه الصغير حيث رأى أن من مصلحته السياسية أن تسقط مالقة. عندئذ أرسل الصغير جيشه لمنع المتطوعين وجيش الزغل من الوصول إلى مالقة لإعانتها، فتنشب القتال بين المسلمين، ما أبأس هذا الملك، وما أبأس تصرفه!

النصارى يحمون الملك الخان

وكان القدر ان انهي هذا القتال لصالحه، فارسل رسالة الى فرديناند بالبشرى! وانتشر الخبر وداع، فانصرف عن الصغير كثير من الناس. عندئذ ارسل الملك فرديناند وايزابيلا ألف فارس لحماية الملك الصغير من غضب الناس وبطشهم. وهنا يادر عالم من علماء مدينة اش ويعرف باسم "ابراهيم السانتو" ومعه أربعمئة رجل لمساعدة أهل مالفه، واقتحموا جنود قشتالة المحاصرين. واستطاع مائتان منهم اقتحام الحصار ودخول المدينة.



جزء من اسوار مالفه

عملية استشهادية من عالم

ولما اقدم النصارى على الهجوم، اقدم السانتو على حيلة، إذ سجد ومكث على سجوده حتى أسره المهاجمون وجاؤوا به الى اميرهم (قائدهم)، فقال له القائد القشتالي: أسألك ما شأنه؟ فأجاب: انه ولي من أولياء الله وعنده سر يريد أن يبوح به للملك، وهو يطن أن هذا القائد هو الملك، فلما قربه منه هجم عليه بخنجر معه كان يخفيه، فقتله، ثم هجم على زوجته وهو يظنها إيزابيلا، فهجم عليه الحراس فقتلوه، ثم رموا بجثته على المسلمين قددفنوه.



القائد القشتالي يقتله أحد العلماء المسلمين

اشتداد الحصار

ضيق المهاجمون النصارى على المدينة أشد فأشد، وأحرقوا جسراً على أهم طريق للمدينة ويدؤوا يقدفونهم بالحمم بواسطة البارود الذي أخدوه من المسلمين. وقد قتل من الحامية المدافعة عدد كبير، مما جعل معظم التجار وكبيرهم يتوسلون لحامد أن يستسلم حفاظاً على دماء الناس. بعض المسلمين يبدلون دمائهم لحماية المسلمين وأعراضهم، وبعضهم يرون الاستسلام فكر النصارى هجوماً إثر هجوم، والمسلمون يردون الهجوم، ويصدونه.

سقوط مالقة

وتمكن جند النصارى من اقتحام المدينة. ولكنهم ولوا الادبار بعد ان اتخن المسلمون الصامدون فيهم الصل. فأمر حامد الزغبى بمطاردتهم. فحرج المسلمون يطاردونهم. وكان بعض النصارى يذفون المسلمين بالحجارة عن طريق المنجنيق والأنفاط. فاصيب الزغبى بحجر منها وسقطت الراية من يده. وطن أهل مالقة أن الأمر قد انتهى فعادوا إلى مدينتهم. لكن القشتاليين كروا بهجوم آخر، فطلب أهل مالقة عند ذلك التسليم بشرط الامان، اصر فرديناند أن يكون الاستسلام بدون شروط. وهذا يعني أن أهل مالقة سيقتلون جميعا، فأرسل أهل مالقة إلى فرديناند خبرا مفاده أنه يوجد لدينا ألف وخمسمائة أسير، فإن لم ترض بالشرط الذي نريده، سنقتل هؤلاء فورا على الأبراج، ونحرق المدينة. وناتيك بالسيوف، عند ذلك قبل فرديناند تسليمهم بشرط الامان، لكن الزغبى تحصن بالمنارة مع نفر معه يرفضون الاستسلام، ثم خذل أولئك أصحابهم، وبقي وحيدا إذ هجم القشتاليون بكثافة على المنارة، فأسر الزغبى، وأخذ إلى فرديناند الخامس، فاتخذة عبدا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



لم يبق إلا وحده. ظل يقاتل، ويقاوم إلى نهاية المعركة. رحمه الله وكثر من أمثاله. وتوكانوا كثيرين في تلك الفترة لتغير التاريخ. ولكن قدر الله وما شاء فعل.

وسقطت المدينة الباسلة مدينة مالقة، ودخل النصارى المدينة دخول الفاتحين، وعاثوا فيها وفسدوا وسبوا النساء والأطفال، ونهبوا الأموال والمتاع، واسترق الملك كل أهلها وكان على كل واحد أن يفتدي نفسه، فكان مصاب المسلمين عظيما في مالقة وغيرها وكذلك دأب القشتاليين وأمثالهم نكث العهود والمواثيق، فقطعوا بذلك طريق الإمداد من المغرب إلى غرناطة.

قناطرة منشأة على أحد الأنهار الاندلسية

سقوط المرية

والمنكب

وفي أواخر عام ٨٩٤ هـ سقط ثغر المنكب والمرية بيد النصارى فلم يبق للزغل من مملكته إلا عاصمتها وبعض الحصون الصغيرة التابعة لها.





الهجوم على
بسطة
عاصمة الزغل

وتحرك فرديناند الخامس وملكته بقواته شمال شرق غرناطة يقصد مدينة "بسطة"، والسؤال: هنا لم
لم يتقدم باتجاه غرناطة؟

رأينا أن مملكة غرناطة كانت قسمين: نصف للزغل، ونصف للملك الصغير. وكان هذا الملك يحاول أن
يسقط ما تضمه مملكة الزغل، وعاصمتها بسطة.

تحرك فرديناند الخامس بجيش تعداده ثلاثة عشر ألف فارس وأربعون ألفاً من المشاة، وقرر الرغل أن
يترك المدينة بعد أن رتب سبل الدفاع عنها، هكذا يتركها ملكها لمصيرها، لأنه خشي أن يقع هو في
الأسر.

شتان بين قادة يتقدمون جيوشهم، ويبدلون أنفسهم لحماية الآخرين وبين هذا الذي يترك الحنود
والناس والمدينة ويفر خوف الوقوع بالأسر.
قال الشاعر:

شتان بين الذي في الحرب موقعه وبين الذي همه الامعاء والبز^(١)

(١) البز، الثياب واللباس



حصن إسلامي في الأندلس قد حول إلى كنيسة وضعت أعلاها الأجراس

واستعد أهل بسطة للدفاع عن مدينتهم، وكانوا قد استعدوا للحصار، لكن هذا الحصار قد طال، وكان ملك العدو يأمر بحرق البساتين والحقول، فيخرج الناس لإطفاء النيران، وتنتشر الفوضى فيحتمل القتال هنا ويدوم حتى الليل إذ تنفصل الجنود عن بعضها.

فلا تبقى إلا الجثث التي تتعفن، وما للمسلمين من قيادة، ودام الحصار أربعة أشهر وكان ذلك في عام ٨٩٥ هـ. وبالرغم من المقاومة الباسلة ورد العدوان أكثر من مرة، ضاق أهلها بالحصار، وقرروا المفاوضة في التسليم، وتم الصلح حين جاءت الملكة لاستلام المدينة، على أن أهل بسطة مخيرون بين البقاء وبين المغادرة، ودخلت بسطة كالتي سبقتها هي قبضة الملكين، ولكن بعد معركة وثبات حيث أوقعوا بجيش فرديناند ثلاثة آلاف قتيل، ومات من الوءاء أثناء الحصار من جيشه سبعة عشر ألفاً.



حصار بسطة



بناء على الطراز الاسلامي في مملكة

ثم جاء قادة الحصون التي تتبع مدينة بسطة لسلّموا الحصون إلى هذا الملك الطاغية، ومادا يستطيعون أن يفعلوا سوى ذلك؟ لقد سقطت العواصم عنها.

قال الشاعر:

قواعد كن اركان البلاد فما عسى البقاء إذا لم تبق اركان

الاستسلام

عزة علي بن
الفخار

فاخذوا يسلّمون مفاتيح الحصون التي بين أيديهم، وكان كل واحد يأخذ من الأموال والعطايا والخلع التي يعطيها لهم الملك القشتالي (وكان من بين هؤلاء القادة قائد اسمه: علي بن الفخار، بيده عدد من المواقع والحصون، فلما جاء دوره: وصفه المؤرخون حين دخوله على فرديناند وإيزابيلا: كان شامخ الأنف، شديد الوفا، وخاطب الملكين بحرية الرجل العسكري وشخصيته: أنا رجل مسلم، قائد لحصن مطبّرة، وبرشنة، قد تسلمت هذه الحصون للمحافظة عليها، لكن الذي عهدوا لي بقيادتهم، فقدوا كل نهضة (قوة)، وعادوا لا يطلبون سوى الأمان، وأصبحت هذه الحصون لكم، فابعثوا من يستلمها، أمر فرديناند بإعطائه الأموال والعطايا كما أعطى للسابقين، فامتنع من ذلك منكرا أشد الإنكار، وقال للملكين:

أنا لم أت لأبيع ما ليس ملكي، بل لأسلم ما جعلته الأقدار الإلهية ملكاً لكم، وليكن يقينا عندكما أنه لو وجد من يسعفني كما يجب، لكان الموت ثمناً لهذه الحصون بدلاً من الذهب الذي يعرض علي.

نعم، إنه نموذج من أولئك الرجال الذين يقولون في التاريخ، حتى في انهيار السلطة وضياع المدن وضعف القوة، وقلة الحيلة، نموذج يعلو بخلقه وأنفته وسمو هدفه على متاع الحياة الدنيا ومفرياتها، ذكر المؤرخون عنه:

مطالب علي بن الفخار

فأعجب الملكان بشهامة هذا التمودج، وتنبأ أن يكون منتظما كالأخرين في خدمتهما، فقالت له الملكة. وهل توجد لك حاجة نامر لك بقضائهما؟ قال: نعم، حاجتي أني نركت في الحصون التي سلمتها كثيراً من المسلمين البائسين. الدين لا يتيسر لهم الرحيل بنسائهم وأولادهم، فأرجو أن تعطينا لي وعدا ملوكيا بحمايتهم. وإطلاق الحرية لهم في دينهم وأغراضهم. فأرداد الملكان إعجابا بعزة هذا القائد وشموخه المتميز، ووعداه بذلك.

ثم قالت الملكة. وهلا تطلب أنت شيئا لك؟ قال. كلا. سوى الإذن لي بالعبور بخيلي وناتى -يرفض حتى الهدية منهما- فسمحا له بالعبور إلى المغرب.

نعم توجد في امتى أمة الإسلام في كل عصر وفي كل مكان رجال لهم عزة وشموخ يطلبون العزة بدين الإسلام. لا بالرتب والالقب والاموال. ولو كانت الاحوال ناسئة. وفي واقعنا المعاصر نمدح لو فُقدت لانتهت الامة، ولتودع منها.



منذنة اثرية قديمة في شنتمرية (سانتا ماريا)



الصر المعماري لمصر في مالمه

ولم يبق بيد الزغل بعد سقوط بسطة إلا حصون وقرى حول مدينة وادي اش، فعزم الخائن بعد ذلك -أو أجبرته الظروف، إن أحسننا الظن به- أن يبيع ما تحت يديه للمكي قشتالة، وتم التفاوض، وبيع الزغل بلاد المسلمين مقابل ثلاثة ملايين دينار، ثم جاء إلى ملك النصراري فأكرمه! وفرح به فرحا عظيما ورفع مكانة عظيمة! وقيل إنه أبقاه حاكما على المدينة لكن بحماية من القشتاليين وتحت إمرتهم.

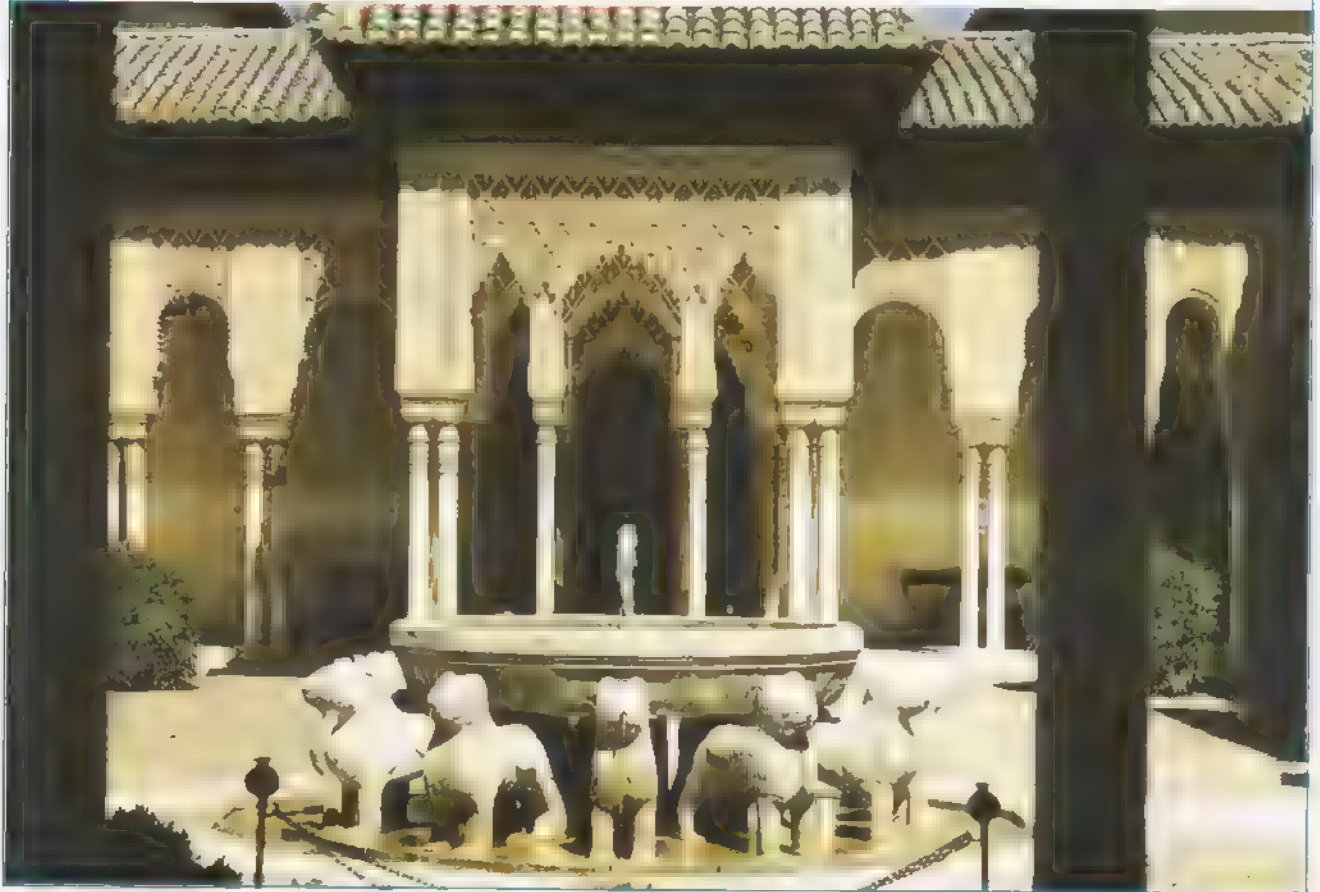


بيع باقي مملكة الزغل

وهكذا فقد نصف المملكة، وضاع نصف المناطق التابعة لفرناطة! ودخل الإسبان مدينة وادي اش سنة ٨٩٥ هـ، مقابل منح وامتيازات قدمها الملكان القشتاليان للزغل! وهكذا قبض هو وقواده ثمن المناطق التي كانت تحت حكمه.



بلطة وفؤوس حديدية من العهد الأندلسي



منظران لساحة الاسود في الحمراء

تاريخ غرناطة

اغتيال أبي الحجاج ملك غرناطة .	1
حدثت انقلابات عدة في حكم غرناطة .	2
كما حدثت انقلابات مماثلة في قشتالة النصرانية .	3
الناسك (سيو) يقود هجوما على غرناطة ينتهي بالفشل ومقتل (سيو) .	4
سقوط بلدة النقيرة بيد النصاري .	5
تولي محمد الثامن (الأيسر) لامارة غرناطة .	6
خلع الأيسر وحكم محمد العاشر (الأعرج)	7
تردي حال المسلمين في الأندلس وصدور قوانين نصرانية تذل المسلمين وتظلمهم .	8
خلع الأعرج وتولي سعد بن محمد مكانه .	9
سقوط حصن جبل طارق بيد النصاري .	10
سقوط دولة بني مرين .	11
زواج فرديناند (ولي عهد مملكة أراغون) بابزابيلا (ولية عهد قشتالة) .	12
سقوط مدينة الحامة (جنوب غرناطة) .	13
خلع أبو عبد الله محمد الصغير أباه وتولى مكانه .	14
محمد الصغير يقع في الأسر ويتولى عمه (لزغل) مكانه ثم يطلق محمد الصغير بعد سنة .	15
سقوط حصن لوشه .	16
سقوط حصن بلش .	17
سقوط مالقة .	18
استسلام بسطة وما حوالها من الحصون .	19

هذا حصاد ما زرعوا من الفرقة وعقاب ما قدموا من الخيانة ...

إن بداية النهاية في الأندلس يوم أن تمزق إلى دويلات وطوائف. واستقلت كل مدينة شؤونها. وأعمى الطمع حكامها فلم يعودوا يبصروا غير مصالحهم وشهواتهم. هذمت هيبتهم وسهل على القوط والبصاري افتراسهم، فكان على كل دولة أن تدافع عن نفسها بنفسها، وأنى لمدينة تحارب وحدها أن تقف في وجه تحالف صليبي احتشد فيه جميع قوى الأعداء؟

وها هم اليوم يحصدون ما زرعوا من المارقة والخيانة فيسقطون مدينة تلو الأخرى، وأنسأهم طمعهم أن قوتهم إنما كانت يوم كانوا جميعاً كالجسد الواحد، وأن الذئب إنما يأكل من الغنم القاصية

كونوا جميعاً يا بني إذا اعتري

تأبى الرياح إذا اجتمعن تكسرا

وهذه قاعدة مضطردة في التاريخ لا استثناء فيها ولا يمكن أن تتخلف.

لذلك كلما مر بنا عهد قوة وعز كان هم أعدائنا أن يفرقونا ويشتتوا شملنا حتى نكون فريسة سهلة ولقمة سائفة. وما خرج الاستعمار من أراضيها هي أواسط القرن العشرين إلا بعد أن مزقنا إلى دول عدة تفصل بينها الحدود وتتقاطع بينها المصالح ليصمن فرقتنا وبالتالي ضعفنا، وها نحن نعيش آثار انقسامنا اليوم فاعدائنا وهم اليوم أنفسهم بالأمس وإن تبادلوا الأدوار يكيدون لكل دولة على حدة يستبيحون حرماننا وأموالنا وأعراضنا لكن بغطاء الشرعية الدولية وباسم الحضارة الزائفة

ويح الحضارة كيف يمتهن اسمها

متكالبون على الضعاف ضواري

والمحتل غاصب مجرم وإن أشاع أنه جاء لينشر الحضارة والحرية والديموقراطية والسلام وقد رأينا بشائر الديموقراطية والحرية في البلاد التي احتلوها؛ دماء ودمار وسلب للثروات وهتك للأعراض

وللمستعمرين وإن الأنوا

قلوب كالبحجارة لا ترق

سلي من راع أمك بعد وهن

ابن فؤاد والصخر فرق؟

• وإن كنا نستخلص من هذه الأحداث عبرة فإنما هي دعوة للتوحد والتكاتف إن لم تكن بإزالة الحدود فلتكن باجتماع القلوب ووحدة المصالح والأهداف والكلمة، ولا نريدها وحدة عربية لأنها أثبتت فشلها وعجزها إنما وحدة إسلامية تجمعنا فيها لا إله إلا الله محمد رسول الله.

• خيانة ابن الأحمر (الفقيه) للمنصور من بني مرين في تلك الفترة الحرجة مع ضعف المسلمين ودهاب دولتهم من أسوأ ما مر في تاريخ الأندلس.

أمع كل ما مر من الخيانات وعواقبها لا يزال هناك من يفكر بالخيانة ؟

أما كفانا ضعفاً وتمزقنا وتشردنا حتى نختمه بخيانة تذهب بما تبقى لنا ؟

أقولها وأنا اعتصر أسى لأن الخيانات كلمتنا الكثير ولأن ما حدث في الأندلس يعاد اليوم في فلسطين، ويمتد إلى دول أخرى، وعجباً لأولئك الخونة ممن نسلموها أمور المسلمين ثم باعوا قصيتنا بأبخس الأثمان، ومن عملاء الداخل الذين يدلون الصهاينة والمحتلين على عورات المسلمين ومكامن المجاهدين، أليس فيهم رجل رشيد ؟



• الانتصار الذي حققه المنصور من بني مرين في الغزوة الدنونية مع ضعف المسلمين آنذاك وقلة عددهم يثبت في نفوسنا الامل بأن هذه الأمة قادرة على النهوض مع كل ما يمر بها من ضعف وتمزق لكن بشرط أن تلتزم دين الله وتنبذ الفرقة والخيانة، فإن انتماءنا للإسلام يعني أن نكون قادة لا تابعين، أقوياء لا مستضعفين، وما ينبغي أن نياس أو نستكين «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» (آل عمران ١٣٩).

فإن ظن أعداؤنا أنهم ملكونا لضعف الم بنا فإنهم مخطئون.

وإن توهموا أن الحفنة التي ترحب بهم في احتلال ديار المسلمين يمثلون ضمائر المسلمين الأحرار فإنهم واهمون فإن هؤلاء لا يمثلون إلا مصالحهم الجشعة وتطلعاتهم الدنيئة.

وإن اطمأنوا أننا لن نقوم لنا قائمة بعد كل ما حصل فإنما هي أمانهم سنبطلها بإذن الله تعالى.

وإنما نقول لهم:

لكن اتيت بتضليل وتمويه
فكيف تسلب ما لا أنت حاميه ؟
كأس المنية ما زالت بأيديه
(فصاحب البيت أولى بالذي فيه)

ما جئت تلقى سلاما في مواطننا
لتسلب الشعب حقا لست تنكره
إن السيوف التي كانت تجرعكم
فاحمل متاعك وارحل عن منازلنا



فرنسا

اردونة

قرقشونة

رأسقال

ارغون

قحداوينة

جيرةونة

سرقسطة

باجسمة

برقشونة

طركرنة

مدريد

باجسمة

قطلونة

بلنسية

دالية

شاطبة

دالية

ارزولة

مرسية

مرسية

بحر دية

غرناطة

قرطجة

المرية

مالقة

شلفونة

جبل طارق

سبتة

المغرب

البحر الأبيض المتوسط

جزائر البليدار

ميجورقة

باجسمة

شنتياجو

خيخون

مسفرة بلاي

ليجون

سرقسطة

جنتسمة

لسون

كسباله

كوره

بلد الوليد

بوجي عم

بوجي عم

مدريد

طليطلة

طليطلة

طليطلة

الغرب

بطلينوس

مارورة

باجة

لغنت

حد فاسمة

قرطبة

لبكة

لشيبيلة

قرمونه

ولبة

شيبيلة

شلفونة

مالقة

جبل طارق

سبتة

طريف جليلية

لشيبيلة



الفصل الرابع

سقوط غرناطة ونهاية الاندلس

اولا - الامير موسى بن غسان والثبات

ثانيا - حصار غرناطة

ثالثا - الصلح المشؤوم

رابعا - نقض الميثاق

خامسا - نهاية المسلمين في الاندلس

الملك الصغير مختاراً

استمر الملك الصغير ربما فرحاً يحكم ما بقى من المملكة، إذ ذهب عمه، ورأى أن النصارى يعلو شأنهم، ويتسع ملكهم، وتمتد قوتهم، بينما يرداد المسلمون سوءاً! ولم؟ فهل عمل على حفظ مملكته؟ أو بدل جهده لتطويرها وقوتها؟ بل أرسل إلى الملكين فرديناند وإيزابيلا يسألهم المهادنة والصلح والأمان. وكانت نفوس أهل غرناطة وبخاصة نفوس أولئك الذين أديقوا أنواع الظلم والطغيان هانجة، لا تريد إلا القتال وتآبى الاستكانة والمهادنة، فماذا يفعل؟ وما الذي يقدم عليه؟ ملك قشتالة يطلب إليه أن يسلم غرناطة! وهو يعلم قوته وبطشه! والناس (الشعب) في غرناطة يريدون منه التحدي والمقاومة، لما لاقوه كثيراً من العنت بترك الديار والأهل والمال.

لم يكتف فرديناند بطلب غرناطة ومراسلة الملك الصغير فقط، بل راسل قواد غرناطة وأمراءها والمتنفذين يعرض عليهم الأموال الوفيرة والهبات الكبيرة والعطايا.

لم يتخذ الملك أي قراراً ولا استعداد للدفاع أو القتال. والناس يتخبطون في هم وغم، فالنهاية وخيمة إذا بقيت الحالة هكذا، وما أخبار المدن التي سقطت عنهم ببعية!

وقد بدت علانم
الخيانة والفدر
من الملك
الصغير، إذ
همست في الأذان
بمؤامرة تحاك
ضد المدينة على
خصوصيات
تعطى للملك
وحاشيته، مع أن
الملك قد راسل
فرديناند بأنه لم
يعد هو صاحب
القول والفصل
في هذا الأمر
وفي شأن
غرناطة.



أحد القصور الغرناطية التي تناهس عليها الأمراء

البطل العظيم موسى بن أبي الغسان

وقد ظهر من خلال هذه الحالة المظلمة فارس يعطي صورة مشرقة للدفاع عن الأرض وحب الوطن وبدل كل شيء في سبيل الدين. هو موسى بن أبي الغسان، هل سمعتم به؟ وكيف تنسى هذه الشخصية؟ وكيف تمحي من ذاكرة التاريخ أمثال هذه النفوس الشجاعة الفريدة في عصر الهوان والذل؟ يعرف الشباب المسلم كثيرا عن ستالين، جوكوف، تشرشل، مونتغمري، هتلر، غوبلز، رومل، ولكنهم لا يعرفون عن هذا القائد الفذ في التاريخ الاندلسي وفي نهاية الاندلس.



غرناطة الحمراء القمصة تعتبر هذه القلعة من اقدم الامكن في الحمراء ويوجد في الداخل تماثيل حتى سكتى عسكري يحتوي على سبعة عشر شصه
وفدعه حمام ومستودعات ونكتات واسلحلات وابار

الأمير موسى يعلن الجهاد

يبدو انه كان من سلالة الملوك، اد كان يلقب بالامير موسى، وانه كان من اهل غرناطة، وكان صاحب همه وعزيمة لا تثنين، عمل ما في وسعه لإذكاء روح الحماسة والمقاومة، فاعلن الجهاد، وانه يرى الموت خيرا من أن يرى الوطن تدوسه اقدام النصارى الاعداء، واحتشد الناس حوله يدربهم ويعلمهم، فحاف الملك الصغير من قوة الشعب، ولزم قصره وحوله بطانته، وحمل موسى عبء الدفاع عن غرناطة، وبايعه المسلمون بيعة الموت في سبيل الله، عند ذلك ارسل الى الطاغية يخبره رفض اهل غرناطة على تسليمها، لذلك بدأ القشتاليون يهجمون على قرى غرناطة والمناطق التابعة لها.

انتقل موسى إلى مرحلة الهجوم بينما كان مدافعاً أصبح مهاجماً، وهكذا تفعل الهزيمة الصادقة، ويقدم ذو الهمة للأمر الجلل، المسلمون على قلة، ومع ذلك قرروا الهجوم على جيش قشتالة الجرار، وتمكن موسى أن يلحق الهزيمة بفرسان النصارى مراراً، ويقود فرسان المسلمين إلى السيطرة على المواقع، ويعود بالفنائم من الغارات التي قام بها على تجمعات العدو، لذلك أحيا الأمل، وألهب الشعور الحماسي، وأذكى الناموس، وكان الحياة بدأت تدب في مدينة غرناطة بعد الوهن والخور الذي ساد على النفوس من قبل.



منظر عام لمدينة الحمراء

تحرك الطاغية بجموعه على مرج غرناطة، وأرسل خمسة وعشرين ألفاً من الفرسان يحرقون كل شيء، ويتلفون كل محصول، ويهدمون كل بناء، كانت غرناطة من أجمل المدن في تلك الفترة، وكانت ساتينها من أجمل بساتين الدنيا، فأصبح هم الملكين إتلاف ما يمكن إقلاؤه، ونشر الدمار في ربوعها، فقرر الأمير موسى أن يقسم فرسانه إلى مجموعات صغيرة، وكلف كل مجموعة بقطاع معين للعدو. وأمرها بالهجوم، فأكثر القتلى في القشتاليين، وما من لقاء بين المسلمين والقشتاليين إلا كانت الهزيمة من نصيب النصارى، فيولي فرسانهم الأديار طلباً للنجاة، كان أصحاب موسى شباباً يقاتلون في سبيل الله، شباباً ارتضوا سبيل الجهاد لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، شباباً ما ارتضوا أن تطأ أقدام العدو أرضهم وهم أحياء. وعندما يطلب الموت توهب الحياة، فانهزم فرسان القشتاليين، وحاصروهم المسلمون في أماكن ضيقة، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، لذلك أعلن فرديناند لجنوده ألا يواجهوا المسلمين. وألا يقاتلوهم، بل أن يحرقوا ويشعلوا البساتين، ثم يفروا طلباً للنجاة، ويستعجلوا قبل أن يهاجمهم فرسان المسلمين.

الجهاد في
سبيل الله

خيانة الزغل

ثم تطور الامر وذلك من سوء النفوس التي تدعى الإسلام. ولم تصف له. بل كان إسلامهم ربما للمصالح الشخصية ذات الطابع الأناني. وذلك حين رأى الزغل دوام ملك ابن أخيه. انصم إلى فرديناند ليحصل كيداً ويأسه على المسلمين ليحظى بمكانة عند الطاغية! فليزل ملك ابن أخيه كما ذهب ملكه هو! ولم يكن قد علم المسلمون بتحالفه مع النصارى. فقد حدث مرة أن مائة وخمسين فارساً (من المسلمين) تطاردهم قوات قشتالية نصرانية. فالتجأ الفرسان إلى حصن يدعى "هدمة" وسألوا المسلمين مستعيثين أن يفتحوا الأبواب قبل وصول العدو. فصدقهم المسلمون. ولكنهم ما إن دخلوا الحصن حتى تعلبوا على الباب وفتحوه على مصراعيه ليدخل النصارى وليسقطوا الحصن ويحتلوه. أراد كره الناس للزغل واتساعه لخياناته. ومن العجيب أن بعض القادة كانوا يمدحون للدين يدافعون عن دينهم وأموالهم وأعراضهم. ثم ينحطون إلى الدركات من أمثال الزغل وغيره. وكان المستميد الوحيد من هذه الخيانات هو العدو الذي يتربص دائماً بالمسلمين. واستغل وضع الزغل الملك أبو عبد الله الصغير إذ أعلن أنه هو المحاهد في سبيل الله. وأنه لا يخون ولا يتصل بالنصارى! وصدقته من لا عقل له. إذ كانت المؤامرات السرية تحاك لتسليم غرناطة لأرب شخصية ومنايع دائية للملك وبعض ورائه. فماداً فعل الملك؟.



الزغل في حركه خيانه مع فرديناند اعتمد انها قد نديم حكمه

الملك الصغير

يظهر الجهاد

توجه باتباعه إلى حصن همدان ففتح، وقتل الحامية النصرانية التي كانت تدافع عنه، وكان عددها مائتين وخمسين فارساً، ثم تحرك باتجاه حصن مرشنة وفتح، ثم قصد حصن سكوبنيا فبسط سيطرته عليه.

وشاهد الناس بطولاته وظنوا أن الأمر جد، فصدقوا الملك واتبعوه، ولا ندري لعلها نخوة صادقة منه ولكنها جاءت متأخرة ولذلك ذاع صيته بين المسلمين المحكومين "المدجنين" في المدن الأندلسية التي سقطت بالجنوب، وتمنوا لو يتطوعون تحت إمرته، مما حمل فرديناند الخامس أن يبعث العميون والجواسيس إلى تلك المدن (مالقة، بسطة، المرية، وغيرها) ليستيقن حقيقة الأمر، فلما تبين له ذلك، وأن غالبية الشعب مستعدة للخوض في المعارك، ولإمداد أهل غرناطة، خشي من انصجار هذه الثورة، فأصدر أمراً بإخراج كل المسلمين من تلك المدن مع أنه كان قد أعطاهم الأمان، ونقول إنه شيء رائع إذ لم يأمر بقتلهم جميعاً! لكنه فتن بالكثير منهم.



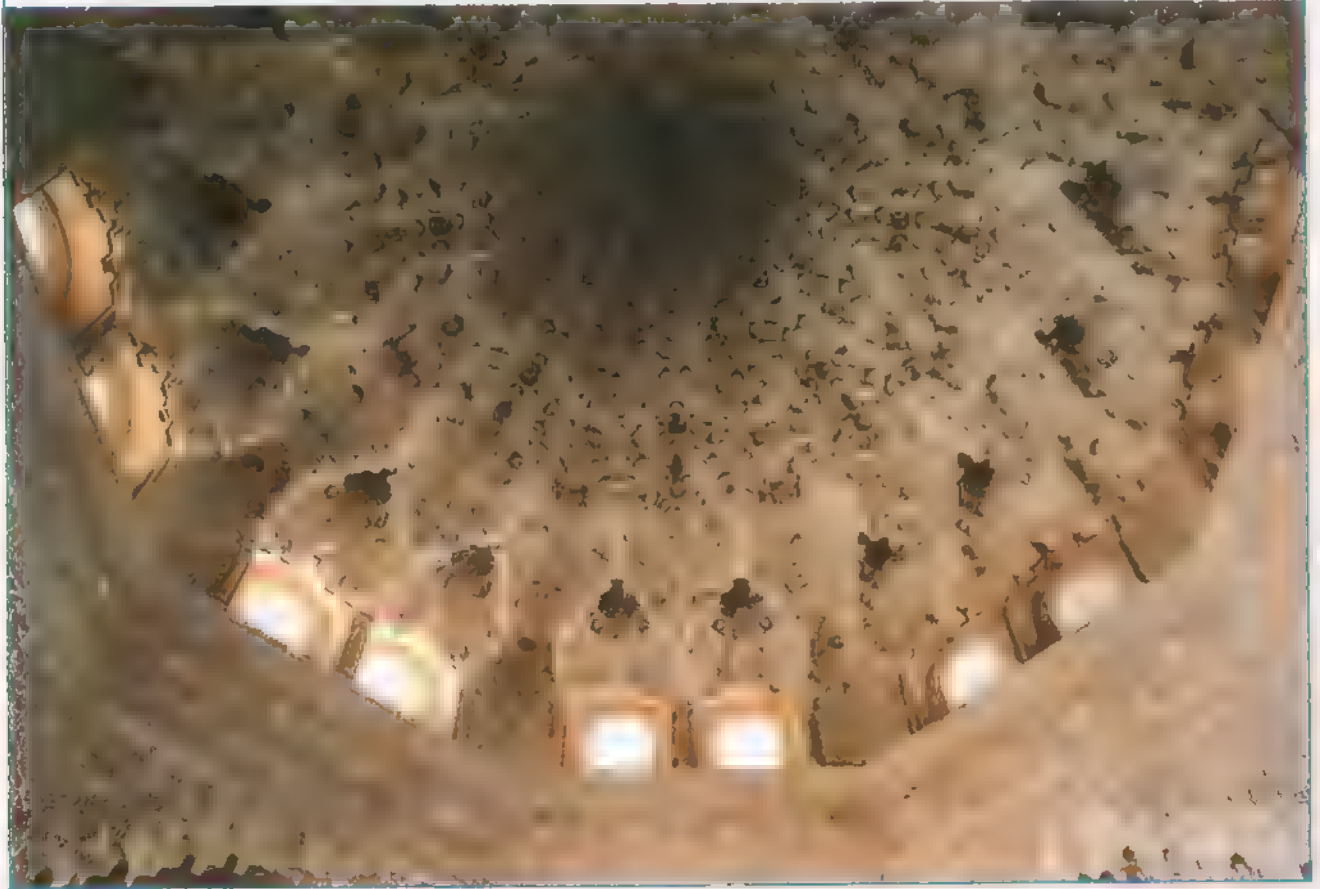
نهاية الزغل

طمع الزغل أن يعود ملكاً لهذه البلدان التي خلب من معظم سكانها المسلمين إذ أجبروا على الرحيل منها، لكنه علم أنه شخص غير مرغوب فيه بالاندلس كلها. وأن الناس يهتفون لأنبي عبد الله الصغيراً فاستأذن عام ٨٩٦هـ ملك قشتالة أن يخرج من الاندلس، ويذهب إلى المغرب حيث استقر بمدينة فاس ومعه الأموال والخيرات ومعه الخدم والحشم فوصل حبره إلى ملك فاس، فأمر بالقبض عليه، فقبض عليه، وسُملت عيناه، ثم أُلقي به في السجن، وصودرت أمواله التي رادت على خمسة ملايين من الذهب (ثمن المناطق التي باعها للقشتاليين).

عجل الله عليه جزاء الدنيا. وبعد فترة كلم بعض الوجهاء من أهل فاس ملكها في شأنه، فأطلق سراحه، دون أن يرد له شيئاً من أمواله، فعاش في رعاية أحد أصحابه فترة ثم تخلص عنه، وكان يستعطي الناس ويسأل الصدقات فيعطيه من لا يعرفه، وقد فقد كل شيء، وعليه ثياب مرقعة بالية، وكان كتب بنقوش على إحدى رقعته:

هذا سلطان الاندلس العائر الحط، وان في التاريخ لعبرا.

وقد يكون استسلام الزغل نزولاً على حكم ظروف القاهرة، ولكن كان الاستسلام مهيناً جداً.



قبة في إحدى القاعات تظهر فيها فحامة الصعفة



بعض مناظر الحصون في غرناطة آخر عهد للمسلمين في الاندلس

واشتد الحصار على مدينة غرناطة سنة ٨٩٦هـ. وبلغ عدد المحاصرين أربعين ألف رجل وعشرة آلاف فارس. وتأتيهم الإمدادات تباعا، مما جعل الملك الصغير ينصرف تفكيره إلى الاستسلام. فاجتمع بقادة الجيش، وحاورهم فأقروا بالصلح والمهادنة. ولم يعارضه إلا الأمير موسى بن أبي الفسان. وبهاء وحدره من عاقبة الأمر وذكره بمصير المدن التي استسلمت، وقال له: ستكون أجسادنا سدودا دون غرناطة، وما كان القشتاليون قد استطاعوا الاقتراب من المدينة بعد، بالرغم من قوتهم وعددهم الذي بلغ في إحدى الروايات ثمانين ألفا.



يقول واشنطن إيرفنج في روايته "غزوة غرناطة": لو كان عند المرناطيين عدة رجال مثل موسى بن أبي الفسان، أو كان ظهوره في بداية هذه الحرب، لتأجل سقوط غرناطة، ولبقى المسلمون مدة مديدة متبوثين أبراجها.

لذلك رأى الملك القشتالي أن اقتحام غرناطة مهلكة لجنوده. فاقتحام مدينة يلتهب أفرادها بروح الثأر والانتقام إبادة للجيش المهاجم، فأصدر أوامره بإحكام الحصار على كل المنافذ للمدينة، وشدد في ذلك، ولهذا فقط ما كان يريد الاقتحام ولا المواجهة مع المسلمين، وكان موسى يأمر بالهجوم أحيانا على جند قشتاله، فيوقع القتل ويثخن فيهم. ومع ذلك كانوا لا يواجهونه، بل كانوا ينسحبون.

المبارزات والبطولات

عمد الطاغية بحفر خندق حول المدينة ليمنع خروج المسلمين للهجوم، فكان أن طلب المسلمين للمبارزة، ووقعت عدة مبارزات قتل العشرات من النصارى فيها، حتى منع الملك القشتالي خروج أحد من جنده للمبارزة أيضاً، فكان فرسان غرناطة يخرجون للمبارزة فلا يجيبهم أحد، فيثيرون القشتاليين، ويشتمون، وما من أحد منهم يتحرك أو يثار.

حتى أن أحد أبطال المسلمين ويسمى 'قربة' شيخ طاعن في السن، عمر الخندق وقاتل النصارى واقبحهم صفوهم فوصل إلى حيمة الملكة وغرر الرمح الذي يحمل عبارات نسيء إلى الملكة وبسمعه ولم يتعرض له أحد.

وكان هذا المشهد وأمثاله يذكر بغزوة الخندق أيام المسلمين في المدينة المنورة.

حدائق نواب القصور التي يصعدون منها إلى صامد

الملكة إيزابيلا تطلع على غرناطة

واشتدت الأحوال، وانقطعت السبل، وكادت المؤن تنفذ، وكانت ملكة قشتالة إيزابيلا، قد سمعت بعظمة غرناطة وجمالها، وأنها من أجمل المدن في تلك الفترة، فأحببت أن ترى المدينة عن قرب، فنصحها قادة القشتاليين بالابتعاد حرصاً على سلامتها، فأصرّت أن ترى. فقدم الملك أمامها جيشاً لحمايتها، فصعدت ربوة تطل على المدينة.

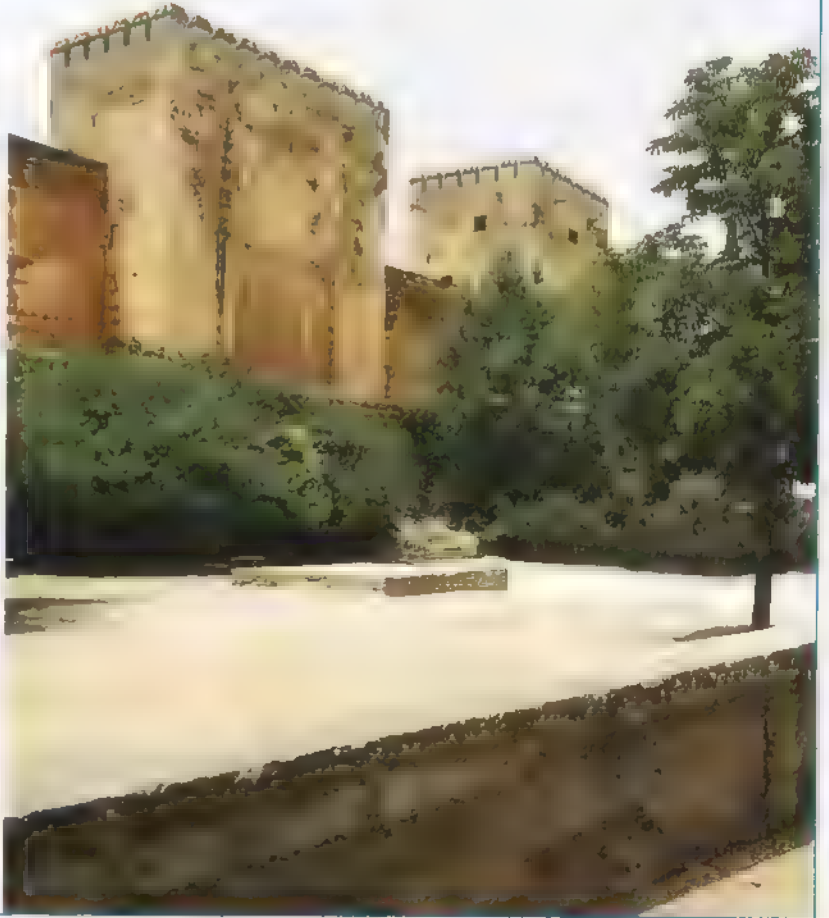
مناوشة الملكة

ظن موسى ومن معه أن النصارى قد جهزوا للهجوم والاختحام، فأمر الفرسان بفتح الأبواب والهجوم على المتقدمين من الجيش القشتالي، فحدثت معركة تسمى: مناوشة الملكة، فما هي هذه المعركة؟ وما آثارها؟

كانت الملكة تحب أن ترى المدينة من أعلى مكان تطل فيه، فقالت لمن معها: بلغني أن هذه المدينة أجمل مدينة! وكانت كذلك، فأريد أن أراها. قالوا لها: اصبري حتى نفتحها! قالت: لا، إنني أريد رؤيتها الآن. وعند إصرارها قدموا جيشاً

جانب من مناوشات المسلمين والنصارى

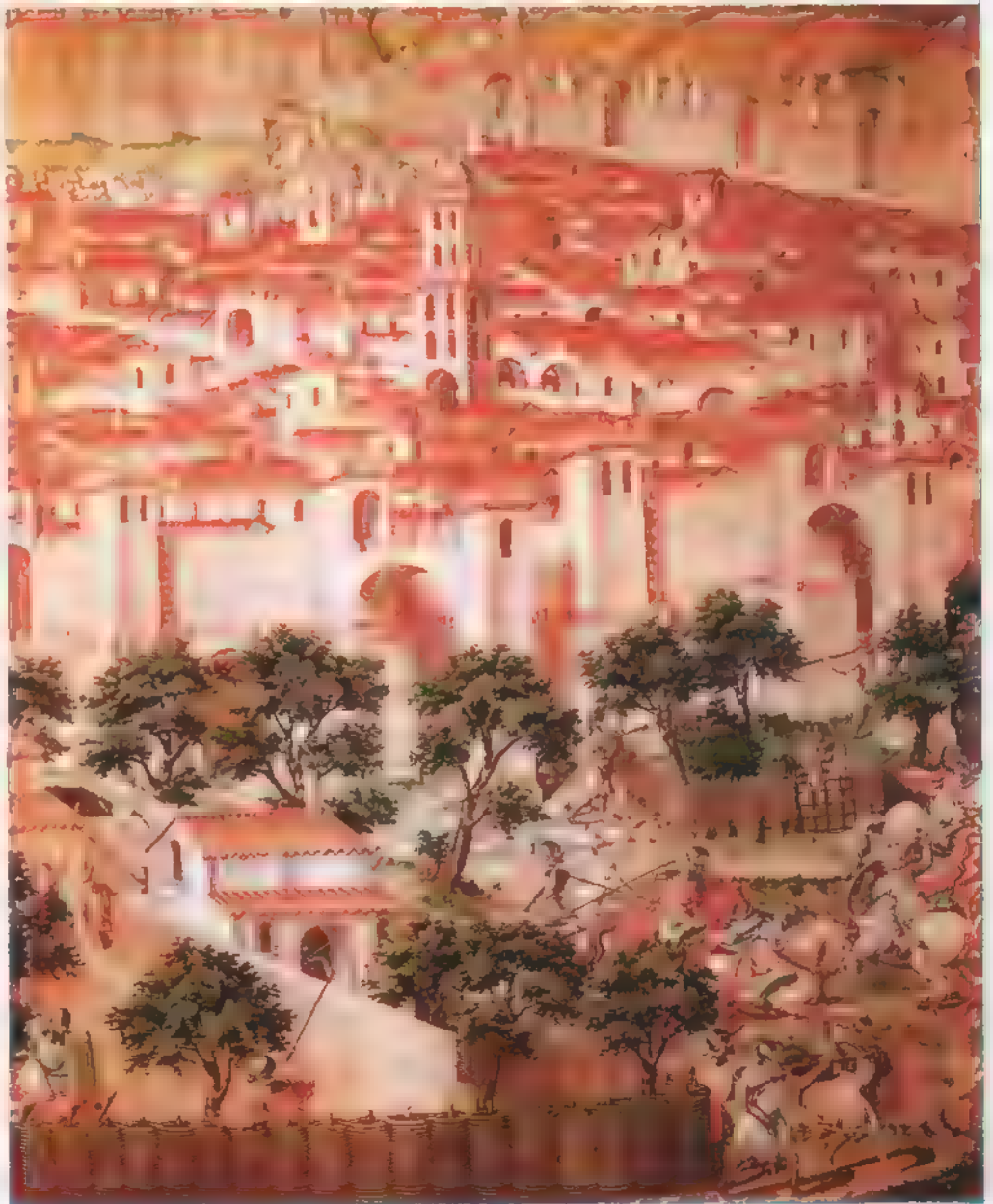
يتقدم موكب الملكة كما ذكر من قبل عدة أسطر. خشي أهل غرناطة وبخاصة الأمير موسى الذي كان يقوم بحماية المدينة ومن معه من القادة الفرسان أن هذا التقدم قد يكون بدءاً بالهجوم واستعداداً له، فأمر جنده وفرسانه بالهجوم واحتدم القتال العنيف، وكان القتال شديداً، وخضبت الدماء أرض غرناطة من الفريقين، وبدأ الضعط على جند الملكة وموكبها، وبدأت بوادر الهزيمة على جيشها، حتى إن الملكين (فرديناند وإيزابيلا) جثيا على ركبتيهما، وابتهلا إلى مريم العذراء أن تنقذهما مما هما فيه! فأمر فرديناند كل جيشه بالهجوم والدخول في المعركة، وغلبت الكثرة على الشجاعة، والعُدَّة على القوة، فقد استشهد في هذه الغزوة ألفان من المسلمين على قتلهم، حين أشعلوا الحرائق في معسكر القشتاليين، وتمزقت مشاة المسلمين لقلة عددهم، وعبثاً حاول موسى ومن معه من الفرسان أن يجمعوا شمل الجند، وألصق نفسه وحيداً في الميدان هو وفرسانه، فأمر بالانسحاب إلى المدينة.



الهجوم الشامل على غرناطة

ايقن الطاغية أنه اذا اوقف الهجوم فان ذلك سيقت في عصد الحبش. لذلك أمر بالهجوم الشامل من كل صوب. وانتشرت القوات من كل جهة. واستطاعت بعض جنوده من احتلال بعض الأبراج من أسوار غرناطة. لكثرة عددهم وعددهم. فسمح موسى بالانسحاب الى وسط المدينة. بعد أن أثخت الحراج في فرسانه وقد صبروا وثبنوا كثيرا. وتم احتلال النصارى بهذا العمل أطراف غرناطة. أمر موسى باستخدام الانفاط

والقاء الحمم على القشتاليين. فمنعهم بذلك من الاقتراب، وعمدوا لذلك بإشعال الحرائق وإتلاف كل شيء حول غرناطة. وقد حان فصل الشتاء فأمر الملك ببناء معسكر لجنده سموه مدينة "سانتا فيه" أي مدينة الإيمان المقدس، كما أمر ببناء سور من الحجارة حول المدينة في الجهة التي تحت يده، ليمنع وصول أي مدد إلى المدينة المحاصرة، وجاء فصل الشتاء ولم تعد لغرناطة أية صلة أو مورد من الخارج.



واجتمع أبو عبد الله بقادته ومن بينهم موسى وسألهم: ماذا يمكن أن نفعل؟ عند ذلك وافق الجميع على التسليم مدعين كلهم إلا ذلك البطل الشهم كما هو شأنه. نعم! إنه إنسان فريد كما يقال، بل إنه الإنسان الذي بناه الإسلام، بناء الدين الحق فكان المؤمن الحق يبذل الروح من أجل دينه ووطنه كما قال الشاعر عن الإسلام:

موسى يعارض
الاستسلام

يبني الرجال وغيره يبني القرى شتان بين بنا قرى ورجال

فعارض أية مبادرة للاستسلام بصوة، ولكن الجميع كانوا متفقين على وجوب الاستسلام، إذ لم يبق سواه أو الموت، وكان مما قاله في هذا المجلس: فلنعمل على إثارة الشعب، ولنضع السلاح في يده، ولنقاتل العدو حتى آخر رمق وآخر نسمة، وإنه لخير لي أن أحصى بين الدين ماتوا دهاعا عن غرناطة، من أن أحصى بين الدين شهدوا تسليمها.



نحت يمثل حصار وسقوط غرناطة بيد النصارى

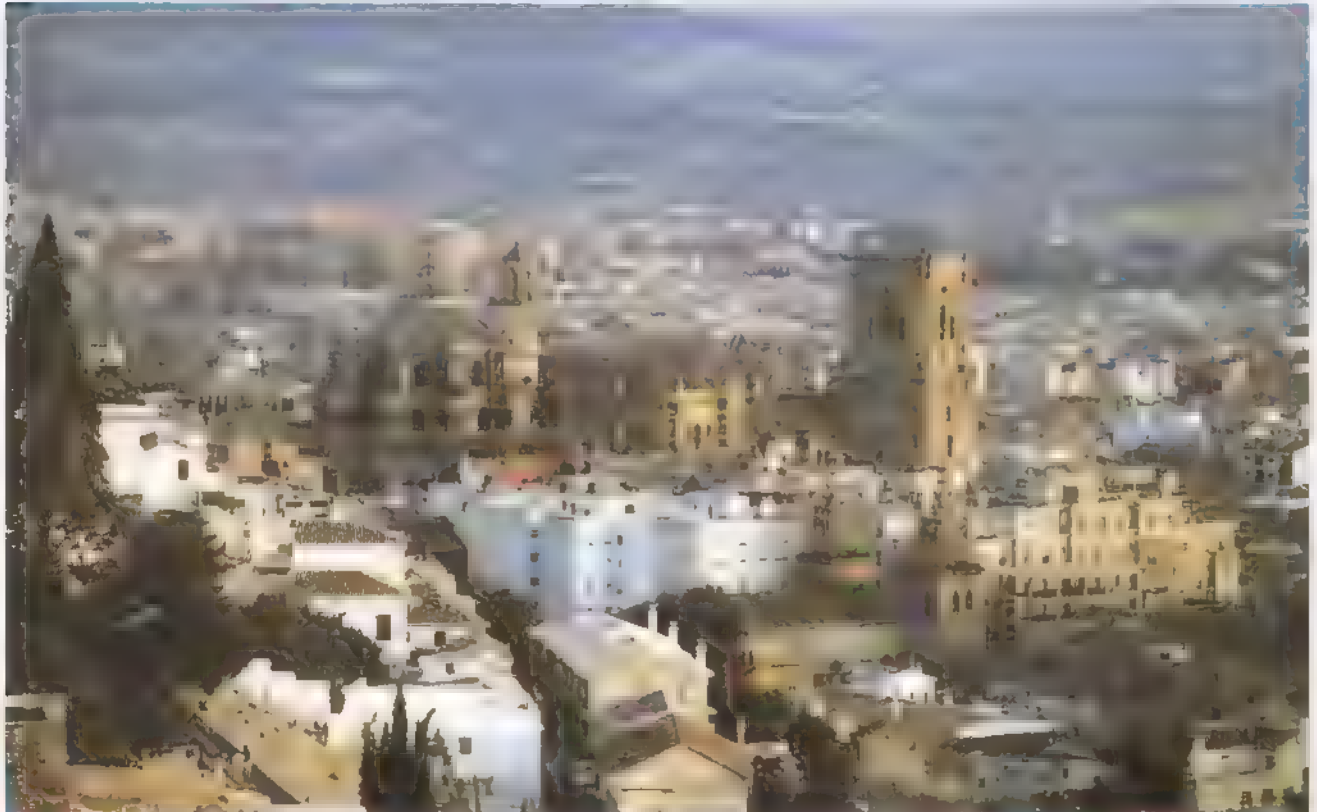


المفاوضات

وفي مثل هذه الحالة حالة اليأس والقنوط تضيق صيحات البطولة، وتذهب الكلمات الشجاعة سدى، فيعلو شأن الشوري إذ اجمع أهل الرأي بأن يقوم أحد الوزراء في بلاط الملك الصغير واسمه أبو القاسم عبد الملك بمفاوضة النصارى وملكي قشتالة، وذلك في ٢١ محرم عام ٨٩٧هـ الموافق ٢٣ تشرين الأول نوفمبر سنة ١٤٩١م حيث تم التوقيع.

موسى يعلن المعارضة

كانت المفاوضات قبل هذا التاريخ قد جرت بينهما بصورة سرية، واتفق الطرفان على إقرار الصلح، فلما وصل الخبر إلى غرناطة وانتشر بين الناس وذاع إقراره، خرج الأمير موسى بينهم يحرضهم، ويقول للملك وحاشيته ولعلماء السوء بلسانه ويلسان حاله: كيف خارت عزائمكم؟ موتوا في سبيل الله، انظروا واعتبروا من أحوال المسلمين (المدجنين)، أما ترون إذلالهم؟ هل تودون أن تلقوا مصيرهم؟ ومتى كان النصارى يتمسكون بالعهود والمواثيق؟ هل علمتم نتائج العهود منهم؟ إنه الغدر يتلو الغدر.



منظر خارجي لبيتنا ضخمة للكاتدرائية



منظر عام لجمع الجمرات

الملك الصغير

يصر على

الاستسلام

فقام الملك الصغير ليقول قولة باطلة باستدلال باطل، يرد بها على دعوى الجهاد:

«الله أكبر، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ولا راد لقضاء الله، باطل اجتهدنا هكذا في معاكسة الإرادة الإلهية، ويردّفها بمقالة أسوأ، قاله لقد كتب علي أن أكون شقياً، وإن هذا الملك يذهب على يدي».

ما أدراك أيها الملك باللوح المحفوظ؟ وهو محفوظ من اطلاع الخلق عليه كأننا من كان، وما أدراك ما كتب فيه؟ أتترك الأخذ بالأسباب المطلوبة منك ثم تحتج بالقدر المكتوب؟

ونحن في عصرنا هذا نجد أمثاله من المكبرين (المسلمين) ينحون هذا المنحى، فيزيلون معنى الجهاد، ويلوون السننهم ليحسب الناس ما يقولونه من الكتاب، إذ يشيعون اليأس والقنوط في نفوس المسلمين، بدلاً من إثارة الهمم وشحد العزائم، والعمل الدؤوب الحاد لنهضة المسلمين، وإعادة مجدهم الضائع وقوتهم وعزتهم. ولا عزة إلا بالإسلام، وقدوتنا نحن المسلمين هو الرسول ﷺ (وصحابته العر الميامين، حيث قالوا في حالة شديدة اليأس، كثيرة الأعداء: «ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً» (الأحزاب: ٢٢)). وكذلك قدوتنا من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، كالأمير موسى بن أبي الفسان وأمثاله.

اتدرون ماذا قال الوزراء مستندين إلى أقوال علماء السوء في مجلس الملك أبي عبد الله الصغير؟ قالوا الله أكبر، لا حيلة في قضاء الله!!
إذا كان الجميع قد أقرروا بذلك، واني يستمعون لتقدير الأمير موسى ومقاتله؟ وقديما قال عبد الله بن المبارك:

علماء
مستسلمون

وهل أقصد الدين إلا الملوك وأحبار سوء وريهانها.
فاصروا على الصلح وتم ذلك لهم...

(برج دي لا فيلا) واحد من أفضل المناظر الطبيعية الخلابة في الحمراء



خرج الأمير موسى من بينهم، هطاف بالحمراء ثم بغرناطة، ثم لبس سلاحه، وركب جواده، وخرج خارج المدينة، حتى إذا لمي جماعة من فرسان قشتالة أوقفوه ليعرفوه، فاحتدم القتال بينه وبينهم، فقتل معظمهم وحده، فأصيب بجرح وأصيب حصانه، فوقف على رجله يقاتل ثم على ركبتيه، ولم يرد أن يقع أسيرا في يد الأعداء حتى قتل شهيدا، ورموه في نهر قريب وهم لا يعرفونه، وربما سقط هو في النهر وهو يتراجع ليحتمي نفسه من أن يقع في الأسر.

الأمير موسى
الشهيد





تولى الوزير ابو
القاسم عبد الملك
التفاوض لإتمام
الإجراءات على
توقيع الصلح، وتم
فعلا في الثاني من
ربيع الأول عام
٨٩٧ هـ الموافق للثاني
من كانون الثاني
(يناير) لعام ١٤٩٢ م،
وفي هذا التساريخ
دخل فرديناند
الخامس وايزابيلا
قصر الحمراء الذي
أعد لهما.

وكان اتفاق الصلح
مفصلا وواضحا
ومكتوبا وما يزال
محفوظا في
المتحف الحربي
بمدريد عاصمة
إسبانية، يتضمن
سبعة وستين شرطا:



شروط الصلح

بعض مظاهر
الحصار في عربة
حر عهد للمسلمين
في الاندلس

٩- لا يقهر احد ليعتق النصرانية، ومن تنصري يوقف اياما ثم ياتيه حاكم مسلم واخر نصراني يسالانه، فإن امر على النصرانية بقي عليها.

١٠- من قتل نصرانيا ايام الحرب لا يقتل به، ومن أخذ اموالا أثناءها لا تسترد منه.

١١- لا يكلف مسلم بضيافة جنود النصراني، وترفع جميع المظالم.

١٢- يعفى المسلمون من الضرائب ثلاث سنوات، وبعد هذا يدفعون ما كانوا يدفعونه للملك المسلم.

١٣- لا يطلع نصراني على دور المسلمين ولا يجاوز أسوارهم.

١٤- يتجول المسلم في بلاد النصراني أمانا على نفسه وماله، ولا يشترط أن يحمل علامة تميزه عن سواه.

١٥- سكان غرناطة رعايا ملوك الاندلس، يبقى معهم سلاحهم وحيولهم، ولا يسلمون شيئا إلا المدافع للدولة الاسبانية.

وكثير من الشروط هذه أهمها فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين.

وقد ذلت المعاهدة بأن ملكي قشتالة يؤكدان ويتعهدان بشرفهما الملكي القيام بكل العهود والوفاء بها، ويحترمان نصوص المعاهدة، وقد وقعا ذلك وختما بختميهما الملكيين.

(وكان الإسبان قد أخذوا أربع مائة رهينة -وقيل خمسمائة- من اعيان المسلمين يبقون في أيديهم حتى يتم تسليم غرناطة دون حادث، وحتى يدخلها القشتاليون بأمان، فلما تم دخولهم أطلق سراح الرهائن) ومن هذه الشروط:

١- أن يكون المسلمون صغيرهم وكبيرهم، أميرهم أو مأمورهم، آمنين في النفس والاهل والولد، ويبقى كلهم في دورهم وبيوتهم وعقاراتهم.

٢- إقامة شريعة الإسلام بينهم، ولا تقام أي شريعة سواه للحكم بين المسلمين.

٣- تبقى المساجد كما هي، وتحفظ الاوقاف الإسلامية.

٤- لا يدخل النصراني بيوت المسلمين، ولا تغصب أراضيهم.

٥- لا يولى على المسلمين إلا منهم.

٦- يفك أسرى المسلمين من غرناطة حيث كانوا، وأي مسلم التجأ إلى غرناطة فلا سبيل عليه، ويدفع سلطان غرناطة ثمنه لملكه.

٧- من أراد العبور إلى المغرب له ذلك، ولا يمنع وذلك خلال مدة معينة، ولا يدفع سوى أجرة المركب، وإذا انتهت المدة فإنه يدفع أجرة المركب وعشر أمواله.

٨- لا يؤخذ أحد بجريرة غيره.

وتسلم الملكان مدينة الحمراء بصفة رسمية. وأقيم القداس النصراني في الجامع الأعظم الذي حول منذ ذلك اليوم إلى كنيسة.

النصارى
يحتلون
غرناطة



يشير الرسم إلى انحاء الملك الصغير أمام هردساند الخامس ليمس يديه على - تطلقوا سراحه - فما قرب اليوم بالأمس

وانسحب الملك الصغير، وغادر قصره ومجد أبياته في مناظر تثير الشجون، ومرفي طريقه على تل يدعى "تل البندول" فوقف عليها يجيل بصره على مدينة غرناطة، فانهمرد معه وأجهش بالبكاء، فصاحت به أمه عائشة: ابك... ابك... ابك... أجل فلتبك كالنساء، ملكا لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال،

ابك كالنساء

ابك مثل النساء ملكا مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال

ويطلق الإسبانيون على هذا التل اسم "زفرة العربي الأخيرة" ثم سار الملك ومن معه الى منطقة "الدرش في جبال البشرات التي حددها الملك لإقامته. قبل ذلك التاريخ. وكان يمكنه غير ذلك. ولكنه كان صغير النفس قصير النظر.

زفرة العربي الأخيرة



صورة احترافية لساحة الاسود داخل قصر الزهراء لا تحتاج الى تعليق

وسقطت غرناطة..

أجمل مدينة في العالم حينذاك بشوارعها وميادينها ومرافقها.
كان يسكنها مليون إنسان في تلك الفترة. لكنها لم تجد حاكما قويا يحميها!
مدينة العلم والتأليف، مدينة ابن البيطار وابن الرومية. وابن الخطيب. وغيرهم..
مدينة الاختراعات حيث المدافع التي ترمي النيران 'الانفاط' والبارود.
مدينة الصناعات والفن. الانسجة. الفخار المذهب. الصباغات. الجلود والحلي. والورق.
مدينة العمران، مدينة قصر الحمراء والنقوش والزخارف والبناء العربي الأصيل.
آخر مدينة للمسلمين. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

سقطت غرناطة الرائعة

P. R. 11-227

Handwritten manuscript page from the Voynich manuscript.

Nos el Rey e la Reyna de Castilla de Leon de Aragon e de Sicilia e de
 porla presente Seguramos e firmamos e mandamos e ordenamos que
 todos e cada uno de los Capitanes de las yndias que en las yndias
 nos e en otras algunas partes de las yndias e de las yndias
 nos e en otras partes de las yndias e de las yndias
 algunos e por Seguramos e firmamos e mandamos e ordenamos
 firmados e sellados con nuestros sellos e con los sellos de
 los dichos señores e de las yndias e de las yndias
 Vniversales e de las yndias e de las yndias
 e de las yndias e de las yndias

20. *Amadeo de G. fu successore di detto Amadeo
morì la d. 30. per un'indole 288*

& 575

وثيقة نادرة
للصلح المشؤوم،
معاهدة الصلح في
غرناطة والتي
وقعها فيرناندو
وايزابيلا
(محفوظة في
مديرية) والملك
الصفير
(عبد الله) حيث
تولى الوزير أبو
القاسم عبد الملك
اتمام الإجراءات
والتوقيع، الذي
تم فعلا في الثاني
من ربيع الاول
عام ٨٩٧هـ الموافق
للتاني من كانون
الثاني لعام
١٤٩٢م. وفي هذا
التاريخ دخل
فرديناند
الخامس وايزابيلا
قصر الحمراء
الذي اعد لهما.
(فما اشبه وثائق
الاستسلام
(السلام) اليوم
بهذه الوثيقة).



سقطت غرناطة عندما:

لماذا سقطت؟

- انشغل ولاية الامر بالنزاعات الداخلية. وصارت شهوة الملك هي السيطرة على نفوسهم وتسيير قوتهم.
- ففتتت عضد المسلمين وأتعبت بأسهم.
- توحد الاعداء، وتمزق المسلمين إلى دويلات. وانشغل الملوك والشعب بالشهوات والدنيا والصراع على المناصب.
- سلمت الحصون للاعداء الواحدة تلو الاخرى، فكانت سببا لضعف المسلمين وقوت قوة النصارى.
- ظهر أمثال الزغل والملك ابي عبد الله على مقاليد الامور. حكام خونة ياعوا البلاد والعباد، وفضلوا مخالفة الأعداء على نصرة المسلمين، وليس هذا تجنيا عليهم بل كانوا في الاختلاف الدائم والطمع في الحكم والتحاسد واللهو عن حماية امتهم.



مطر لىايا مدينة لجمراء

ما هي آثار التسليم ومصير الشروط؟

وهكذا سقطت غرناطة واستسلمت، وظن أبو عبد الله أنه بتلك الاتفاقية قد حفظ للمسلمين حقوقهم، وأنه وصل إلى أحسن الشروط وأجودها للتسليم، ولم تكن في الواقع سوى ستار الغدر والخيانة، ولم يعطها الملك فرديناند إلا ليضمن ألا يخسر جنوده، ويقلل التضحية في قواته لما لاقى من قوة الدعا والند من حمى الوطن من أمثال الأمير موسى وفرسانه.

آثار ونتائج الاستسلام

ولهذا الأمر أعطى وأطلب الملك المخلوع بعد ستة أي في عام ١٤٩٨ هـ من ملكي قشتالة تجديد العهد، فأعطياه له، وأكد على ولي العهد وسائر عظماء المملكة بالمحافظة على بنوده، وأقسما بدينهما وشرهما الملكي على ذلك.

تجديد العهد

ثم أرسل الملك أبو عبد الله بعد عام إلى فرديناند يسأله الإذن بمغادرة الاندلس -أو أن الملك الإسباني أمره بذلك وهو الأرجح- فأذن له، وأعد له المراكب وأهله وكثير من المسلمين ممن أرادوا العبور معه، فعبرت به إلى "مليلة" في المغرب، ثم استقر به المقام في مدينة فاس. وتوفي عام ٩٢٤ هـ، وزالت أمواله وضعفت أحواله، ولم يورث بعده شيئاً، فعاشوا على صدقة الأوقاف كما يعيش الفقراء والمساكين.



نهاية الملك الخائب





العلماء

المهاجرون

كما غادر أرض الأندلس كثير من العلماء مهاجرين، فلم تعد أرضاً للإسلام، ولم يعد هناك أي أمان على النفس والدين والأهل والمال، ومن هؤلاء العلماء نذكر منهم على سبيل المثال:

١- ابن الخطيب: محمد بن عبد الله، ولد في لوشة ٧١٣هـ، درس الطب والفلسفة والشريعة والأدب، وبرز في الشعر والنظم، استوزر لعدة سلاطين من بني الأحمر، ثم عبر إلى المغرب وعمل في الوزارة أيضاً وساعات أحواله، ومات في سجنه ٧٧٦هـ.

٢- ابن الأرق: محمد بن علي، أصله من وادي أش، تولى قضاء الجماعة بقرطبة، ولما ساءت الأحوال نزل إلى الجزائر، ثم ارتحل إلى المشرق، توفي ٨٩٥هـ.

موت الملكة

ماتت إيزابيلا عام ٩١٠هـ.



الحدائق العامة
رائعة وشاحرة كانت يومها
الأندلس استقر أرواحهم فيها

ما كان سقوط غرناطة محنة حقيقية. وإنما بدأت المحنة الحقيقية بعد السقوط. أدت مأساة الضاء (فناء العقيدة، لا فناء النموس، فـ «كل من عليها فان» (الرحمن: ٢٦).

بقي الملايين من المسلمين في أرض الأندلس وفي منطقة غرناطة وهاجر الكثيرون منهم، وكان ملك إسبانية قد حافظ على العهد فترة من الزمن لغايه في نفسه لكنه لما رأى ان الناس متمسكون بدورهم، متشبثون بعقيدتهم، وكان يود ان يخرجوا من الأندلس، او أن يتصرفوا، خان المواثيق والعهود، واين العهد الذي قطعه؟ واين الشرف الملكي؟ والعقيدة التي يحلف بها؟ فنقض الميثاق بندا بندا.



منع المساجد والصلاة

بدأ الضغط لإجبار من لم يهاجر على المغادرة أو أن يتنصر على الأقل. فقد أصدر فرديناند عام ٩٠٥ هـ الموافق ١٤٩٩م خضوعاً لأوامر الكنيسة بيانا أمر فيه بإغلاق المساجد، وحظر إقامة شعائر المسلمين، بعد أن بذلت الكنيسة الكاثوليكية وسائل التأثير المادية أو اساليب الوعظ والإرشاد لتنصير المسلمين.



أعمدة ساحة الاسود البديعة وزخرفتها لقد صممت بطريقة لتعطي السحر والخيال

ومات الطاغية فرديناند في عام ١٥٢٥ هـ الموافق لسنة ١٥١٩ م، وترك وصيته: بحث فيها على حماية الكتلكة والكنيسة، ويوصي المحققين لكي يعملوا في عدل وحزم لخدمة الله والدين الكاثوليكي، كما يجب أن يضطرموا حماسة لسحق طائفة محمد (ﷺ).

موت الطاغية



محسم جميل فرديناند وهو على سرير



طردمه
لنطعه لاولي

وسلك خلفه مثله أو أشد، فقد صدر عام ٩٣٥ هـ الموافق ١٥٢٩ م قانون يحرم على المسلمين التكلم باللغة العربية في عهد شارلكان الامبراطور، ومن يتطق بها يقتل، فحرم المسلمون من قراءة القرآن الكريم، وحرّموا من الصلاة بالمسلمين في العالم.



تحريم العربية

وصدر بعد ذلك في عام ٩٧٤ هـ قانون عجيب، بل ربما كان أعجب قانون في التاريخ زمن فيليب الثاني مفاده، يحظر على المسلمين الاغتسال، فالتصاري لا يغتسلون ولا يهتمهم ذلك، فلا يحبون إذا للمسلمين أن يغتسلوا فليمتنعوا ذلك. فهدمت الحمامات العامة في المدن، وهدمت حمامات غرناطة، ومن وجد أي أثر للاغتسال أمام باب بيته، أو في أي مكان آخر وشهد عليه قتل.



نعميد المسلمين نادى حاله خير الى النصر منه بعد سقوط غرناطة. في بعض النسخ صور محبته عم، فعلى المسلمين بالتصاري عندما دحوا في حين

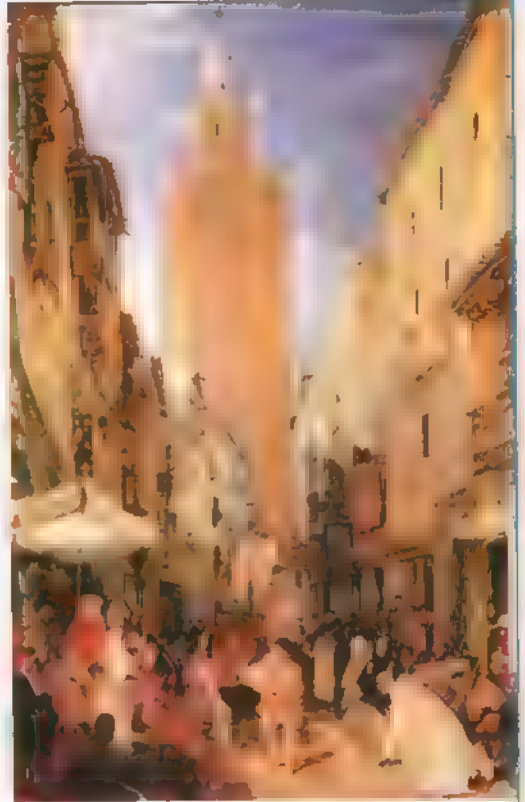


منع الزي العربي

ثم أعقب ذلك القانون مرسوم بمنع اللباس العربي، ومن تزييا نزي اسلامي او عربي قتل لمخالفته قابون البلاد الملكي.



رسم يظهر
فيه محاربة
لنصارى
للاسلام في
الموس
والظاهر
بعد دحو له
لاندلس



النصارى هي الاندلس يستقبلون ساكنين كريستوف كولو موس ويظهر في لصوره مبدنه شبيهه



ثم أنشئت هيئات كنسية وحكومية للكشف عن المسلمين الذين يبطنون الإسلام ويظهرون خلاف ذلك. وقد ملئت كتب التاريخ الإسلامي حتى العربي منه بصور من التحقيق أو ما يسمى التحقيق القصائي للكشف عن الإنسان المسلم. وقتل منهم خلق كثير، تحت التعذيب أو في السجون باسم محاكم التفتيش، وكان يكفي لإدانة أي إنسان إذا شهد عليه واحد فقط. وقد بلغت حصيلة القتلى في تلك المحاكم ما يفارب الثلاثة ملايين نسمة.



إحراق أحد المسلمين من الدين
بقوا في الأندلس وسموا ظلما
بالمندجيين في محاكم
التفتيش لجرده امتلاكه

عبد الرحمن بن أبي بكر





ثورة جبال البشرات

ولما زاد القتل والملاحقات ثار مسلم يدعى فرج بن فرج سنة ٩٧٥هـ ونادى بالدعوة لرجل اسمه "فرديناندو دي كودويا" كان من سلالة بني أمية واسمه الحقيقي محمد بن أمية لكنه أظهر النصرانية، ولما سئحت له الفرصة قام بالثورة داعياً لبني أمية. واحتشد المسلمون وتجمعوا حوله في الأماكن المستعصية من جبال البشرات جبال الثلج لذلك قام النصارى الإسيان بقتل كل قريب للثائرين. أو أي مسلم سكنه قريب من تلك الجبال محتجين بأنه يساند الثوار. وكان أخو الملك يقود حملة القصاص على المسلمين: يحرق القرى، ويحرق المزارع. ويذبح النساء والأولاد ليجبر المسلمين الثائرين على الاستسلام. ومع ذلك العنف وذاك الحقد اللامتناهي، والعملية الوحشية، دامت تلك الثورة عشرين عاماً. وما مر في التاريخ مثل ثورتهم.

تفوق النصارى على المسلمين
في أواخر القرن الخامس عشر



إخماد الثورة

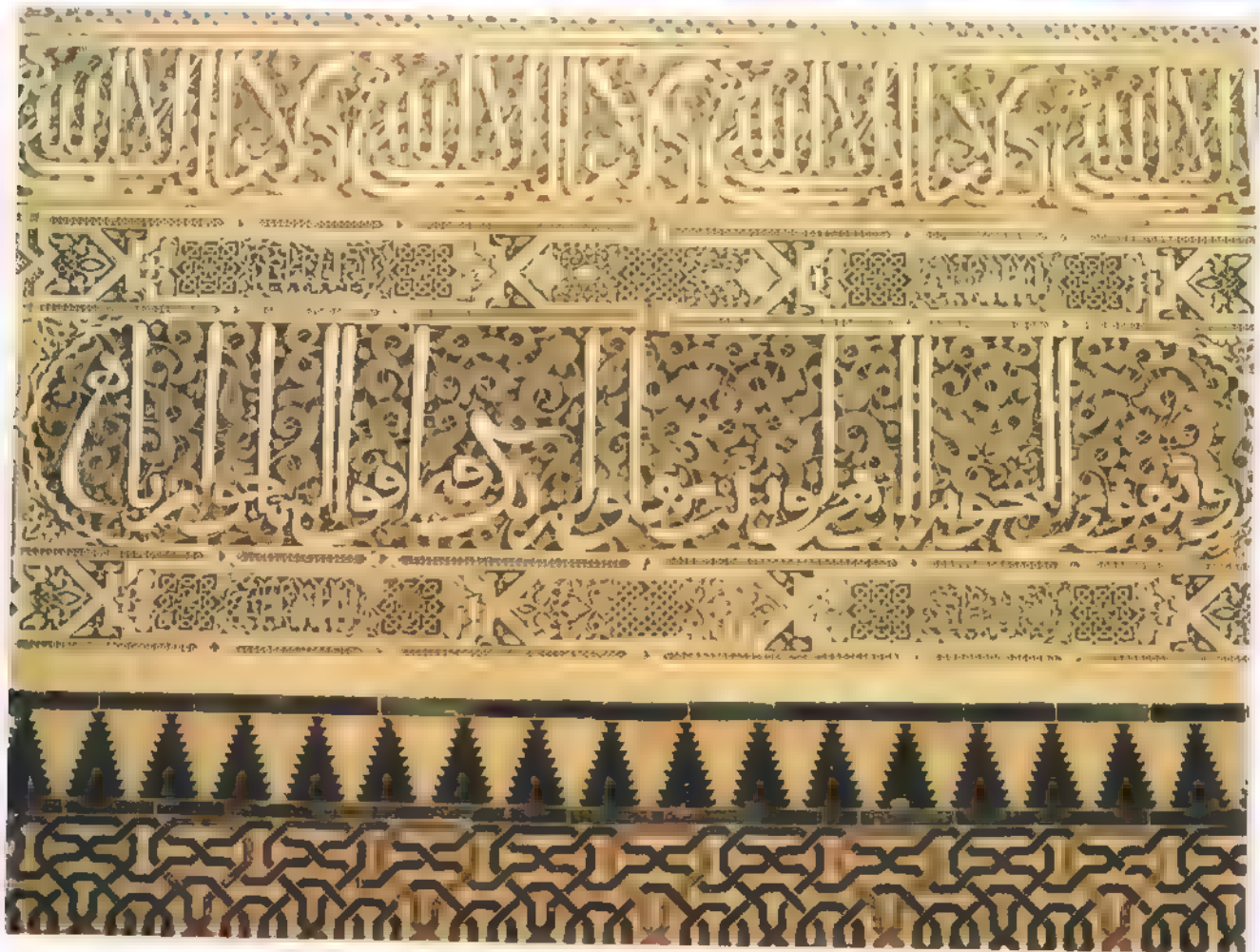
وبلغ عدد المسلمين الذين قتلوا في تلك الثورة عشرين ألفاً أو يزيد، وخمدت الثورة بمنتهى العنف والوحشية. والفتك بالنساء والأطفال، وينمى كثير منهم إلى أماكن متفرقة من الأندلس. حيث شردوا وسيقوا إلى الكنائس أكداً لينصروهم، وازدادت محاكم التفتيش تبحث في خفايا النفوس عن مسلم أو شبه مسلم أو أية صلة واهية بدين الإسلام لتفنيه.

محاكم التفتيش سبة على جبين التاريخ. سبة في حقوق الإنسان على مدى الزمان. هذا التعصب الكاثوليكي الذي ترتب عليه حرق المصاحف والكتب الإسلامية الأخرى لمسلمي غرناطة، لكي يتوصل بذلك إلى تنصيرهم، وقد شهد بذلك مؤرخو الغرب.

كان الحرق والقتل والسجن والطرده، وسيلة تلك المحاكم وقانونها لتخرج الناس من عقيدتهم. ومع ذلك ظل الوجود المختفي، ظل الإيمان المكتوم في صدور المسلمين لا يبيحونه لأحد لأن أي دلالة عليه مصيره الموت. وما أسهله حين يلقي في العذاب الذي لا تحتمله الجبال الرواسي.

مألفه المصنف تيمدد الملعة على جانب هصة بعلو نحو الشرق





شعار بني الأحمر في إحدى الساعات

لذلك أصدر القائلون على مملكة إسبانية أمرا في عام ١٠١٩هـ يشمل المسلمين المختفين بالعضو العام بشرط أن يخرجوا من الأندلس ومن غرناطة، ولما رأى المسلمون صدق ذلك وأن القاتون جاد في ذلك، ظهروا وكانت فرصة لهم، فقد سهل لهم أولو الأمر في غرناطة العبور إلى المغرب، وفعلا عبر مصيق جبل طارق نصف مليون إنسان مسلم، وكان مجموع الذين هاجروا أخرجوا من ديارهم ثلاثة ملايين ونصف مند سقوط غرناطة، هجرة نادرة في التاريخ، وأمر عجيب أن يخرج شعب من أجل دينه ومعتقداته من أرضه وداره.

وما حدث مع سكان غرناطة يحدث اليوم مع سكان فلسطين فأين ضمير العالم؟ أم أنه يموت حين يتعلق الأمر بالمسلمين؟



العضو عن
المختفين

وتجدر الإشارة
هنا إلى أن آخر
إشارة إلى منظمة
إسلامية ووجود
مسلمين متخفين
كان في تقرير
قدم إلى كارلوس
الثالث عام
١١٨٣هـ.



آخر وجود إسلامي

ومع ذلك دامت محاكم التفتيش تبحث
بشتى الوسائل لكشف من بقي محتفظاً
بدينه أو عاداته، وقد عثرت على
مجموعات إسلاميين -منظمة سرية ما
بين عامي ١٦٣٥م -١٦٣٨م، كما اكتشفت
منظمة إسلامية عدد أعضائها ثمانية
وعشرون شخصاً حوكموا في العاشر من
تشرين الأول عام ١٧٧٧م وصودرت
أموالهم.



منظمات إسلامية سرية



أعلى بناء في الحمراء في أحد القصور

الملك الصغير وفرديناوند

الأمير موسى يعلن الجهاد.

الزغل (عم الملك الصغير) يخون ويقف مع فرديناوند.

رحيل الزغل عن الأندلس إلى فاس لكن ملكها يأمر بسجنه.

القشتاليون يحاصرون غرناطة.

مفاوضات بين الملك الصغير وفرديناوند تفضي إلى تسليم غرناطة!!

فرديناوند ينقض العهد ويغلق المساجد.

موت إيزابيلا.

وفاة الملك الصغير (أبي عبدالله) في فاس.

موت الطاغية فرديناوند.

صدور قانون يجرم التكلم باللغة العربية.

منع الزي العربي وظهور محاكم التفتيش.

ثورة جبال البشرات والتي تم إخمادها من قبل النصارى بوحشية.

ظهور عضو عن المسلمين المتخفين شرط أن يرحلوا عن الأندلس.



انتشرت صور

الاستسلام والتخاذل

في الأندلس



فمكاتها ومكانهم أحلام

لم يبق للمسلمين في الأندلس غير غرناطة بعد أن وصلت فتوحاتهم قريباً من باريس.

سقطت غرناطة بعد أن تغيرت النفوس وتفرقت القلوب وذهبت
هيبة الدين. نهدي أنفسنا فنقول :

لكنها ماسقطت إلا نقصير المسلمين وتحاذلهم واستعادههم عن دينهم، ونحن أمة إنما يبنى عزنا بالإسلام فإن ابتعدنا عنه تلاشي عزنا ومجدنا وخيت ذكرنا.

● مهما عمت الظلمة والفساد فإننا لا نعدم نجوما تصب لنا الدرب وتبعث الأمل بأن في هذه الأمة من لا يزال يرفع الراية، فهذا الأمير موسى صاحب الأنفة والعزة لم يرض بما أقره قومه من الاستسلام، وظل ينادي بالجهاد إلى آخر لحظة ويحث المسلمين على مقاومة عدوهم، ولما رضخ الجميع لاسلم الحلول لم يرض بالذل والهوان وخرج يقاتل وحده، ولم يكن يطمح أن يعيد الأندلس وهو فارس وحيد بل كان يريد أن يحفظ ما تبقى من كرامة الأمة وكرامه نفسه، فإن كان طريق الكرامة الموت فمرحباً به وسحراً للحياة إن كان معها الذل والهوان

وإذا الهوان دهي الحياة فموت من أنف المقام على الهوان حياته

• أي كره يصمره أعداء الإسلام للإسلام ؟ وأي وحشية يتعاملون بها مع أهله ؟ إن المسلمين حينما فتحوا الأندلس آمنوا أهلها على أنفسهم وأموالهم وحفظوا لهم جميع عهودهم ومواثيقهم حتى عندما كانوا قادرين على البطش والانتقام، لكن هل نفعهم ذلك حينما تملك أعداؤهم زمام الأمور ؟
عندما تقطع أوصال الرجال وتسبى النساء بالآلاف وتهتك أعراسهم أمام محارمهم وذوئهم على يد أولئك البهائم والوحوش تختنق العبرة ويتقطع القلب وتهرب الكلمات. هذا ونحن نقرأ فكيف بمن شهد المأساة وعاصرها ؟
كأنني بهم يطلبون الموت فلا يجدونه

يا هول ذلك من مرأى شهدت وقد وددت لو كنت أعمى لا أشاهده

وما حل بالأندلس بالأمس يحل اليوم بفلسطين، ويتكرر في بلاد إسلامية أخرى، والمسلمون غافلون لا هم فتنهم المنازل وتنتهك الحرمات والأعراض، وتجرّد المسلمات من حجابهن قهراً ولا حول ولا قوة إلا بالله، وبعد كل هذا نتهم نحن بالإرهاب

تلك الفضائل من آدمى أناملها ؟

من راع أمنها في الهندس الداجي ؟

من فض برقها ؟ من حل منزلها ؟

ومن ثم غدت يحرسها النصارى

من ساقها حاسرات بين أفواج ؟

• من يثق بأعدائه ويوكل أموره إليهم فلا بد أن تكون نهايته كنهاية المسلمين في الأندلس، وهذه عبرة لنا اليوم أن لا تتبع القرب في كل شيء ونعطيه زمام الأمور ونمشي وراءهم على عمى ومن غير هدى، وكأننا أمة عاجزة لا تقدر على شيء، وفيينا المفكرون والعلماء وعندنا الثروات والطبيعة، فهل من المنطق أن يستفيدوا منها هم ونعيش نحن على فتاتها ؟ هل من المنطق أن يستوردوا نططنا خاماً فيصنعوا منه كل شيء ليعودوا ويبيعوه لنا بأضعاف مضاعفة ؟ هل من المنطق أن يشتروا منا الحبوب والزرع بأسعار زهيدة فيصنعوا منها الملبات والوجبات ثم تباع لنا بأضعاف ما اشترروه ؟

إن عز هذه الأمة لن يقوم إلا حينما نعتد على أنفسنا ونستفيد من ثرواتنا، وترك تبعيتنا للآخرين، ونأخذ العبر من تاريخنا، ونجعل شريعتنا تقودنا في جميع أمورنا.
اللهم اكتب لنا عزاً عاجلاً ونصراً قريباً تعود معه كلمتك هي العليا وترفع به جندك، وأحي في قلوبنا ما مات من الاعتزاز بدينك، واغفر لنا ما فات من التضييع والتقصير اللهم آمين آمين.



فرنسا

أردونة

قرقشونة

رأس سفال

سافر

عون

قطالونية

جبرونة

سرقسطة

سرقسطة

برشالونة

طرشالونة

مدريد

ناسيه

قطالونية

بلنسية

دانية

شاذبية

دانية

أريولة

مرسية

قرطاجنة

المريه

جيان

قروونه

استجة

الغزوة الدنونية

مالقة

٥٨٩٣

شديله

طريف

سبتة

لبله

اشبيلية

نسيه

وليه

باجة

لنفت

ماردة

بطلوس

الحرب

لشونة

شيتاجو

حيثون

سخره بلای

سور

اشترقة

حليمه

عزف جليلية

البحر الأبيض المتوسط

أهم المعارك والأحداث

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

منطقة كمبود

نهر

مدينة

جبال

تلك كانت محاكم التفتيش التي سودت بقضائها المروع صحف التاريخ الإسباني زهاء ثلاثة قرون بالطغيان الأعمى والتعصب الأصم ضد من أحسنوا إلى العالمين ومنهم النصارى في الأندلس، فلم يحول المسلمون نصرانياً واحداً بالإجبار والإكراه عن دينه، ولا منعوا واحداً من ممارسة شعائره دينه، ولم يحرقوا كنيسة واحدة، ولم يمزقوا إنجيلاً واحداً، كان الجميع يتمتعون بمحاكمهم في زواجهم ومعاملاتهم، بل كانوا يظهرون صلبانهم وخنازيرهم. كيف عاملونا؟ وكيف عاملناهم.

والتاريخ يعيد نفسه، يقول الشاعر:

أهدت الشام إلى الغرب نبياً هو عف ومواس وصبور
ومن الغرب إلى الشام هدايا من نساء وقمار وخمور



مخطوطة المعالجة الجراحية للزهراوي

وما قاله الجنرال النبي حين دخل القدس! وما عمله الجنرال غورو الفرنساوي لما دخل دمشق، أينسى؟ ما كان سقوط الأندلس، أو غروبها، أو ضياعها حدثاً سياسياً أو فتحاً عسكرياً، وإنما كان حدثاً حضارياً، فمن الأندلس أخذت أوربة العلم، ومنها عرفت الحضارة، فقد كان أهل أوربة يتفأخرون بإرسال أحدهم ابنه إلى

مدارس قرطبة، غرناطة، إشبيلية، لقد بدأت صحتهم من تلك المدن ومما نهلوا من جامعاتها. لما تمسك المسلمون بدينهم قدموا الحضارة إلى العالم، حتى إن الحضارة المادية الآن في أوربا وغيرها إنما كان أصلها من الأندلس. وقد ذكرنا لمحة عن إنتاج المسلمين المادي والثقافي والحصاري في الأندلس عبر الصفحات التي مضت، فشتان بين حضارة قامت على نشر النور وحضارة قامت على القمع والإحراق والإبادة.

كيف انتصروا علينا؟

وكيف غلبنا نحن؟

انطلقت شرارة الحرب الصليبية من أرض الأندلس. وبدأ بذلك الصراع المرير. وزادت مسارح الأعمال القتالية في البر والبحر. إلى أن كان سقوط غرناطة إيداناً بانتقال الصراع من الأندلس إلى المغرب الإسلامي. وهي حملات صليبية إلى الشرق. فهي حروب صليبية لم يتورعوا عن التصريح بها وقد بين القرآن الكريم حقيقة عداوتهم التي تنصت سموها إلى المسلمين وبلاد المسلمين.

هذا كريستوفر كولمبس مكتشف أمريكا - على ما يدعون - قد حث الملكين الإسبانين فرديناند وإيزابيلا على الاستيلاء على القدس الشريف والثار لهزيمة الصليبيين بعد استيلائهما على غرناطة.

وقد ظلت فكرة الاستيلاء على القدس منذ أن دحر الفرنجة عن هذه المدينة المشرفة متقطعة لدى الكنيسة الكاثوليكية التي تحملها نيابة عن بقية الكنائس طاهراً. حتى إنه أي كولمبس على الرغم من ظنه أنه وصل إلى جزر الهند الغربية، لم ينس أن يكتب خطاباً إلى الملكين السابقين يطالبهما فيه بشن حملة صليبية من أجل الاستيلاء على القدس سنة ١٥٠١، وقد نشرت مجلة العربي الكويتية عدد ٥٢٢ ذي الحجة ١٤٢٣هـ/ اذار ٢٠٠٣ نص الرسالة مترجمة بالعربية لأول مرة.

يقول بالحرف الواحد: فيجب علينا أن نؤمن بأن أمر القيام بحملة صليبية لاستعادة مدينة القدس لهو أمر سوف يتحقق بالفعل، وبعد غرناطة... جاء دور القدس.

وهي سنة ١٥١٩ وصل ماجلان إلى الفلبين، ثم اقتحم ومن معه الجزر وأرهبوا سكانها المسلمين، ونشروا الخراب والقتل أينما بلغوا. وهل هم إلا أحفاد أولئك الذين فعلوا بالمسلمين ما فعلوا من حملات إبادة وحملات تنصير؟

ويطوى شيء من التاريخ، وكانت الحرب العالمية الأولى، ويدخل الجنرال أنبي -الصليبي-

القدس، ثم يرمي



رسم تفصيلي لطريقة تصميم الحمامات داخل أحد القصور الأندلسية

بنظرة صلب إلى المسجد الأقصى وقبة الصخرة، ونظرة زهو وودّ إلى كنيسة القيامة، ليقول: اليوم انتهت حقاً الحروب الصليبية. ويتنفس الصعداء أو يتنفس الخيلاء. ويأتي غورو بسلوكه عن غدر فاضح وشماتة دينية في مصام يعف فيه أي إنسان حر عن التشفي، إذ لا شماتة في الموت، ولكنه الحقد الكامن في النفوس الجاهلية، إذ تبقى حزازات النفوس كما هي، ليقول: ها قد عدنا يا صلاح الدين. ففاح من كلامه ومن كلام سابقه أنبي رائحة الدم الذي كان بلونه القاني على صدورهم وصدور فرسانهم وأسلحتهم وشاراتهم ورمورهم، «وما تخفي صدورهم أكبر» كما قال ربنا، فما التشفي ببالح حداً في نفوسهم. وجاءت الحرب العالمية الثانية، وتمكن اليهود بمعاونة بريطانية على الاشتراك فيها في الشرق فقط بفيلق يهودي لتمكين السيطرة على فلسطين، وأنشؤوا مملكة إسرائيل. ثم انتهجت كل الملل والنحل ما عدا المسلمين بأيام النكسة، أو النكبة، أو المحنة، وأسماء شتى لحقت بالمسلمين يوم تكاثفت الصهيونية والصليبية عام ١٩٤٧. ويرجى الاطلاع إلى أي تفسير موسع في تفسير الآية الكريمة: «وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ» (البقرة: ١٢٠). يقول الرسول: في مسند الإمام أحمد: «مثل أمي كالمطر لا يعلم أوله خير أم آخره».

واخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



وجدير أن أنهي هذا الكتاب بذكر قصيدة تعد من أروع المراثي، حيث يبكي الشاعر أبو الطيب صالح بن شريف الرندي قواعد الأندلس التي سقطت تباعاً، ويحث الحمية في نفوس المسلمين لإنقاذ الأندلس، ويستنهض الهمم لعلها يوماً تعيد لنا ما قد ضاع، وإن كان بعض أبياتها قد ذكرت من قبل.

لكل شيء إذا ماتم نقصان
هي الأمور كما شاهدتها دول
وهذه الدار لا تبقى على أحد
يمزق الدهر حتماً كل سابقة
أين الملوك ذوو التيجان من يمن
وأين ما شاده شداد من إرم
وأين ما حازه قارون من ذهب
أتى على الكل أمر لا مرد له
وصار ما كان من ملك ولا ملك
دار الزمان على "دارا" وقاتله
كانما الصعب لم يسهل له سبب
فجائع الدهر أنواع متنوعة
وللحوادث سلوان يسهلها
دهى الجزيرة أمراً عزاء له
أصابها العين في الإسلام فارتزات
فاسأل بلنسية ما شان مرسية
واين قرطبة دار العلوم؟ فكم
وأين حمص وما تحويه من نزه
قواعد كن أركان البلاد، فما
تبكي الحنيفية البيضاء من أسف
على ديار من الإسلام خالية

فلا يغرب طيب العيش إنسان
من سرده زمن ساءته أزمان
ولا يدوم على حال لها شان
إذا تبت مشرفيات وخرمان^(١)
وأين منهم أكاليل وتيجان؟
وأين ما ساسه في الفرس ساسان؟
واين عاد وشداد وقحطان؟
حتى قضوا فكان القوم ما كانوا
كما حكى عن خيال الطيف وستان^(٢)
أما لكسرى فما أواد ايوان^(٣)
يوماً ولا ملك الدنيا سليمان
وللزمان مسرات واحزان
وما لما حل بالاسلام سلوان؟
هوى له أحد وانهد "ثهلان"^(٤)
حتى خلت منه اقطار ويلدان
واين شاطبة ام أين جيان؟
من عالم قد سما فيها له شان؟
ونهرها العذب فياض وملان^(٥)
عسى البقاء اذا لم تبق أركان؟
كما بكي لضراق الالف هيمان
قد أقضرت، ولها بالكفر عمران

(١) المشرقية: السيف المنسوب إلى قرى الشام، الخرص: الرمح.

(٢) الطيف: ما يلم على الإنسان من خيال، وستان: كثير النعاس

(٣) دارا (داريوس): ملك الفرس حوالي ٤٥٠ ق.م، وقاتله: الاسكندر المقدوني.

(٤) أحد وثهلان جبال في جزيرة العرب.

(٥) حمص، تطلق على إشبيلية لأن جند حمص الشام

درلوا بها

حيث المساجد قد صارت كنائس ما
حتى الحاريب تبكي وهي جامدة
يا غافلاً وله في الدهر موعظة
وما شياً حرساً يلهيه موطنه
تلك المصيبة أنست ما تقدمها
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة
وحاملين سيوف الهند مرهفة
وراقعين وراء البحر في دعة
أعندكم نبأ من أهل أندلس؟
كم يستغيث بنا المستضعفون! وهم
ماذا التقاطع في الإسلام بينكم؟
ألا نفوس أبيات لها همم؟
يا من لذلة قوم بعد عزهم!
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم
ولو رأيت بكاهم عند بيـمهم
يارب أم وطفل حيل بينهما
وظفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت
يقودها العلج للمكروه مكرهه
مثل هذا يذوب القلب من كمد

فـيـهـن إلا نواقيس وصابان
حتى المنابر ترثي، وهي عيدان!
إن كنت في سنة فالدهر يقظان
أبعد حمص تغر المرء أوطان؟
وما لها مع طول الدهر نسيان!
كانها في مجال السبق عقيان!
كانها في ظلام النقع نيران!^(١)
لهم بأوطانهم عز وسلطان!^(٢)
فقد سرى بحديث القوم ركبان!
أسرى وقتلى! فما يهتز إنسان!
وانتم يا عباد الله - إخوان!
وأيّن للخير أنصار وأعوان؟^(٣)
أحال حالهم جور وطغيان!
واليوم هم في بلاد الكفر عبيدان
عليهم من ثياب الدّل ألوان!
لها لك الأمر واستهوتك أحزان!
كما تفرق أرواح وأبدان!
كانما هي يا قوت ومرجان!
والعين ياكية والقلب حيران!^(٤)
إن كان في القلب إسلام وإيمان!

لعل تلك الحضارة التي شيدت هنا وهناك، وتلك اللحظات الأليمة في تاريخنا تكون لنا عبراً وعظات توقظ العزائم فتسعى جاهدة ليعود لنا عز الإسلام، وتقود الدنيا، فقد:

ملكنا هذه الدنيا قرونا وأخضعها جدود مسلمونا

«وما ذلك على الله بعزيز» (فاطر: ١٧).

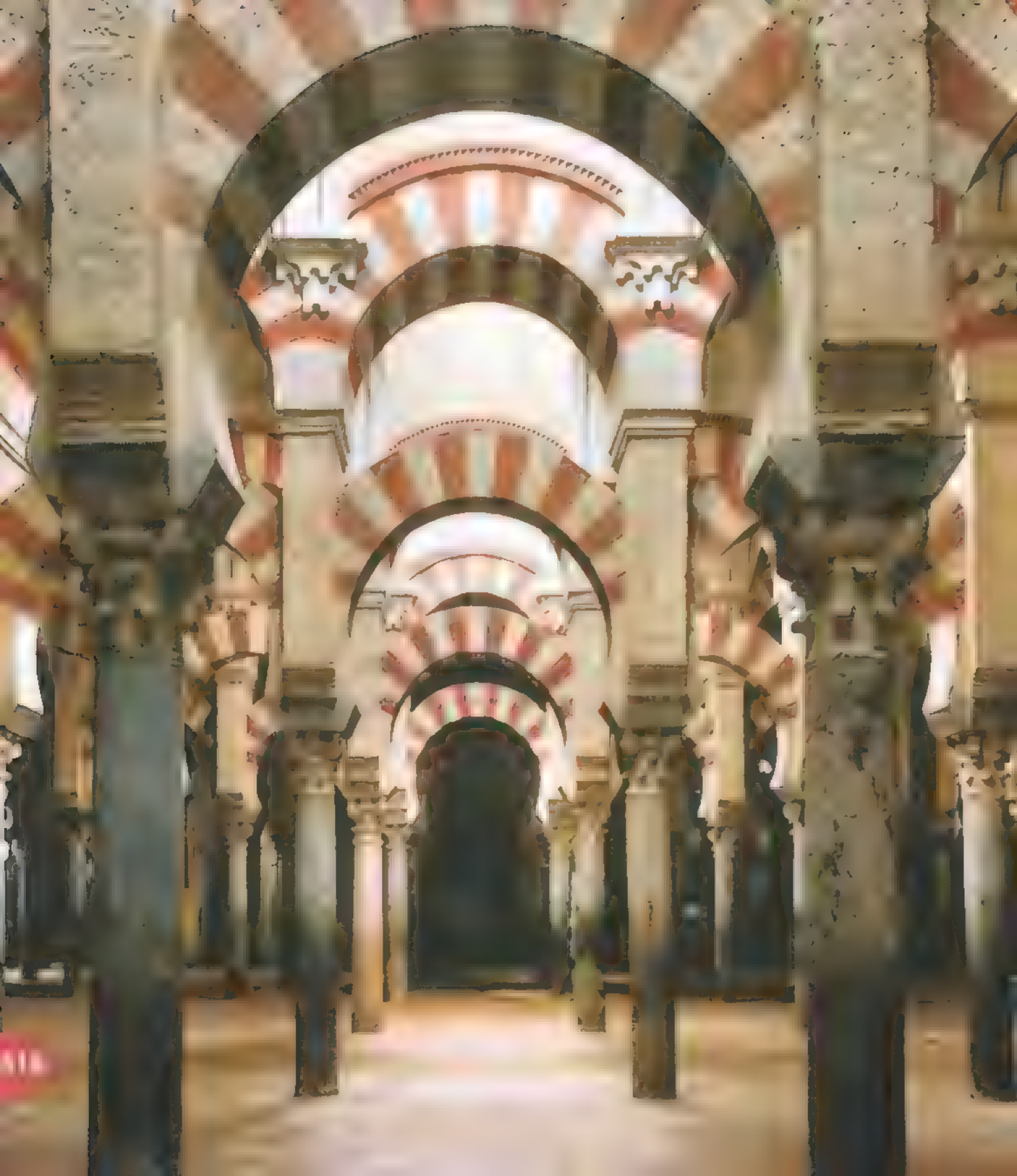
فهل لنا من أمثال موسى وطارق والعافقي والداخل والناصر والمنصور والأمير موسى والابطال العظماء من الأندلس المفقود.

(١) النقع: غبار الحرب.

(٢) الدعة: الخفض والسعة في العيش.

(٣) استفهام بمعنى الحض مع الإنكار.

(٤) الرجل من كفار العجم (يطلق على الكافر مطلقاً)



- القران الكريم
جامع الأصول
موسى بن نصير
عبد الرحمن الناصر
الحاجب المنصور
الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية
التاريخ الأندلسي
تاريخ آداب العرب
التفسير الإسلامي للتاريخ
سير أعلام النبلاء
الطريق إلى المدائن
عصر المرابطين والموحدين
في ظلال القرآن
القاموس المحيط
ماذا خسّر العالم انحطاط المسلمين
نهاية الأندلس
تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي
تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا والجزائر
البداية والنهاية
التاريخ الإسلامي
عقبة بن نافع الفهري
سير أعلام النبلاء
تاريخ مسلمي الأندلس.. الموريسكيون.. حياة ومأساة أقلية
دولة بني العباس
عصر الدولتين الأموية والعباسية
الدولة العثمانية
دولة الموحدين
فقه التمكن عند دولة المرابطين
المسلمون المنصرون.. المورسكيون الأندلسيون
الإسلام والعرب
- ابن الأثير الجزري، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط
يسام العسلي
يسام العسلي
يسام العسلي
يسام العسلي
الدكتور عبد الرحمن علي الحجي
مصطفى صادق الرافعي
الدكتور عماد الدين خليل
الحافظ الذهبي
أحمد عادل كمال
محمد عبد الله عنان
سيد قطب
مجد الدين الفيروزآبادي
أبو الحسن الندوي
محمد عبد الله عنان
د. حسن إبراهيم حسن
الأمير شكيب أرسلان
الإمام ابن كثير
د. محمود شاكر
محمود شيت خطاب
الإمام شمس الدين الذهبي
الإسباني أنطونيو هورتز والفرنسي برنارد بنثنت
شاكر مصطفى
د. علي الصلابي
د. علي الصلابي
د. علي الصلابي
د. علي الصلابي
د. عبد الله محمد جمال الدين
روم لاندو

المؤلف	اسم الكتاب
د. سعيد عبد الفتاح عاشور	أوروبا العصور الوسطى
علي أدهم	منصور الأندلس
محمد المقرئ التلمساني	خروج الأندلس من يد المسلمين
مجلة المعرفة (العدد ٦٨)	دروس في أسباب سقوط الأندلس
جوزيف عبود كبه	عباقرة العلم عند العرب
د. مصطفى السباعي	من روائع حضارتنا
Bonechi	Granada and the Alhambra
Edilux	Seeing and Understanding Andalusia
Taschen	Architecture Maure en Audalousie
Exposition presentee a l'Institut du monde arabe	Les Andalousies de Damas a Cordoue
Ediciones Ilustres	Malaga and province yesterday and today
Insight Guides	Southern Spain
Edilux	The Alhambra and Generalife in focus
Mark Williams	The story of Spain
Bonechi	Andalusia
Eyewitness Travel Guide DK	Spain
Kingfisher	History Encyclopedia
Edilux	Focus on the Alhambra
Ana Fidalgo	The Real Alcazar of Seville Visitors Guide
Michael Jacobs	Alhambra
Eyewitness Book DK	Islam
Jonathan Riley - Smith	The Oxford Illustrated History of the Crusades
Nigel Cawthorne	Victory - 100 Great Military Commanders
David Nicolle	The Moors - The Islamic west 7th - 15th Century AD
Dr. John Esposito	Elcid and the Reconquista 1050 - 1492
Zafar Ausari and John Esposito	The Oxford History Of Islam
Houghton Mifflin	Muslims and the West, Encounter and Dialogue
Richard Fletcher	History of the World
	Moorish Spain



الخاتمة

كلما قادتني الذاكرة إلى تاريخ الأندلس، تردد في ذهني قول الشاعر الأندلسي:

**لكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يغرب طيب العيش إنسان**

ضاعت الأندلس.. (ولم تكن أرض الأندلس قبل ذلك أرض المسلمين)، ولكن ما يحزن القلب أن ترى المسلمين اليوم ضائعين في ديارهم، تائهين في تاريخهم، وحاضريهم، وربما مستقبلهم! وما تزال ذكرياتك (آيتها الأندلس الحبيبة) تنعش القلب، وتروي الظمأ، ورياحين حدائقك الغناء تسلب العقول، وتذهب بالألباب، وبالرغم من أننا لم نعش تلك الأيام الرائعة للمسلمين، إلا أننا نشعر بالزمان قد تقارب، وكأننا كنا هناك قريباً. وكانت لنا القصور الشامخات، والأنهار الجارية، والجبال والوديان، والهواء والماء..

وإن الماضي صفحة للحاضر، ومدرسة للمستقبل، فاني أهيب بأمة الإسلام اليوم أن تتعلم الدرس جيداً، وتذكي مستقبلها بعبق ماضيها، وتتجاوز أخطاءها وهفواتها، وتزيح عن صدرها صخور جمودها..

وإنا لنسأل الله سبحانه أن يعيد لنا بلادنا المغصوبة من فلسطين إلى سائر أراضي المسلمين التي سلبت منهم.

وإن الأمل كبير جداً، والرجاء بالله تعالى أعظم.. ولا نزال ندعو ونبتهل حتى يمن الله تعالى علينا بالإجابة.. والله سميع، والله قدير.. وهو من وراء القصد.

د. طارق محمد السويديان

الكويت في ٦ ربيع أول ١٤٢٦ هـ

الموافق ١٥ إبريل / نيسان ٢٠٠٥ م

التاريخ المصور والكامل للعهد الإسلامي في الأندلس



10 أسباب تدعوك لقراءة هذا الكتاب..

- مرجع هام وملخص تاريخي لأهم الأحداث في العهد الإسلامي الأندلسي بلا إخلال أو تطويل.
- تاريخ المسلمين في الأندلس بالصور والخرائط التوضيحية بأسلوب ممتع ومشوق.
- تسلسل تاريخي واضح منذ دخول الإسلام وحتى خروج المسلمين بتقسيم منطقتي للمراحل.
- أكثر من ٨٠٠ صورة فادرة تجسد الكثير من الوقائع والأحداث والحضارة والعمارة الإسلامية.
- تخليد للحضارة العظيمة التي أسسها المسلمون في الأندلس بالصور الوثائقية.
- تلخيص العبر والدروس المستفادة من كل حقبة مما يميز الكتاب عن معظم الكتب الأخرى.
- الآراء الفاصلة للمؤلف من خلال الحكم على الأحداث لكل فترة.
- أسباب التهاون والضعف الذي أصاب المسلمين وأخرجهم من الأندلس.
- تعريف بالشخصيات والدول والدويلات التي مرت على تاريخ الأندلس.
- ثلاث سنوات من الجهد ابتداءً بالتأليف وانتهاءً بالعمل الإخراجي الضخم.



متوفر باليوم اشرطة صوتية

اقرأ للمؤلف أيضاً...
فلسطين..
التاريخ المصور

سعر الكتاب

الكويت، 3.900 د.ك - السعودية، 49 ريال
(أو ما يعادلها بالعملات الخليجية)
بقية دول العالم 14 دولار أمريكي



ردمك 9960-9584-2-6

